مجلة

جامعة القدس المفتوحة

للأبحاث والدراسات

توجه المراسلات والأبحاث على العنوان الآتي:

رئيس هيئة تحرير مجلة جامعة القدس المفتوحة

جامعة القدس المفتوحة

ص.ب: ٥١٨٠٠

هاتف: ٢٩٨٤٤٩١ -٠٢

فاكس: ٢٩٨٤٤٩٢ -٠٢

بريد الكتروني: ***hsilwadi@qou.edu***

تصميم وإخراج فني:

قسم التصميم الجرافيكي والإنتاج

عمادة البحث العلمي والدراسات العليا

جامعة القدس المفتوحة

هاتف: ٢٩٥٢٥٠٨ -٠٢

قواعد النشر والتوثيق

تنشر المجلة البحوث والدراسات الأصلية المرتبطة بالتخصصات العلمية لأعضاء الهيئة التدريسية والباحثين في جامعة القدس المفتوحة وغيرها من الجامعات المحلية والعربية والدولية، مع اهتمام خاص بالبحوث المتعلقة بالتعليم المفتوح، وتقبل أيضا الأبحاث المقدمة إلى مؤتمرات علمية محكمة والمراجعات والتقارير العلمية وترجمات البحوث.

يرجى من الأخوة الباحثين الراغبين في نشر بحوثهم الاقتداء بقواعد النشر والتوثيق الاتية:

١. تُقبل الأبحاث باللغتين العربية والإنجليزية.

٢. أن لا يزيد حجم البحث عن ٣٢ صفحة «٧٥٠٠» كلمة تقريبا بما في ذلك الهوامش والمراجع.

٣. أن يتسم البحث بالأصالة ويمثل إضافة جديدة إلى المعرفة في ميدانه.

٤. يقدم الباحث بحثه منسوخا على «CD» أو عبر البريد الالكتروني مع ثلاث نسخ مطبوعة منه، غير مسترجعة سواء نشر البحث أم لم يُنشر.

٥. يرفق مع البحث خلاصة مركزة في حدود «١٠٠ - ١٥٠» كلمة. ويكون هذا الملخص باللغة الإنجليزية إذا كان البحث باللغة العربية ويكون باللغة العربية إذا كان البحث باللغة الإنجليزية.

٦. ينشر البحث بعد إجازته من محكمين اثنين على الأقل تختارهم هيئة التحرير بسرية تامة من بين أساتذة مختصين في الجامعات ومراكز البحوث داخل فلسطين وخارجها على أن لا تقل رتبة المحكم عن رتبة صاحب البحث.

٧. أن يتجنب الباحث أي إشارة قد تشير أو تدلل على شخصيته في أي موقع من البحث.

٨. يزود الباحث الذي نشر بحثه بنسخة من العدد الذي نشر فيه، بالإضافة إلى ثلاث مستلات منه.

٩. تدون الإحالات المرجعية في نهاية البحث وفق النمط الآتي: إذا كان المرجع أو المصدر كتابا فيثبت اسم المؤلف، عنوان الكتاب أو البحث، اسم المترجم أو المحقق (مكان النشر، الناشر، الطبعة، سنة النشر) الجزء أو المجلد، رقم الصفحة، أما إذا كان المرجع مجلة فيثبت المؤلف، عنوان البحث، اسم المجلة، عدد المجلة وتاريخها، رقم الصفحة.

١٠. ترتب المراجع والمصادر في نهاية البحث «الفهرس» حسب الحروف الأبجدية لكنية / عائلة المؤلف ثم يليها اسم المؤلف، عنوان الكتاب أو البحث، (مكان النشر، الناشر، الطبعة، سنة النشر) الجزء أو المجلد.

١١. بإمكان الباحث استخدام نمط Style «APA» في توثيق الأبحاث العلمية والتطبيقية، حيث يشار إلى المرجع في المتن بعد فقرة الاقتباس مباشرة وفق الترتيب الآتي: «اسم عائلة المؤلف، سنة النشر، رقم الصفحة».

المحتويات

الأبحـــــاث

مجلة
جامعة القدس المفتوحة
للأبحاث والدراسات

الأبحاث

الأبحاث

علاقة العوامل الفردية للطالب وطبيعة المسألة باستراتيجيات طلبة الصف التاسع بمحافظات شمال فلسطين لحل المسألة الفيزيائية

د. شحادة مصطفى عبده*

* أستاذ مساعد/ كلية العلوم التربوية/ جامعة النجاح الوطنية.

ملخص:

يهدف البحث إلى تقصي درجة شيوع استراتيجيات طلبة الصف التاسع لحل المسألة الفيزيائية، وتحديد طبيعة العلاقة بين هذه الاستراتيجيات وبين جنس الطالب، ومستوى قدرته الفيزيائية العامة، ومستوى معرفته الفيزيائية القبلية، وطبيعة المسألة. وتكون مجتمع البحث من (٤٥٤٤) طالباً وطالبة ، منهم (٢٢٠٧) طلاب، و (٢٣٣٧) طالبة، وأما العينة فتكونت من (٤٣٢) طالباً وطالبة (٢١٦ طالباً، ٢١٦ طالبة) .

طبق اختبار تحصيلي مكون من (٣٠) مسألة، لتحديد استراتيجيات حل المسألة الفيزيائية، وتحقيق الباحث من صدقه عن طريق المحكمين، وحسب معامل ثباته، فوجد أنه (٠,٨٩) . ولدى تحليل استجابات الطلبة باستخدام نموذج تحليل الاستراتيجيات، تبين وجود ست استراتيجيات لحل المسألة الفيزيائية عند الطلبة، هي: الاستراتيجية التقدمية، والاستراتيجية الخلفية (البدء من النتيجة وصولاً إلى المقدمة) ، واستراتيجية المحاولة والخطأ العشوائية، واستراتيجية المحاولة والخطأ المنظمة، والاستراتيجية الحدسية، ولا استراتيجية. كماحللت النتائج باستخدام اختبار كاي تربيع (χ^2) ، وأظهر التحليل النتائج الآتية: توجد علاقات اقترانية دالة إحصائياً بين استراتيجيات حل المسألة وكل من: مستوى المعرفة القبلية للطالب، ومستوى قدرته الفيزيائية العامة، وطبيعة المسألة. بينما لا توجد علاقة اقترانية دالة إحصائياً بين الاستراتيجيات الست لحل المسألة وجنس الطالب.

Abstract:

This study aimed to identify problem solving strategies of physics problems, used by 9th grade, and the relation of these strategies with problem's nature, student's gender, their general physics ability level, and prior physics knowledge level. A sample of (432) students (216 males, 216 females) was chosen randomly from North West Bank area according to their gender, general physics ability, and prior physics knowledge. A (30) problems test was administered to identify students' problem solving strategies of physics problems. The test was validated by a group of experts, and its the reliability coefficient was (0.89) for model (a) (0.93), for model (b) and (0.90) for model (c) using KR-20, and (0.89) using test-retest technique.

The results of chi square analysis showed that there was a significant relationship between the strategy and problem nature, general physics ability, and prior physics knowledge. No significant correlation was detected between the problem solving strategy and gender. The analysis also showed that there is a significant correlation coefficient between the strategy and the problem's nature for females, but it was not significant for males. There is also a significant correlation between the strategy and general physics ability level for females, but it was not significant for males. There is also a significant correlation between the strategy and prior physics knowledge for females, males, and high general physics ability, but it is not significant for low general physics ability. A number of recommendations for the Ministry of Education and researchers were proposed.

مقدمة:

يرى التربويون أن من أهم أهداف تعليم العلوم في أي مرحلة من مراحل التعليم المختلفة، إكساب الطلبة استراتيجيات مناسبة ومتنوعة لحل المسألة الفيزيائية، ويتطلب ذلك استبصار العلاقات الموجودة بين أجزاء المسألة والخروج بالحل المطلوب، بوليا (Polya, 1957) .

ويشير حل المسألة إلى نشاط عقلي يعاد فيه بناء التمثيل المعرفي للخبرة السابقة وتنظيمه، ومكونات موقف المسألة معاً بحثاً عن بدائل الحل، إما بالمحاولة والخطأ أو بالاستبصار من خلال محاولة صياغة مبدأ أو اكتشاف نظام علائقي يقود إلى حلها، وقد يدور النشاط العقلي في هذه الحالة حول معالجة صور أو رموز، وقد يتضمن صياغة فرضيات مجردة عوضاً عن معالجة ظاهرة مادية، ويسمى النشاط العقلي المستخدم في هذه الحالة بالتفكير الذي يتضمن في كل من الاستبصار والمحاولة والخطأ، لذا، فإن الاستراتيجيات المستخدمة في حل المسألة تتوقف على عمر الطالب وخبرته السابقة وذكائه، ويؤدي استخدام الاستبصار في الحل إلى الفهم الذي يظهر عند حل مسائل ذات صلة بالمسألة الحالية، لذا، لا يعكس الحل بالاستبصار فقط أثر نقل مبادىء ذات صلة ببدائل جديدة للمسألة نفسها أو تطبيقها، وإنما قابلية النقل نفسها هي معيار الاستبصار (Ausubel, 1968).

ويشتمل الاستبصار إما نقلاً بسيطاً لمبدأ متعلم سابقاً إلى موقف جديد مماثل له، أو إعادة بناء وتنظيم البنية المعرفية السابقة كاملة أو الحالية لتلائم متطلبات الهدف المخطط له، وتمتاز الحلول الاستبصارية بظهورها فجأة أو بصورة متقطعة، ويكون فيها بعض التقدير أو التذوق الضمني لمبدأ مؤثر في حل المسألة حتى إن وجدت صعوبة في التعبير عنها لفظياً. ولا يؤكد استخدام الفرضيات أن طريقة الاستبصار متبعة في حل المسألة، كما أن الغياب الظاهر لطريقة المحاولة والخطأ لا يعني أن حلها تم بالاستبصار (Butler, 1971) . وتعدُ المحاولة والخطأ إحدى ميزات التعلم الحركي، إذ تناسب حل بعض المسائل المنطوية على متاهات وألغاز، وتحدث بقدر كاف عند إدراك الطالب اتجاه انحرافه عن الحل المرغوب فيه، ودرجة هذا الانحراف. ويعدُ حل المسألة بالاستبصار نوعاً من تعلم الاكتشاف المعنوي الذي يربط أبعاد المسألة والأهداف المرغوبة ارتباطاً جوهرياً ببنية المعرفة السابقة للطالب، ويقتضي الاستبصار الذهاب إلى أبعد من التعمق بالمعلومات المعطاة، ونقلها من خلال التحليل والتركيب، وصياغة الفرضيات واختبارها، وإعادة الترجمة وترتيبها (Ausubel,1968) .

وتؤدي بنية الطالب المعرفية السابقة دوراً مهماً في حل المسألة، من خلال إعادة بناء الخبرات السابقة والمتطلبات الجديدة وتنظيمها. وتتضمن بنية الفرد المعرفية السابقة مواد خام لازمة لحل المسألة، سواء نقلت المعلومات نقلاً سالباً أو موجباً. ويعكس نقل التعلم ماهية وقوة متغيرات البنية المعرفية، فاشتمالها على معرفة استنباطية: (النظريات، والقوانين، والتعميمات، والمفاهيم، والحقائق...) يسهل حل المسألة، ومهما بلغت مهارة الطالب في التعلم بالاكتشاف، فلا يمكنه فهم ماهية المسألة المقدمة له دون امتلاك معرفة سابقة ذات صلة بها (Ausubel, 1968) .

وميز **أوزوبل (Ausubel, 1968)** في صياغة حل المسألة بين نوعين: نظري أو اكتشافي يهدف إلى كشف أفكار أساسية، ويتطلب أنماطاً جديدة من العلاقات، وصولاً إلى قواعد أو تعليمات مناسبة تحلُ بها المسألة. وتطبيقي يركز على استخدام قاعدة في مواقف مغايرة نوعاً ما للموقف الذي تم أستخدمت القاعدة فيه أولا، ويعنى هذا النوع باكتساب الطلبة مهارات وظيفية خاصة، تفترض التركيز على اعتبارات تربوية واجتماعية، وتفحص المعلومات المعطاة، وتستخدم بعض أو جميع المعطيات تبعا لترتيب معين مستعينين بما تعلموه من قواعد للوصول إلى حل كمي.

ويواجه معظم الطلبة صعوبة في حل المسألة الفيزيائية، كما يجد معلمو ومعلمات الفيزياء في الوقت نفسه صعوبة من نوع ما في اكساب طلبتهم القدرة على حل مسائل من النوعين السابقين، لما يتطلبه حلها من تحليل عناصرها الأساسية، وإيجاد علاقات بينها، وتذكر المبادئ والقوانين المتعلمة سابقاً والخروج منها بالحل المطلوب، مما لا يجعل إكسابها للطلبة صعباً إلا إذا كان المعلم خبيراً ومتمكناً من هذا النوع من التدريس مدة طويلة (Butler, 1971) .

وعرف **كوني (Cooney, 1979)** المسألة بأنها سؤال يقدم بطريقة ما، من شأنه إثارة نوع من التحدي يقبله الطالب. أما **بوليا (Polya, 1957)** فعرف حل المسألة بأنها البحث الواعي عن الوسائل الملائمة لتحقيق هدف واضح في الذهن يصعب الحصول عليه مباشرة. وعرف **كينث (Kenneth,1967)** المسألة كسؤال يستدعي إجابة أو حلا، ويرافقه أمر أخر متعلق بالفرد، يختلف من فرد إلى أخر، لذا، فقد تكون مسألة ما سهلة عند فرد معين، وصعبة عند فرد أخر، وما هو سهل عند فرد معين اليوم، قد لا يكون عنده كذلك في الغد. وعرف **كلاوسماير (Klausmeir, 1969)** المسألة بأنها موقف مشكل يصادفه الطالب، وعليه الاستجابة له،إلا أنه لا يملك وسائل ومعلومات يمكنه استخدامها حالاً دون تفكير

جديد، بغية الوصول إلى الحل. وعرف **لستر** (Lester, 1980) المسألة بأنها موقف مشكل يطلب فيه من طالب ما أو مجموعة طلبة أداء مهمة ما شريطة عدم امتلاكهم خطوات جاهزة تمكنهم من حلها. وعرف **فليبس** (Philips, 1970) المسألة بأنها موقف لا يوجد له إجراء جاهز يتبعه الطالب للوصول إلى حله. ويتوقف كون الموقف المشكل مسألة أم لا على مهارة الفرد واستعداده ومعرفته القبلية في ذلك الموقف.

ويظهر من تعريفات المسألة أنها: موقف مشكل يقدم لطالب لا يملك حلاً جاهزاً له، ولا معرفة ومهارات كافية لحلها، ويتطلب حلها إعادة بناء معرفته القبلية وتنظيمها لكي يتمكن من استبصار هذا الحل. وهذا تعريف جامع إلى حد ما يمثل النوع الاكتشافي.

وحدد **بوليا** (Polya, 1957) في كتابه "البحث عن الحل" مراحل أربع يمر بها حل المسألة، هي: فهم المسألة، وابتكار خطة الحل، وتنفيذ فكرة الحل، ومراجعة الحل. وحدد **ديوي** (Dewey, 1933) خمس خطوات لحل المسألة، هي: الشعور بها، والتفكير فيها، ووضع الفروض، واختبار صحة الفروض، والوصول إلى الحل باختبار الفرض الملائم.

ورآى لستر (Lester, 1980) أن قدرة الطالب على حل المسألة يؤثر فيها عوامل عدة، منها:

١. **عوامل بنيوية**: عوامل تتصل ببنية المسألة، وسياقها، وطولها، ودرجة صعوبة ألفاظها ومفرداتها اللغوية، وموقع المتطلب فيها ووضوحه،وعدد متطلباتها، وعدد خطوات حل كل متطلب،...الخ.

٢. **عوامل فردية**: عوامل تتصل بالطالب نفسه مثل: ذكائه، وقدرته القرائية، ومستوى معرفته القبلية، وجنسه، وعمره، وتخصصه، ومستوى تحصيله، واتجاهاته، ودوافعه، ومستواه المعرفي،... الخ.

٣. **استراتيجيات حل المسألة**: وهي الاستراتيجيات التي يستخدمها الطالب عند حله المسألة، وقد تتنوع من المحاولة والخطأ، واستدعاء معلومات وحقائق سابقة إلى استراتيجيات تحليلية منظمة.

وبعد مراجعة الأدب التربوي المتعلق باستراتيجيات حل المسألة الفيزيائية من خلال المسح على رزمة (ERIC) ، ومركز إيداع الرسائل الجامعية في الجامعة الأردنية الصادرة على مستوى العالم العربي، ومجلات ودوريات عربية، تبين قلة الدراسات والبحوث المحلية والعربية وندرتها على المستوى العالمي.

الدراسات السابقة:

تقصى **باريتت ومارس (Barrett and Mars, 1993)** خطوات حل المسألة الفيزيائية واستراتيجياتها. وأظهر البحث أن تقوية مهارات حل المسألة يمكن أن يتم بوساطة: قراءة المسألة وإعادة قراءتها ثلاث مرات على الأقل، ووضع قائمة الحقائق الواردة فيها وإعادة صياغتها وتحديد المعلومات اللازمة للحل والزائدة والناقصة فيها، ورسم الشكل اللازم ومخطط الحل أو الشكل المساعد فيه، وتحديد ما يعرفه الطالب وما يحتاجه، والتنبؤ وتقدير الحل في مدى معقول، وكيفية ربط المسألة بمفاهيم وحقائق الطالب السابقة، واختيار الاستراتيجية المناسبة للحل التي تربط بين معلومات المسألة ربطاً سليماً، وتطبيق إجراءات حلها على خير وجه، وفحص الحل بدلالة المسألة مما يولد إحساسا بإمكانية توضيح أو توسيع أو تطبيقات أخرى.

وتقصَى **مارك (Mark, 1998)** استراتيجيات حل المسألة الفيزيائية. وأظهرت نتائج البحث وجود عوامل تساعد الطالب على أن يكون ماهراً في حل المسألة، وهي: أن يعرف الطالب المبادئ الفيزيائية ذات الصلة بالموضوع المستهدف ويفهمها، وامتلاكه استراتيجية تطبيق هذه المبادئ في مواقف جديدة تساعده في حل مشكلات حياتية، وتطوير مهاراته لحل المسألة وامتلاكه استراتيجية تنظيم هذه المهارات.

وتقصَى **ماكير (Maker, 2001)** استراتيجيات طلبة مرحلتي التعليم الأساسي المتوسطة والعليا لحل المسائل الفيزيائية. وتكونت عينة البحث من (٢٣٠) طالباً في الولايات المتحدة الأمريكية. وأظهر البحث استخدام أربع استراتيجيات مرتبة من الأكثر شيوعاً إلى الأقل شيوعاً، هي: اللااستراتيجية، والمحاولةُ الخطأ العشوائية، والمحاولةُ والخطأ المنتظمة، والتحليلية التقدمية. وأظهر عدم وجود فروق بين الجنسين في استخدام استراتيجيات حل مسائل العلوم.

وتقصَى **تاكونيس ورفاقه (Taconis et al., 2003)** استراتيجيات حل مسائل العلوم في مرحلتي التعليم الأساسي والثانوي من خلال تحليل (٢٢) مقالة من مقالات تصف (٤٠) تجربة لبحوث تجريبية نشرت في الفترة الواقعة بين (١٩٨٥– ١٩٩٥) . وأظهر البحث تنوعاً واسعاً في استراتيجيات حل المسألة كالمحاولة والخطأ العشوائية، والمحاولة والخطأ المنتظمة، واللااستراتيجية والتحليلية الخلفية.

وأجرى **أندرسون ورفاقة (Anderson et al., 2004)** بحثاً موقفياً وصف برنامجاً لتحسين مهارات حل مسائل العلوم. وتألف مجتمع البحث من طلبة الأول والثالث والسادس

الأساسي في ولاية الينوي. وحددت استراتيجيات حل المسألة من خلال ملاحظات المعلمين وتسجيلات فيديو للباحثين. وأظهر تحليل البيانات أنه: لا توجد فروق دالة إحصائيا بين الاستراتيجيات تعزى للصف، وافتقار الطلبة للقدرة الذاتية على متابعة استراتيجيات مختلفة لحل مسائل العلوم وتطبيقها، واستخدام مهارات بسيطة لحل مسائل علمية مركبة، وشيوع إستراتيجيتين لحل المسألة المؤلفة من أربع خطوات هما استراتيجية اختراع الحل، واستراتيجية اندماج الطالب في المتابعة الذاتية للحل، ويزيد فهم الطلبة لاستراتيجيات حل المسألة ومراجعة الحل بتقدم الصف.

أسئلة البحث:

حاول هذا البحث الإجابة عن الأسئلة الآتية:

١. ما استراتيجيات طلبة الصف التاسع في حل المسألة الفيزيائية، وما درجة شيوع كل منها؟

٢. هل تختلف استراتيجيات طلبة الصف التاسع في حل المسألة الفيزيائية باختلاف جنسهم؟

٣. هل تختلف استراتيجيات الطلبة في حل المسألة باختلاف مستوى قدرتهم الفيزيائية العامة؟

- هل تختلف استراتيجيات ذكور الصف التاسع في حل المسألة الفيزيائية باختلاف قدرتهم الفيزيائية العامة؟

- هل تختلف استراتيجيات إناث الصف التاسع في حل المسألة الفيزيائية باختلاف قدرتهم الفيزيائية العامة؟

٤. هل تختلف استراتيجيات الطلبة في حل المسألة باختلاف مستوى معرفتهم الفيزيائية القبلية؟

- هل تختلف استراتيجيات ذكور التاسع في حل المسألة الفيزيائية باختلاف مستوى معرفتهم الفيزيائية القبلية؟

- هل تختلف استراتيجيات إناث التاسع في حل المسألة الفيزيائية باختلاف مستوى معرفتهم الفيزيائية القبلية؟

٥. هل تختلف استراتيجيات الطلبة في حل المسألة الفيزيائية باختلاف طبيعتها؟

٦. هل تختلف استراتيجيات ذكور التاسع في حل المسألة الفيزيائية باختلاف طبيعتها؟

٧. هل تختلف استراتيجيات إناث التاسع في حل المسألة الفيزيائية باختلاف طبيعتها؟

فرضيات البحث:

حاول هذا البحث اختبار الفرضيات الصفرية الآتية عند مستوى الدلالة (a =٠,٠١):

١. لا يوجد فروق دالة إحصائيا بين استراتيجيات الطلبة لحل المسألة الفيزيائية تعزى لجنسهم.

٢. لا يوجد فروق دالة إحصائيا بين استراتيجيات الطلبة لحل المسألة تعزى ومستوى قدرتهم الفيزيائية العامة.

- لا يوجد فروق دالة إحصائيا بين استراتيجيات الذكور لحل المسألة تعزى مستوى قدرتهم الفيزيائية العامة.

- لا يوجد فروق دالة إحصائيا بين استراتيجيات الطالبات لحل المسألة تعزى لمستوى قدرتهم الفيزيائية العامة.

٣. لا يوجد فروق دالة إحصائيا بين استراتيجيات الطلبة لحل المسألة تعزى لمستوى معرفتهم الفيزيائية القبلية.

- لا يوجد فروق دالة إحصائيا بين استراتيجيات الذكور لحل المسألة تعزى لمستوى معرفتهم الفيزيائية القبلية.

- لا يوجد فروق دالة إحصائيا بين استراتيجيات الطالبات لحل المسألة تعزى لمستوى معرفتهم الفيزيائية القبلية.

٤. لا يوجد فروق دالة إحصائيا بين استراتيجيات الطلبة لحل المسألة الفيزيائية تعزى لطبيعتها.

- لا يوجد فروق دالة إحصائيا بين استراتيجيات الذكور لحل المسألة الفيزيائية تعزى لطبيعتها.

- لا يوجد فروق دالة إحصائيا بين استراتيجيات الطالبات لحل المسألة الفيزيائية تعزى لطبيعتها.

أهمية البحث:

تنامى الاهتمام منذ مطلع عقد تسعينيات القرن الماضي في كثير من دول العالم بتقصي استراتيجيات الطلبة لحل المسألة عامة، والمسألة الفيزيائية خاصة، حتى صار تقصيها وتنميتها غاية أساسية لمعظم السياسات التربوية في العالم، وهدفاً رئيساً تسعى المناهج التدريسية لتحقيقه (Maker, 2001) ، و (Taconis et al., 2003) ، و (Anderson et al., 2004) .

وتكمن أهمية هذا البحث في أنها تتناول موضوعاً جديداً ما زالت البحوث فيه نادرة حتى الآن. ومعظم الدراسات في هذا المجال، أُجريت في الولايات المتحدة الأمريكية على طلبة في مرحلة ما قبل المدرسة، والمرحلة الأساسية الدنيا، وعلى نوع خاص من المسائل هي اللفظية، أما الدراسات التي أجريت على طلبة المرحلة الثانوية وما بعدها، فتكاد تكون نادرة. وأظهر مسح رسائل الماجستير والدكتوراة المودعة في مركز إيداع الرسائل الجامعية في الجامعة الأردنية، ومكتبات جامعة اليرموك وجامعات الضفة الغربية، أن هذا البحث يعد الأول من نوعه محلياً وعربياً، وهو نادر على المستوى العالمي في حدود اطلاع الباحث.

وتزيد أهمية هذا البحث إضافة إلى الاهتمام الواسع بموضوعه، لكونه لم يقتصر على تقصي استراتيجيات حل المسألة الفيزيائية فحسب، وإنما جمع أيضاً عدداً من المتغيرات المتعلقة بالطالب كجنسه، ومستوى قدرته الفيزيائية العامة، ومستوى معرفته الفيزيائية القبلية، وبالمسألة كطبيعتها. بينما غلب على معظم الدراسات السابقة اقتصارها على متغير واحد، يتعلق بالطالب أو المسألة؛ لذا، فإن نتائج هذا البحث تعطي صورة أوسع عن استراتيجيات حل المسألة، من حيث المتغيرات المؤثرة فيها، وطبيعة العلاقة بين استخدام هذه الاستراتيجيات وبين المتغيرات.

وللبحث أهمية من الناحيتين العملية والنظرية. فمن الناحية العملية يفيد في: (١) الكشف عن استراتيجيات حل المسألة الفيزيائية، مما يعطي صورة عن مدى تقدم الطلبة في تحقيق أهداف التربية العلمية، وتكون معرفة تلك الاستراتيجيات ذات فائدة كبيرة في توجيه نظر خبراء مناهج العلوم المدرسية والجامعية إلى هذه الاستراتيجيات وعلاقتها بمتغيرات البحث؛ وهذا يؤدي بالقائمين على تأليف مناهج العلوم إلى تضمين النصوص العلمية في الكتاب المدرسي أنواعاً مختلفة من المسائل الفيزيائية التي تساعد على تنمية القدرة على حلها؛ (٢) تطوير طرق التدريس المستخدمة في المدارس؛ لتذليل بعض العقبات التي تعترض تعلم الطلبة أسلوب حل المسألة عامة، والفيزيائية خاصة. (٣) إعداد المعلمين، إذ تبصرهم باستراتيجيات الطلبة في حل المسألة الفيزيائية، وتوجيه تفكيرهم للتركيز عليها.

أهداف البحث:

هدف البحث إلى تقصي استراتيجيات طلبة الصف التاسع في حل المسألة الفيزيائية، ودرجة شيوعها عندهم، وطبيعة العلاقة بين استخدام الطلبة هذه الاستراتيجيات وبين كل من: جنس الطالب، ومستوى قدرته الفيزيائية العامة، ومستوى معرفته القبلية، وطبيعة المسألة.

حدود البحث:

استخدم البحث اختبار تحصيل، لتحديد استراتيجيات الطلبة لحل المسألة الفيزيائية، وعلاقاتها بسمات تتعلق بهم. لذا، **تتحدَد نتائج البحث فيما يأتي**:

١. أجري البحث على عينة من (٤٣٢) طالباً وطالبةً من طلبة الصف التاسع في محافظات شمال فلسطين، لذا، تقتصر نتائجه على طلبة هذا الصف الذي اختيرت العينة منه في الفصل الثاني من العام (٢٠٠٥/ ٢٠٠٦) ، وقد لا تصح على الأطفال وطلبة التعليم الثانوي وكليات المجتمع، والجامعات. ولتعميم نتائج البحث، توجد حاجة لإجراء بحوث ودراسات على صفوف أخرى.

٢. استخدم البحث مسائل فيزيائية تعلقت بمفاهيم: الكهرباء الساكنة، وأثار التيار الكهربائي الحراري والمغناطيسي والكيميائي. لذا، تتحدَد نتائج البحث بمدى كفاية الأدوات البحثية المستخدمة فيه، لكشف التباين في استراتيجيات الطلبة لحل المسائل الفيزيائية.

تصميم البحث والمعالجة الإحصائية:

البحث الحالي بحث وصفي استكشافي له جانبان، هما: وصف استراتيجيات طلبة الصف التاسع لحل المسألة الفيزيائية، وتحديد ما إذا كانت هذه الاستراتيجيات تختلف باختلاف: جنس الطالب، ومستوى قدرته الفيزيائية العامة، ومستوى معرفته الفيزيائية القبلية، وطبيعة المسألة.

استخدمت عينة عشوائية طبقية تكونت من (٢١٦) طالباً، و (٢١٦) طالبةً، موزعين على متغيرات البحث المستقلة، وهي: الجنس، وله مستويان (ذكور، إناث) ، ومستوى القدرة الفيزيائية العامة، وله ثلاثة مستويات (مرتفع، متوسط، منخفض) ، ومستوى المعرفة الفيزيائية القبلية، وله ثلاثة مستويات (مرتفع،متوسط، منخفض)، وطبيعة المسألة، وله ثلاث مستويات (لفظية مطولة، لفظية مختصرة، ولفظية مختصرة معززة بالرسم). واستخدم في هذا البحث اختبار تحصيل. ومن ثم حُلِّلت استجابات الطلبة للكشف عن استراتيجياتهم في حل المسائل وتحديد أنواعها وفق نموذج وصفي تصنيفي.

وللإجابة عن الجانب الأول تم ما يأتي: في ضوء استجابات أفراد عينة البحث من أسئلة اختبار الكشف عن استراتيجيات حل المسألة الفيزيائية، وتحليل هذه الاستجابات، حُسبت التكرار النسبي للعناصر التي تضمنتها استجابات كل فرد من أفراد العينة. وتم اعتماد الاستجابات التي حصلت على تكرار نسبي يساوي (٥٠٪) فأكبر من قبل أي فرد من هؤلاء الأفراد، إذ اعتبرت هذه العناصر بأنها هي التي تقوم عليها كل استراتيجية من استراتيجيات الطالب لحل المسألة الفيزيائية، ومن مجموعة هذه العناصر وطبيعة العلاقات بينها، تعرَّف الباحث إلى طبيعة الاستراتيجيات التي يستخدمها كل فرد من أفراد العينة، عند كل متغير من متغيرات البحث.

وللإجابة عن الجانب الثاني للبحث قُورن وصفياً بين طبيعة الاستراتيجيات عند متغيرات البحث بالتعرف والتأكيد على توافر عناصر كل استراتيجية، واستخدم الإحصائي (χ^2) كلما أمكن ذلك، يسأل عنها الباحث للمقارنة بين التكرارات النسبية لكل عنصر تضمنته استجابات فئات البحث المختلفة.

ونظرا لأن التصنيف في جداول الاقتران تصف صفات الأفراد ، وتسمى درجة العلاقة بين المتغيرين r ، وتحسب من المعادلة الآتية (Shbigl, 2002; 327- 328) :

$$r = \sqrt{\chi^2 / [\,N\,(k-1)\,]}$$

أما معامل الاقتران C يتم فيُحسب من المعادلة الآتية:

$$C = \sqrt{[\,\chi^2 / (\chi^2 + N)\,]}$$

حيث: N عدد أفراد الكلي في جدول الاقتران ، k عدد مستويات المتغير المستقل

χ^2 قيمة كاي تربيع لبيانات جدول الاقتران.

الطريقة والإجراءات:

منهج البحث:

استخدم البحث المنهج الوصفي الاستكشافي في تحديد استراتيجيات طلبة الصف التاسع لحل المسائل الفيزيائية في المدارس الحكومية، وتقصّي علاقة هذه الاستراتيجيات بمتغيرات البحث المستقلة.

مجتمع البحث:

تكون مجتمع البحث من (٤٥٤٤) طالباً وطالبة من الصف التاسع في (٣٢) مدرسة طبق البحث فيها، (٢٢٠٧) ذكور في (١٩) مدرسة للذكور، و (٢٣٣٧) طالبة في (١٨)

مدرسة، تابعة لمديريات تربية وتعليم محافظات شمال الضفة المحتلة ممثلة بمحافظات نابلس وجنين وطولكرم، وقلقيلية، وسلفيت، في الفصل الثاني للعام (٢٠٠٩/ ٢٠٠١٠) .

عينة البحث:

اشتملت عينة البحث على (٤٣٢) طالباً وطالبة من الصف التاسع يمثلون (١٠,٥٪) من المجتمع، منهم (٢١٦) طالبا، (٢١٦) طالبة، وهي عينة عشوائية طبقية اختيرت من (٦٤) شعبة صفية في (٣٢) مدرسة ، (١٦) مدرسة ذكور، و (١٦) مدرسة إناث.

أدوات البحث:

تطلب تحقيق أهداف البحث والإجابة عن أسئلته تطبيق الأدوات الآتية:

- **اختبار مستوى المعرفة القبلية:**

أعد الاختبار لتصنيف طلبة العينة في الموضوعات التي تعد معرفة قبلية ذات صلة وثيقة بموضوع الكهرباء الساكنة وأثار التيار الكهربائي الحراري والمغناطيسي والكيميائي في كتب العلوم المقررة للصفوف السابقة للصف التاسع الأساسي، إلى فئة من مستوى معرفة قبلية مرتفع وهم الطلبة الذين حصلوا على علامة (٧٠٪) فأكثر على هذا الاختبار، وهم يمثلون علامات أعلى (٢٧٪) من الطلبة، وفئة ذات مستوى منخفض من الذين حصلوا على علامة دون (٥٠٪) عليه، وهم يمثلون علامات أدنى (٢٧٪) من الطلبة ، وفئة ذات مستوى متوسط من الذين حصلوا على علامة بين (٥٠– ٧٠) ، وهم يمثلون علامات الفئة الوسطى (٤٦٪) من الطلبة. وتم التحقق من صدق محتوى الاختبار من قبل لجنة من المحكمين المتخصصين في الفيزياء وأساليب العلوم، وحُسب معامل ثبات الاتساق الداخلي للاختبار باستخدام معادلة كودر– رتشتاردسون (٢٠) ، إذ بلغت قيمته (٠,٨٥) .

- **اختبار الكشف عن استراتيجيات حل المسألة الفيزيائية اللفظية:**

وهو الاختبار المعد للكشف عن استراتيجيات الطلبة لحل المسألة الفيزيائية في موضوعي الكهرباء الساكنة، وأثار التيار الكهربائي من كتاب العلوم المقرر للصف التاسع الأساسي، وتكون الاختبار من ثلاثة نماذج من المسائل المتعلقة بهذين الموضوعين، يتكون كل نموذج من (١٠) مسائل. **وقد مر إعداد الاختبار بالخطوات الآتية:**

- وضع الباحث مجموعة من المسائل الفيزيائية وعددها (٣٠) مسألة في الوحدتين المختارتين. وزعت المسائل الثلاثون على ثلاثة نماذج حسب صياغتها، كما هو مبيَّن في الجدول (١) .

الجدول (١)

بنية مسائل الاختبار حسب صياغتها.

النموذج رقم المسألة	المواصفات النموذج (أ) لفظية مطولة	النموذج (ب) لفظية مختصرة	النموذج (ج) لفظية مختصرة معززة بالرسم
١	القوة الكهربائية	القوة الكهربائية	القوة الكهربائية
٢	القوة الكهربائية	القوة الكهربائية	القوة الكهربائية
٣	المجال الكهربائي	المجال الكهربائي	المجال الكهربائي
٤	المجال الكهربائي	المجال الكهربائي	المجال الكهربائي
٥	الأثر الحراري	الأثر الحراري	الأثر الحراري
٦	الأثر الحراري	الأثر الحراري	الأثر الحراري
٧	الأثر الكيميائي	الأثر الكيميائي	الأثر الكيميائي
٨	الأثر الكيميائي	الأثر الكيميائي	الأثر الكيميائي
٩	الأثر المغناطيسي	الأثر المغناطيسي	الأثر المغناطيسي
١٠	الأثر المغناطيسي	الأثر المغناطيسي	الأثر المغناطيسي

- عرض الاختبار على لجنة من تسعة محكمين، ثلاثة منهم أساتذة جامعيون في أساليب تدريس العلوم، وثلاثة أساتذة في الفيزياء، ومشرف فيزياء، ومعلم ومعلمة فيزياء علّما المنهاج.

- طلب الباحث من كل محكم من المحكمين إبداء الرأي في كل سؤال مع إعطاء اقتراحات وتوصيات حول تطوير مسائل الاختبار، وقد أعطوا الوقت الكافي لذلك. وأجريت التعديلات اللازمة بناء على أراء المحكمين، إذ عدلت صياغة مسألتين من كل نموذج من نماذج الاختبار. وتأكد الباحث من ثبات الاختبار باستخدام معادلة كرونباخ ألفا بعد تطبيقه على طلبة عينة البحث، وبلغ معامل ثبات النموذج (ا) (٠,٨٩) ، والنموذج (ب) (٠,٩٣) ، والنموذج (ج) (٠,٩٠) .

♦ **نموذج تحليل استراتيجيات حل المسألة الفيزيائية:**

أعد النموذج بحيث اعتبرت كل استراتيجية عند أي من أفراد عينة البحث إذا حصلت على تكرار نسبي لا يقل عن (٥٠٪) من المسائل المقدمة له. ويعود الأخذ بهذا المعيار (٥٠٪) لأسباب عدة، منها: أن التكرار النسبي (٥٠٪) يمثل وسيط كل استراتيجية لكل فرد من أفراد عينة البحث. وأُخذ في البداية بمعايير عدة كانت تكراراتها النسبية أعلى من (٥٠٪) ، وفي كل حالة وجد أن أعداد الطلبة من متغيرات البحث المختلفة الذين انطبق عليهم هذا المعيار كانت قليلة جداً، أو معدومة لبعض المتغيرات؛ ومن المعايير التي أخذ بها في المراحل

الأولية من معالجة بيانات البحث، التكرار النسبي (٨٠٪) ، ثم أنزل إلى (٧٠٪) ، ومن ثم إلى (٦٠٪) ، وأخيراً استقر رأي لجنة المحكمين والباحث على (٥٠٪) ، إذ وجد أعداداً لا بأس بها من أفراد العينة على كل استراتيجية من استراتيجيات حل المسألة يمكن أن تفي بهذا المعيار، وأن الأخذ بتكرار نسبي أقل من (٥٠٪) كمعيار هو أمر غير وارد، إذ إنه يصعب اعتبار أية استراتيجية تحصل على تكرار نسبي أقل من نصف عدد المسائل أنها استراتيجية شائعة عند الفرد.

وتم التأكد من صدق الاختبار من طرف لجنة من المحكمين من خلال تزويدهم باستراتيجيات حل مسائل الاختبار من قبل الباحث والتعريف الإجرائي لكل نوع من الاستراتيجيات الست، لإبداء الرأي في تصنيف استراتيجيات الحل المقترحة من قبل الباحث.

وتحقق الباحث من ثبات نموذج التحليل بطريقتين: الثبات عبر الأشخاص من خلال عرضه على لجنة المحكمين، الذين زودوا التعريفات الإجرائية لاستراتيجيات حل المسألة، وطلب منهم إبداء ملاحظاتهم حول نموذج التحليل، وأخذت ملاحظاتهم حولها، فتبين الاتفاق بنسبة (٠,٨٥) بينهم حول محتوى نموذج تحليل استراتيجيات حل المسألة. والثبات عبر الزمن: من خلال مقارنة ملاحظات أحد المحكمين الموضوعة حول تطابق استراتيجيات حل مسائل الاختبار المقترحة من الباحث والتعريفات الإجرائية لاستراتيجيات حل المسألة بعد إعدادها مباشرة، وبعد انقضاء شهرين عرضت عليه مرة أخرى، وطلب منه وضع ملاحظاته حولها، فُوجد معامل تطابق نسبته (٠,٩٠) بين قائمتي ملاحظاته حول نموذج التحليل، وهذه نسبة تمثل معامل ثبات مقبول لأغراض هذا البحث.

إجراءات البحث:

هدف هذا البحث إلى الكشف عن استراتيجيات طلبة الصف التاسع في حل المسائل الفيزيائية، وتقصّي العلاقة بينها وبين كل من: جنس الطالب، ومستوى معرفته القبلية، ومستوى تحصيله في الفيزياء، وطبيعة المسألة. **ولتحقيق ذلك تمت الإجراءات الآتية**:

♦ أجري البحث في الفصل الثاني للعام (٢٠٠٩/ ٢٠١٠) ، في الفترة الواقعة بين مطلع شهر شباط وحتى منتصف نيسان (٢٠١٠) ، باستثناء فترة امتحان نصف الفصل الثاني، وتأتي هذه الفترة بعد الوقت المحدد في الخطط المدرسية لتدريس موضوعات البحث. ولذا، اتفق مع معلمي ومعلمات العلوم في المدارس المتعاونة على هذا الموعد، على أن يطبق اختبار المعرفة القبلية قبل بدء تدريس الموضوعات المختارة، وترتيب اللازم بعد انتهاء تدريسها لتطبيق اختبار الكشف عن استراتيجيات حل المسألة الفيزيائية اللفظية.

♦ حددت المبادئ والمفاهيم الفيزيائية من خلال إجراء مراجعة شاملة للكتب المدرسية المقررة في العلوم وأدلة المعلمين، وعقدت لقاءات ومناقشات مع معلمي العلوم ومعلماتها الذين درّسوا هذه المناهج، لتحديد الخبرات التعليمية والمتطلبات السابقة للموضوعات المختارة، التي يفترض أن يكون الطالب قد تعلمها قبل دراسة هذه الموضوعات. وأعد اختبار المعرفة القبلية في ضوء هذه المناقشات، وتكون من (٢٢) سؤالا، اختزلت إلى (١٤) سؤالا بناء على ملاحظات المحكمين حول تكرار بعض الأسئلة من حيث الفكرة وإن اختلف المحتوى، وعدم تناسب بعض الأسئلة مع المرحلة العمرية لطلبة الصف التاسع إذ تتطلب طلبة من صفوف أعلى من الصف التاسع، والتغذية الراجعة من طلبة العينة الاستطلاعية إذ تساءل عدد غير قليل عن بعض الأسئلة من كشف عن غموض في محتواها. وصنف الطلبة إلى ثلاثة مستويات: مرتفع، ومتوسط، ومنخفض.

♦ حُلِّل محتوى المادة المختارة من خلال إجراء مراجعة شاملة لها في كتاب العلوم المقرر للصف التاسع الأساسي، ووضع جدول مواصفات، وأعد– استنادا إلى جدول الموصفات– اختبار الكشف عن استراتيجيات حل المسألة الفيزيائية اللفظية.

♦ صنف الطلبة تبعاً لمستوى قدرتهم الفيزيائية العامة، واستنادا لعلاماتهم المدرسية في الفيزياء في الفصل الأول للعام (٢٠٠٩/ ٢٠١٠) . وطبقت أدوات البحث على عينة البحث النهائية في الفترة بين (١/ ٤/ ٢٠١٠– ٣٠/ ٤/ ٢٠١٠) ، بعد تطبيقها على عينة استطلاعية مماثلة للعينة النهائية، ومن خارجها في الفترة (١٥/ ٣/ ٢٠١٠– ٢٠/ ٣/ ٢٠١٠) لحساب معامل ثبات الاختبار.

تعريف مصطلحات البحث:

اشتمل هذا البحث على المصطلحات الآتية:

◄ **الاستراتيجية التحليلية التقدمية (الأمامية)**: يحل الطالب المسألة بدءاً من المعطيات عبر جملة من العمليات والإجراءات وصولاً إلى النتائج.

◄ **الاستراتيجية التحليلية الخلفية (العكسية)**: يحل الطالب المسألة بدءاً من النتائج عبر مجموعة من العمليات والإجراءات وصولاً إلى المعطيات.

◄ **الاستراتيجية الحدسية**: يحل الطالب المسألة بعد عدم قدرته على حلها ويأسه منها، وانصرافه إلى مسائل أخرى، ومن ثم تقدح في ذهنه طريقة الحل كوميض البرق وضوحاً وسرعة، فيسارع إلى حلها، وقد طُلب من الطلبة الإشارة إلى المسائل التي مرّوا في أثناء حلها بمثل هذه الظروف بجانب كل مسألة حلت بهذه الاستراتيجية.

◄ **استراتيجية المحاولة والخطأ المنظمة**: يحل الطالب المسألة استناداً لأسس علمية صحيحة متبعاً إجراءات توصله إلى الخطأ، يبدأ بعدها بإجراءات جديدة يتجنب فيها أخطاء المحاولة الأولى، وهكذا حتى يصل للحل الصحيح.

◄ **استراتيجية المحاولة والخطأ العشوائية**: يحل الطالب مسألة باتباع إجراءات معينة توصله إلى خطأ، يبدأ بعدها بإجراءات جديدة دون تجنب أخطاء المحاولة الأولى، وقد يصل أو لا يصل بعد محاولات عدة إلى الحل الصحيح.

◄ **اللااستراتيجية**: يحل الطالب المسألة بإجراءات لا تخضع لأي استراتيجية من الاستراتيجيات السابقة.

◄ **درجة شيوع استراتيجية ما**: تقاس درجة شيوع استراتيجية ما لحل المسالة بالنسبة المئوية للأفراد الذين استخدموا هذه الاستراتيجية في حل المسالة.

نتائج البحث:

- **أولا- النتائج المتعلقة باستراتيجيات حل المسألة الفيزيائية:**

حُلِّلت استجابات الطلبة، باستخدام نموذج تحليل استراتيجيات حل المسألة الفيزيائية. ويبين الجدول (٢) عدد أفراد العينة الذين استخدموا كل استراتيجية من الاستراتيجيات الست، ودرجة شيوعها.

الجدول (٢)

عدد أفراد العينة الذين استخدموا كل استراتيجية من الاستراتيجيات الست، ودرجة شيوعها.

استراتيجية حل المسألة	عدد الطلبة الذين استخدموا الاستراتيجية	درجة شيوعها (٪)
التحليلية المتقدمة	١٦٤	٣٨
المحاولة والخطأ العشوائية	١٢٧	٢٩,٤
اللااستراتيجية	١٠٣	٢٣,٩
المحاولة والخطأ المنظمة	٢٧	٦,٣
التحليلية العكسية	٦	١,٣
الحدسية	٥	١,١
المجموع	٤٣٢	١٠٠٪

تشير أرقام الجدول (٢) إلى أن تكرار الاستراتيجية التحليلية المتقدمة أكثر الاستراتيجيات استخداماً من قبل الطلبة في حل المسائل الفيزيائية اللفظية إذ بلغت (٣٨٪)، تليها في الاستخدام استراتيجية المحاولة والخطأ العشوائية بدرجة شيوع (٢٩,٤٪) ، ثم

تليها اللااستراتيجية إذ بلغت درجة شيوعها (٢٣,٩٪) ، ثم تليها استراتيجية المحاولة والخطأ المنظمة بدرجة شيوع (٦,٣٪) ، ثم تليها الاستراتيجية التحليلية العكسية بدرجة شيوع (١,٣٪) ، وأقلها في درجة الشيوع الاستراتيجية الحدسية بنسبة (١,١٪) .

- **ثانيا- النتائج المتعلقة باختلاف استراتيجيات حل المسألة الفيزيائية لدى الطلبة باختلاف جنسهم:**

تناول السؤال الثاني في البحث اختلاف استراتيجيات الطلبة لحل المسألة الفيزيائية باختلاف جنسهم، ووزع الطلبة في مجموعتين تبعاً للجنس. ويبين الجدول (٣) النسب المئوية لتوزيع الطلبة على استراتيجيات حل المسألة تبعا لجنسهم.

الجدول (٣)

النسب المئوية لتوزيع الطلبة على استراتيجيات حل المسألة تبعا لجنسهم.

استراتيجية الحل / جنس الطالب	ذكر	أنثى	المجموع
التحليلية المتقدمة	٤٨,٨٪ ٨٠ ٣٧٪	٥١,٢٪ ٨٤ ٣٨,٩٪	١٠٠٪ ١٦٤
المحاولة والخطأ العشوائية	٥٣,٥٪ ٦٨ ٣١,٥٪	٤٦,٥٪ ٥٩ ٢٧,٣٪	١٠٠٪ ١٢٧
اللااستراتيجية	٥٠,٥٪ ٥٢ ٢٤,١٪	٤٩,٥٪ ٥١ ٢٣,٦٪	١٠٠٪ ١٠٣
المحاولة والخطأ المنظمة	٤٤,٤٪ ١٢ ٥,٦٪	٥٥,٦٪ ١٥ ٦,٩٪	١٠٠٪ ٢٧
التحليلية العكسية	٣٣٪ ٢ ٠,٩٪	٦٧٪ ٤ ١,٩٪	١٠٠٪ ٦
الحدسية	٤٠٪ ٢ ٠,٩٪	٦٠٪ ٣ ١,٤٪	١٠٠٪ ٥
المجموع	٢١٦ ١٠٠٪	٢١٦ ١٠٠٪	٤٣٢

* النسبة المئوية في الزاوية اليمنى العليا تشير إلى النسبة المئوية للتكرار بالنسبة إلى مجموع الطلبة

الذين استخدموا الاستراتيجية التي إلى يمين المربع ، وهي مقربة إلى أقرب واحد صحيح. والنسبة المئوية في الزاوية اليسرى السفلى تشير إلى النسبة المئوية للتكرار بالنسبة إلى مجموع الطلبة الذين حلوا طبيعة المسألة إلى أعلى المربع، وهي مقربة إلى أقرب واحد صحيح.

تشير أرقام الجدول (٣) إلى أن تكرار الاستراتيجية التحليلية المتقدمة أقل عند الذكور (٤٨,٨٪) منها عند الإناث (٥١,٢٪) .وتكرار المحاولة والخطأ العشوائية أقل عند الإناث (٤٦,٥٪) منها عند الذكور (٥٣,٥٪) . وتكرار اللااستراتيجية أقل عند الإناث (٤٩,٥٪) منها عند الذكور (٥٠,٥٪) . وتكرار المحاولة والخطأ المنظمة أقل عند الذكور (٤٤,٤٪) منها عند الإناث (٥٥,٦٪) . وتكرار التحليلية العكسية أقل عند الذكور (٣٣٪) منها عند الإناث (٦٧٪). وتكرار الاستراتيجية الحدسية أقل عند الذكور (٤٠٪) منها عند الإناث (٦٠٪) .

لاختبار الفرق بين استراتيجيات الذكور والإناث في حل المسألة الفيزيائية اللفظية، استخدم اختبار (χ^2) ، وقد وجد أن قيمة (χ^2) المحسوبة (١,٤٥) أصغر من الحرجة (١٥,٠٩) عند (df =5) و (α=٠,٠١) ، وعليه، فإن توزيع الطلبة على الاستراتيجيات لا يختلف باختلاف جنسهم، ويدل ذلك على أنه لا توجد علاقة اقترانية بين استراتيجيات حل المسألة وجنس الطالب.

- **ثالثا- النتائج المتعلقة باختلاف استراتيجيات حل المسألة لدى الطلبة باختلاف مستوى القدرة الفيزيائية العامة:**

تناول السؤال الثالث اختلاف استراتيجيات طلبة الصف التاسع لحل المسألة، والذي يعزى لمستوى قدرتهم الفيزيائية العامة. ويبين الجدول (٤) النسب المئوية لتوزيع الطلبة على استراتيجيات حل المسألة تبعاً لمستوى القدرة الفيزيائية العامة.

الجدول (٤)

النسب المئوية لتوزيع الطلبة على استراتيجيات حل المسألة تبعا لمستوى القدرة الفيزيائية العامة.

استراتيجية الحل / مستوى القدرة الفيزيائية العامة	مرتفع	متوسط	منخفض	المجموع
التحليلية المتقدمة	٤٤٪ ٣٠ ٢١٪	٣٦٪ ٢٥ ١٧٪	٢٠٪ ١٤ ١٠٪	١٠٠٪ ٦٩
المحاولة والخطأ العشوائية	١٥٪ ١٧ ١٢٪	٣٥٪ ٣٩ ٢٧٪	٥١٪ ٥٩ ٤١٪	١٠٠٪ ١١٥

مستوى القدرة الفيزيائية العامة / استراتيجية الحل	مرتفع	متوسط	منخفض	المجموع
اللااستراتيجية	١٨٪ ١٩ ١٣٪	٣٥٪ ٣٧ ٢٦٪	٤٧٪ ٤٩ ٣٤٪	١٠٠٪ ١٠٥
المحاولة والخطأ المنظمة	٥١٪ ٣٥ ٢٤٪	٣٠٪ ٢١ ١٥٪	١٩٪ ١٣ ٩٪	١٠٠٪ ٦٩
التحليلية الخلفية	٥٤٪ ٣١ ٢٢٪	٣٠٪ ١٧ ١٢٪	١٤٪ ٩ ٦٪	١٠٠٪ ٥٧
الحدسية	٧١٪ ١٢ ٨٪	٢٩٪ ٥ ٣٪	٠٪ ٠ ٠٪	١٠٠٪ ١٧
المجموع	١٤٤ ١٠٠٪	١٤٤ ١٠٠٪	١٤٤ ١٠٠٪	٤٣٢

وتشير أرقام الجدول (٤) إلى أن تكرار الاستراتيجية التحليلية المتقدمة أقل عند طلبة مستوى القدرة الفيزيائية المنخفض (٢٠٪) منه عند طلبة مستوى القدرة المرتفع (٤٤٪) . وتكرار استراتيجية المحاولة والخطأ العشوائية أكبر عند طلبة المستوى المنخفض (٥١٪) منه عند طلبة المستوى المرتفع (١٥٪) . وتكرار الاستراتيجية أكبر عند طلبة المستوى المنخفض (٤٧٪) منه عند طلبة المستوى المرتفع (١٨٪) . وتكرار استراتيجية المحاولة والخطأ المنظمة أقل عند طلبة المستوى المنخفض (١٩٪) منه عند طلبة المستوى المرتفع (٥١٪) . وتكرار الاستراتيجية التحليلية العكسية أقل عند طلبة المستوى المنخفض (١٤٪) منه عند المستوى المرتفع (٥٤٪) . وتكرار الاستراتيجية الحدسية أقل عند طلبة المستوى المنخفض (٠٪) منه عند المرتفع (٧١٪) .

لاختبار الفرق بين استراتيجيات الطلبة لحل المسألة ومستوى قدرتهم الفيزيائية العامة، استخدم اختبار (χ^2) ، وبما أن قيمة (χ^2) المحسوبة (٧٨,٥٤) أكبر من الحرجة (٢٢,٢١) عند (df =10) و (α = ٠,٠١) ، فهذا يدل على أن توزيع الطلبة على استراتيجيات حل المسألة اختلف باختلاف مستوى قدرتهم الفيزيائية العامة ، ويدل كذلك على أنه توجد علاقة اقترانية بين استراتيجيات حل المسألة وقدرتهم الفيزيائية العامة. ولتحديد طبيعة العلاقة بين نوع الاستراتيجية المستخدمة من الطالب لحل المسألة وقدرته الفيزيائية

العامة واتجاهها، حُسب معامل الاقتران الذي وجدت قيمته (٠,٣٩٢) ، ومعامل الارتباط بينهما فوُجد أن قيمته (٠,٣٠١٥) ، وحيث إن قيمة معامل الارتباط موجبة، والعلاقة بين المتغيرين موجبة (طردية) ، وأن قيمته أقل من (٠,٥) ، فان العلاقة بين المتغيرين ضعيفة.

ويبين الجدول (٥) النسب المئوية لتوزيع الذكور على استراتيجيات حل المسألة تبعا للقدرة الفيزيائية العامة.

الجدول (٥)

النسب المئوية لتوزيع الذكور على استراتيجيات حل المسألة تبعا لمستوى القدرة الفيزيائية العامة.

استراتيجية الحل / مستوى القدرة الفيزيائية العامة	مرتفع	متوسط	منخفض	المجموع
التحليلية المتقدمة	٤٥٪ ١٤ ١٩٪	٣٩٪ ١٢ ١٧٪	١٦٪ ٥ ٧٪	١٠٠٪ ٣١
المحاولة والخطأ العشوائية	١٣٪ ٨ ١١٪	٣٥٪ ٢١ ٢٩٪	٥٢٪ ٣١ ٤٣٪	١٠٠٪ ٦٠
اللااستراتيجية	١٩٪ ١٠ ١٤٪	٣٥٪ ١٩ ٢٦٪	٤٦٪ ٢٥ ٣٥٪	١٠٠٪ ٥٤
المحاولة والخطأ المنظمة	٥٣٪ ١٩ ٢٧٪	٢٨٪ ١٠ ١٤٪	١٩٪ ٧ ١٠٪	١٠٠٪ ٣٦
التحليلية الخلفية	٥٥٪ ١٥ ٢١٪	٣٠٪ ٨ ١١٪	١٥٪ ٤ ٥٪	١٠٠٪ ٢٧
الحدسية	٧٦٪ ٦ ٨٪	٢٤٪ ٢ ٣٪	٠٪ ٠٪ ٠٪	١٠٠٪ ٨
المجموع	٧٢ ١٠٠٪	٧٢ ١٠٠٪	٧٢ ١٠٠٪	٢١٦

وتشير أرقام الجدول (٥) أن تكرار الاستراتيجية التحليلية المتقدمة أقل عند الذكور من مستوى القدرة المنخفض (١٦٪) منه عند الذكور ذوي المستوى المرتفع (٤٥٪) . وتكرار استراتيجية المحاولة والخطأ العشوائية أكبر عند الذكور من المستوى المنخفض

(٥٢٪) ، منه عند الذكور ذوي المستوى المرتفع (١٣٪) . وتكرار اللاإستراتيجية أكبر عند الذكور ذوي المستوى المنخفض (٤٦٪) منه عند ذوي المستوى المرتفع (١٩٪) . وتكرار استراتيجية المحاولة والخطأ المنظمة أقل عند الذكور ذوي المستوى المنخفض (١٩٪) منها عند الذكور ذوي المستوى المرتفع (٥٣٪) . وتكرار الاستراتيجية التحليلية العكسية أقل عند الذكور ذوي المستوى المنخفض (١٥٪) منه عند الذكور ذوي المستوى المرتفع (٥٥٪) . وتكرار الاستراتيجية الحدسية أقل عند الذكور ذوي المستوى المنخفض (٠٪) منه عند ذوي المستوى المرتفع (٧٦٪) .

واستخدم اختبار (χ^2) لاختبار الفرق بين استراتيجيات الذكور لحل المسألة التي تعزى لمستوى قدرتهم الفيزيائية العامة، وبما أن قيمة (χ^2) المحسوبة (٤٢,١٢٥) أكبر من الحرجة (٢٢,٢١) عند (df =10) و (α = ٠,٠١) ، فإن توزيع الذكور على استراتيجيات حل المسألة اختلف باختلاف مستوى قدرتهم الفيزيائية. وذلك يدل على أنه توجد علاقة اقترانية بين استراتيجيات حل المسألة وقدرتهم الفيزيائية العامة. ولتحديد طبيعة العلاقة بين نوع الاستراتيجية المستخدمة من الطالب لحل المسألة وقدرته الفيزيائية العامة واتجاهها، حُسب معامل الاقتران الذي وجدت قيمته (٠,٤٠٤) ، وحُسب معامل الارتباط بينهما فوجد أن قيمته (٠,٣١٢) ، وحيث إن قيمة معامل الارتباط موجبة، والعلاقة بين المتغيرين موجبة (طردية) ، وأن قيمته أقل من (٠,٥) ، فإن العلاقة بين المتغيرين ضعيفة.

ويبين الجدول (٦) النسب المئوية لتوزيع الإناث على استراتيجيات حل المسألة تبعا للقدرة الفيزيائية العامة.

الجدول (٦)

النسب المئوية لتوزيع الإناث على استراتيجيات حل المسألة تبعا لمستوى القدرة الفيزيائية العامة.

مستوى القدرة الفيزيائية العامة / استراتيجية الحل	مرتفع	متوسط	منخفض	المجموع
التحليلية المتقدمة	٤٢٪ ١٦ ٢٢٪	٣٤٪ ١٣ ١٨٪	٢٤٪ ٩ ١٣٪	١٠٠٪ ٣٨
المحاولة والخطأ العشوائية	١٦٪ ٩ ١٣٪	٣٣٪ ١٨ ٢٥٪	٥١٪ ٢٨ ٤٠٪	١٠٠٪ ٥٥

مستوى القدرة الفيزيائية العامة / استراتيجية الحل	مرتفع	متوسط	منخفض	المجموع
اللااستراتيجية	٪١٨ ٩ ١٣	٪٣٥ ١٨ ٪٢٥	٪٤٧ ٢٤ ٪٣٣	٪١٠٠ ٥١
المحاولة والخطأ المنظمة	٪٤٩ ١٦ ٪٢٢	٪٣٣ ١١ ٪١٥	٪١٨ ٦ ٪٨	٪١٠٠ ٣٣
التحليلية الخلفية	٪٥٥ ١٧ ٪٢٤	٪٢٩ ٩ ٪١٢	٪١٦ ٥ ٪٧	٪١٠٠ ٣١
الحدسية	٪٥٧ ٥ ٪٦	٪٤٣ ٣ ٪٤	٪٠ ٪٠ ٪٠	٪١٠٠ ٨
المجموع	٧٢ ٪١٠٠	٧٢ ٪١٠٠	٧٢ ٪١٠٠	٢١٦

وتشير أرقام الجدول (٦) أن تكرار الاستراتيجية التحليلية المتقدمة أقل عند الإناث ذوات مستوى القدرة الفيزيائية المنخفض (٪٢٤) منه عند إناث ذوات المستوى المرتفع (٪٤٢) . وتكرار استراتيجية المحاولة والخطأ العشوائية أكبر عند الإناث ذوات المستوى المنخفض (٪٥١) منه عند الإناث ذوات المستوى المرتفع (٪١٦) . وتكرار اللإاستراتيجية أكبر عند الإناث ذوات المستوى المنخفض (٪٤٧) منه عند الإناث ذوات المستوى المرتفع (٪١٨) . وتكرار استراتيجية المحاولة والخطأ المنظمة أقل عند الإناث ذوات المستوى المنخفض (٪١٨) منه عند الإناث ذوات المستوى المرتفع (٪٤٩) . وتكرار الاستراتيجية التحليلية العكسية أقل عند الإناث ذوات المستوى المنخفض (٪١٦) منه عند الإناث ذوات المستوى المرتفع (٪٥٥) . وتكرار الاستراتيجية الحدسية أقل عند الإناث ذوات المستوى المنخفض (٪٠) منها عند الإناث ذوات المستوى المرتفع (٪٥٧) .

لاختبار الفرق بين استراتيجيات الإناث لحل المسألة، والذي يعزى لمستوى قدرتهن الفيزيائية العامة، استخدم اختبار (χ^2) ، وبما أن قيمة (χ^2) المحسوبة (٣٦,٦٣) أكبر من الحرجة (٢٢,٢١) عند (df=10) و (α = ٠,٠١) ، فإن توزيعهن على الاستراتيجيات اختلف باختلاف مستوى قدرتهن الفيزيائية العامة. ولتحديد طبيعة العلاقة بين نوع الاستراتيجية المستخدمة من الطالبة لحل المسألة وقدرتها الفيزيائية العامة واتجاهها، حُسب معامل الاقتران فوُجدت قيمته (٠,٣٨١) ، ومعامل الارتباط بينهما الذي وجد أن

قيمته (٠,٢٩١) ، وحيث إن قيمة معامل الارتباط موجبة، والعلاقة بين المتغيرين موجبة (طردية) ، وأن قيمته أقل من (٠,٥) ، فان العلاقة بين المتغيرين ضعيفة.

- **رابعا- النتائج المتعلقة باختلاف استراتيجيات حل المسألة لدى الطلبة باختلاف مستوى معرفتهم الفيزيائية القبلية:**

تناول السؤال الرابع اختلاف استراتيجيات الطلبة لحل المسألة الفيزيائية باختلاف مستوى معرفتهم الفيزيائية القبلية.ويبين الجدول (٧) النسب المئوية لتوزيع الطلبة على استراتيجيات حل المسألة تبعا لمستوى معرفتهم الفيزيائية القبلية

الجدول (٧)

النسب المئوية لتوزيع الطلبة على استراتيجيات حل المسألة تبعا لمستوى معرفتهم الفيزيائية القبلية.

مستوى المعرفة الفيزيائية القبلية / استراتيجية الحل	مرتفع	متوسط	منخفض	المجموع
التحليلية المتقدمة	٪٤٧ ٣٠ ٪٢١	٪٣٦ ٢٣ ٪١٦	٪١٧ ١١ ٪٨	٪١٠٠ ٦٤
المحاولة والخطأ العشوائية	٪٢٠ ٢٤ ٪١٧	٪٣١ ٣٦ ٪٢٥	٪٤٩ ٥٨ ٪٤٠	٪١٠٠ ١١٨
اللااستراتيجية	٪٢٠ ٢٢ ٪١٥	٪٣١ ٣٤ ٪٢٤	٪٤٩ ٥٣ ٪٣٧	٪١٠٠ ١٠٩
المحاولة والخطأ المنظمة	٪٤٨ ٣٤ ٪٢٣	٪٣٨ ٢٧ ٪١٩	٪١٤ ١٠ ٪٧	٪١٠٠ ٧١
التحليلية الخلفية	٪٤٦ ٢٣ ٪١٦	٪٣٦ ١٨ ٪١٢	٪١٨ ٩ ٪٦	٪١٠٠ ٥٠
الحدسية	٪٥٥ ١١ ٪٨	٪٣٠ ٦ ٪٤	٪١٥ ٣ ٪٢	٪١٠٠ ٢٠
المجموع	١٤٤ ٪١٠٠	١٤٤ ٪١٠٠	١٤٤ ٪١٠٠	٤٣٢

تشير أرقام الجدول (٧) إلى أن تكرار الاستراتيجية التحليلية المتقدمة أقل عند الطلبة ذوي مستوى المعرفة الفيزيائية القبلية المنخفض (١٧٪) منه عند الطلبة ذوي المستوى

المرتفع (٤٧٪). وتكرار استراتيجية المحاولة والخطأ العشوائية أكبر عند الطلبة ذوي مستوى المعرفة القبلية المنخفض (٤٩٪) منه عند الطلبة ذوي المستوى المرتفع (٢٠٪) . وتكرار اللا استراتيجية أكبر عند الطلبة ذوي مستوى المعرفة القبلية المنخفض (٤٩٪) منه عند الطلبة ذوي المستوى المرتفع (٢٠٪) . وتكرار استراتيجية المحاولة والخطأ المنظمة أقل عند الطلبة ذوي مستوى المعرفة القبلية المنخفض (١٤٪) منه عند الطلبة ذوي المستوى المرتفع (٤٨٪) . وتكرار الاستراتيجية التحليلية العكسية أقل عند الطلبة ذوي مستوى المعرفة القبلية المنخفض (١٨٪) منه عند الطلبة ذوي المستوى المرتفع (٤٦٪) . وتكرار الاستراتيجية الحدسية أقل عند الطلبة ذوي مستوى المعرفة القبلية المنخفض (١٥٪) منه عند ذوي المستوى المرتفع (٥٥٪) .

ولاختبار الفرق بين استراتيجيات الطلبة لحل المسألة الذي يعزى لمستوى معرفتهم الفيزيائية القبلية، استخدم اختبار (χ^2) ، فوجد أن قيمة (χ^2) المحسوبة (٩٤,٠٤) أكبر من قيمتها الحرجة (٢٢,٢١) عند (df=10) و (α = ٠,٠١) ، مما يدل على أن توزيع الطلبة على استراتيجيات حل المسألة يختلف باختلاف معرفتهم الفيزيائية القبلية. ولتحديد طبيعة العلاقة بين نوع الاستراتيجية المستخدمة من الطالب لحل المسألة ومعرفته الفيزيائية القبلية واتجاهها، حُسب معامل الاقتران الذي وجد أن قيمته (٠,٤٢٣) ، وحُسب معامل الارتباط بينهما ووجد أن قيمته (٠,٣٢٩٩) ، وحيث إن قيمة معامل الارتباط موجبة، والعلاقة بين المتغيرين موجبة (طردية) ، وأن قيمته أقل من (٠,٥) فإن العلاقة بين المتغيرين ضعيفة. ويبين الجدول (٨) النسب المئوية

لتوزيع الذكور على استراتيجيات حل المسألة تبعاً لمعرفتهم الفيزيائية القبلية.

الجدول (٨)

النسب المئوية لتوزيع الذكور على استراتيجيات حل المسألة تبعا لمستوى معرفتهم الفيزيائية القبلية.

استراتيجية الحل / مستوى المعرفة الفيزيائية القبلية	مرتفع	متوسط	منخفض	المجموع
التحليلية المتقدمة	٤٦,٧٪ ١٤ ١٩٪	٣٦,٧٪ ١١ ١٥٪	١٦,٦٪ ٥ ٧٪	١٠٠٪ ٣٠
المحاولة والخطأ العشوائية	٢١٪ ١٣ ١٨٪	٣١٪ ١٩ ٢٧٪	٤٨٪ ٣٠ ٤٢٪	١٠٠٪ ٦٢

استراتيجية الحل / مستوى المعرفة الفيزيائية القبلية	مرتفع	متوسط	منخفض	المجموع
اللااستراتيجية	٪١٩ ١٠ ٪١٤	٪٣٣ ١٨ ٪٢٥	٪٤٨ ٢٦ ٪٣٦	٪١٠٠ ٥٤
المحاولة والخطأ المنظمة	٪٤٦ ١٦ ٪٢٢	٪٣٧ ١٣ ٪١٨	٪١٧ ٦ ٪٨	٪١٠٠ ٣٥
التحليلية الخلفية	٪٥٠ ١٣ ٪١٨	٪٣٥ ٩ ٪١٢	٪١٥ ٤ ٪٦	٪١٠٠ ٢٦
الحدسية	٪٦٧ ٦ ٪٩	٪٢٢ ٢ ٪٣	٪١١ ١ ٪١	٪١٠٠ ٩
المجموع	٧٢ ٪١٠٠	٧٢ ٪١٠٠	٧٢ ٪١٠٠	٢١٦

تشير أرقام الجدول (٨) إلى أن تكرار الاستراتيجية التحليلية المتقدمة أقل عند الذكور ذوي مستوى المعرفة الفيزيائية القبلية المنخفض (٪١٦,٦) منه عند الذكور ذوي المستوى المرتفع (٪٤٦,٧) . وتكرار استراتيجية المحاولة والخطأ العشوائية أكبر عند الذكور ذوي مستوى المعرفة المنخفض (٪٤٨) منه عند الذكور ذوي المرتفع (٪٢١) . وتكرار اللإستراتيجية أكبر عند الذكور ذوي مستوى المعرفة المنخفض (٪٤٨) منه عند الذكور ذوي المستوى المرتفع (٪١٩) . وتكرار استراتيجية المحاولة والخطأ المنظمة أقل عند ذكور مستوى المعرفة القبلية المنخفض (٪١٧) منه عند ذكور المستوى المرتفع (٪٤٦) . وتكرار الاستراتيجية التحليلية العكسية أقل عند ذكور مستوى المعرفة المنخفض (٪١٥) منه عند ذكور المرتفع (٪٥٠) . وتكرار الاستراتيجية الحدسية أقل عند ذكور مستوى المعرفة المنخفض (٪١١) منه عند ذكور المرتفع (٪٦٧) .

لاختبار الفرق بين استراتيجيات الذكور لحل المسألة الذي يعزى لمستوى معرفتهم الفيزيائية القبلية، استخدم اختبار (χ^2) ، فوجد أن قيمة (χ^2) المحسوبة (٣٢,٣٨) ، أكبر من الحرجة (٢٢,٢١) عند (df=10) و (α = ٠,٠١) ، فأن توزيع الذكور على استراتيجيات حل المسألة يختلف باختلاف معرفتهم الفيزيائية القبلية، أي أنه توجد علاقة اقترانية بين استراتيجيات حل المسألة ومستوى معرفتهم الفيزيائية القبلية. ولتحديد طبيعة العلاقة بين نوع الاستراتيجية المستخدمة من الطالب لحل المسألة ومعرفته الفيزيائية القبلية

واتجاهها، حُسب معامل الاقتران الذي وجد أن قيمته (٠,٣٦١) ، وحسب معامل الارتباط بينهما فوجد أن قيمته (٠,٢٧٤) ، وحيث إن قيمة معامل الارتباط موجبة، فالعلاقة بين المتغيرين موجبة (طردية) ، وبما أن قيمته أقل من (٠,٥) ، فإن العلاقة بين المتغيرين ضعيفة.

يبين الجدول (٩) النسب المئوية لتوزيع الإناث على استراتيجيات الحل تبعا لمستوى معرفتهم الفيزيائية القبلية.

الجدول (٩)

النسب المئوية لتوزيع الإناث على استراتيجيات حل المسألة تبعا لمستوى معرفتهم الفيزيائية القبلية.

مستوى المعرفة الفيزيائية القبلية / استراتيجية الحل	مرتفع	متوسط	منخفض	المجموع
التحليلية المتقدمة	٤٧٪ ١٦ ٢٢٪	٣٥٪ ١٢ ١٧٪	١٨٪ ٦ ٨٪	١٠٠٪ ٣٤
المحاولة والخطأ العشوائية	١٧٪ ١١ ١٥٪	٢٦٪ ١٧ ٢٤٪	٤٢٪ ٢٨ ٣٩٪	١٠٠٪ ٦٦
اللااستراتيجية	٢٢٪ ١٢ ١٧٪	٢٩٪ ١٦ ٢٢٪	٤٩٪ ٢٧ ٣٨٪	١٠٠٪ ٥٥
المحاولة والخطأ المنظمة	٥٠٪ ١٨ ٢٥٪	٣٩٪ ١٤ ١٩٪	١١٪ ٤ ٥٪	١٠٠٪ ٣٦
التحليلية الخلفية	٤١٪ ١٠ ١٤٪	٣٨٪ ٩ ١٢٪	٢١٪ ٥ ٧٪	١٠٠٪ ٢٤
الحدسية	٤٦٪ ٥ ٧٪	٣٦٪ ٤ ٦٪	١٨٪ ٢ ٣٪	١٠٠٪ ١١
المجموع	٧٢ ١٠٠٪	٧٢ ١٠٠٪	٧٢ ١٠٠٪	٢١٦

تشير أرقام الجدول (٩) إلى أن تكرار الاستراتيجية التحليلية المتقدمة أقل عند الإناث ذوات مستوى المعرفة الفيزيائية القبلية المنخفض (١٨٪) منه عند ذوات المستوى المرتفع (٤٧٪) . وتكرار استراتيجية المحاولة والخطأ العشوائية أكبر عند الإناث ذوات مستوى

المعرفة المنخفض (٤٢٪) منه عند ذوات المستوى المرتفع (١٧٪) . وتكرار الإستراتيجية أكبر عند إناث مستوى المعرفة القبلية المنخفض (٤٩٪) منه عند ذوات المستوى المرتفع (٢٢٪) . وتكرار استراتيجية المحاولة والخطأ المنظمة أقل عند الإناث ذوات مستوى المعرفة القبلية المنخفض (١١٪) منه عند ذوات المستوى المرتفع (٥٠٪) . وتكرار الاستراتيجية التحليلية العكسية أقل عند إناث مستوى المعرفة القبلية المنخفض (٢١٪) منه عند ذوات المستوى المرتفع (٤١٪) . وتكرار الاستراتيجية الحدسية أقل عند الإناث ذوات مستوى المعرفة القبلية المنخفض (١٨٪) منه عند ذوات المستوى المرتفع (٤٦٪) .

لاختبار الفرق بين استراتيجيات الإناث لحل المسألة الذي يعزى لمستوى معرفتهن الفيزيائية القبلية، استخدم اختبار (χ^2)، فوجد قيمة (χ^2) المحسوبة (٢١,٠١)، أما القيمة الحرجة (٢٢,٢١) عند عشرة درجات حرية و ($\alpha = ٠,٠١$) . وبما أن القيمة المحسوبة أصغر من القيمة الحرجة، فإن توزيع الإناث على استراتيجيات حل المسألة لا يختلف باختلاف معرفتهن الفيزيائية القبلية، أي أنه توجد علاقة اقترانية بين استراتيجيات حل المسألة ومعرفتهن الفيزيائية القبلية. ولتحديد طبيعة العلاقة بين نوع الاستراتيجية المستخدمة من الطالبة لحل المسألة ومعرفته الفيزيائية القبلية واتجاهها، حُسب معامل الاقتران الذي وجد أن قيمته (٠,٢٩٨)، وحُسب معامل الارتباط بينهما فوُجد أن قيمته (٠,٢٢١)، وحيث إن قيمة معامل الارتباط موجبة، فالعلاقة بين المتغيرين موجبة (طردية)، وبما قيمته أقل من (٠,٥) فان العلاقة بين المتغيرين ضعيفة.

- **خامسا- النتائج المتعلقة باختلاف استراتيجيات حل المسألة الفيزيائية لدى الطلبة باختلاف طبيعة المسألة:**

تناول السؤال الخامس في البحث اختلاف استراتيجيات حل المسألة الفيزيائية عند طلبة الصف التاسع باختلاف طبيعتها، ووزع الطلبة إلى ثلاث مجموعات متكافئة من حيث: الجنس ومستويات القدرة الفيزيائية العامة ومستويات المعرفة الفيزيائية القبلية، وخصص لكل مجموعة أحد أنواع المسألة الفيزيائية الثلاثة: لفظية مطولة، ولفظية مختصرة، ومختصرة المعززة بالرسم. وباستخدام نموذج تحليل استراتيجيات حل المسألة، حُدِّدت استراتيجية حل المسألة لكل فرد في العينة. ويبين الجدول (١٠) النسب المئوية لتوزيع الطلبة على استراتيجيات حل المسألة الفيزيائية تبعا لطبيعتها.

الجدول (١٠)

النسب المئوية لتوزيع الطلبة على استراتيجيات حل المسألة تبعا لطبيعتها.

طبيعة المسألة / استراتيجية الحل	اللفظية المطولة	المختصرة	المختصرة المعززة بالرسم	المجموع
التحليلية المتقدمة	٢٦٪ ٢٠ ١٤٪	٣٨٪ ٣٠ ٢١٪	٣٦٪ ٢٨ ١٩٪	١٠٠٪ ٧٨
المحاولة والخطأ العشوائية	٤٢٪ ٤٤ ٣١٪	٣٦٪ ٣٨ ٢٦٪	٢٢٪ ٢٣ ١٦٪	١٠٠٪ ١٠٥
اللااستراتيجية	٣٣٪ ٤١ ٢٨٪	٣٤٪ ٤٢ ٢٩٪	٣٣٪ ٤١ ٢٩٪	١٠٠٪ ١٢٤
المحاولة والخطأ المنظمة	٣٤٪ ٢١ ١٥٪	٢٢٪ ١٤ ١٠٪	٤٤٪ ٢٧ ١٩٪	١٠٠٪ ٦٢
التحليلية الخلفية	٢١٪ ١٠ ٧٪	٣٣٪ ١٦ ١١٪	٤٦٪ ٢٢ ١٥٪	١٠٠٪ ٤٨
الحدسية	٥٣٪ ٨ ٥٪	٢٧٪ ٤ ٣٪	٢٠٪ ٣ ٢٪	١٠٠٪ ١٥
المجموع	١٤٤ ١٠٠٪	١٤٤ ١٠٠٪	١٤٤ ١٠٠٪	٤٣٢

تشير أرقام الجدول (١٠) أن تكرار الاستراتيجية التحليلية المتقدمة أقل عند الطلبة الذين حلوا المسائل اللفظية المطولة (٢٦٪) منه عند من حلوا مسائل مختصرة معززة بالرسم (٣٦٪) ولفظية مختصرة (٣٨٪) . وتكرار استراتيجية المحاولة والخطأ العشوائية أقل عند الطلبة الذين حلوا مسائل مختصرة معززة بالرسم (٢٢٪) منه عند من حلوا مسائل لفظية مطولة (٤٢٪) ومسائل مختصرة (٣٦٪) . وتكرار الإستراتيجية أكثر عند الطلبة الذين حلوا مسائل مختصرة (٣٤٪) منه عند من حلوا مسائل لفظية مطولة (٣٣٪) ومسائل لفظية مختصرة معززة بالرسم (٣١٪) . و تكرار استراتيجية المحاولة والخطأ المنظمة أكثر عند الطلبة الذين حلوا مسائل مختصرة معززة بالرسم (٤٤٪) منه عند من حلوا مسائل لفظية مطولة (٣٤٪) و مسائل مختصرة (٢٢٪) . وتكرار الاستراتيجية التحليلية العكسية أكثر عند الطلبة الذين حلوا مسائل مختصرة معززة بالرسم (٤٦٪) منه عند من حلوا مسائل لفظية

مطولة (٢١٪) ومسائل لفظية مختصرة (٣٣٪) . وتكرار الاستراتيجية الحدسية أقل عند من حلوا مسائل مختصرة معززة بالرسم (٢٠٪) منه عند من حلوا مسائل لفظية مطولة (٥٣٪) ومسائل لفظية مختصرة (٢٧٪) .

ولاختبار الدلالة الإحصائية لتوزيع الطلبة على استراتيجيات حل المسألة تبعاً لطبيعتها، أُستخدم اختبار (χ^2) . ويبين الجدول (١١) قيم (χ^2) المحسوبة والحرجة لتوزيع الطلبة على استراتيجيات حل المسألة تبعا لطبيعتها.

الجدول (١١)

قيم (χ^2) المحسوبة والحرجة لتوزيع الطلبة على استراتيجيات حل المسألة تبعا لطبيعتها.

وجه المقارنة لطبيعة المسألة	عدد درجات الحرية	قيمة (χ^2) المحسوبة	قيمة (χ^2) الحرجة
مطول/ مختصر/ مختصر معزز بالرسم	١٠	٢٦,٩٣*	١٨,٢١
مطول ومختصر/ مختصر معزز بالرسم	٥	١٣,٩٠*	١٠,٧
مطول/ مختصر	٥	٦,٥٧	١٠,٧
مطول/ مختصر معزز بالرسم	٥	١٣,٨٩*	١٠,٧
مختصر/ مختصر معزز بالرسم	٥	١٥,٤٤*	١٠,٧

* دال إحصائيا عند مستوى الدلالة الإحصائية (α = ٠,٠٥).

يبين الجدول (١١) قيم (χ^2) المحسوبة من الجدول (١٠) . وتبين من هذه القيم أن توزيع الطلبة على استراتيجيات حل المسألة يختلف باختلاف طبيعتها: من لفظية مطولة إلى لفظية مختصرة إلى مختصرة معززة بالرسم، ومن مسائل لفظية مطولة ومسائل مختصرة معاً، ومختصرة معززة بالرسم معاً، ومن لفظية مطولة إلى مختصرة معزز بالرسم، ومن لفظية مختصرة إلى مختصرة معززة بالرسم، لأن قيم (χ^2) المحسوبة أكبر من القيم الحرجة المناظرة. بينما لا يختلف توزيع الطلبة على استراتيجيات حل المسألة باختلاف طبيعة المسألة من لفظية مطولة إلى مختصرة لأن قيمة (χ^2) المحسوبة أصغر من قيمتها الحرجة. ويبين الجدول (١٢) النسب المئوية لتوزيع الذكور على استراتيجيات حل المسألة تبعا لطبيعتها.

الجدول (١٢)

النسب المئوية لتوزيع الذكور كل مجموعة على استراتيجيات حل المسألة تبعا لطبيعة المسألة.

طبيعة المسألة / استراتيجية الحل	اللفظية المطولة	المختصرة	المختصرة المعززة بالرسم	المجموع
التحليلية المتقدمة	٣١٪ ١١ ١٥٪	٤٣٪ ١٥ ٢١٪	٢٦٪ ٩ ١٢,٥٪	١٠٠٪ ٣٥
المحاولة والخطأ العشوائية	٤٢٪ ٢٣ ٣٢٪	٣٤٪ ١٩ ٢٦٪	٢٤٪ ١٣ ١٨٪	١٠٠٪ ٥٥
اللااستراتيجية	٢٩٪ ١٩ ٢٦٪	٣٢٪ ٢١ ٢٩٪	٣٩٪ ٢٥ ٣٥٪	١٠٠٪ ٦٥
المحاولة والخطأ المنظمة	٣١٪ ١٠ ١٤٪	٢٢٪ ٧ ١٠٪	٤٧٪ ١٥ ٢١٪	١٠٠٪ ٣٢
التحليلية الخلفية	٢٣٪ ٥ ٧٪	٣٦٪ ٨ ١١٪	٤١٪ ٩ ١٢,٥٪	١٠٠٪ ٢٢
الحدسية	٥٧٪ ٤ ٦٪	٢٩٪ ٢ ٣٪	١٤٪ ١ ١٪	١٠٠٪ ٧
المجموع	٧٢ ١٠٠٪	٧٢ ١٠٠٪	٧٢ ١٠٠٪	٢٠٣

تشير أرقام الجدول (١٢) أن تكرار الاستراتيجية التحليلية المتقدمة أقل عند الذكور الذين حلوا المسألة المختصرة المعززة بالرسم (٢٦٪) منه عند من حلوا مسائل لفظية مطولة (٣١٪) ومسائل لفظية مختصرة (٤٣٪) . وتكرار استراتيجية المحاولة والخطأ العشوائية أقل عند الذكور الذين حلوا مسائل مختصرة معززة بالرسم (٢٤٪) منه عند من حلوا مسائل لفظية مطولة (٤٢٪) ومسائل مختصرة (٣٤٪) . وتكرار اللاإستراتيجية أقل عند الذكور الذين حلوا مسائل مطولة (٢٩٪) منه عند من حلوا مسائل لفظية مختصرة (٣٢٪) ، ومسائل لفظية مختصرة معززة بالرسم (٣٩٪) . وتكرار استراتيجية المحاولة والخطأ المنظمة أقل عند الذكور الذين حلوا مسائل مختصرة معززة بالرسم (٢٢٪) منه عند من حلوا مسائل

لفظية مطولة (٣١٪) ، ومسائل مختصرة (٤٧٪) . وتكرار الاستراتيجية التحليلية العكسية أقل عند الذكور الذين حلوا مسائل مطولة (٢٣٪) منه عند من حلوا مسائل لفظية مختصرة (٣٦٪) ، ومسائل لفظية مختصرة معززة بالرسم (٤١٪) . وتكرار الاستراتيجية الحدسية أقل عند الذكور الذين حلوا مسائل مختصرة معززة بالرسم (١٤٪) منه عند من حلوا مسائل لفظية مختصرة (٢٩٪) ومسائل لفظية مطولة (٥٧٪) .

ولاختبار الدلالة الإحصائية لتوزيع الذكور على استراتيجيات حل المسألة تبعاً لطبيعتها، فقد أُستخدم اختبار (χ^2) . ويبين الجدول (١٣) قيم (χ^2) المحسوبة والحرجة لتوزيع الذكور على استراتيجيات حل المسألة تبعا لطبيعتها.

الجدول (١٣)

قيم (χ^2) المحسوبة والحرجة ودرجات الحرية لتوزيع الذكور على استراتيجيات حل المسألة تبعا لطبيعتها.

وجه المقارنة لطبيعة المسألة	عدد درجات الحرية	قيمة (χ^2) المحسوبة	قيمة (χ^2) الحرجة
مطول/ مختصر/ مختصر معزز بالرسم	١٠	١١,٤٧	١٨,٢١
مطول ومختصر/ مختصر معزز بالرسم	٥	٨,٣٦	١٠,٧
مطول/ مختصر	٥	٢,٩٨	١٠,٧
مطول/ مختصر معزز بالرسم	٥	٧,٧٤	١٠,٧
مختصر/ مختصر معزز بالرسم	٥	٦,٢٧	١٠,٧

* دال إحصائيا عند مستوى الدلالة الإحصائية (α = ٠,٠٥).

ويبين الجدول (١٣) قيم (χ^2) المحسوبة من الجدول (١٢) . وتبين من هذه القيم أن توزيع الذكور على استراتيجيات حل المسألة يختلف باختلاف طبيعتها: من لفظية مطولة إلى لفظية مختصرة إلى مختصرة معززة بالرسم، ومن لفظية مطولة ومختصرة معاً إلى مختصرة معززة بالرسم، ومن لفظية مطولة إلى مختصرة، ومن لفظية مطولة إلى مختصرة معززة بالرسم، ومن لفظية مختصرة إلى مختصرة معززة بالرسم، لأن قيم (χ^2) المحسوبة أصغر من القيم الحرجة المناظرة.

ويبين الجدول (١٤) النسب المئوية لتوزيع الإناث على استراتيجيات حل المسألة الفيزيائية تبعا لطبيعتها.

الجدول (١٤)

النسب المئوية لتوزيع الإناث على استراتيجيات حل المسألة تبعا لطبيعتها.

طبيعة المسألة / استراتيجية الحل	اللفظية المطولة	المختصرة	المختصرة المعززة بالرسم	المجموع
التحليلية المتقدمة	٪٢١ ٩ ٪١٢	٪٣٥ ١٥ ٪٢١	٪٤٤ ١٩ ٪٢٦	٪١٠٠ ٤٣
المحاولة والخطأ العشوائية	٪٤٢ ٢١ ٪٢٩	٪٣٨ ١٩ ٪٢٦	٪٢٠ ١٠ ٪١٤	٪١٠٠ ٥٠
اللااستراتيجية	٪٣٧ ٢٢ ٪٣١	٪٣٦ ٢١ ٪٢٩	٪٢٧ ١٦ ٪٢٢	٪١٠٠ ٥٩
المحاولة والخطأ المنظمة	٪٣٧ ١١ ٪١٥	٪٢٣ ٧ ٪١٠	٪٤٠ ١٢ ٪١٧	٪١٠٠ ٣٠
التحليلية الخلفية	٪١٩ ٥ ٪٧	٪٣١ ٨ ٪١١	٪٥٠ ١٣ ٪١٨	٪١٠٠ ٢٦
الحدسية	٪٥٠ ٤ ٪٦	٪٢٥ ٢ ٪٣	٪٢٥ ٢ ٪٣	٪١٠٠ ٨
المجموع	٧٢ ٪١٠٠	٧٢ ٪١٠٠	٧٢ ٪١٠٠	٢١٦

تشير أرقام الجدول (١٤) أن تكرار الاستراتيجية التحليلية المتقدمة أكبر عند الإناث اللواتي حللن مسائل مختصرة معززة بالرسم (٪٤٤) منه عند من حللن مسائل لفظية مطولة (٪٢١) ومسائل لفظية مختصرة (٪٣٥) . وتكرار استراتيجية المحاولة والخطأ العشوائية أقل عند اللواتي حللن مسائل مختصرة معززة بالرسم (٪٢٠) منه عند من حللن مسائل لفظية مطولة (٪٤٢) ، ومسائل مختصرة (٪٣٨) . وتكرار الإستراتيجية أقل عند اللواتي حللن مسائل مختصرة معززة بالرسم (٪٢٧) منه عند من حللن مسائل لفظية مطولة (٪٣٧) ، ومسائل لفظية مختصرة (٪٣٦) . وتكرار استراتيجية المحاولة والخطأ المنظمة أقل عند اللواتي حللن مسائل مختصرة (٪٢٣) منه عند من حللن مسائل لفظية مطولة (٪٣٧) ، ومسائل مختصرة معززة بالرسم (٪٤٠) . وتكرار الاستراتيجية التحليلية العكسية أقل عند اللواتي حللن مسائل لفظية مطولة (٪١٩) منه عند من حللن مسائل

لفظية مختصرة (٣١٪)، ومسائل مختصرة معززة بالرسم (٥٠٪) . وتكرار الاستراتيجية الحدسية أقل عند الإناث اللواتي حللن مسائل مختصرة معززة بالرسم (٢٥٪) ومسائل لفظية مختصرة (٢٥٪) منه عند من حللن مسائل لفظية مطولة (٥٠٪) .

ولاختبار الدلالة الإحصائية لتوزيع الإناث على استراتيجيات حل المسألة تبعاً لطبيعتها، فقد استخدم اختبار (χ^2) . ويبين الجدول (١٥) قيم (χ^2) المحسوبة والحرجة لتوزيع الإناث على استراتيجيات حل المسألة تبعاً لطبيعتها.

الجدول (١٥)

قيم (χ^2) المحسوبة والحرجة لتوزيع الإناث على استراتيجيات حل المسألة تبعا لطبيعتها.

وجه المقارنة لطبيعة المسألة	عدد درجات الحرية	قيمة (χ^2) المحسوبة	قيمة (χ^2) الحرجة
مطول/ مختصر/ مختصر معزز بالرسم	١٠	١٩,٩٧*	١٨,٢١
مطول ومختصر/ مختصر معزز بالرسم	٥	١١,٤٠*	١٠,٧
مطول/ مختصر	٥	٢,٩٩	١٠,٧
مطول/ مختصر معزز بالرسم	٥	١٢,٦٩*	١٠,٧
مختصر/ مختصر معزز بالرسم	٥	١٢,٦٩*	١٠,٧

* دال إحصائيا عند مستوى الدلالة الإحصائية (α = ٠,٠١)

يبين الجدول (١٥) قيم (χ^2) المحسوبة من الجدول (١٤) . وتبين من هذه القيم أن توزيع الإناث على استراتيجيات حل المسألة الفيزيائية يختلف باختلاف طبيعتها: من لفظية مطولة إلى لفظية مختصرة إلى مختصرة معززة بالرسم، ومن لفظية مطولة ومختصرة معا إلى مختصرة معززة بالرسم معا، ومن لفظية مطولة إلى مختصرة معززة بالرسم، ومن لفظية مختصرة إلى مختصرة معزز بالرسم، لأن قيم (χ^2) المحسوبة أكبر من القيم الحرجة المناظرة لها. بينما توزيع الإناث على استراتيجيات حل المسألة لا يختلف باختلاف طبيعتها من لفظية مطولة إلى مختصرة، لأن قيمة (χ^2) المحسوبة أصغر من قيمتها الحرجة.

مناقشة النتائج:

- السؤال الأول: **ما استراتيجيات طلبة الصف التاسع في حل المسألة الفيزيائية، وما درجة شيوع كل منها؟**

بينت النتائج أن (٢٨,٧٪) من الطلبة استخدموا استراتيجية المحاولة والخطأ العشوائية، واستخدم (٣٨,٣٪) من الطلبة الإستراتيجية، وهذا يعني أن (٦٧٪) من الطلبة استخدموا استراتيجيات سطحية في حل المسألة. بينما استخدم (٢٤,١٪) من الطلبة الاستراتيجية التحليلية التقدمية، أو استراتيجية التفاعل الاستدلالي. في حين استخدم (٦,٣٪) من الطلبة استراتيجية المحاولة والخطأ المنظمة، و (١,٤٪) من الطلبة استخدموا الاستراتيجية العكسية، واستخدم (١,٢٪) من الطلبة الاستراتيجية الحدسية، وهذا يعني أن حوالي (٨,٩٪) من الطلبة استخدموا استراتيجيات التفاعل فوق المعرفي في حل المسائل: (التحليلية العكسية، والمحاولة والخطأ المنظمة، و الحدسية) (Polya, 1957).

وقد يعزى شيوع الاستراتيجيات السطحية في حل المسائل: (التحليلية التقدمية، والمحاولة والخطأ العشوائية، والإستراتيجية) (Polya, 1957) ، و لأسباب عديدة، منها: تدني تحصيلهم للفيزياء.

فقد بلغ متوسط علاماتهم في الفيزياء في الفصل الأول من العام الدراسي (٢٠٠٩/ ٢٠١٠) (٥٨,٠٧٪) ، بينما تراوح متوسط علامات الطلبة في مدارسهم بين (٥٠,٢٪- ٧٠,٧٪) ، وبمتوسط حسابي عام لجميع مدارس مجتمع البحث (٦٧,٨٪) . والأساليب التعليمية لمعلمي العلوم ومعلماتها على السواء ومهاراتهم التدريسية القائمة على الحفظ الاستظهاري، وأساليبهم التقويمية، ومناهج العلوم المدرسية في المرحلة الأساسية التي تركز على المعرفة والتذكر والتطبيق المباشر والمعرفة الصريحة بنسبة (٧٧٪) ولا تشجع على التفكير الإبداعي، مما انعكس أثره سلبيا على تعلم الطلبة للمادة العلمية، وبالتالي على استراتيجياتهم في حل المسألة.

وتتفق هذه النتيجة مع الدراسات والبحوث التي أشارت إلى أن الطلبة الموهوبين وذوي التحصيل العلمي المرتفع قد استوعبوا المسائل بدرجة أكبر من غيرهم. وبيَّن البحث أن معظم من استخدموا الاستراتيجيات السطحية لم يحددوا الأفكار الرئيسة في المسائل التي حلوها، ولم يعطوا أمثلة على ما حلوا، ولم يربطوا بين الأفكار، لأن انخفاض مستوى تحصيلهم جعلهم غير قادرين على ممارسة الحل بصورة مناسبة. وأظهر بحثٌ على طلبة مدارس مختلفة في فلسطين أن طلبة مرحلة التعليم الأساسي عانوا من تدن في مستوى التحصيل العلمي، وضعف مستواهم التعليمي بوجه عام، وإحباط في أثناء قراءة كتب العلوم المدرسية، مما جعلهم غير قادرين على استيعاب المسائل التي بين أيديهم، وقد انعكس أثر ذلك سلبياً على استراتيجياتهم في حل المسألة. وهذا يفسر استخدام هؤلاء الطلبة استراتيجيات سطحية. وظهرت في أوراقهم تساؤلات تدل على سوء استيعاب المسائل، مثلما ورد على لسان بعض الطلبة السطحيين وفي أوراقهم عبارة «شو يعني كذا وكذا» في معظم المسائل.

وكانت نسبة استخدام استراتيجيات التفاعل فوق المعرفي ضئيلة جدا (٨,٩٪) من الطلبة، وقد حصل معظم هؤلاء على علامات كاملة أو شبه كاملة في اختبار المعرفة القبلية، وكانوا ممن يقرأون الكتب والمجلات العلمية. وتعكس هذه النسبة مستوى تعليم العلوم في مدارس عينة البحث، والتي هي عينة عشوائية من مجتمعه، مما يدل على أن الطلبة الأقوياء يحلون المسائل أفضل من الطلبة ضعاف التعلم.

- السؤال الثاني: **هل تختلف استراتيجيات طلبة الصف التاسع في حل المسألة الفيزيائية باختلاف جنسهم؟**

أظهرت النتائج أن نسب أعداد الذكور والإناث متفاوتة في كل استراتيجية من استراتيجيات حل المسألة، مما يشير إلى أن الاستراتيجيات الست ذوات درجات شيوع مختلفة بين الجنسين. بينما ظهر أن (٣٨,٣٪) من الطلبة ذوي مستوى القدرة الفيزيائية العامة المرتفع استخدموا الاستراتيجيات السطحية، وقد يعزى ذلك إلى تركيز المناهج والكتب المدرسية، وأساليب تدريس العلوم في المدارس، والاختبارات، على حفظ المعلومات واستظهارها. وأن نسبة من استخدموا الاستراتيجية التحليلية التقدمية (٢٤,١٪) من ذوي مستوى القدرة الفيزيائية العامة المرتفع، وكادت تساوي تقريباً نسبة من استخدموا هذه الاستراتيجية من ذوي مستوى القدرة العامة المنخفض (٢٣,٣٪) .

وباستخدام تحليل كاي تربيع وجد أن قيمة الإحصائي (χ^2) أصغر من قيمتها الحرجة، وهذا يعني رفض الفرضية الصفرية، بمعنى أنه لا يوجد فرق دال إحصائياً بين استراتيجيات الطلبة لحل المسألة وجنسهم. ويمكن القول إن متغير الجنس ليس له أثر في استراتيجيات حل المسألة لدى الطلبة لأن: الطلبة جميعهم تعلموا من مناهج وكتب علوم مدرسية واحدة، وتلقوا خبرات تعليمية متقاربة في مدارسهم،وأن التربية في المجتمعات الحديثة لا تميّز بين الذكور والإناث، وأن الفرص المتاحة لكلا الجنسين متساوية خاصة في المرحلة التي تناولها هذا البحث.

واتفقت نتائج هذا البحث مع دراسة ماكير (Maker, 2001) التي أظهرت عدم وجود فروق بين الجنسين في استخدام استراتيجيات حل مسائل العلوم، بينما لم يجد الباحث بحوثاً تختلف مع هذه النتيجة.

- السؤال الثالث: **هل تختلف استراتيجيات الطلبة في حل المسألة باختلاف مستوى قدرتهم الفيزيائية العامة؟**

وبينت نتائج اختبار كاي تربيع أن توزيع الطلبة على استراتيجيات حل المسألة

اختلف باختلاف مستوى قدرتهم الفيزيائية العامة. وتعزى هذه النتيجة إلى أن ذوي القدرة الفيزيائية العامة المنخفض قد استخدموا استراتيجيات لحل المسألة بشكل يختلف عن الاستراتيجيات التي يستخدمونها فعلا في دراستهم العادية، إذ تبين من النتائج أن ما نسبته (٣٣٪) من ذوي مستوى القدرة الفيزيائية العامة المنخفض قد استخدموا استراتيجيات التفاعل الاستدلالي على غير ما هو متوقع منهم، وقد يعزى ذلك إلى عدم خضوع طلبة عينة البحث لاختبار موحد ومقنن كالاختبارات الوزارية، وإنما خضوع الطلبة لاختبارات غير متكافئة، وإنما اختبارات تختلف وتتفاوت قي دقة إعدادها ومدى توافر خصائص الاختبار الجيد من صدق وثبات وموضوعية، وكذلك تتفاوت في معاملات صعوبة وتمييز فقراتها، لاختلاف كفايات المعلمين المعدِّين لها في بناء الاختبارات التحصيلية. ولم يجد الباحث بحوثاً ودراسات سابقة في حدود اطلاعه تتفق، أو تختلف مع هذه النتائج.

- السؤال الرابع: **هل تختلف استراتيجيات الطلبة في حل المسألة باختلاف مستوى معرفتهم الفيزيائية القبلية؟**

بينت نتائج اختبار كاي تربيع أن توزيع الطلبة على استراتيجيات حل المسألة اختلف باختلاف مستوى معرفتهم الفيزيائية القبلية. وأن توزيع الطلبة على استراتيجيات حل المسألة اختلف باختلاف مستوى معرفتهم القبلية. وأن توزيع الذكور على استراتيجيات حل المسألة لم يختلف باختلاف مستوى معرفتهم القبلية، بينما اختلف توزيع الإناث على استراتيجيات حل المسألة باختلاف مستوى معرفتهم القبلية. أي إنه وجدت علاقة اقترانية بين استراتيجيات الإناث لحل المسألة ومستوى معرفتهن القبلية، ولم توجد مثل هذه العلاقة عند الذكور. ويمكن تفسير هذه النتيجة بأن الطالب ذا مستوى المعرفة القبلية المرتفع، تكون لديه مفاهيم متماسكة نوعاً ما، ويكون الطالب واعياً على العلاقات بينها. وعندما يقرأ الطالب المسألة التي تشتمل هذه المفاهيم فأنه يسهل عليه ربط المعلومات الجديدة بالقديمة، مما يشجعه على إعطاء الأمثلة على المفاهيم التي يقرؤها، وعلى طرح الأسئلة عنها، وهذه أنماط سلوك في حل المسألة لوحظت عند كل الطلبة الذين استخدموا استراتيجيات التفاعل الاستدلالي وفوق المعرفي بدرجات متفاوتة.

وأشارت نتائج الدلالة الإحصائية لاختبار كاي تربيع إلى وجود علاقة اقترانية بين استراتيجية الحل، وبين مستوى المعرفة القبلية طلبة مستوى القدرة الفيزيائية العامة المرتفع، ولم توجد هذه العلاقة عند طلبة مستوى القدرة الفيزيائية المنخفض. ودلت النتائج على أن طلبة مستوى المعرفة الفيزيائية القبلية المرتفع ومستوى القدرة الفيزيائية

العامة المرتفع كانوا أكثر ميلا لاستخدام استراتيجيات التفاعل الاستدلالي وفوق المعرفي من طلبة مستوى المعرفة القبلية المرتفع، ومستوى القدرة الفيزيائية العامة المنخفض. ولم يجد الباحث بحوثاً ودراسات سابقة في حدود اطلاعه تتفق، أو تختلف مع هذه النتائج.

- السؤال الخامس: **هل تختلف استراتيجيات الطلبة في حل المسألة الفيزيائية باختلاف طبيعتها؟**

أشارت نتائج البحث إلى أن الانتقال من مسألة لفظية مطولة إلى لفظية مختصرة إلى لفظية مختصرة معززة بالرسم غيرت من استراتيجيات الطلبة في حل المسألة. ويعزى استخدام الطلبة لاستراتيجيات تختلف باختلاف طبيعة المسألة إلى أن كتب العلوم المدرسية تحتوي على مسائل تتطلب في حلها بعض هذه الاستراتيجيات، وأن معلمي ومعلمات العلوم يدربوا طلبتهم في حل المسائل الصفية على استخدام الاستراتيجيات السطحية مع التعرض نادراً للاستراتيجيات فوق المعرفية، مما انعكس أثر ذلك في نوع الاستراتيجيات المستخدمة لدى الطلبة في حل المسألة الفيزيائية، التي يغلب عليها الاستراتيجيات السطحية.

وأشارت النتائج إلى أن المسألة اللفظية المطولة قد جعلت الطلبة يميلون إلى توظيف أنماط السلوك الاستدلالي مثل: الربط والتلخيص وإعطاء الأسئلة واستخدام الاستراتيجية التحليلية التقدمية لحل المسألة. وقد وجد أن الطلبة يميلون إلى استراتيجيات الحل فوق المعرفي إذا مالت المسألة إلى الطبيعة المختصرة والمختصرة المعززة بالرسم، أي إن استراتيجيات حل المسألة عند الطلبة تختلف باختلاف طبيعة المسألة.

وباستخدام اختبار كاي تربيع لاختبار العلاقة بين استراتيجيات حل المسألة وطبيعة المسألة عند كل من الذكور والإناث، تبيَّن وجود علاقة اقترانية في حالة الإناث، ولم توجد مثل هذه العلاقة عند الذكور. ودل ذلك على أن الذكور– بعكس الإناث– لم يغيروا من استراتيجيات حل المسألة بتغير طبيعة المسألة، ويعزى ذلك إلى أن أساليب المعلمين التعليمية ركزت على الحفظ والاستظهار، مما جعل الطلبة الذكور يركزون على هذا الجانب في المسألة.أما الإناث– وإن كن قد تعلمن بالأساليب التعليمية نفسها التي تعلم بها الذكور– فإن اهتمامهن بالجوانب الجمالية في الحياة قد جعل لديهن قابلية الانتباه إلى الرسومات والأشكال في المسائل العززة بالرسم، وبالتالي أثر على استراتيجياتهن في حل المسألة الفيزيائية. ولم يجد الباحث بحوثاً ودراسات سابقة في حدود اطلاعه تتفق أو تختلف مع هذه النتائج.

التوصيات:

استنادا إلى نتائج البحث، يوصي الباحث بإجراء دراسات على الطلبة الفلسطينيين في صفوف أخرى في مرحلتي التعليم الأساسي والثانوي والتعليم الجامعي ، وموضوعات فيزيائية أخرى، وفروع علمية أخرى. وتقصّي أثر عوامل أخرى يمكن أن تؤثر في استراتيجيات حل المسألة: المستوى الاجتماعي الاقتصادي، وحجم الصفوف، ومركز الضبط، والنمط المعرفي ، ومستوى تعليم الوالدين،...الخ. ويوصي الباحث واضعي المناهج ومطوريها بضرورة إعادة النظر في المناهج الدراسية، وبرامج تدريب المعلمين وإعدادهم خاصة، إذ تصبح استراتيجيات حل المسألة وأساليب تطويرها مكوناً أساسياً في المقررات التربوية التي يدرسها المعلمون والمعلمات قبل الخدمة وبعدها، وفي برامج التدريب التي تُنفذ في أثناء الخدمة بهدف زيادة الوزن الأكبر لاستراتيجيات حل المسألة عامة والاستراتيجيات فوق المعرفية خاصة، وتشجيع الطلبة على تنويع استراتيجياتهم في حل المسألة. وتطوير الاختبارات المدرسية كي تتجاوز قياس الحفظ الاستظهاري، وتشمل الاستقلال في التفكير والمبادرة، وتقديم حلول أصيلة للمشكلات التي تواجههم. لذا، يجب الاهتمام بإدخال الخبرات التي تسهم في زيادة الفرص التي تكشف عن استراتيجيات الطلبة في حل المسألة وتنميتها وتطويرها، في كل المراحل الدراسية.

المصادر والمراجع:

1. *Alphonus , P. (1980) . Analysis of Process Sequence Traces Observed in Mathematical Problem Solving,Dissartation Abstract International,4 (9), p876 .*
2. *Anderson,J. ; Olson, J, and Wrobel, M. (2001) . Beyond Computation: Improving Scientific Problem Solving.Journal of Research in Science Teaching, 38 (5) ,p544- 588.*
3. *Anthony , B. and Hudgins, B. (1978) . Problem Solving Processes of Fifth Grade Arithmatics Pupils , The Journal of Educational Research , Vol .2, p384- 411.*
4. *Ausubel , D . (1968) . Educational Psychology , NewYork , Holt .*
5. *Barrett H. and Mars B. (1993) . Physics Problem Solving Strategy. American Journal of Physics, 60 (7) , p627- 636.*
6. *Butler , Wern and Banks ; (1971) . The Teaching of Secondary Mathematics, NewYork , Mc Graw Hill .*
7. *Cooney , T .; and Anderson, J. (1976) .Dynamics of Teaching Secondary School Mathematics, Boston .*
8. *Dewey , J. (1933) . " How to think ", NewYork , Health Company .*
9. *Kenneth , A. ;Henderson,K . (1967) . Effect of Teaching Concepts of Logic on Verbalization of Discovered Mathematical Generalization ,The Mathematic Teacher, November No.7.*
10. *Lester , F . (1980) . Research on Mathematical Problem Solving . In R. ,Shumway (Ed.) . Research in Mathematics Education , National Council of Teachers of Mathematics , Inc . Reston , Virginia , (286- 323) .*
11. *Maker, June (2001) Assessing and Developing Problem Solving. Gifted Education International,15 (3) ,p232- 251.*
12. *Mark, H. (1998) . Physics Problem Solving Strategy. American Journal of Physics, 66 (7) , p627- 636.*
13. *Philips, F. (1970) .Teaching Modern Mathematics in Elementary School, 2nd Ed*
14. *Polya , G. (1957) : How to Solve it , 2nd Ed. , NewYork , Garden City .*
15. *Shbigl, Morai (2002) . Theories and Problems in Statisics. Macro Hill Cmpany NewYork.*
16. *Taconis, R., Fergusan, M, and Broekkamp, H. (2001) . Teaching Science Problem Solving: An Overview of Experimental work, Journal of Research in Science Teaching, 38 (4), p 442- 488.*

عمليات العلم المتضمنة في دليل المعلم للأنشطة والتجارب العملية لكتب العلوم للمرحلة الأساسية بالأردن

أ. حسين مشوح محمد القطيش*

* مساعد مدير/ معلم أول/ مديرية التربية والتعليم لمنطقة البادية الشمالية الشرقية/ المفرق/ الأردن.

ملخص:

هدفت هذه الدراسة إلى الكشف عن عمليات العلم الأساسية والمتكاملة، المتضمنة في دليل المعلم للأنشطة والتجارب العملية لكتب العلوم للصفوف (الرابع –الثامن) الأساسي في الأردن، وقد تكونت عينة الدراسة من جميع الأنشطة العلمية الواردة في أدلة المعلم للأنشطة والتجارب العملية في العلوم العامة للصفوف (الرابع – الثامن) ، واستخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي، وصمم أداة تحليل محتوى لعمليات العلم، وتحقّق من صدقها وثباتها، وبعد استخدام النسب المئوية والرتب للمعالجة الإحصائية توصلت الدراسة إلى النتائج الآتية: إن عدد الأنشطة والتجارب العملية يختلف من صف إلى آخر في المرحلة الأساسية حيث يظهر أن أعلى نسبة في دليل الأنشطة للصف السابع بنسبة (٢٦,٤٧٪) ، وأقلها دليل الأنشطة للصف السادس بنسبة (١٣,٢٣٪) ، وأكثر عمليات العلم الأساسية تكراراً هي عملية الملاحظة، بينما أكثر عمليات العلم المتكاملة تكراراً هي عملية التفسير، ولم تتناول الأنشطة والتجارب العملية عملية وضع الفرضيات، وعملية الاستقراء.

الكلمات المفتاحية: (عمليات العلم، دليل الأنشطة والتجارب العملية، كتب العلوم، المرحلة الأساسية) .

Abstract:

This study aimed at the detection of basic science processes & science integrative processes included in the teacher's guide to activities and practical experiences of science textbooks for (4the-8the) grades in Jordan. The sample of the study consisted of all scientific activities contained in the teacher guide for the activities and practical experiences of general science for (4the-8the) basic classes. The researcher used the analytic descriptive method. A tool was designed to analyze the scientific content. The validity and reliability of the tool were examined. The study revealed the following results: The number of activities and practical experiments varies from one class to the other at the primary stage. It appeared that the highest percentage in the directory of activities was for grades seven onwards which amounted to (26.47%), and the least of these user instructions for activities were for sixth grade (13.23%). It was also found that the most frequent basic science operations are in the process of observation and induction. There was no dealing with activities, class experiments, and the development of hypotheses and the process of induction.

Keywords: *(science processes, The Guide activities and practical experiences, Science textbooks, Basic stage).*

مقدمة:

تعد مادة العلوم من المواد الدراسية الأكثر أهمية من بين المواد التي يدرسها الطالب في أثناء فترة إعداده في المراحل الدراسية المختلفة، لأنها تسهم بشكل مباشر في تشكيل شخصية المتعلم بتنمية قدراته العقلية واتجاهاته ومهاراته العملية اللازمة لمواجهة التطورات السريعة والمتلاحقة في جميع مجالات الحياة، وتعمل على تطوير مختلف الاختراعات التي تهدف إلى خدمة الإنسان ورفاهته. ويشير الدردور (٢٠٠١) إلى أن مناهج العلوم من المجالات الخصبة لتنمية التفكير لدى الطلبة لما تتميز به من إثارة للتفكير، وتحد للعقل فيما تتصدى له من ظواهر وأحداث طبيعية، حيث يُطوِّر الاتجاه الناقد للمعرفة العلمية ويُنمَّى من خلال الافتراضات أوالاستدلالات التي يجربها الطلبة في مادة العلوم، ويؤكد هيوبرتي وديفز (Huberty & Davis,1998) ذلك بأن مناهج العلوم تنمي التفكير، لارتباطها بتفسير الظواهر العلمية والنظر إليها نظرة ناقدة للوصول إلى الاستنتاجات الصحيحة.

ويلجأ المتخصصون بإعداد المناهج الدراسية إلى تنظيم محتوى المادة الدراسية المناسبة لتحقيق الأهداف التعليمية على شكل كتاب مدرسي يدرسة الطلبة، ويطبقون الأنشطة والواجبات الواردة فيه (أبوغريب، ١٩٩٥) . لذا يرى التربويون أن هناك مواصفات ومكونات أساسية يتضمنها الكتاب المدرسي؛ إذ ترى عبد الغني (١٩٩٦) أن الكتاب يجب أن يتضمن القيم والمهارات والاتجاهات المهمة المراد توصيلها إلى مجتمع الطلبة بصورة مرئية ومنظمة، وإما السليمان (١٩٩٦) فيؤكد على أهمية وضع محتوى يتناسب مع عمليات التفكير المراد تحقيقها، وتضمين الكتاب المدرسي أسئلة مثيرة للتفكير، بينما يشير كل من دمعة ومرسي (١٩٨٢) إلى أن الكتاب المدرسي يجب أن تتوافر فيه التدريبات والمشروعات والأسئلة التفكيرية التي تدربهم على التفكير والتحليل والنقد.

وإضافة إلى الكتاب المدرسي، تصدر بعض المواد المساندة المنظمة للمعلم لتساعده في تنفيذ المنهاج، ومنها دليل المعلم الذي يعد مرجعاً للمعلم يسترشد به في التعرف إلى الجوانب المختلفة لعناصر المنهاج (الوكيل،٢٠٠٠) . لهذا أكدت البحوث التربوية في مجال تطوير المناهج على بناء مواد خاصة بالمعلم يعتمد عليها في مرحلة التنفيذ الميداني للمنهاج، ويطلق على هذه المواد مصطلحات مثل: دليل المعلم أو كتاب المعلم وجميعها تحمل المضمون ذاته (نورالدين،٢٠٠٣) ، ويرى الدمرداش (٢٠٠١) أن دليل المعلم هو كتاب يتضمن كل ما من شأنه ان يوجه المعلم في عمله ويرشده، وكذلك يتضمن الأفكار الخاصة

بتدريس مادة دراسية معينة، والتي تعين المعلم على التخطيط لها، وتهيئة المواقف الصفية التعليمية المناسبة لتحقيق الأهداف المرجوة منه.

ونظراً لأهمية دليل المعلم؛ فإن المعلم في بريطانيا يعده ركناً اساسياً من مصادره، ولا يستغني عن الدليل ويستخدمه للتعرف إلى المصادر التي يجب الرجوع إليها استعداداً لتخطيط مواقف صفية يومية (حميدة، ٢٠٠٠) ، ويؤكد الروسان (١٩٩٠) على أهمية دليل المعلم في أنه يقدم صورة متكاملة لأوجه التعلم التي يتضمنها الكتاب المدرسي، ويبين العلاقة بين الأهداف، وبين محتوى المنهج، واستراتجيات التدريس والأنشطة.

وانطلاقاً مما سبق، وانسجاماً مع أهداف وزارة التربية والتعليم في الأردن وتوجهاتها جاء دليل المعلم للأنشطة والتجارب العملية لمادة العلوم الذي يحتوي على مجموعة من الأنشطة والتجارب العلمية مسانداً لمعلم العلوم في عملية تدريس العلوم، وفي هذا الصدد يؤكد زيتون (١٩٩٤) على أن الأنشطة العلمية والتجارب المخبرية تمهد السبيل لتلبية حاجات المتعلمين العقلية وميولهم العلمية بشكل أفضل، فهي تعمل على توليد مشكلات وأسئلة جديدة لاكتشاف حلولها. ويؤكد المتخصصون في التربية العلمية على أن أحد الأهداف الأساسية لتدريس العلوم تنمية مهارات التفكير لدى الطلبة (زيتون،٢٠٠٤، زيتون، ٢٠٠١، Wilson, 1999) ، وذلك باستخدام معلمي العلوم لاستراتيجيات التدريس التي يمارس طلبتهم خلالها أنشطة تثير تفكيرهم.

وتشكل عمليات العلم أهمية كبيرة على صعيد تدريس العلوم والتربية العلمية، فالعلم لا يقوم على جناح واحد، بل لابد من الاهتمام بجميع مكوناته من أجل تحقيق أهداف تدريس العلوم بشكلٍ متكامل، حتى يصبح دور المتعلم إيجابياً في عملية التدريس، ويستطيع التوصل إلى المعلومات بنفسه، واكتساب المتعلم مهارات التفكير العلمي، والقدرة على التعلم الذاتي، وبهذا فإن عمليات العلم تشكل عموداً فقرياً لطرائق تدريس العلوم (يحيى أبو جحجوح، ٢٠٠٨، ص ١٣٩١) ، ويتضح ذلك من خلال الدعوة التي أطلقتها الرابطة القومية لمعلمي العلوم في الولايات المتحدة الأمريكية ضرورة تضمين عمليات العلم (NationalScience Teacher Association [NSTA]) في مناهج العلوم، وعدّ عمليات العلم من أسس بناء المنهاج التربوي، لضمان تحقق هذه العمليات لدى الطلبة (Ulerick, 2000) .

وعمليات العلم هي مهارات عقلية يستخدمها الطالب في جمع البيانات وتحليلها لحل المشكلات من أجل التوصل إلى إجابات للأسئلة المثيره للتفكير، وتفسير النتائج ووصفها، فعمليات العلم المتكاملة التي تدرس للمرحلة الثانوية كصياغة الفرضيات وضبط المتغيرات والتعريفات الإجرائية تحتاج إلى متطلبات سابقة وهي عمليات العلم الأساسية كالملاحظة، والتصنيف، والتفسير وتدرس للمرحلة الأساسية (Tobin & Capie,1982) .

وقد قام زيتون (١٩٩٤) بتصنيف عمليات العلم إلى قسمين: الأول عمليات علم أساسية وتضم عشر عمليات هي: الملاحظة، والقياس، والتصنيف، والاستنباط، والاستقراء، والاستدلال، والتنبوء، واستخدام الأرقام، واستخدام العلاقات المكانية والزمانية، والاتصال، والثاني عمليات علم تكاملية وتضم خمس عمليات هي: تفسير البيانات، والتعريفات الإجرائية، وضبط المتغيرات، وفرض الفروض، والتجريب، واتفق علي (٢٠٠٢) مع تصنيف زيتون في ثماني عمليات علم أساسية وهي الملاحظة، والقياس، والتصنيف، والاستدلال، والتنبوء، واستخدام الأرقام، واستخدام العلاقات المكانية والزمانية، والاتصال، وجميع عمليات العلم المتكاملة، بينما الهويدي (٢٠٠٥) اتفق في ثماني عمليات علم أساسية وخمس عمليات علم متكاملة، واختلف في ثلاث وهي: النمذجة، والرسم البياني، والاستقصاء.

ولقد أشارت نتائج بعض الدراسات مثل دراسة عبدالمجيد (٢٠٠٤) ، ودراسة فراج (٢٠٠٠) إلى تدني مستوى اكتساب الطلبة لعمليات العلم الأساسية والتكاملية، بينما أشارت دراسة فروموكو وآخرون (Vhurumuku, & etal. 2006) إلى أهمية دور الأنشطة العلمية في زيادة فهم الطلبة لطبيعة العلم وعمليات العلم. وفي ضوء ما تقدم تظهر ضرورة التركيز على عمليات العلم في الأنشطة العلمية، ونظراً لاحتواء كتاب دليل المعلم على هذه الأنشطة، وجد الباحث أن هناك حاجة ماسة لإجراء هذه الدراسة التي من شأنها أن تكشف عن أهم عمليات العلم المتضمنة بكتاب دليل المعلم للأنشطة والتجارب العملية لكتب العلوم للمرحلة الأساسية بالأردن.

مشكلة الدراسة وأسئلتها:

المتأمل لواقع تنفيذ الأنشطة العلمية من طرف معلمي العلوم في تحقيق أهداف تدريس العلوم في مدارسنا، يجدها تنفذ بصورة شكلية روتينية بعيدة عن الأهداف التي تسعى الوزارة إلى تحقيقها من خلال ممارسة الطلبة للأنشطة العلمية بأنفسهم، حيث إن الوقت الذي يخصص لمزاولة الطلبة للأنشطة في المدارس يضيع هدراً دون الاستفادة الفعلية منه، كذلك من خلال ملاحظة الباحث واحتكاكه بالميدان، لاحظ أن كثيراً من معلمي العلوم في المرحلة الأساسية لا يطبقون التجارب العملية الواردة في أدلة المعلم للأنشطة والتجارب العملية لمادة العلوم العامة، وهذا يرجع بسبب تجاهل معلمي العلوم أو عدم معرفتهم بعمليات العلم المتضمنة في هذه الأنشطة والتجارب العلمية العملية، وبالتالي يؤدي إلى أن يفقد الطلبة كثيراً من مهارات عمليات العلم الأساسية والمتكاملة التي يمكن أن يكتسبوها من خلال هذه الأنشطة، وهنا يجب تسليط الضوء على هذه العلميات، والكشف عنها المتضمنة في دليل المعلم، حيث يحتوي على عدد من التجارب والأنشطة العلمية التي

تجرى من طرف الطلبة تحت إشراف المعلم، وبتوجيه منه داخل مختبرات العلوم أو خارجها. ومن هذا المنطلق فان دليل المعلم يمثل مصدراً مهماً من مصادر المعلم، فهو بحاجة إلى المراجعة الدائمة والتقويم بناء على التغيرات التي تحدث للمنهاج، وبالتالي تتنوع الأنشطة والتجارب العلمية وعمليات العلم المتضمنة في هذه الأنشطة، إضافة إلى أن الباحث ام يجدْ أي دراسة موجهة لدليل المعلم، **لهذا جاءت هذه الدراسة لتبرز عمليات العلم المتضمنة بكتاب دليل المعلم للأنشطة والتجارب العملية لكتب العلوم للمرحلة الأساسية بالأردن من خلال الإجابة عن الأسئلة الآتية**:

- ما عدد الأنشطة والتجارب العملية في دليل الأنشطة والتجارب العملية لكتب العلوم للمرحلة الأساسية بالأردن؟
- ما عمليات العلم الواجب تضمينها في دليل الأنشطة والتجارب العملية لكتب العلوم للمرحلة الأساسية بالأردن؟
- ما عمليات العلم الأساسية المتضمنة في دليل الأنشطة والتجارب العملية لكل كتاب من كتب العلوم للمرحلة الأساسية بالأردن؟
- ما عمليات العلم المتكاملة المتضمنة في دليل الأنشطة والتجارب العملية لكل كتاب من كتب العلوم للمرحلة الأساسية بالأردن؟
- ما مدى تضمين عمليات العلم في دليل الأنشطة والتجارب العملية لكتب العلوم (مجتمعه) للمرحلة الأساسية بالأردن؟

أهمية الدراسة:

تكتسب هذه الدراسة أهميتها من إبراز أهمية دليل المعلم للأنشطة والتجارب العملية لكتب العلوم عموماً وبمرحلة التعليم الأساسي بصفة خاصة، باعتبارها دعامة من دعائم الكتاب المدرسي ومصدراً أساسياً للمعرفة العلمية واكتساب عمليات العلم في عصر يتسم بالسرعة والانفجار المعرفي. وتعد هذه الدارسة مهمة حيث أنها تلقي الضوء على أهم عمليات العلم المتوافرة في دليل للأنشطة والتجارب العملية لكتب العلوم، وهي الدراسة الأولى حسب علم الباحث على مستوى الأردن التي تتناول تحليل الدليل.كذلك من المتوقع أن تعود نتائج هذه الدراسة بالفائدة على لجان تأليف الكتب في وزارة التربية والتعليم الأردنية، وتبصير المعلمين والمشرفين بما تحتوية هذه الأدلة من عمليات العلم ونسبها في كل صف دراسي، وبيان اوجه القصور.

أهداف الدراسة:

هدفت الدراسة الحالية إلى ما يأتي:

١. تحليل الأنشطة العلمية في دليل المعلم للأنشطة والتجارب العملية لكتب العلوم للمرحلة الأساسية في الأردن؛ لتحديد نوع عملية العلم المتضمنة.

٢. الكشف عن عمليات العلم الأساسية والمتكاملة، المتضمنة في دليل المعلم للأنشطة والتجارب العملية لكتب العلوم للصفوف (الرابع والخامس والسادس) ، (السابع والثامن) من المرحلة الأساسية.

٣. تسليط الضوء على عمليات العلم الأساسية والمتكاملة لما لها من دور في تنمية التفكير العلمي لدى الطلبة في المرحلة الأساسية.

حدود الدراسة:

١. اقتصرت الدراسة على عملية التحليل لعمليات العلم المتضمنة في دليل الأنشطة والتجارب العملية لكتب العلوم للمرحلة الأساسية بالأردن.

٢. اقتصرت الدراسة على دليل المعلم للأنشطة والتجارب العملية لكتب العلوم للصفوف (الرابع والخامس والسادس) ، (السابع والثامن) الذي قررت الوزارة اعتمادها للمعلم في جميع مدارس المملكة الأردنية الهاشمية اعتباراً من العام الدراسي ٢٠٠٨/ ٢٠٠٩.

مصطلحات الدراسة:

◄ **عمليات العلم (Science Process)**: الأنشطة أو الأفعال التي يقوم بها المتعلمين من أجل التوصل إلى نتائج علمية لتطبيق طرق العلم من جهة، والحكم على هذه النتائج من جهة اخرى، والتي تمثل سلوك العلماء، وهي قابلة للانتقال من موقف إلى آخر، وتتضمنها الأنشطة العملية الموجودة في محتويات دليل الأنشطة والتجارب العملية لكتب العلوم، ويمكن الكشف عنها بأداة تحليل محتوى خاصة، وتنقسم إلى قسمين: عمليات علم أساسية وعمليات علم تكاملية.

◄ **عمليات العلم الأساسية (basic science processes)**: تشمل العمليات الآتية: الملاحظة، والقياس، والتصنيف، والاستنتاج، والاستقراء، والاستدلال، والتنبؤ، واستخدام الأرقام، واستخدام العلاقات المكانية والزمانية، والاتصال.

◄ **عمليات علم تكاملية (science integrative processes)**: تشمل العمليات الآتية: تفسير البيانات، وضبط المتغيرات، ووضع الفرضيات، والتجريب.

◄ **دليل الأنشطة والتجارب العملية لكتب العلوم**: هو دليل المعلم للأنشطة والتجارب العملية لكتب العلوم للصفوف (الرابع والخامس والسادس) ، (السابع والثامن) من التعليم الأساسي الذي قررت الوزارة اعتمادها للمعلم واستخدامه في جميع مدارس المملكة الأردنية الهاشمية اعتباراً من العام الدراسي ٢٠٠٨/ ٢٠٠٩ م وما زال معتمداً حتى الآن.

◄ **المرحلة الأساسية**: تتضمن هذه المرحلة الصفوف من الأول حتى العاشر، ويقصد بها في هذه الدراسة من الصف الرابع الأساسي، حتى الصف الثامن الأساسي.

الدراسات السابقة:

أجرى **برذرتون وبرس (Brotherton & Prese, 1996)** دراسة هدفت إلى استقصاء أثر مهارات عمليات العلم الأساسية والمتكاملة على تدريس العلوم لدى طلبة الصف السابع والثامن والتاسع، وتكونت عينة الدراسة من مجموعتين تجريبية و ضابطة، ودرّست المجموعتان في كل صف المحتوى العلمي نفسه، وتلّقت المجموعة التجريبية زيادة عن المجموعة الضابطة مهارات في عمليات العلم خلال كل حصة صفية ولمدة (٢٨) أسبوعاً، وتعرض أفراد المجموعات إلى اختبار قبلي وبعدي لعمليات العلم، واستخدمت الدراسة المنهج التجريبي، وأظهرت النتائج عدم وجود فروق دالة إحصائياً بين المجموعات التجريبية والضابطة على جميع المستويات في اكتساب عمليات العلم الأساسية، في حين ظهرت فروق دالة إحصائياً في إكتساب عمليات العلم المتكاملة لدى طلبة المجموعة التجريبية في الصف التاسع.

وقامت **عبد الفتاح** (١٩٩٩) بدراسة هدفت إلى تحليل الأنشطة العلمية والأسئلة المتضمنة في كتاب العلوم للصف الثاني الإعدادي بمصر في ضوء عمليات العلم، وتكونت أداة الدراسة من استمارة لتحليل الأنشطة العلمية والأسئلة، واستخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، وقد توصلت الدراسة إلى أن الأنشطة العلمية ركزت على عملية الملاحظة بنسبة (٥٠٪) ، تليها عملية الاتصال بنسبة (٢٠٪) ، تليها عملية التجريب بنسبة (١١٪)، تليها عملية القياس بنسبة (٧٪) ، ثم عملية التصنيف وتفسير البيانات بنسبة (٤٪) ، واخيراً عملية ضبط المتغيرات بنسبة (٣٪) ، وأهملت الأنشطة عمليات الاستدلال والتنبؤ واستخدام الأرقام، واستخدام العلاقات الزمانية والمكانية وفرض الفروض.

وأجرى الاغا والزعانين (٢٠٠٠) دراسة هدفت إلى التعرف على مدى توافر بعض عناصر التنوير العلمي في كتب العلوم للمرحلة الابتدائية بفلسطين، وتكونت عينة الدراسة من (٦) كتب للعلوم، واستخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، وقد توصلت الدراسة إلى أن محتويات كتب العلوم تعالج عمليات العلم بنسبة منخفضة جداً (١٥,٣) ، وأن عمليتيْ الملاحظة والتصنيف ظهرتا في كتابي العلوم للصفين الأول والثاني، وعملية القياس ظهرت في كتاب العلوم للصف الثالث، ولم تظهر عمليات العلم المتكاملة مثل عملية ضبط المتغيرات، وفرض الفروض في كتب العلوم للمرحلة الابتدائية.

أعدَّ عبد الهادي (٢٠٠٣) دراسة هدفت إلى تحليل كراسة التدريبات والأنشطة العلمية لكتابي العلوم بالصف الرابع والخامس من المرحلة الابتدائية في مصر في ضوء عمليات العلم الأساسية واساليب الاتصال البصرية، وتكونت عينة الدراسة من كراسة التدريبات والأنشطة العلمية لكتابي العلوم بالصف الرابع والخامس من المرحلة الابتدائية، واسفرت الدراسة عن أن محتوى كراسة التدريبات والأنشطة العلمية الخاصة بالصف الرابع، تضمن عملية الاستنتاج بنسبة (٣٤٪) ، وعملية الملاحظة بنسبة (٣٢٪) ، وعملية التصنيف بنسبة (١٢٪) ، وعملية استخدام الارقام بنسبة (٨٪) ، وعملية التنبؤ بنسبة (٧,٥٪) ، وعملية القياس بنسبة (٢٪) ، وأن محتوى كراسة التدريبات والأنشطة العلمية الخاصة بالصف الخامس تتضمن عملية الملاحظة بنسبة (٤٤٪) ، وعملية الاستنتاج بنسبة (٣٢٪) ، وعملية التصنيف بنسبة (١٦٪) ، وعملية استخدام الارقام بنسبة (٦٪) ، وعملية التنبؤ بنسبة (٢٪)، وعملية القياس بنسبة (٢٪) .

أجرى الشعيلي، وخطايبة (٢٠٠٣) دراسة هدفت إلى تحليل الأنشطة العلمية في كتب العلوم للصفوف الأربعة الأولى من مرحلة التعليم الأساسي في سلطنة عمان؛ لتحديد نوع عملية العلم المتضمنة، وتكونت عينة الدراسة من جميع الأنشطة العلمية المتوافرة في كتب العلوم للصفوف الأربعة الأولى من مرحلة التعليم الأساسي التي تدرس بسلطنة عمان، وتكونت أداة الدراسة من قائمة تحليل لعمليات العلم الأساسية، وقد توصلت الدراسة إلى عدم توزع الأنشطة العلمية بالتساوي من صف لآخر ضمن هذه الكتب، كما بينت النتائج أيضا ظهور اختلاف في عدد عمليات العلم بكتب العلوم، إذ جاءت الملاحظة الأكثر نسبة في كتاب العلوم للصف الأول، والاتصال الأكثر نسبة في كتابي الثاني والرابع، أما الاستقراء فكان الأكثر نسبة في كتاب الصف الرابع الأساسي، وخلو النشاطات العلمية في كتب العلوم للصفوف الأربعة التي خُلت من بعض عمليات العلم، كمهارة القياس من الصف الأول، والاتصال من كتاب الصف الرابع وغياب مهارة الاستدلال من الصفوف الثاني والثالث والرابع الأساسي رغم وجودها في الصف الأول.

أجرى عبد المجيد (٢٠٠٤) دراسة هدفت إلى معرفة مدى تناول محتوى منهاج العلوم بالمرحلة الإعدادية لأبعاد طبيعة العلم وعملياته، وفهم الطلاب لها، وتكونت عينة الدراسة من ثلاثة كتب من كتب العلوم الستة المقررة على طلاب المرحلة الإعدادية بمصر، وكانت أدوات الدراسة هي أداة تحليل المحتوى واختبار فهم طبيعة العلم وعملياته، وأشارت النتائج إلى أن نسب توافر أخلاقيات العلم في الكتب الثلاثة على النحو الآتي: (٥٠٪، ٠٪، ١٤٪) ، وأظهرت عملية التصنيف بدرجة مقبولة.

وأجرى أبو جحجوح (٢٠٠٨) دراسة هدفت الكشف عن مدى توافر عمليات العلم في كتب العلوم لمرحلة التعليم الأساسي بفلسطين، وتحديد عمليات العلم الأساسية والمتكاملة التي ينبغي تضمينها في كتب العلوم للمرحلة الأساسية، وتكونت عينة الدراسة من كتب العلوم العشرة من الصف الأول إلى الصف العاشر، واتبعت الدراسة أسلوب تحليل المحتوى أحد أساليب المنهج الوصفي، ومن أهم النتائج التي توصلت لها الدراسة: أن عمليات العلم وردت في كتب العلوم العشرة مجتمعة على النحو الآتي: الملاحظة، والاتصال ، وتفسير البيانات، والتجريب، والقياس، والاستدلال، واستخدام الأرقام، والتصنيف، وضبط المتغيرات، والتنبؤ، وفرض الفروض، وبنسب مئوية (٣١٪، ٢٥٪، ١١٪، ٩,٦٪، ٧٪، ٥٪، ٤٪، ٣٪، ٢٪، ٢٪، ٠,٤٪) على الترتيب.

وأجرى أبو جحجوح (٢٠١١) دراسة هدفت إلى استنباط عمليات العلم الأساسية من بعض آيات القرآن الكريم، وكذلك استنباط عمليات العلم التكاملية، وتوصلت الدراسة إلى أن القرآن الكريم زاخر بعمليات العلم الأساسية والتكاملية، ومن أمثلة عمليات العلم الأساسية التي تقصَّت عنها الدراسة وكشفتها في القرآن الكريم عمليات: الملاحظة، والقياس، والتصنيف، والاستدلال، والاستقراء، والاستنباط، والتنبؤ، واستخدام الأرقام، والتواصل، ومن أمثلة عمليات العلم التكاملية: فرض الفروض، والتفسير، والتعريفات الإجرائية، وضبط المتغيرات، والتجريب.

تعقيب على الدراسات السابقة:

يلاحظ الباحث من خلال استعراض الدراسات السابقة المتعلقة بموضوع عمليات العلم ما يأتي:

- توصلت نتائج بعض الدراسات السابقة مثل: دراسة عبدالفتاح (١٩٩٩) ، دراسة الشعيلي وخطايبة (٢٠٠٣) ، ودراسة عبدالهادي (٢٠٠٣) ، دراسة أبو جحجوح (٢٠٠٨) إلى اختلاف نسب تضمين عمليات العلم في كتب العلوم.

♦ لم يجد الباحث بين الدراسات السابقة اختلافاً من حيث المنهج فجميعهما استخدمت المنهج الوصفي التحليلي في تفسير النتائج، عدا دراسة برزرتون وبرس (Brotherton & Prese, 1996) حيث استخدم المنهج التجريبي.

♦ هناك دراسة واحده تناولت تحليل كراسة التدريبات والأنشطة العلمية لكتابي العلوم بالصف الرابع والخامس في ضوء عمليات العلم الأساسية وهي: دراسة عبدالهادي (٢٠٠٣) ، وهي تشابه الدراسة الحالية في عمليات العلم الأساسية، وتختلف في تحليل عمليات العلم المتكاملة.

♦ هناك بعض دراسات تناولت تحليل كتب العلوم للمرحلة الأساسية في ضوء عمليات العلم باستخدام أداة تحليل المحتوى وهي: دراسة الاغا والزعانين (٢٠٠٠) و دراسة عبد المجيد (٢٠٠٤) ، ودراسة أبو جحجوح (٢٠٠٨) ، وبعضها الآخر تناول تحليل الأنشطة العلمية في كتب العلوم في ضوء عمليات العلم باستخدام أداة تحليل المحتوى وهي: دراسة عبدالفتاح (١٩٩٩) ، ودراسة الشعيلي، وخطايبة (٢٠٠٣) بينما الدراسة الحالية لم تتناول تحليل كتب العلوم، وانما دليل المعلم.

♦ تتفق الدراسة الحالية مع الدراسات السابقة في تناول موضوع عمليات العلم، إلا أن الدراسة الحالية تختلف عن الدراسات السابقة بتركيزها على عمليات العلم المتضمنة في دليل الأنشطة والتجارب العملية لكتب العلوم للمرحلة الأساسية بالأردن. وقد استفاد الباحث من الدراسات السابقة في تصميم استمارة التحليل، وتنفيذ إجراءاتها، ومناقشة النتائج.

♦ لم يجد الباحث أية دراسة تتعلق بتحليل دليل المعلم للأنشطة والتجارب العملية لكتب العلوم للمرحلة الأساسية سواء على المستوى المحلي أم العربي حسب علمه، لذلك تعد هذه الدراسة الأولى على المستوى المحلي.

الطريقة والإجراءات:

منهج الدراسة:

اتبعت الدارسة المنهج الوصفي التحليلي باستخدام تحليل المضمون (المحتوى) ، الذي يعد أحد أساليب البحث العلمي التي تستخدم في تحليل محتوى المناهج الدراسية والكتب المدرسية تحديداً، لدراسة مدى تناول تلك الكتب للقضية موضع الدراسة (طعيمة، ١٩٨٥) . ولذلك استخدم الباحث أسلوب تحليل المحتوى في هذه الدراسة لأنه الأنسب لتحقيق أهداف هذه الدراسة، وذلك من خلال تحليل محتوى دليل المعلم للأنشطة والتجارب العملية

لكتب العلوم للمرحلة الأساسية في الأردن لتحديد مدى تضمينها لعمليات العلم موضوع الدراسة.

مجتمع الدراسة وعينتها:

تكوّن مجتمع الدراسة من جميع الأنشطة العلمية الواردة في أدلة المعلم الخاصة بالأنشطة والتجارب العملية العلوم العامة التي يستخدمها المعلم في تدرس العلوم لطلبة المرحلة الأساسية في الأردن في العام الدراسي ٢٠١٠/ ٢٠١١م . وتكونت عينة الدراسة من مجتمعها. والجدول (١) يوضح ذلك.

الجدول (١)

مواصفات أدلة المعلم للأنشطة والتجارب العملية العلوم العامة في المرحلة الأساسية

معلومات عامة	دليل المعلم للأنشطة والتجارب العملية العلوم العامة للصفوف			دليل المعلم للأنشطة والتجارب العملية العلوم العامة للصفين		المجموع
	الرابع	الخامس	السادس	السابع	الثامن	
عدد الوحدات	٦	٨	٨	٩	٩	٤٠
عدد الأنشطة والتجارب	١٧	١٠	٩	١٨	١٤	٦٨
عدد الصفحات	٥٨	٣٠	٧٤	٦٧	٥٧	٢٨٦

أداة الدراسة:

أعدَّ الباحث أداة الدراسة المتمثلة بقائمة بعمليات العلم المتضمنة في دليل المعلم للأنشطة والتجارب العملية (العلوم العامة) لصفوف المرحلة الأساسية، **وقد مر إعداد أداة الدراسة بعدد من الخطوات الآتية**:

- الاطلاع على بعض الدراسات السابقة التي تناولت كتب العلوم بالتحليل في ضوء عمليات العلم، وما توصلت إليه من نتائج، وبخاصة دراسات: الأغا والزعانين (٢٠٠٠) ، وعبد المجيد (٢٠٠٤) ، وعبدالفتاح (١٩٩٩) ، والشعيلي، وخطايبة (٢٠٠٣) ، وعبد الهادي (٢٠٠٣) ، وأبو جحجوح (٢٠٠٨) .
- استطلاع آراء مشرفي العلوم ومعلميها العاملين بالميدان في وزارة التربية والتعليم الأردنية، من خلال توجيه سؤال مفتوح إلى تسعة منهم حول عمليات العلم التي يجب تضمينها في محتويات دليل المعلم للأنشطة والتجارب العملية والضرورية لطلبة المرحلة الأساسية.
- ونتيجة الإجراءات السابقة توصل الباحث إلى الصورة الأولية لقائمة عمليات العلم الواجب تضمينها في محتويات دليل المعلم للأنشطة والتجارب العملية، وتوزعت على

محورين هما: المحور الأول عمليات العلم الأساسية، وعددها (١٢) عملية، والمحور الثاني عمليات العلم المتكاملة، وعددها (٥) عمليات.

♦ وعرضت القائمة في صورتها الأولية على ثلاثة من المحكمين المتخصصين بمناهج وطرق تدريس العلوم، وذلك لإبداء الرأي حول مدى مناسبة العمليات الواردة بالقائمة وصياغتها، وقد أسفرت عملية التحكيم عن حذف عملية التعريفات الإجرائية من عمليات العلم المتكاملة، ودمج عمليات الاستنباط والاستنتاج معاً، ودمج عمليات الاستدلال والاستقصاء معاً من عمليات العلم الأساسية.وبعد إجراء التعديلات التي أشار إليها المحكمون، وصلت قائمة عمليات العلم إلى صورتها النهائية حيث شمل المحور الأول عمليات علم أساسية وعددها (١٠) عمليات هي: الملاحظة، والقياس، والتصنيف، والاستنتاج، والاستقراء، والاستدلال، والتنبؤ، واستخدام الأرقام، واستخدام العلاقات المكانية والزمانية، والاتصال، والمحور الثاني عمليات العلم المتكاملة وعددها (٤) عمليات وهي: ضبط المتغيرات، ووضع الفرضيات، والتجريب، والتفسير.

♦ وقد اُستخدمت مجموعة من المؤشرات لكل عملية من عمليات العلم اعتماداً على الأدب النظري والدراسات السابقة الآتية: (دراسة أبي ججوح ،٢٠٠٨،ص ١٣٩٣– ١٣٩٥)، (القواقنة وآخرون، ٢٠٠٨، ص ١٤– ١٦) ، (حطاب وآخرون، ٢٠٠٨، ص ١٠– ١٢) التي استخدمت هذه المؤشرات (انظر ملحق (١)) .

وبذلك يكون الباحث أجاب عن السؤال الثاني من أسئلة الدراسة، الذي ينص على: «ما عمليات العلم الواجب تضمينها في دليل الأنشطة والتجارب العملية لكتب العلوم للمرحلة الأساسية بالأردن؟»

تحليل المحتوى:

استخدم الباحث– بهدف تحليل محتويات دليل المعلم للأنشطة والتجارب العملية (العلوم العامة) لصفوف المرحلة الأساسية– أداة تحليل المحتوى، **التي اشتملت على ما يأتي**:

- **الهدف من التحليل**: تهدف عملية التحليل إلى تحديد عمليات العلم المتضمنة في دليل المعلم للأنشطة والتجارب العملية لكتب العلوم للمرحلة الأساسية، ورصد تكرارات كل عملية منها.

- **فئة التحليل**: الاعتماد على عمليات العلم الأساسية، وعمليات العلم المتكاملة الواردة بأداة التحليل وعددها (١٤) عملية فرعية ضمن محورين لكونها الأنسب لتحقيق أهداف الدراسة.

- **وحدة التحليل**: اختيرت الفقرة التي تتضمن النتاجات الخاصة بكل نشاط وتجربة، والخطوة أو الخطوات المتعددة من النشاط والتجربة كوحدة للتحليل، نظراً لمناسبتها للهدف من عملية التحليل، ومن المفترض أن تحتوي الأنشطة العلمية على نوع واحد أو أكثر من عمليات العلم، وحُللت الأنشطة والتجارب العملية وفق بطاقة التحليل الملحق (١) .

- **تكرارات ظهور وحدة التحليل**: وذلك من خلال حساب تكرار عمليات العلم المراد تحليل محتويات دليل المعلم في ضوئها.

- **ضوابط عملية التحليل**: تم التحليل في إطار المحتوى والتعريف الإجرائي لكل عملية من عمليات العلم بمؤشراتها، ويشمل التحليل وحدات دليل المعلم للأنشطة والتجارب العملية العلوم العامة للمرحلة الأساسية بما تحتوي من أنشطة وتجارب عملية، واُستبعدت الرسوم التوضيحية والصور والاشكال وأسئلة التقويم الموجودة في كل دليل، واُستخدمت استمارة لرصد النتائج ملحق (١) ، وتكرار عمليات العلم.

- **خطوات عملية التحليل**:

- حصل الباحث على أحدث طبعة من كتب دليل المعلم للأنشطة والتجارب العملية، العلوم العامة المقررة من الصف الرابع حتى الصف الثامن من المرحلة الأساسية في العام الدراسي ٢٠١٠- ٢٠١١ والجدول (٢) يوضح الوحدات الدراسية التي تشتمل عليها الكتب.

الجدول (٢)

يوضح الوحدات الدراسية لكل صف دراسي

الدليل / الوحدات	الصف الرابع	الصف الخامس	الصف السادس	الصف السابع	الصف الثامن
الأولى	الكائنات الحية والبيئة	النمو والوراثة	الكهرباء والمغناطيسية	تركيب المادة وتغيراتها	الكائنات الحية
الثانية	الضوء	الحركة والقوة	العناصر والمركبات	تصنيف الكائنات الحية	الوراثة
الثالثة	المادة	المادة	جسم الانسان	التكاثر في الكائنات الحية	الحركة والقوة
الرابعه	الكهرباء والمغناطيس	المادة النقية	الخلية	القوة والضغط	الضوء
الخامسة	النبات	الطاقة من حولنا	مصادر الطاقة	الأرصاد الجوية	علوم الأرض والفضاء
السادسة	علوم الأرض والفضاء	الماء والطقس	الضوء	تاريخ الأرض	البنية الالكترونية

الدليل / الوحدات	الصف الرابع	الصف الخامس	الصف السادس	الصف السابع	الصف الثامن
السابعة		الصوت	علوم الأرض	الحرارة	تفاعلات العناصر
الثامنة		تغير سطح الأرض	الفلك	الكثافة والمرونة	الصناعات الكيميائية
التاسعة				الاستجابة والسلوك	الظاهرة الموجية

- حُللت كل وحدة على حدة، وروجعت كل صفحة من صفحاتها، للحصول على مدى تكرار البنود في شكل تحليل وصف كمي، ثم قُسم كل نشاط وتجربة إلى خطوة واحدة أو خطوات عدة لتنفيذه، وقراءة الفقرة التي تتضمن النتاجات الخاصة بكل نشاط وتجربة لتحديد فكرة او أكثر، وتحديد الأفكار التي تتضمن عمليات العلم.

- تصنيف كل فكرة إلى إحدى عمليات العلم المحددة بأداة تحليل المحتوى المذكورة.

- جمع تكرارات كل عملية من عمليات العلم في كل دليل ولكل صف، وحساب نسبها المئوية.

صدق المحكمين:

عرض الباحث أداة التحليل على ثلاثة من المحكمين المتخصصين بمناهج وطرق تدريس العلوم، وقد أبدوا رأيهم في استمارة التحليل من حيث وضوح العبارة، وارتباطها بالمحور الذي تنتمي إليه، وارتباط كل بند من بنود الاستمارة بالهدف من وضع استمارة التحليل، وقد جاءت آراؤهم متفقة على أن استمارة التحليل تفي بما وضعت من أجله، مع الإشارة لبعض التعديلات التي أشار إليها المحكمون، والتي أخذ بها الباحث في تعديل استمارة التحليل، حتى وصلت قائمة عمليات العلم إلى صورتها النهائية.

صدق التحليل:

للتحقق من صدق التحليل حلَّل الباحث عينة من الأدلة المستهدفة، كما حلَّل باحث آخر العينة نفسها، وذلك بعد الاتفاق على جميع الإجراءات الخاصة بالتحليل، ثم حُسبت نقاط الاتفاق والاختلاف بين التحليل الأول والثاني باستخدام معادلة هولستي (Holesty) لحساب معامل الاتفاق (طعيمة، ١٧٧: ١٩٨٥) آلاتية:

معامل الاتفاق= Error! Error! × ١٠٠

وبلغت قيمة معامل الاتفاق (٠,٨٨) ، ويعد الباحث هذه القيمة مقبولة وصالحه لأغراض هذه الدراسة.

ثبات التحليل:

للتحقق من ثبات التحليل حلَّل الباحث عينة من الأدلة المستهدفة، ثم بعد ثلاثة أسابيع من التحليل الأول أعاد الباحث التحليل مرة أخرى ومن ثم حُسبت نسبة الاتفاق بين التحليلين الأول والثاني للأدلة باستخدام معادلة هولستي (Holesty) ، وبلغت قيمة معامل الثبات بين التحليلين (٠,٨٦) ، وهذا مؤشر على ثبات التحليل.

إجراءات الدراسة:

قام الباحث بالإجراءات الآتية لتنفيذ الدراسة، والحصول على النتائج وهي كما يأتي:

- الاطلاع على الأدب التربوي والدراسات السابقة المتعلقة بالدراسة الحالية، ثم إعداد قائمة بعمليات العلم، وتحكيمها.
- بناء أداة تحليل على شكل استمارة تحليل تكونت من عمليات العلم ومؤشراتها، وتكراراتها.
- تحليل محتوى أدلة المعلم الخاصة بالأنشطة والتجارب العملية العلوم العامة في ضوء تلك العمليات بعد التأكد من صدق عملية التحليل وثباتها.
- تفريغ استمارات التحليل في استمارة واحدة لحساب التكرارات ومعرفة النتائج.
- تحليل نتائج الدراسة ومناقشتها، ثم اقتراح بعض التوصيات في ضوء نتائج الدراسة.

المعالجة الإحصائية:

لضمان الحصول على النتائج ودقتها، فقد أدخلت البيانات التي جُمعت بالاستعانة باستمارات التحليل في ذاكرة الحاسوب ثم عُولجت احصائياً باستخدام برنامج (SPSS)، ومن ثمَّ حُلِّلت البيانات والمعلومات التي جمعت باستخدام الأساليب الإحصائية الآتية: النسب المئوية والرتب.

نتائج الدراسة ومناقشتها:

◄ أولاً- النتائج المتعلقة بالإجابة عن سؤال الدراسة الأول ومناقشتها:

نص السؤال الأول: « **ما عدد الأنشطة والتجارب العملية في دليل الأنشطة والتجارب العملية لكتب العلوم للمرحلة الأساسية في الأردن؟**» للإجابة عن هذا السؤال حُصرت الأنشطة والتجارب العملية في كل دليل بحسب الصف، وحُسبت تكراراتها ونسبها المئوية والرتبة، والجدول (٣) يبين عدد الأنشطة والتجارب العملية ونسبها المئوية بكل دليل لكتاب العلوم للأنشطة والتجارب العملية للصف الدراسي الواحد.

الجدول (٣)

عدد الأنشطة ونسبتها المتضمنة في دليل الأنشطة والتجارب العملية لكتب العلوم للمرحلة الأساسية بحسب الصف

دليل المعلم للأنشطة العملية	عدد الأنشطة العلمية (تكرار)	النسبة المئوية٪	الرتبة
دليل العلوم للأنشطة للصف الرابع	١٧	٢٥	٢
دليل العلوم للأنشطة للصف الخامس	١٠	١٤,٧١	٤
دليل العلوم للأنشطة للصف السادس	٩	١٣,٢٣	٥
دليل العلوم للأنشطة للصف السابع	١٨	٢٦,٤٧	١
دليل العلوم للأنشطة للصف الثامن	١٤	٢٠,٥٩	٣
المجموع	٦٨	١٠٠	

ويتبين من الجدول (٣) أن عدد الأنشطة والتجارب العملية يختلف من صف إلى آخر في المرحلة الأساسية، حيث يظهر أن أعلى نسبة للأنشطة والتجارب العملية هي تلك الموجودة في دليل العلوم للأنشطة للصف السابع بنسبة (٢٦,٤٧٪) ، واحتل المرتبة الأولى، ويليها في المرتبة الثانية دليل العلوم للأنشطة للصف الرابع بنسبة (٢٥٪) ، ويليها في المرتبة الثالثة دليل العلوم للأنشطة للصف الثامن بنسبة (٢٠,٥٩٪) ، ويليها في المرتبة الرابعة دليل العلوم للأنشطة للصف الخامس بنسبة (١٤,٧١٪) ، وأخيراً في المرتبة الخامسة دليل العلوم للأنشطة للصف السادس بنسبة (١٣,٢٣٪) ، ويعزو الباحث ذلك إلى اختلاف كمية المعلومات الواردة في كتاب العلوم بكل صف دراسي حيث تحتاج بعض المفاهيم إلى أنشطة، وبعضها الآخر لا يحتاج، إضافة إلى احتواء كتب العلوم المخصصة للطلبة على الأنشطة والتجارب العملية الداعمة للمادة النظرية. إضافة إلى اختلاف مؤلفي محتويات أدلة كتب العلوم لكل صف دراسي، وضعف التنسيق بين أعضاء لجان التأليف.واتفقت نتائج هذا السؤال مع دراسة الشعيلي، وخطايبة (٢٠٠٣) التي أظهرت عدم توزع الأنشطة العلمية بالتساوي من صف لآخر ضمن كتب العلوم.

◄ ثانياً– النتائج المتعلقة بالإجابة عن سؤال الدراسة الثاني ومناقشتها:

نص السؤال الثاني: «**ما عمليات العلم الواجب تضمينها في دليل الأنشطة والتجارب العملية لكتب العلوم للمرحلة الأساسية في الأردن؟**» للإجابة عن هذا السؤال عمل عدداً من الخطوات والإجراءات التي أدت إلى التوصل إلى أداة الدراسة (انظر الملحق (١) بصورتها النهائية حسب إجماع المحكمين، حيث أشاروا إلى أربع عشرة عملية علم ينبغي تضمينها في دليل الأنشطة والتجارب العملية لكتب العلوم للمرحلة الأساسية، منها عشر عمليات علم أساسية وهي: الملاحظة، والقياس، والتصنيف، والاستنتاج، والاستقراء، والاستدلال، والتنبؤ، واستخدام الأرقام، واستخدام العلاقات المكانية والزمانية، والاتصال، وأربع عمليات علم متكاملة وهي: ضبط المتغيرات، ووضع الفرضيات، والتجريب، والتفسير. إضافة إلى مجموعة من المؤشرات لكل عملية من عمليات العلم الأساسية والمتكاملة. كما يتضح في الملحق (١)).

◄ ثالثاً– النتائج المتعلقة بالإجابة عن سؤال الدراسة الثالث ومناقشتها:

نص السؤال الثالث: « **ما عمليات العلم الأساسية المتضمنة في دليل الأنشطة والتجارب العملية لكل كتاب من كتب العلوم للمرحلة الأساسية في الأردن؟**» للإجابة عن هذا السؤال اُستخدمت أداة الدراسة، وهي استمارة تحليل المحتوى لتحديد عمليات العلم الأساسية المتضمنة في دليل الأنشطة والتجارب العملية لكتب العلوم لكل صف دراسي على حدة، وحُسبت تكراراتها ونسبها المئوية، والجدول (٤) يبين التكرارات والنسب المئوية لكل عملية من عمليات العلم الأساسية المتضمنة بدليل العلوم للأنشطة للمرحلة الأساسية لكل صف دراسي.

الجدول (٤)

عمليات العلم الأساسية المتضمنة في دليل الأنشطة والتجارب العملية لكتب العلوم للمرحلة الأساسية (للصفوف الرابع- الثامن)

عملية العلم	رابع		خامس		سادس		سابع		ثامن	
	تكرار	النسبة٪	تكرار	النسبة٪	تكرار	النسبة٪	تكرار	النسبة٪	تكرار	النسبة٪
الملاحظة	١٣	٣٤,٢١	١١	٤٢,٣٢	١٥	٤١,٦٦	١٠	٢٧,٠٢	٨	٢٥
القياس	٢	٥,٢٧	٠	٠	١	٢,٧٨	٣	٨,١١	٦	١٨,٧٥
التصنيف	٣	٧,٨٩	٢	٧,٧٠	١	٢,٧٨	٦	١٦,٢١	٢	٦,٢٥
الاستنتاج	٩	٢٣,٦٩	١٠	٣٨,٤٦	٨	٢٢,٢٣	٩	٢٤,٣٢	٩	٢٨,١٣

عملية العلم	رابع		خامس		سادس		سابع		ثامن	
	تكرار	النسبة٪	تكرار	النسبة٪	تكرار	النسبة٪	تكرار	النسبة٪	تكرار	النسبة٪
الاستقراء	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠
الاستدلال	٥	١٣,١٦	١	٣,٨٤	٠	٠	٢	٥,٤١	٣	٩,٣٨
التنبؤ	٤	١٠,٥٢	١	٣,٨٤	٠	٠	٢	٥,٤١	٢	٦,٢٥
استخدام الأرقام	٠	٠	١	٣,٨٤	١١	٣٠,٥٥	٠	٠	١	٣,١٢
العلاقات المكانية والزمانية	١	٢,٦٣	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠
الاتصال	١	٢,٦٣	٠	٠	٠	٠	٥	١٣,٥٢	١	٣,١٢
المجموع	٣٨	١٠٠	٢٦	١٠٠	٣٦	١٠٠	٣٧	١٠٠	٣٢	١٠٠

* يحتوي النشاط او التجربة على أكثر من عملية من عمليات العلم الأساسية

يتبين من الجدول (٤) ان أكثر عمليات العلم الأساسية تضميناً في الأنشطة والتجارب العلمية لدليل الأنشطة والتجارب العملية لكتب العلوم للصفوف الرابع، والخامس، والسابع هي عملية الملاحظة بنسبة بلغت على التوالي (٣٤,٢١٪، ٤٢,٣٢٪،٤١,٦٦٪،٢٧,٠٢٪) ، وجاءت في المرتبة الأولى، بينما دليل أنشطة وتجارب العلوم للصف الثامن اختلف عما سبق من الأدلة حيث جاءت عملية الاستنتاج أولاً، بنسبة بلغت (٢٥٪) ، كذلك يتبين من الجدول (٤) ان أكثر عمليات العلم الأساسية تضميناً في الأنشطة والتجارب العلمية لدليل الأنشطة والتجارب العملية لكتب العلوم للصف الرابع هي عملية الملاحظة بنسبة بلغت (٣٤,٢١٪) ، وجاءت في المرتبة الأولى، وفي المرتبة الأخيرة عملية استخدام العلاقات المكانية والزمانية وعملية الاتصال بنشاط واحد في دليل الأنشطة والتجارب العملية لكتب العلوم للصف الرابع، بنسبة بلغت (٢,٦٣٪) لكل منهما، وفي دليل الصف الخامس أقلها تكراراً ثلاث عمليات هي: عملية الاستدلال وعملية التنبؤ وعملية استخدام الأرقام، وبنسبة بلغت (٣,٨٤٪) لكل منها، وفي دليل الصف السادس عمليتا القياس والتصنيف وبنسبة بلغت (٢,٧٨٪) لكل منهما، وفي دليل الصف السابع عمليتا الاستدلال والتنبؤ، وبنسبة بلغت (٥,٤١٪) لكل منهما، وفي دليل الصف الثامن عمليتا استخدام الأرقام والاتصال (٣,١٢٪) لكل منهما، وربما يعزو الباحث السبب إلى أن عملية الملاحظة تعد أول عمليات العلم الأساسية وأبسطها، ومن خلالها تحدد الأشياء والظواهر باستخدام الحواس وتستخدم لتمييز الأشياء في الطبيعة. بينما جاءت عمليتا الاستدلال والتنبؤ بنسب منخفضة في دليل الصفين الرابع والسادس نتيجة تشابه المواضيع في كتاب العلوم لكل منهما، والتي تركز على جسم الإنسان والتغذية، إضافة إلى مواضيع أخرى، ربما رأى مؤلفو الأدلة عدم الحاجة لمثل هذه العمليات الأساسية.

يتبين أيضاً من الجدول (٤) أن عمليتيْ الاستقراء، واستخدام العلاقات المكانية والزمانية لم تُضمنا في أي نشاط من الأنشطة الواردة في دليل العلوم للأنشطة والتجارب العلمية للصفوف الخامس، السادس، السابع، الثامن، كما أن عمليتيْ استخدام الأرقام و الاستقراء لم تُضمنا في دليل العلوم للأنشطة والتجارب العلمية للصف الرابع، ويعزو الباحث ذلك إلى أن عمليتي استخدام الأرقام والاستقراء تحتاجان إلى مستويات تفكير عليا، لهذا اكتفى مؤلفو الدليل بالتركيز على العمليات الأخرى. كذلك يعزو الباحث إلى طبيعة منهاج العلوم المتنوع في محتواه العلمي، وربما يكن السبب إغفال مؤلفي هذا الدليل التركيز على هذه العمليات بدليل العلوم للأنشطة والتجارب العلمية، وترك ذلك إلى تقدير معلمي العلوم بتناول هذه العمليات من خلال الأنشطة في كتاب الطالب، وحسب المستوى التعليمي للطلبة.

ويتبين من الجدول (٤) ان الأنشطة والتجارب العلمية في دليل الصف السابع لم تحتوِ على عملية استخدام الأرقام، وفي حين خلا دليل أنشطة الصفوف الخامس، والسادس من عملية الاتصال، ودليل الخامس من عملية القياس، وخلا دليل أنشطة الصف السادس من عملية التنبؤ. ويعزو الباحث ذلك إلى ضعف اهتمام مؤلفي الدليل بعمليات العلم الأساسية السابقة، او ربما عدم وجود حاجة لمثل هذه العمليات في تفسير المادة النظرية العلمية الموجودة في كتاب الطالب.واتفقت نتائج هذا السؤال مع دراسة عبدالهادي (٢٠٠٣) ، ودراسة أبي جحجوح (٢٠٠٨) التي أظهرت أن عملية الملاحظة أكثر عمليات العلم نسبة. واختلفت نتائج هذا السؤال مع دراسة الشعيلي، وخطايبة (٢٠٠٣) التي أظهرت أن عملية الاستقراء الأكثر نسبة، ودراسة عبدالهادي (٢٠٠٣) التي أسفرت عن أن محتوى كراسة التدريبات والأنشطة العلمية الخاصة بالصف الرابع، تضمن عملية الاستنتاج بنسبة (٣٤٪) أعلى من سائر عمليات العلم.

◄ رابعاً– النتائج المتعلقة بالإجابة عن سؤال الدراسة الرابع ومناقشتها:

نص السؤال الرابع: «**ما عمليات العلم المتكاملة المتضمنة في دليل الأنشطة والتجارب العملية لكل كتاب من كتب العلوم للمرحلة الأساسية في الأردن؟**» للإجابة عن هذا السؤال اُستخدمت أداة الدراسة، وهي استمارة تحليل المحتوى لتحديد عمليات العلم المتكاملة المتضمنة في دليل الأنشطة والتجارب العملية لكتب العلوم لكل صف دراسي على حدة، وحُسبت تكراراتها ونسبها المئوية، والجدول (٥) يبين التكرارات والنسب المئوية لكل عملية من عمليات العلم المتكاملة المتضمنة بدليل العلوم للأنشطة للمرحلة الأساسية لكل صف دراسي .

الجدول (٥)

عمليات العلم المتكاملة المتضمنة في دليل الأنشطة والتجارب العملية
لكتب العلوم للمرحلة الأساسية (للصفوف الرابع - الثامن)

عملية العلم	رابع		خامس		سادس		سابع		ثامن	
	تكرار	النسبة٪	تكرار	النسبة٪	تكرار	النسبة٪	تكرار	النسبة٪	تكرار	النسبة٪
ضبط المتغيرات	١	١١,١٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠
وضع الفرضيات	٠	٠	٠	٠	١	١٠	٠	٠	٠	٠
التجريب	٤	٤٤,٤٥	٣	٤٢,٨٦	٥	٥٠	١	١٤,٢٩	١	٢٠
تفسير	٤	٤٤,٤٥	٤	٥٧,١٤	٤	٤٠	٦	٨٥,٧١	٤	٨٠
المجموع	٩	١٠٠	٧	١٠٠	١٠	١٠٠	٧	١٠٠	٥	١٠٠

* يحتوي النشاط او التجربة على أكثر من عملية من عمليات العلم الأساسية

يتبين من الجدول (٥) أن أكثر عمليات العلم المتكاملة تكراراً في أدلة العلوم للأنشطة والتجارب العلمية للصفوف الرابع، والخامس، والسابع، والثامن هي عملية التفسير، وبنسبة بلغت على التوالي لكل منها (٤٤,٤٥٪،٥٧,١٤٪، ٨٥,٧١٪،٨٠٪) ، وكذلك عملية التجريب بالنسبة لأدلة أنشطة الصف الرابع، والسادس وبنسبة (٤٤,٤٥٪،٥٠٪) لكل منها، وأقلها تكراراً هي عملية التجريب في أدلة العلوم للأنشطة والتجارب العلمية للصفوف الخامس، والسابع، والثامن وبنسب متفاوتة على التوالي (٤٢,٨٦٪،١٤,٢٩٪،٢٠٪) ، بينما ظهرت عملية ضبط المتغيرات في دليل أنشطة الرابع في نشاط واحد، وبنسبة بلغت (١١,١٪) ، وفي دليل أنشطة الصف السادس وردت عملية وضع الفرضيات في نشاط واحد، بنسبة بلغت (١٠٪) ، بينما خلت أدلة العلوم للأنشطة والتجارب العلمية للصفوف الخامس، والسادس، والسابع، والثامن من عملية ضبط المتغيرات، كذلك خلت أدلة العلوم للأنشطة والتجارب العلمية للصفوف الرابع، والخامس، والسابع، والثامن من عملية وضع الفرضيات، ويعزو الباحث ذلك إلى التركيز على عمليتي التجريب والتفسير كثيراً، نظراً لطبيعة المرحلة العمرية التي تتطلب مثل هذه العمليات، وأن كثيراً من الظواهر العلمية الواردة في منهاج العلوم تحتاج إلى تفسير وتجريب وقريب لأذهان الطلبة، إما فيما يتعلق بإهمال عمليتي ضبط المتغيرات ووضع الفرضيات في الأدلة، فيرجع إلى عدم وجود آلية محددة لوضع هذه الأنشطة بشكل متناسق حتى تغطي جميع عمليات العلم، وكذلك إغفال مؤلفي الدليل على تضمين عمليات العلم المتكاملة ضمن الأنشطة والتجارب العلمية بشكل متوازن في هذه الصفوف بالرغم من حاجة الطلبة لهذه العمليات في هذه المرحلة العمرية، وأيضاً ربما يكون السبب أن هناك أنشطة وتجارب علمية في كتاب الطالب قد تتضمن عمليتي ضبط

المتغيرات، وضع الفرضيات.واتفقت نتائج هذا السؤال مع دراسة أبي جحجوح (٢٠٠٨) التي أظهرت أن عملية تفسير البيانات الأكثر نسبة من عمليات العلم المتكاملة.

◄ خامساً– النتائج المتعلقة بالإجابة عن سؤال الدراسة الخامس ومناقشتها:

نص السؤال الخامس: « **ما مدى تضمين عمليات العلم في دليل الأنشطة والتجارب العملية لكتب العلوم (مجتمعه) للمرحلة الأساسية في الأردن؟** »
للإجابة عن هذا السؤال اُستخدمت أداة الدراسة، وهي استمارة تحليل المحتوى لتحديد عمليات العلم (مجتمعه) والمتضمنة في دليل الأنشطة والتجارب العملية لكتب العلوم للمرحلة الأساسية، وحُسبت تكراراتها ونسبها المئوية والرتبة، والجدولان (٦) و (٧) يبينا التكرارات والنسب المئوية لكل عملية من عمليات العلم المتضمنة بدليل العلوم للأنشطة للمرحلة الأساسية (للصفوف الرابع– الثامن) .

الجدول (٦)

التكرارات والنسب المئوية لعمليات العلم الأساسية المتضمنة بدليل الأنشطة والتجارب العملية لكتب العلوم للمرحلة الأساسية (للصفوف الرابع- الثامن)

عملية العلم المتضمنة	التكرار*					المجموع	النسبة المئوية٪	الرتبة
	رابع	خامس	سادس	سابع	ثامن			
الملاحظة	١٣	١١	١٥	١٠	٨	٥٧	٣٣,٩٣	١
القياس	٢	٠	١	٣	٦	١٢	٧,١٤	٤
التصنيف	٣	٢	١	٦	٢	١٣	٧,٧٤	٣
الاستنتاج	٩	١٠	٨	٩	٩	٤٥	٢٦,٧٩	٢
الاستقراء	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٩
الاستدلال	٥	١	٠	٢	٣	١١	٦,٥٥	٥
التنبؤ	٤	١	٠	٢	٢	٩	٥,٣٦	٦
استخدام الأرقام	٠	١	١١	٠	١	١٣	٧,٧٤	٣
استخدام العلاقات المكانية والزمانية	١	٠	٠	٠	٠	١	٠,٥٩	٨
الاتصال	١	٠	٠	٥	١	٧	٤,١٦	٧
المجموع						١٦٨	١٠٠	

* يحتوي النشاط او التجربة على أكثر من عملية من عمليات العلم الأساسية

يتبين من الجدول (٦) أن أكثر عمليات العلم الأساسية تكراراً هي عملية الملاحظة بنسبة (٣٣,٩٣٪) وجاءت في المرتبة الأولى، وفي المرتبة الثانية عملية الاستنتاج جاءت في (٤٥) نشاطاً وتجربة بنسبة (٢٦,٧٩٪) ، أما في المرتبة الثالثة فعملية التصنيف وعملية

استخدام الأرقام، وجاءت في (١٣) نشاطاً وتجربة بنسبة (٧,٧٤٪) لكل منهما، بينما المرتبة الرابعة عملية القياس بنسبة (٧,١٤٪) في (١٢) نشاطاً وتجربة، وفي المرتبة الخامسة عملية الاستدلال جاءت في (١١) نشاطاً وتجربة بنسبة (٦,٥٥٪) ، والمرتبة السادسة عملية التنبؤ بنسبة (٥,٣٦٪) في (٩) أنشطة وتجربة، والمرتبة السابعة عملية الاتصال جاءت في (٧) أنشطة وتجربة بنسبة (٤,١٦٪) ، وعملية استخدام العلاقات المكانية والزمانية حصلت على المرتبة الأخيرة حيث وردت في نشاط واحد، وبنسبة (٠,٥٩٪) ، ولم تتناول الأنشطة والتجارب العملية عملية الاستقراء، وربما يعزو الباحث السبب في ذلك إلى عدم التركيز على عملية الاستقراء والاكتفاء بعمليات العلم الأساسية الأخرى، وإلى الكم الهائل من المعرفة الذي لا يسمح بتناول جميع عمليات العلم الأساسية بالقدر نفسه، نتيجة لضيق الوقت المتاح لتنفيذها في الحصص الصفية، كذلك يمكن أن تكون هناك أنشطة وتجارب عملية مخبرية في كتب العلوم تتضمن هذه العملية، وبالنسبة لعملية الملاحظة فهي تعد أساس عمليات العلم جميعاً، ويُركز عليها في الصفوف كافة. واتفقت بعض نتائج هذا السؤال مع دراسة عبدالفتاح (١٩٩٩) ، ودراسة عبدالهادي (٢٠٠٣) ، ودراسة أبي جحجوح (٢٠٠٨) التي أظهرت تضمن عملية الملاحظة أكثر من باقي عمليات العلم. واختلفت نتائج هذا السؤال مع دراسة الشعيلي، وخطايبة (٢٠٠٣) التي أظهرت أن عملية الاستقراء الأكثر نسبة في كتاب العلوم للصف الرابع الأساسي.

الجدول (٧)

التكرارات والنسب المئوية لعمليات العلم المتكاملة بدليل الأنشطة والتجارب العملية لكتب العلوم للمرحلة الأساسية (للصفوف الرابع- الثامن)

عملية العلم المتضمنة	عدد الأنشطة العلمية (تكرار)*					المجموع	النسبة المئوية٪	الرتبة
	رابع	خامس	سادس	سابع	ثامن			
ضبط المتغيرات	١	٠	٠	٠	٠	١	٢,٦٣	٣
وضع الفرضيات	٠	٠	١	٠	٠	١	٢,٦٣	٣
التجريب	٤	٣	٥	١	١	١٤	٣٦,٨٥	٢
تفسير	٤	٤	٤	٦	٤	٢٢	٥٧,٨٩	١
المجموع	٩	٧	١٠	٧	٥	٣٨	١٠٠	

* يحتوي النشاط او التجربة على أكثر من عملية من عمليات العلم المتكاملة

يتبين من الجدول (٧) أن أكثر عمليات العلم المتكاملة تكراراً هي عملية التفسير حيث تناولها (٢٢) نشاطاً وتجربة عملية، وبنسبة (٥٧,٨٩٪) ، وبالمرتبة الثانية عملية التجريب في (١٤) نشاطاً وبنسبة (٣٦,٨٥٪) ، وأقلها تكراراً هي عمليتا ضبط المتغيرات ووضع الفرضيات، حيث جاءت في المرتبة الثالثة والأخيرة، وفي نشاط واحد وبنسبة (٢,٦٣٪) لكل منهما، وربما يعزو الباحث السبب إلى التركيز على تنمية المهارات والخبرات الحسية والتعامل مع الأجهزة والأدوات المخبرية دون العمل على اختبار الفرضيات وإنما تفسير النتائج، وقصور هذه الأدلة، وبخاصة دليل الصف الثامن عن تناول عملية ضبط المتغيرات، بالرغم من حاجة الطلبة لتنمية هذه العملية لديهم في هذه المرحلة العمرية .واتفقت نتائج هذا السؤال مع دراسة أبي جحجوح (٢٠٠٨) التي أظهرت أن عملية تفسير البيانات الأكثر نسبة من عمليات العلم المتكاملة التي وردت في كتب العلوم .

التوصيات:

١. تضمين عمليات العلم المتكاملة: ضبط المتغيرات ووضع الفرضيات في دليل المعلم للأنشطة والتجارب العلمية لكتاب العلوم للصف الثامن.

٢. تضمين عمليات العلم الأساسية: الاستقراء، واستخدام العلاقات المكانية والزمانية في دليل المعلم للأنشطة والتجارب العلمية لكتاب العلوم للصفوف: الخامس، والسادس، والسابع، والثامن.

٣. إعادة النظر في صياغة دليل المعلم للأنشطة والتجارب العلمية لكتاب العلوم لكل صف من صفوف المرحلة الأساسية في الأردن، بحيث تتضمن هذه الأدلة عمليات العلم الأساسية والمتكاملة بشكل متوازن، وحسب الفئة العمرية المستهدفة.

٤. تدريب معلمي العلوم على تنمية عمليات العلم عند طلبة المرحلة الأساسية من خلال تنفيذ الأنشطة والتجارب العلمية الواردة في دليل الأنشطة والتجارب العلمية .

٥. اقتراح إجراء دراسة تبين مدى تضمين كتب العلوم للمرحلة الأساسية لعمليات العلم.

المصادر والمراجع:

أولاً- المراجع العربية:

١. أبو غريب، عايدة عباس (١٩٩٥) رؤية مستقبلية لمناهج الدراسات الاجتماعية بالتعليم العام في مصر في ضوء سياسة تطوير المناهج والاتجاهات العالمية المعاصرة، مجلة العلوم التربوية، عدد خاص،٣ (٤) ، جامعة اليرموك، ١٦٧- ٢٠٣.

٢. الاغا، احسان والزعانين، جمال. (٢٠٠٠) ، مدى توافر بعض عناصر التنور العلمي في كتب العلوم للمرحلة الابتدائية، المؤتمر العلمي الرابع للجمعية المصرية للتربية العلمية، التربية العلمية للجميع، ٣١- ٣ اغسطس ٢٠٠٠، (١) ، ١٦٣- ٢٠١.

٣. حطاب، خولة وآخرون. (٢٠٠٨) . دليل المعلم للأنشطة والتجارب العملية العلوم العامة للصفوف السابع والثامن، ط١، وزارة التربية والتعليم، إدارة المناهج والكتب المدرسية، عمان: مطبعة الصفدي.

٤. حميدة، امام مختار. (٢٠٠٠) .أسس بناء وتنظيمات المناهج (الواقع والمأمول) ، ط٣، القاهرة: دار زهراء الشرق.

٥. الدردور، عامر. (٢٠٠١) . أثر استخدام الخرائط المفاهيمية في تنمية التفكير الناقد لدى طلبة الصف السادس الأساسي. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، إربد.

٦. الدمرداش، صبري. (٢٠٠١) . المناهج حاضراً ومستقبلاً، الكويت: مكتبة المنار الإسلامية.

٧. دمعه، مجيد إبراهيم ومرسي، محمد منير. (١٩٨٢) . الكتاب ومدى ملاءمته لعمليتي التعلم والتعليم في المرحلة الابتدائية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، وحدة البحوث التربوية، تونس.

٨. الروسان، سليم سلامه. (١٩٩٠) . تخطيط المنهج وتطويره، عمان: كلية الزرقاء الحكومية.

٩. زيتون، عايش محمود (٢٠٠١) . أساليب تدريس العلوم، ط٤، عمّان: دار الشروق للنشر والتوزيع.

١٠. زيتون، عايش محمود، (١٩٩٤) . أساليب تدريس العلوم، ط١، عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع.

١١. زيتون، كمال عبد الحميد (٢٠٠٤) . تدريس العلوم للفهم رؤية بنائية، ط٢، القاهرة: عالم الكتب.

١٢. السليمان، سليمان. (١٩٩٦) . دراسة تحليلية للأسئلة والتمارين المتضمنة في كتب التاريخ بالمرحلة المتوسطة (بنين) ، مركز البحوث التربوية، المملكة العربية السعودية، جامعة الملك سعود، كلية التربية.

١٣. الشعيلي، علي وخطايبة، عبد الله (٢٠٠٣) . عمليات العلم الأساسية المتضمنة في الأنشطة العلمية لكتب العلوم للصفوف الأربعة الأولى من مرحلة التعليم الأساسي في سلطنة عُمان، مجلة العلوم التربوية والنفسية، ٤ (١) ، جامعة البحرين، ١٥٦- ١٩٥.

١٤. طعيمة، رشدي (١٩٨٥) . تحليل المحتوى في العلوم الإنسانية، القاهرة: مكتبة الأنجلو.

١٥. عبد الغني، زينب احمد. (١٩٩٦) . تقويم كتاب الرياضيات المدرسي للمرحلة المتوسطة للبنات بالمملكة العربية السعودية في ضوء آراء الموجهات والمعلمات. مجلة كلية التربية، ١٢.

١٦. عبدالفتاح، هدى. (١٩٩٩) . دراسة تحليلية للأنشطة العلمية والأسئلة المتضمنة في كتاب العلوم للصف الثاني الإعدادي في ضوء عمليات العلم، المؤتمر العلمي الثالث للجمعية المصرية للتربية العلمية، مناهج العلوم للقرن الحادي والعشرون رؤية مستقبلية، ٢٥- ٢٨ يوليو ١٩٩٩، (١) ، ٢٤٧- ٢٨٢.

١٧. عبدالمجيد، ممدوح. (٢٠٠٤) . مدى تناول محتوى منهج العلوم بالمرحلة الاعدادية لابعاد طبيعة العلم وعملياته وفهم الطلاب لها، مجلة التربية العلمية، ٧ (٣) ، ١٠٣- ١٤٤.

١٨. عبدالهادي، جمال الدين. (٢٠٠٣) .تقويم كراسة التدريبات والأنشطة لمناهج العلوم بالمرحلة الابتدائية في ضوء أساليب الاتصال البصرية وعمليات العلم الأساسية، مجلة التربية العلمية،٦ (٢) ، ١- ٢٧.

١٩. علي، محمد. (٢٠٠٢) . التربية العلمية وتدريس العلوم، ط١، القاهرة: دار الفكر العربي.

٢٠. فراج، محسن (٢٠٠٠) .مدى تضمين محتوى منهج العلوم بالمرحلة المتوسطة بالمملكة العربية السعودية لابعاد العلم وعملياته وفهم التلاميذ لها، مجلة التربية العلمية، ٣ (٢) ، ١- ٤١.

٢١. القواقنة، فاطمة وآخرون. (٢٠٠٨) .دليل المعلم للأنشطة والتجارب العملية العلوم العامة للصفوف الرابع والخامس والسادس، ط١، وزارة التربية والتعليم، إدارة المناهج والكتب المدرسية، عمان: المركز الحرفي الأردني للطباعة الفنية.

٢٢. النجدي، احمد وراشد، علي وعبدالهادي، منى (١٩٩٩) .المدخل في تدريس العلوم، القاهرة: دار الفكر العربي.

٢٣. نور الدين، وداد عبدالسميع. (٢٠٠٣) . التصورات المستقبلية لموجهات ومعلمات العلوم حول اهمية توافر المكونات الأساسية في مرشد معلمة العلوم في المرحلة الابتدائية، مجلة العلوم التربوية والنفسية، ٤ (١) ، جامعة البحرين، ١٩٩- ٢٢٨.

٢٤. الهويدي، زيد. (٢٠٠٥) . أساليب تدريس العلوم في المرحلة الأساسية، ط١، العين: دار الكتاب الجامعي.

٢٥. الوكيل، حلمي. (٢٠٠٠) . تطوير المناهج: أسبابه، أسسه، أساليبه، خطواته، معوقاته، القاهرة: دار الفكر العربي.

٢٦. يحيى أبو جحجوح. (٢٠٠٨) . مدى توافر عمليات العلم في كتب العلوم لمرحلة التعليم الأساسي بفلسطين، مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية) ، ٢٢ (٥) ، جامعة النجاح، ١٣٨٥- ١٤٢٠.

٢٧. يحيى أبو جحجوح. (٢٠١١) . عمليات العلم ومهارات التفكير المستنبطة من القرآن الكريم وتطبيقاتها في تدريس العلوم ، مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإنسانية) ١٩ (١) ، الجامعة الإسلامية، ٢٧٧- ٣٢٥.

ثانياً- المراجع الأجنبية:

1. *Brotherton, P. N. and Prese, P. F. W. (1996) . Teaching Science Process Skills. Int. Journal of Science Education, 18 (1) : 65 – 74.*
2. *Hurberty, C., & Davis, E. (1998) . Evolution of a state critical thinking skills training program. Studies in Educational Evaluation, 24 (1) , 45-69.*
3. *Tobin, K.G., & Capie, W. (1982) . Relationships between formal reasoning ability, locus of control, academic engagement and integrated process skill achievement. Journal of Research in Science Teaching. 19 (2) , 113–121.*
4. *Ulerick, S. L. (2000) . Using textbooks for meaningful learning in science (Research Matters to the Science Teacher) . National Association for Research in Science Teaching (NARST) . Retrieved April 30, 2010 from Web site: http:// www.narst.org/ research/ textbooks2.htm.*
5. *Vhurumuku E. & Holtman, L., Mikalsen, O., Kolsto, S. (2006) . "An investigation of Zimbabwe high school chemistry students' laboratory work- based images of the nature of science". Journal of Research in Science Teaching. (43) 2. 127- 149.*
6. *Wilson, J. (1999) . Using Words About Thinking: Content Analyses of Chemistry Teachers' Classroom Talk, International Journal of Science Education, 21 (10) : 1067- 1084.*

بسم الله الرحمن الرحيم

ملحق رقم (١) ... استمارة تحليل

استمارة تحليل محتويات دليل المعلم للأنشطة والتجارب العملية العلوم العامة للصفوف (الرابع –الثامن) في ضوء عمليات العلم الأساسية والمتكاملة

استمارة تحليل في ضوء عمليات العلم الأساسية:

عملية العلم	فئات التحليل	الصف:									
		الوحدات الدراسية									
		١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	مجموع
الملاحظة	• تحديد الأشياء والظواهر باستخدام الحواس • تمييز الخصائص الطبيعية للأشياء والأحداث بالملاحظة المباشرة • تسجيل الصفات المناسبة وغير المناسبة للأشياء والأحداث بالملاحظة المباشرة، وصف التغيرات الحادثة في الأشياء او الظواهر في عبارات محددة بناءً على الملاحظة المباشرة.										
القياس	• اختيار الأدوات المناسبة للقياس • استعمال أدوات القياس بشكلٍ صحيح • التعبير كمياً عن الخاصية المقاسة • المقارنة بين خاصيتين أو أكثر باستخدام أداة قياس مقننة.										
التصنيف	• ترتيب المواد تبعاً لصفة معينة متدرجة • تحديد معيار التصنيف • مقارنة الأشياء والمواد تبعاً لأوجه الشبه والاختلاف فيما بينها • وضع الأشياء في مجموعات على أساس خصائص مشتركة.										
الاستنتاج	• الانتقال من العام إلى الخاص • الانتقال من الكليات إلى الجزئيات										
الاستقراء	• الانتقال من الخاص إلى العام • الانتقال من الجزئيات (أمثلة) إلى العموميات										
الاستدلال	• التوصل إلى تعميم من معلومات فرعية • استخلاص معلومة أو معلومات فرعية جديدة من تعميم معروف • الربط بين ملاحظة أو معلومة متوافرة عن ظاهرة بمعلومة سابقة • التوصل إلى معلومة فرعية جديدة من معلومة سابقة.										

عملية العلم	فئات التحليل	الصف:									
		الوحدات الدراسية									
		١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	مجموع
التنبؤ	• توقع حدوث ظاهرة معينة في ضوء المعلومات المتوافرة • الربط بين الملاحظات والتنبؤات لحدوث ظاهرة معينة • التحقق من صحة حدوث التنبؤ.										
استخدام الأرقام	• التعبير الكمي عن خصائص الظاهرة موضوع القياس • إجراء العمليات الحسابية لمعالجة البيانات • استخدام الرموز الرياضية والعلاقات العددية بين المفاهيم العلمية المختلفة • تحديد وحدات القياس باستخدام الأرقام										
استخدام العلاقات المكانية والزمانية	• استخدام العلاقات الرياضية والقوانين المعبرة عن العلاقات المكانية او الزمانية.										
الاتصال	• وصف الأشياء أو الظواهر بدقة علمية • ترجمة المعلومات المتوافرة في صورة شفهية أو كتبية • عرض النتائج في جداول أو رسومات • إعداد التقارير عن الأنشطة العلمية										
استمارة تحليل في ضوء عمليات العلم المتكاملة:											
تفسير البيانات	• تفسير البيانات التي تم الحصول عليها بطريقة غير مباشرة • التمييز بين العلاقات الخطية وغير الخطية التي تحتويها بيانات في جدول • تعليل سبب قائم على الأدلة المقنعة • الربط بين السبب والنتيجة لظاهرة										
ضبط المتغيرات	• تحديد العوامل المستقلة والتابعة • الربط بين المتغير المستقل وأثره في المتغير التابع • ضبط المتغيرات التي ليست جزءاً من الفرض المراد اختباره • إبعاد أثر العوامل الأخرى										
التجريب	• تصميم تجربة للتعرف إلى أثر عامل في عامل متغير أو أكثر • القيام بتجربة وفق خطوات منظمة • الاختبار العملي لصحة الفروض										

عملية العلم	فئات التحليل	الصف:									
		الوحدات الدراسية									
		١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	مجموع
وضع الفرضيات	• صياغة فرض من ملاحظات • صياغة فروض قابلة للاختبار • استبعاد الفروض التي ليس لها صلة بحل المشكلة.										

قراءة في شعر توبة بن الحُميِّر الخفاجي بالمنهج البنيوي المعاصر القصيدة الثالثة من ديوانه نموذجاً

د. بهية فهد هوّاري*

* أستاذ مساعد/ تخصص اللغة العربية وآدابها/ برنامج التربية/ فرع رام الله والبيرة/ جامعة القدس المفتوحة.

ملخص:

انصب اهتمام الباحثين والنقّاد على شعراء الحب العذريّ – في العصر الأموي –، ولاقى أدبهم رواجاً كبيراً، فدرسوه بعناية وعمق، باستثناء شاعر منهم، لم يُنصفه الدارسون، إنّه (توبة بن الحُميِّر الخفاجي، صاحب ليلى الأخيليّة) الذي عاش تجربة عاطفية، باءت بالفشل.

ولما كان مُسلّماً به أن التجربة العاطفية من مقومات الإنسان السوي، وبعد العودة لشعر توبة في ديوانه المطبوع، استهدفت هذه الدراسة شعره بصورة علمية موضوعية. فاتخذت القصيدة الثالثة من الديوان نموذجاً لاستنطاقه وفقاً لمقولة القراءة الإبداعيّة، وقمت بتحليل لهذه القصيدة في محاولة لتطبيق معطيات الاتجاه النقدي المنبثق عن النظرية البنائية [١] واللسانية المعاصرة، لأنها في اعتقاد بعض الباحثين، هي المنهج الأفضل الذي يوصل إلى الكشف عن الغاية والهدف المرجو. إنها دراسة في جوهر الشعر، تبدأ من الظاهر لتدخل إلى الباطن، فكلّ مَنْ يُعيد تحليل المادة المدروسة بهذا المنهج نفسه، سيصل إلى النتيجة نفسها أو ما يقاربها.

وقد درست شعر توبة من خلال خمسة مستويات هي: مستوى الوزن والإيقاع (المستوى الصوتي) ، والمستوى الصرفي، والمستوى المعجمي (اللفظي/ الدلالي) ، والمستوى التركيبي (النحوي) ، والمستوى البلاغي (البياني) . مستعينة بعدد من الجداول الإحصائية، للتوصل إلى النتائج الموضوعية الدقيقة.

Abstract:

The researchers and critics focused their attention on Platonic love poets in the Umayyad Age. These poets' literature gained so much popularity that it was studied thoroughly and carefully. However, one of those poets was not dealt with fairly. This poet is Tawbah Ben Al Humayyer Al-Khafaje, Laila Al-Akhyaliyyah's lover, who underwent a failure love affair.

As it is universally acknowledged that a romantic emotional experience characterizes the normal human being, this study attempts to investigate this poet's literature in a profound scientific and objective way.

I selected the third poem of his Diwan as a model and made a comprehensive analysis of it in an attempt to apply the critical trend within the contemporary structural and linguistic theory, as most researchers maintain that this is the best method to reveal the truth. It is a study in the essence of poetry starting from the outside and moving to the inside.

Therefore, it is a reliable approach in the sense that each researcher who repeats analysis of the same material will come up with the same or nearly the same conclusion. I followed five levels in studying Tawba's Diwan: phonetic, morphological, lexical, structural, and rhetorical level. I used some statistical tables to get precise results.

هدف البحث:

تستهدف هذه الدراسة، إلقاء الضوء على أسلوب توبة وخصائصه الفنية، والعناصر التي يرتكز عليها منهجه الشعري فتجعله يتمايز عن غيره من الشعراء العذريين الذين عاصروه. وهذا يقتضي معالجة لشعره لا يمكن إدراكها إلاّ بالتحليل الذي يعتمد على التفكيك والربط، لاكتشاف العلاقات بين مظهر وآخر من مظاهر العمل الأدبي، أي اكتشاف بنائه، للوصول إلى النتائج المرجوة.

اخترت ديوان توبة لدراسة شعره، لاشتهار هذا الديوان بين علماء المشرق والمغرب قديماً (٢) وحديثاً (٣) ، واتضح لي من خلال ذلك ضياع كثير من شعره، واختلاطه بشعر غيره. والديوان على صغره حجماً، قد استوفى موضوعه (٤) .

واخترت القصيدة الثالثة من هذا الديوان للدراسة، لأنها – في اعتقادي – أنسب قصيدة من بين قصائد الديوان ومقطّعاته، من حيث عدد الأبيات، وفي تمثيلها معظم خصائص شعره الفنية، فاتخذتها نموذجاً للقراءة الإبداعية التي تصيّر النقد إنشاءً، والتشريح بناءً.

وقد أقمت دراستي لشعر توبة على مستويات خمسة هي: مستوى الوزن والإيقاع (المستوى الصوتي) (٥) ، والمستوى الصرفي، والمستوى المعجمي (اللفظي/ الدلالي) ، والمستوى التركيبي (النحوي) ، والمستوى البلاغي (البياني) ، واستعنت بعدد من الجداول الإحصائية، والمخططات الضرورية، للتوصل إلى النتائج الموضوعية الدقيقة.

وستخدم هذه الدراسة – من وجهة نظري– عدداً من مساقات تخصص اللغة العربية التي تُدرّس في جامعة القدس المفتوحة وهي:

١. مناهج النقد الأدبي الحديث.
٢. منهج قراءة النص العربي.
٣. نصوص شعرية (١، ٢، ٣) .
٤. علم البلاغة.

تمهيد:

شُهر توبة الخفاجي بليلى الأخيلية وشهرتْ به، وأحب أحدهما الآخر حتى عُدا من العشاق العذريين (٦) . لذا يعدهما المؤرخون من شعراء العصر الأموي، ففيه برزا

شاعرين عذريين، وشاع خبرهما، وظهرت شاعريتهما، وانتشر شعرهما، وتردد ذكره، لا سيما في مجالس الخلفاء والأمراء.

وقد تميز العصر الأموي بانتشار الغزل العذري ونموه، فقد شاع في بوادي نجد والحجاز، وبخاصة بين بني عذرة، وبني عامر. أحب توبة ليلى حباً ملك عليه لبّه، فكان يعاود زيارتها، ويقول فيها الشعر، وكانت كما يحدثنا المؤرخون «جميلة، طويلة، دعجاء العينيين، حسنة المشية، حسنة الثغر» (٧) . ويبدو أن قومهما كانا متجاورين، يغزوان معاً «فغزوا يوماً فلما رجعوا حانت من توبة التفاتة وقد برزت النساء بالبشر والإسفار للقاء القادمين من الغزو، فرأى توبة ليلى فافتتن بها، وجعل يعاودها فيتحدث إليها إلى أن أخذت قلبه وأطارت لبّه» (٨) .

«فخطبها إلى أبيها فأبى أن يزوجه إياها، وزوجها رجلاً من بني الأدلع» (٩) ، إلاّ أن هذا لم يمنعه من معاودة زيارتها، «فعاتبه أخوها وقومها فلم يُعتب، وشكوه إلى قومه فلم يُقلع، فتظلموا منه إلى السلطان، فأهدر دمه إن أتاهم» (١٠) . وعلمت ليلى بإهدار دمه «وجاءها زوجها، وكان غيوراً، يعزب بها عن الناس، فحلف لئن لم تعلمه بمجيئه ليقتلنّها، ولئن أنذرته بذلك ليقتلنّها» (١١) . «وكان توبة يزورها على خيفة وخفية، فلما اشتدّ التحريج عليه، جعلت بينها وبينه أمارة، فقالت إذا مررتَ فوجدتني مبرقعة فاجلس مطمئناً، فلا حرج حينئذ» (١٢) . «فصادف أن جاء يوماً لزيارتها، فلما علمت به خرجت سافرة حتى جلست في طريقه، فلما رآها سافرة فطن لما أرادت، وعلم أنه قد رُصد، وأنها سفرت لأمر ذي بال، فركض فرسه فنجا» (١٣) . وبلغ بني الأدلع أنه أتاها، فتبعوه، ففاتهم. ولذلك قال بيته:

وكنتُ إذا ما زرتُ ليلى تبرقعتْ　　　فقد رابني منها الغَداةَ سُفورُها (١٤)

ولا تذكر المظان عن أحوال توبة شيئاً بعد اقتران ليلى، ولكن الأرجح أنه تزوج، وأنه لم ينقطع تشبيبه بها. وقد جاء هذا على لسان ليلى، وكان الحجَّاج سألها بقوله: «هل كان بينكما ريبة قط أو خاطبك في ذلك قط؟ فقالت: لا والله أيها الأمير، إلاّ أنه قال لي ليلة – وقد خلونا – قولاً فظننت أنه قد خضع لبعض الأمر (١٥) فقلت له:

وذي حاجةٍ قُلنا له: لا تبُحْ بها　　　فليس إليها ما حَييتَ سبيلُ

لنا صاحبٌ لا ينبغي أن نخونَهُ　　　وأنتَ لأخرى فارغٌ وحليلُ (١٦)

فو الله ما سمعت منه ريبة بعدها حتى فرّق بيننا الموت».

فالشطر الثاني من البيت الثاني، يوضح أمر زواجه.

فقال الحجَّاج: أنشدينا يا ليلى بعض ما قال فيك توبة، قالت نعم أيها الأمير هو الذي يقول [١٧]:

وَلَوْ أنّ ليلى الأخيليّةَ سَلّمتْ — علـيَّ ودوني جَنْدلٌ وصَفائحُ [١٨]
لسلّمتُ تسليمَ البشاشةِ أو زَقا — إليها صدىً من جانبِ القبرِ صائحُ [١٩]
فَهَلْ تبكينْ ليلى لئنْ متُّ قبلَها — وقام على قبري النساءُ الصوائحُ
كما لو أصابَ الموتُ ليلى بكيتُها — وجادَ لها جارٍ من الدمعِ سافحُ

وأنشدته القصيدة كلها.

وتعدُّ قصة مقتل توبة خير مثال للعصبية القبلية، والنزاع الذي كان مستفحلاً بين القبائل – في عصر بني أمية – آنذاك، حتى بين الأرهاط التي بينها نسب، فقتلةُ توبة من بني عوف بن عامر، وهؤلاء وخفاجة من بني عُقيل.

وكان سبب مقتله أنه كان بينه وبين بني عوف بن عامر بن عوف بن عقيل لحاء [٢٠]، وكان يجدد غاراته عليهم، ويطرد إبلهم، فهبّوا لأخذ الثأر والانتقام، فكان لهم ما أرادوا، وقد وافته المنية وهو في ريعان شبابه، كما قالت عنه ليلى من خلال رثائها له:

أتتْهُ المنايا حين تمَّ تمامُهُ — وأقصرَ عنهُ كلُّ قرْنٍ يُطاوِلُهْ
وكان كلَيْثِ الغابِ يحمي عرينَهُ — وترضى بهِ أشبالُهُ وحلائلُهْ [٢١]

القصيدة الثالثة (الحائية)

قال توبة:

(من الطويل)

ألا هلْ فُؤادي عن صبا اليوم صافحُ — وهلْ ما وأَتْ ليلى بهِ لكَ ناجِحُ
وهلْ في غدٍ إنْ كانَ في اليومِ علّةٌ — سَراحٌ لما تَلْوي النُفوسُ الشَحائِحُ
سَقتْني بِشُربِ المُستَضافِ فَصَرَّدَتْ — كما صَرَّدَ اللوحَ النِطافُ الضَّحاضِحُ

* * *

ولو أنَّ ليلى الأخيليةَ سلّمتْ — عَليَّ ودوني جَنْدَلٌ وصَفَائِحُ
لَسلّمتُ تسليمَ البَشاشةِ أوْ زَقا — إليها صدىً منْ جانبِ القَبْرِ صائِحُ
ولو أنَّ ليلى في السماءِ لأَصْعَدتْ — بطَرْفي إلى ليلى العيونُ الكَواشِحُ
ولو أرسَلتْ وَحيْاً إليَّ عَرفْتُهُ — مَعَ الرّيحِ في مَوّارِها المُتَناوِحِ
إذا الناسُ قالوا: كيفَ أنتَ وقد بدا — ضميرُ الذي بي قلتُ: للناسِ صالِحُ
وأُغْبَطُ منْ ليلى بِما لا أنالُهُ — ألا كُلُّ ما قَرّتْ بهِ العينُ صالِحُ

* * *

فـهلْ تبكيَـنْ لـيلى لَـئـنْ متُّ قبلَـهـا وقامَ على قبـري النساءُ الصّوائحُ

كما لو أصـابَ الموتُ ليلى بَكَيتُـها وجـادَ لـها جـارٍ منَ الدّمع سـافحُ

وفِتْيانِ صدْقٍ قد وصلـتُ جَناحَهم علــى ظَهْرِ مُغْبرِّ المَفـاوز نازحُ

بِمائـرَةِ الضَبْعَيْـنِ مَعقودَةِ الـنَّسا جُنُوف، هَواها السَّبْسَبُ المُتطاوحُ

وما ذُكْرَتـي ليلى على نَـأْيِ دارِها بِنـجـرانَ، إلاّ التُرَّهاتُ الصَحاصِحُ

تحليل القصيدة:

هذه القصيدة من الشعر الوجداني الذي يقترب من الإفضاء الرومانسي، لأنها مزيج من مناجاة شاعر محب يستلهم الطبيعة، فمداها التأرجح بين الواقع والخيال.

فكيف السبيل إلى فك روابط هذا النسيج الشعري من لحمته المتحولة؟ تلك هي وظيفة الاستنطاق النصي وفقاً لمقولة القراءة الإبداعية.

حول القراءة الأولى:

أول ما يسترعي الانتباه، عند قراءة النص للوهلة الأولى، تكرار لفظة (ليلى) ، وعلى مساحة النص (ثماني مرات) ، وفي الأبيات (١، ٤، ٦، ٩، ١٠، ١١، ١٤) ، ثم كثرة الأدوات على اختلاف أنواعها، ولهذا نتوقع الانعطافات الرئيسة أو التحولات الداخلية في الأبيات حيث ترد هذه اللفظة، أو تلك الأداة التي تحدد أسلوب الجملة. ويحدث هذا التكرار في مطالع المقاطع أو نهاياتها، وفي الأقسام الداخلية، **مما يسمح بالتقسيم الآتي**:

♦ **المقطع الأول**: الأبيات (١ – ٣) ، ويبدأ بأداة الاستفتاح والتنبيه والاستفهام، وتوارد اللفظ المفتاح (ليلى) ، (ألا هل... البيت ١) .

♦ **المقطع الثاني**: الأبيات (٤ – ٩) ، ويبدأ بأداة الشرط (لو) وباللفظ الملهم (ليلى الأخيلية) الذي يعود ليغلق المقطع مع أداة الاستفتاح والتنبيه (ألا كل ... البيت ٩) .

♦ **المقطع الثالث**: الأبيات (١٠– ١٤) ، ويبدأ بامتزاج أداتي الاستفهام والشرط، وبدفع من اللفظ الموحي (ليلى) ، (فهل ... ليلى لئن ... البيت ١٠) ، وينتهي أيضاً باللفظة نفسها المحركة (ليلى) ، (البيت ١٤) .

أ. المستوى الصرفي:

١. الضمائر:

تعتمد القصيدة صيغة المتكلم (أنا، الشاعر) والغائب (هي، ليلى) ، فهما القطبان اللذان تتحرك بينهما القصيدة.

يكشف تكرار ضميري المتكلم والغائب عن وضعية الانفصال ما بين الشاعر/ وهي؛ بسبب البعد المكاني (البيت ١٤) وسواه.

يدور الكلام بجملته على لسان المتكلم، فقد تكررت ضمائر المتكلم المتعلقة بالشاعر (١٧ مرة) وعلى النحو الآتي:

- المقطع الأول: (١– ٣) ، تكرر ضمير المتكلم مرتين.
- المقطع الثاني: (٤– ٩) ، تكرر ضمير المتكلم عشر مرات.
- المقطع الثالث: (١٠– ١٤) ، تكرر ضمير المتكلم خمس مرات.

وتكررت ضمائر الغائب المتعلقة بليلى (١٠ مرات) ، كما يأتي:

- المقطع الأول: (١– ٣) ، تكرر ضمير الغائب مرتين.
- المقطع الثاني: (٤– ٩) ، تكرر ضمير الغائب ثلاث مرات.
- المقطع الثالث: (١٠– ١٤) ، تكرر ضمير الغائب خمس مرات.

(جدول الضمائر)

المقطع	ضمير المتكلم	الغائب
١	٢	٢
٢	١٠	٣
٣	٥	٥

ونلاحظ التساوق العددي لضميري المتكلم والغائب في المقطع الأول، إذ تكرر كل من الضميرين مرتين، وفي المقطع الثالث تكرر كل من الضميرين خمس مرات. ولهذا دلالته النفسية، وشعور المتكلم (الشاعر) بالتقارب الروحي مع الغائب رغم البعد المكاني. كما أن مجيء هذين الضميرين (متصلين) دليل على رغبة الشاعر الخفية في إقامة اتصال حقيقي على أرض الواقع.

لم يرد ضمير الغائب الدال على الجمع، سوى مرتين. الواو في ... قالوا ... (البيت ٨) والعائد على (الناس) ، وهم في ... جناحهم ... (البيت ١٢) والعائد على (فتيان صدق) . والكلام عن الجماعة بصيغة الغائبين، استبعاد للعلاقة بين المتكلم (الشاعر) وبينهم، وتعبير عن انفصاله عنهم، لذلك لا يشترك (الناس) أو الغائبون معه في ضميرٍ واحد، كضمير المتكلمين ولا يتوجه إليهم بضمير المخاطبين.

ورد الضمير الدال على المخاطب المفرد مرتين فقط، مرةً متصلاً (لك ... البيت ١) ،

وأخرى منفصلاً (أنت ... البيت ٨) والمقصود بالضميرين المتكلم نفسه (الشاعر) ، أي أنه وضع نفسه مرةً أخرى في عزلةٍ عن الجماعة. فأبيات القصيدة تجري في تصور ثنائي. أنا، المتكلم (الشاعر) / هي الغائب (المحبوبة) .

٢. **الأسماء**:

وردت في القصيدة على النحو الآتي:

- **ليلى**:

كرر الشاعر هذا الاسم ثماني مرات، جاءت على النحو الآتي:

- المقطع الأول: (١– ٣) ، وأت ليلى ... البيت (١) .
- المقطع الثاني: (٤– ٩) ، ... ليلى الأخيلية سلمت ... البيت (٤) ، ... ليلى في السماء ... إلى ليلى العيون ... البيت (٦) ، وأغبط من ليلى ... البيت (٩) .
- المقطع الثالث: (١٠– ١٤) ، تبكين ليلى ... البيت (١٠) أصاب الموت ليلى ... البيت (١١) ، وما ذكرتي ليلى... البيت (١٤) .

فقد ورد اسم (ليلى) في المقطع الأول مرة فقط مقروناً بفعل الوعد والأمل، بينما تكرر في المقطع الثاني أربع مرات مقروناً بالسلام والعلو والارتفاع إلى السماء، ثم الغبطة، وينعكس الحال في المقطع الثالث والأخير، فيتردد اسمها ثلاث مرات، ممزوجاً بالبكاء والموت والذكرى.

وانتشار اسم (ليلى) بوجوهه المتعددة يدفعنا إلى الإحساس بأن الشاعر يهذي باسم (ليلى) ليلاً ونهاراً، إنه اللحن الوحيد الذي يظل يعزفه على أوتار شعره دون أن يمل أو ييأس فهي حبه الوحيد فيه يظل أبداً هائماً حالماً، ولا يُفسر إلا أنه قدر محتوم، وليلى تحمل وجهي القدر، هي الحياة، وهي الموت، وهي مفتاح شعره.

- **نجران**: [٢٢]

ذكر هذا الاسم مرة فقط، البيت (١٤) ، ويبدو أنها المكان الذي استقرت فيه ليلى بعد زواجها. وقد وضعه على شكل جملة اعتراضية.

٣. **اسم الفاعل**

تكرر في النص (١٣) مرة على النحو الآتي:

مرتان في المقطع الأول (١– ٣) ، صافح، ناجح. خمس مرات في المقطع الثاني (٤– ٩) ، صائح، الكواشح، المتناوح، صالح (مرتين) . ست مرات في المقطع الثالث (١٠– ١٤) ،

الصوائح، جارٍ، سافح، نازح، مائرة، المتطاوح.

وبما أن صيغة اسم الفاعل بنية تدل على الحدث ومن قام به، كما أنها تعمل عمل الفعل، فقد تعمد الشاعر الإكثار من هذه الصيغة، لتكون عوناً له، مع الأفعال بصيغها المختلفة، لتدعيم محاور الحركة في القصيدة؛ لأنها تفيد الإطلاق والاستمرار غير المقيّد بزمان.

٤. صيغة الجمع:

وردت أسماء بصيغة الجمع (١٥) مرة على النحو الآتي:

تكررت صيغة الجمع في المقطع الأول (١– ٣) أربع مرات: النفوس، الشحائح، النطاف، الضحاضح.

وتكررت في المقطع الثاني (٤– ٩) خمس مرات: صفائح، العيون، الكواشح، الناس (مرتين) . وردت في المقطع الثالث (١٠– ١٤) ست مرات: النساء، الصوائح، فتيان، المفاوز، الترهات، الصحاصح. فإكثار الشاعر من هذه الصيغ يستثير في بنية القصيدة حساً بالقهر والصراع.

ومن اللافت للنظر أن الاسم بصيغة المثنى، لم يرد في القصيدة سوى مرة فقط (الضبعين) البيت (١٣) ، علماً بأن القصيدة، كما ذكر تدور في ثنائية أنا (الشاعر) / هي (المحبوبة) ، فلو تناولنا المعنى اللغوي لكلمة (الضبعين) ، والتي وردت صفة للناقة، وجدنا أنها تعني بعيدةَ ما بينَ المنكبين، وضبعاها عضداها، وسميا كذلك؛ لأنها تضبع بهما، أي تمد بهما [٢٣] . فالكلمة تحمل معنى البعد والامتداد، وهذا يؤكد حقيقة وضع الشاعر والمحبوبة، ويفسر عدم التقاء المثنى، بصورة واسعة، على أرض القصيدة.

٥. الزمان والمكانك

وظّف الشاعر ألفاظ الزمان والمكان للمساهمة في هندسة القصيدة، إذ وردت هذه الألفاظ على النحو الآتي:

(جدول الزمان والمكان)

المقطع	البيت	اللفظ	
الأول (١ – ٣)	(١)	صبا اليوم	زمان
	(٢)	في غد	زمان
	(٢)	في اليوم	زمان

المقطع	البيت	اللفظ	
الثاني (٤– ٩)	(٤)	ودوني	مكان
	(٥)	جانب	مكان
	(٥)	القبر	مكان
	(٦)	في السماء	مكان
الثالث (١٠– ١٤)	(١٠)	قبلها	زمان
	(١٠)	قبري	مكان
	(١٢)	المفاوز	مكان
	(١٤)	دارها	مكان
	(١٤)	نجران	مكان

لاحظنا تكرار ألفاظ الزمان في المقطع الأول، ثلاث مرات، بينما تلاشى المكان. وفي المقطع الثاني تلاشى الزمان، وتكرر المكان أربع مرات. وتراجع حضور الزمان في المقطع الثالث لمرة فقط، في حين تكررت ألفاظ المكان أربع مرات. كما نلاحظ أن ألفاظ الزمان في جميع القصيدة (٤) مرات بينما جاءت ألفاظ المكان ضعف هذا العدد (٨) مرات.

الشاعر يركز على المكان لمعاناته من البعد المكاني حيث تقبع الحبيبة، وقد وضح ذلك بصورة مباشرة بقوله. (على نأي دارها بنجران) البيت (١٤) .

أخيراً، فقد ابتدأ الشاعر قصيدته بزمان، وأنهاها بمكان، وهذا توازن بين النقطة العليا والنقطة الختامية، ناهيك عن التوازن الخفي داخل المقاطع.

٦. **الأفعال**:

نلاحظ في الأفعال ما يأتي:

- انعدام فعل الأمر في جميع القصيدة، وهذا يؤكد عدم وجود مخاطَبين فيها.
- ورود الفعل المضارع (٤) مرات فقط، وعلى النحو الآتي:

المقطع الأول (١ – ٣) تلوي، البيت (٢) . والمقطع الثاني (٤– ٩) وأغبط، لا أناله، البيت (٩) . والمقطع الثالث (١٠– ١٤) تبكين، البيت (١٠) .

ويحمل المضارع الزمن الحاضر والمستقبل أي استمرارية الحدث، ولكن مجيء هذا الفعل بهذه الضآلة، يَنْفي الحضور الحقيقي، ويجعله في حُكم الغياب المتمثل في الأفعال الماضية.

- كثافة الفعل الماضي، فقد ورد (٢١) مرة على النحو الآتي:

- المقطع الأول (١– ٣) وأت، البيت (١) . كان، البيت (٢) . سقتني، فصردت، صرد، البيت (٣) .

- المقطع الثاني (٤–٩) سلمت، البيت (٤) . سلمت، زقا، البيت، (٥) ، أصعدت، البيت (٦) . أرسلت، عرفته، البيت (٧) . قالوا، بدا، قلت، البيت (٨) . قرّت، البيت (٩) .

- المقطع الثالث (١٠– ١٤) متّ، قام، البيت (١٠) . أصاب، جاد، بكيتها، البيت (١١). وصلت، البيت (١٢) .

وعلى الرغم من كثافة الفعل الماضي، إلا أن له، في هذه القصيدة دلالة مستقبلية، ولا سيما أفعال المقطع الثاني والثالث لتأكيد حتمية حدوثه، وزيادة حدته، وقدرته على التأثير.

أما انعدام الأفعال، بصيغتها المختلفة، في البيتين (١٣، ١٤) فله دلالته النفسية، عند الشاعر، فالفعل مرتبط بالحركة، وخلو هذين البيتين من الحركة، دليل على السكون النسبي المرتبط باليأس الذي انتاب الشاعر في النهاية، ويكشف عن جو الإحباط، وتوالي الخيبات.

ب. المستوى المعجمي (اللفظي/ الدلالي) :

لو استعرضنا ألفاظ المقطع الأول (١– ٣) لوجدنا بعضها ينتمي قاموسياً إلى (حقل الحب) مثل: (فؤادي، صبا اليوم، صافح، وأت ليلى، ناجح، علة، سراح، تلوى النفوس، البيتان ١– ٢) .

وبعضها الآخر ينتمي إلى (حقل الماء/ العطش) ، مثل: (سقتني، شرب المستضاف، صردت، اللوح، النطاف الضحاضح، البيت ٣) .

ولما كانت ألفاظ حقل الماء مجازية، نستطيع أن نضمها إلى ألفاظ حقل الحب لتقارب دلالاتهما، ولتشكلا معاً ثنائيات ضدية أو متناقضة، تحدد وضعية الشاعر والمحبوبة والمتمثلة في الاتصال/ الانقطاع، وعلى النحو الآتي:

الاستفهام (هل) الذي تكرر مرتين في مطلع القصيدة، البيت (١) تأكيد للانغلاق (انعدام المعرفة، انغلاق لطبيعة المتساءل عنه) ، فؤاد الشاعر (فؤادي) وما يحويه من شوق (صبا اليوم) ثم تمنيه ترك هذا الشوق، والإعراض عنه، هو انغلاق أيضاً يقابله الانفتاح المتمثل في وعد ليلى له (وهل ما وأت ليلى... البيت ١) . ويجري الانغلاق/ الانفتاح في رؤية الشاعر في سياق الزمن، في اليوم علة/ في غد سراح، البيت (٢) .

وتطل ثنائية الاتصال/ الانقطاع في البيت (٣) من خلال سقتني/ فصرّدت، فما حصل عليه الشاعر – وهو المستغيث من العطش – من السقي (المجازي) ، هو من القلة، والندرة والمحدودية أقرب إلى الحرمان.

وبملاحظة مطلع المقطع الأول ونهايته، حيث بدأه بالشوق، (صبا اليوم) ، وهو عطش مجازي، وأنهاه بالعطش (كما صرد اللوح البيت ٣) ، نتبين أن الثنائيات المتناقضة التي استخرجناها من المقطع الأول، تتحكم بالوضعية الخارجية للشاعر وبموقعه من الآخر، فهو يعاني تجربة الحرمان الممثلة في حبه العاثر الشقي، وهذا هو المحور الأول في القصيدة.

وفي المقطع الثاني (٤– ٩) تنتمي الألفاظ فيه إلى الحقول الآتية:

- حقل السلام والتسليم (سلمتْ، لسلمتُ، تسليم، أرسلتْ، وحياً) .
- حقل السعادة (البشاشة، صالح (مرتين) ، أغبط، قرّت) .
- حقل الصوت (زقا، صدى، صائح، الريح، موارها، المتناوح) .
- حقل الحزن (جندل، صفائح، القبر، المتناوح، ضمير)

وتتميز هذه الحقول بالتساوق العددي، فكل منها يتكون من خمسة ألفاظ تقريباً. ويمكننا أن نضم ألفاظ حقل السلام إلى حقل السعادة، لما تحمله ألفاظ الحقلين من دلالات الارتياح والغبطة، ليصبحا معاً حقلاً واحداً هو (حقل السعادة) . كما أن ألفاظ حقل الصوت تحمل في طياتها معاني الحزن، مما يسمح بضمها إلى (حقل الحزن) ، لنخرج بسلسلة متصلة الحلقات من الثنائيات الضدية التي تجسد التصورات الأساسية. الاتصال/ الانقطاع، الانفتاح/ الانغلاق، القرب/ البعد.

فالسلام والتسليم والبشاشة وصوت الصدى في البيتين (٤، ٥) انتشار (انفتاح) للانفعال باتجاه الآخر، فهي عوامل تجاوب ومشاركة، ناهيك عن الاتصال المباشر الناتج – إن كانت عملية السلام يداً بيد – ولكن هذا الاتصال والانتشار، سرعان ما يتقلص وينقطع ويرتد عندما يصدم بالجانب الآخر، بالحيز المكاني المغلق (القبر) والمغطى بجندل وصفائح.

وتتكرر محاولة الاتصال في عالم السماء المنفتح، حيث إمكانية وجود (ليلى) والنظر إليها بحرية، البيت (٦) ولكنه عالم بعيد، ومجابه بمراقبة العيون التي تضمر وتخفي العداوة. وتعود ثنائية الاتصال (الانتشار) / الانقطاع من جديد في البيت (٧) ولو أرسلت وحيا...، فالإرسال انفتاح وانتشار، والوحي انغلاق، لأن ما أوحت به كلاماً (سراً) مخفياً عن الغير، والمعرفة، عرفته، انفتاح (انتشار) .

وتؤلف الريح في حد ذاتها ثنائية ضدية، ففي حين تقوم بتوصيل ما توحيه الحبيبة، تكون الوقت نفسه قد بدّدت ونثرت وبعثرت ما حملته بسبب تموجها واضطرابها، ولهبوبها السريع في كافة الاتجاهات ... شمالاً... جنوباً... فتكون عامل انقطاع.

يحاول الشاعر أن يجد قنوات اتصال بينه وبين الحبيبة الغائبة، في السلام والصدى والسماء والوحي والريح، ولكنها محاولات فاشلة، لا تلبث أن تنقطع؛ لأنها مجرد تمنيات، لن تتحقق، فهي بعيدة عن أرض الواقع، لذا ستظل تدور في فلك أحلام الشاعر فقط.

وإذا انتقلنا إلى البيتين (٨، ٩) ، نهاية المقطع الثاني، نجد أنهما يقعان بين حركتين متصالبتين، حركة الحلم الذي حلق به الشاعر في خياله (الأبيات ٤ – ٧) ، وحركة الحقيقة الآتية، والممثلة في الموت (البيتان ١٠، ١١) . وعبر هاتين الحركتين يعاني الشاعر عذاب وعي اللحظة الحاضرة، من أجل ذلك يحتضن التناقضات، إنه شعور بالمرارة، وهذا هو المحور الثاني في القصيدة.

ويسأل الناس، كيف أنت؟ البيت (٨) ، والاستفهام ثنائية تصورية، كما ذُكر، فهو انغلاق (لعدم المعرفة) ، لكنه استفهام جوابه معروف ومؤكد (قلت: للناس صالح) انفتاح.

ويلتقي السري بالمكشوف في حركة (وقد بدا ضمير الذي بي) ليتحول السر المضمر إلى وجود واضح، ليشكلا ثنائية ضدية، فما بدا وانكشف من الشاعر خلاف ونقيض لما أضمره. وتتضح جدلية أخرى مخالفة للمنطق في البيت (٩) وأغبط... بما لا أناله...، إذ كيف يصح أن يشعر الإنسان (الشاعر) بالسعادة وهو غير حاصل عليها، بل فاقدها ومحروم منها؟ إنها حدة الألم الذي يستبد بالشاعر، ومقدار اللوعة التي تتولد عن التناقضات المتحكمة به. فثنائية الانفتاح/ الانغلاق في البيتين (٨، ٩) تتوحد في ذات مركزية، تصبح منبعاً لطرفي الثنائية، وتشكل بؤرة انفجارية في القصيدة كلها، هذه الذات، هي ذات الشاعر العاشق، وهي مركز الثقل الانفعالي في القصيدة.

ويأتي الشطر الثاني من البيت (٩) بهذا التذييل الذي أجراه الشاعر على نهاية المقطع الثاني، وقد خلا من الثنائيات الضدية، ليقرر ويؤكد حقيقة شعوره بالسعادة، معللاً ومقنعاً نفسه بعبارة انسيابية، تحمل معنى الشمولية والتعميم، لينهي المقطع الثاني بأداة التنبيه نفسها التي بدأ بها المقطع الأول (ألا كل ما قرت به العين صالح) . إن المقطع الثاني هو النواة التوليدية؛ لأنه يشتمل على الوقائع والجدليات التي من تفجر تناقضها يتولد النص كله.

ويشتمل المقطع الثالث والأخير (١٠– ١٤) ، على الحقول الآتية:

- حقل البكاء (تبكين، بكيتها، الدمع، جاد، جار، سافح) .

- حقل الموت (مت، قام، النساء، قبري، الصوائح، الموت) .
- حقل السفر (وصلت، جناحهم، ظهر، المفاوز، نازح، مائرة الضبعين) .

نلاحظ، مرة أخرى، التساوق العددي بين هذه الحقول، فكل منها يتشكل من ستة ألفاظ. ويتبين أن حقلي البكاء والموت ينتميان إلى حقل واحد هو (حقل الحزن) ، أي الحقل نفسه الذي ورد في المقطع الثاني، ولما كان حقلا السعادة والحزن يشكلان ثنائية ضدية في المقطع الثاني، نجد ثنائية ضدية شبيهة تتشكل بين حقلي الحزن والسفر في المقطع الثالث، لما يحمله السفر – هنا – من تفاؤل.

ولما كانت ألفاظ البيت (١٤) مثل: (ذُكرتي ليلى، نأي دارها، الترّهات الصحاصح) تحمل خيبة الأمل واليأس، فيمكن إدراجها تحت حقل الحزن لنخرج بالنتيجة الآتية:

المقطع الأول (١– ٣) وفيه حقلا الحب (سعادة) / الماء، العطش (حرمان) . والمقطع الثاني (٤– ٩) وفيه حقلا السعادة (حب) / الحزن (حرمان) . والمقطع الثالث (١٠– ١٤)، وفيه حقلا الحزن (حرمان) / السفر (تفاؤل، حب) تشابهت الحقول المعجمية في سائر المقاطع.

ويتشكل المحور الثالث في القصيدة من ألفاظ المقطع الثالث على النحو الآتي:

يحدد البيتان (١٠، ١١) الخط الدرامي المأساوي في القصيدة، فيهما مشاركة في الحدث (الموت) ، وما يتبعه من بكاء وحزن وانفعال، كما يشكلان ثنائية ضدية، فالموت انفصال وعزلة عن الحياة، وهو توحد واتصال للشاعر والمحبوبة في القبر الذي يحمل وجهَيّ الموت والحياة.

وتبدو ثنائيةُ العلاقة بين الشاعر وصحبه في البيت (١٢) وهي علاقة اتصال/ انقطاع، فبينما يؤكد الشاعر حالة التناغم والتواصل بأصحابه (قد وصلت جناحهم) لأنهم عامل إيجابي بينه وبين المحبوبة، ينقطع هذا الاتصال عبر (مغبر المفاوز) البيئة الشحيحة التي تمثل عالم الجدب والجفاف. ويختار الشاعر في البيت (١٣) ناقة مميزة (خفيفة، بعيدة ما بين المنكبين، متشنجة، سريعة، هواها أن تجد متسعاً من الأرض تسير فيه، فهي شعلة من القلق والتوتر) . وحدة انفعال الناقة ما هو إلا تعبير عن حدة انفعال الشاعر، وهذا الحس يزود الحنين بالمسافة، ويطلق سفر الجسد والقلب والخيال، والامتداد يجد في الحلم أقصى تحقق له. وهكذا نجد شاعرنا إنسان أحلام وأحزان.

ويأتي البيت الأخير (١٤) ليكشف عما يعانيه الشاعر من تمزق وتناقض، فذكراه المتجددة المستمرة للمحبوبة (ليلى) ما هي إلا من قبيل الوهم والإحباط.

وهكذا تتحدد الوضعية الجوهرية للشاعر المأخوذ بمعضلة الانفصال والغياب، وحسرة الأشياء الهاربة. ليلى تمثل الأمل، والناقة تمثل الإرادة للوصول إلى الأمل، وهناك عوائق (البعد المكاني الناس، الموت، الكواشح، التراث الاجتماعي) والشاعر في صراع عنيف، يرفض الواقع لأنه مؤلم، فيزداد تشتُّته وعذابُه، ويبقى خيالُه أبداً على سفر، إنها أزمة الإنسان ومعاناته إذ يواجه المعضلات الكونية كالحب والحياة والموت.

ج. المستوى التركيبي (النحوي) :

تقوم الجملة بوظيفة دلالية محض، وتمد المخاطب بخبر أو بإعلام، وتقوم بالإضافة إلى وظيفتها السابقة بحمل شحنة نفسية أو عاطفية وانفعالية نسميها أسلوب الجملة، وقد تظهر الوظيفة الانفعالية حتى في الكلمات المنفردة، إضافة على عنصر ضمني خفي يحدث التغيرات التي يتولد منها شكل الجملة القانوني [٢٤] . لذا يتشكل أسلوب الجملة في شعر توبة كما يلي:

١. الجمل الاسمية والفعلية:

ساهمت في هندسة القصيدة، كما يأتي:

- المقطع الأول: (١– ٣) يبدأ بجملة اسمية (ألا هل فؤادي... صافح البيت ١) . وينتهي بجملة فعلية (كما صرد...٣) .

- المقطع الثاني: (٤– ٩) يبدأ بجملة اسمية (ولو أن ليلى ... ٤) وينتهي بجملة اسمية (ألا كل ما قرت... ٩) .

- المقطع الثالث: (١٠– ١٤) يبدأ بجملة فعلية (وهل تبكين ليلى... ١) وينتهي بجملة اسمية (وما ذكرتي... إلاّ الترهات ١٤) .

فقد بدأ الشاعر قصيدته بجملة اسمية، وأنهاها بجملة اسمية، وهذا توازن بين النقطة العليا، والنقطة الختامية، إضافة إلى التوازن بين مطالع وخواتم المقاطع. وانتشرت الجمل الاسمية والفعلية على مساحة القصيدة على النحو الآتي:

(جدول الجمل الاسمية والفعلية)

المقطع	الأبيات	الجمل الاسمية	الجمل الفعلية
الأول	١– ٣	٤	٤
الثاني	٤– ٩	٤	٣
الثالث	١٠– ١٤	٣	٣

ونلاحظ التقارب العددي بينهما، إذ بلغت الجمل الاسمية (١١) وبلغت الجمل الفعلية (١٠) .

وقد دلت الجمل الاسمية على اللحظة الحاضرة الثابتة، بينما فسرت الجمل الفعلية اتساع الحركة في أجواء القصيدة. وقيمة الزمن ليست في امتداده الأفقي – العددي بل في عمقه وعموديته، ولهذا قد تكون اللحظة التي مضت أثمن وأغلى من الدهر كله، لا سيما إن كانت حضوراً مع الحبيبة، بينما تكون أطول من الشهور والسنين، إن كانت غياباً عنها.

٢. **الجمل الشرطية:**

انتشرت في القصيدة على النحو الآتي:

- المقطع الأول (١– ٣) (إن كان في اليوم علة... ٢) .

- المقطع الثاني (٤– ٩) (ولو أن ليلى... سلمت... لسلمت... البيتان ٤– ٥) ، (ولو أن ليلى... لأصعدت... ٦) ، (ولو أرسلت... عرفته... ٧) ، (إذا الناس قالوا... قلت...٨) .

- المقطع الثالث (١٠– ١٤) (... لئن مت... وقام... ١٠) ، (... لو أصاب... بكيتها وجاد... ١١) .

وعدد الجمل الشرطية (٧) ، تركزت كثافتها في المقطع الثاني (٤) ، ونلاحظ أن الأداة الأكثر استعمالاً هي (لو) . وهذه الجمل قائمة بقوة التمني الذي يمسك بالفعل في إطار من الحلم، لذا كانت محاولات الشاعر من قبيل العبث لعدم تحققها (امتناع الجواب، لامتناع الشرط) .

٣. **الجمل المعترضة:**

وردت الجمل المعترضة على النحو الآتي:

- المقطع الأول (١– ٣) (إن كان في اليوم علة ٢) . فقد وقعت هذه الجمل بين عنصري جملة اسمية (المبتدأ والخبر) ، (وهل في غدٍ... سراح) ، يليها جملة فعلية (لما تلوي النفوس...) ، لتشويق القارئ لما يحمله الغد.

- المقطع الثاني (٤– ٩) (ودوني جندل وصفائح ٤) ، فقد جاءت الجملة الاعتراضية هنا بين عنصري جملة شرطية، ومسبوقة بواو الحال، فقد رغب الشاعر أن ينبهنا إلى الحالة التي سيكون عليها عند عملية السلام والتسليم الحاصلة بينه وبين ليلى، أي عندما يكون في عداد الأموات. وجملة (وقد بدا ضمير الذي بي ٨) ، وقعت بين جملة اسمية (كيف أنت؟) ، وجملة فعلية (قلت) للدلالة مرة أخرى على حالته عندما يسأله الناس، وهو إظهار ما كان يخفي.

- المقطع الثالث (١٠– ١٤) (على نأي دارها، بنجران ١٤) ، فقد اعترضت هذه الجملة حدي الجملة الاسمية (وما ذكرتي ليلى... إلا الترهات الصحاصح) ، للدلالة على البعد المكاني بينه وبين ليلى.

٤. **الإضافة:**

أكثر الشاعر من استخدامها في القصيدة، على النحو الآتي:

- المقطع الأول (١– ٣) (فؤادي، صبا اليوم ١) . (بشرب المستضاف ٣) .

- المقطع الثاني (٤– ٩) (تسليم البشاشة، جانب القبر ٥) ، (بطرفي ٦) ، (في موارها ٧) ، (كل ما قرت) .

- المقطع الثالث (١٠– ١٤) (قبلها، قبري ١٠) ، (وفتيان صدق ، جناحهم، ظهر مغبر المفاوز ١٢) ، (بمائرة الضبعين، معقودة النسا ١٣) ، (ذكرتي، نأي دارها ١٤) .

«وتوضح الإضافة في سائر مقاطع القصيدة علاقة بين اسمين متميزين، أي بين ذاتين مختلفتين أو علاقة الذات بنفسها» [(٢٥)] . وقد وردت الإضافة في المقطع الأخير أكثر كثافةً منها في المقطعين الأول والثاني (١١) مرة، كما شملت في هذا المقطع خمس ذوات هي:

ليلى (قبلها، دارها) ، والشاعر (قبري، ذكرتي) ، وأصحابه (وفتيان صدق، جناحهم) ، والمفاوز (ظهر مغبر المفاوز) ، والناقة (مائرة الضبعين، معقودة النسا) . ولا يخفى علينا ما لهذه الذوات من علاقة وترابط، كما ذكر.

٥. **الصفات:**

والصفة لا تربط بين ذاتين، بل تدل على خاصة من خواص ذات معينة. وقد جاءت الصفات منوعة وعلى النحو الآتي:

(جدول الصفات)

المقطع	الموصوف	الصفة	البيت
الأول (١– ٣)	النفوس	الشحائح	٢
	النطاف	الضحاضح	٣
الثاني (٤– ٩)	ليلى	الأخيلية	٤
	صدى	صائح	٥
	العيون	الكواشح	٦
	موارها	المتناوح	٧

المقطع	الموصوف	الصفة	البيت
الثالث (١٠– ١٤)	النساء	الصوائح	١٠
	جار (الدمع)	سافح	١١
	الناقة	معقودة النَّسا	١٣
	الناقة	جُنُوف	
	الناقة	هواها السبسب	
		المتطاوح	
	السبسب	المتطاوح	
	الترهات	الصحاصح	١٤

تُبين هذه الصفات إما أصناف الناس الذين اهتم بهم الشاعر (الأبيات: ٢،٤،٦،١٠) ، أو صفات لعناصر مأخوذة من الطبيعة ليعطيها صفة الاتساع والديمومة (الأبيات: ٣،٥،٧،١١،١٣) . وقد احتل المقطع الثالث العدد الأكبر من الصفات (٧) وكان التركيز فيه على الناقة. ونجد أن سائر الصفات تجسد القلق والاضطراب والتوتر المسيطر على أجواء القصيدة كلها.

٦. تقديم ما حقه التأخير:

يكون تأكيد التقديم بإخراج أحد عناصر الجملة من المكان المخصص له وتثبيته في غير مكانه، إذ من أراد أن يخص شيئاً باهتمام السامع أو القارئ قدمه وفاجأه به، ليقع ذلك في نفس سامعه أو قارئه موقعاً ثابتاً [٢٦] . وقد شمل التقديم ما يأتي:

- **تقديم الخبر على المبتدأ:**

كما في قوله (في غدٍ سراح، في اليوم علة ١) ، لما يحمله المستقبل الممثل في لفظة (غدٍ) من أمل جديد لهذه النفوس المتعطشة للخلاص مما تعانيه في الزمن الحاضر (اليوم). (ودوني جندل البيت ٤) ، (للناس صالح البيت ٨) .

- **تقديم الجار والمجرور:**

كما في قوله: (ألا هل فؤادي عن صبا اليوم صافح ١) . (زقا إليها صدى ٥) (أصعدت بطرفي إلى ليلى العيون ٦) ، (وأغبط من ليلى بما لا أناله ٩) ، (وقام على قبري النساء ١٠)، (وجاد لها جارٍ ١١) .

- **تقديم الجواب على الشرط:**

كما في قوله (وهل في غدٍ سراح إن كان في اليوم علة ١) (فهل تبكين ليلى لئن مت.. وقام... ١٠) . وهذا التقديم – سواء في الجار والمجرور، أو في جواب الشرط– هو ضرب

من التوسعة في التركيب، غايته إعطاء المعنى بدقة، والتشويق لمعرفة المتأخر، ومساوقة خلجات نفس الشاعر المتأملة مرة، المتشائمة اليائسة مرات.

٧. **التكرار:**

وقد جاء في القصيدة منوعاً، فالتكرار يضع في أيدينا مفتاحاً للفكرة المتسلطة على الشاعر، وهو بذلك أحد الأضواء اللاشعورية التي يسلطها الشعر على أعماق الشاعر فيضيئها بحيث نطلع عليها (٢٧) ، فمنه:

- **تكرار الأدوات:**

- أدوات الاستفهام (هل) ، (الأبيات: ١، ٢، ١٠) .
- أدوات الشرط (إن) ، (البيتان: ٢، ١٠) .
  (لو) ، (الأبيات: ٤، ٦، ٧، ١١) .
- أدوات التوكيد والتحقيق (أن) ، (البيتان ٤، ٦) .
  (قد) ، (البيتان ٨، ١٢) .
- أدوات النفي (لا) ، (البيت ٩) (ما) ، (البيت ١٤) .

فالقصيدة بكاملها سلسلة تتكرر فيها صيغ الاستفهام والشرط والتوكيد والنفي، وجوها يتحدد بهذه الصيغ، إنه جو اللوعة والاضطراب والقلق والحيرة.

- **التكرار اللفظي:**

تكررت لفظة (ليلى) ثماني مرات، (الأبيات: ١،٤،٦ مرتين ٩،١٠،١١،١٤) . (فصردت، صرد ٣) ، (سلمت، لسلمت، تسليم ٤، ٥) ، (إذا الناس قالوا، قلت للناس ٨) ، (صالح مرتين ٨، ٩) .

- **التكرار الحرفي:**

مثل (الشحائح ٢) ، (اللوح، الضحاضح ٣) ، (البشاشة ٥) ، (السبسب ١٣) ، (الصحاصح ١٤) .

زد على ذلك تكرار حروف الجر مثل الباء (٨ مرات) ، اللام (٤مرات) ، في (٤ مرات) على (٤ مرات) ، إلى (٣ مرات) . وحروف العطف مثل الواو (٧ مرات) ، الفاء (مرتان) ، والوصل مثل ما (٦ مرات) ، وسواها.

وتتعلق هذه التكرارات تعلقاً مباشراً ببناء القصيدة العام، إذ ترتبط أشد الارتباط بالسياق، ولها ملاءمة كبيرة بظروف الشاعر النفسية، فهو يؤدي بها معاني أكثر اتصالاً بخلجات نفسه وحواسه، وتسهم مساهمة فعالة في البناء الهندسي المحكم للبيت، وتخدم البنية الموسيقية الداخلية والخارجية في القصيدة (٢٨) .

د. المستوى البلاغي (البياني) :

في هذه القصيدة محطات تستوقفنا على مستوى الصورة في شعر توبة، فالصورة ابنة للخيال الشعري الذي يتألف – عند الشعراء – من قوى داخلية تفرق العناصر وتنشر المواد، ثم تعيد ترتيبها وتركيبها، لتصبها في قالب خاص حين تريد خلق فن جديد متحد منسجم [٢٩] .

اتخذت الصور في القصيدة الأشكال الآتية:

- المقطع الأول: (١– ٣) (ألا هل فؤادي... صافح ١) ، استعارة، وفيها يجعل الفؤاد كالإنسان يُعرض ويترك (ما وأت... ناجح ١) استعارة. (في اليوم علة، في غدٍ سراح ٢)، استعارة، وفيها يربط الزمن الحاضر (اليوم) بالاعتلال الذي يصيب الإنسانَ، والزمن المستقبل (غدٍ) بالخروج والانعتاق من المرض.

(فصردت كما صرد... ٣) ، وفيها تشبيه، أي قطعها للسقي يشبه الماء القليل (النطفة)، لا تروي الظمأ.

- المقطع الثاني: (٤– ٩) (ولو أرسلت... مع الريح ٧) ، استعارة، وفيها يجعل الريح كالإنسان يحمل وينقل ما يكلف به. (كل ما قرت به العين... ٩) ، مجاز مرسل، وعنى بالعين النفس، كما ورد في قوله عز وجل: «فكلي واشربي وقري عيناً...) [٣٠] ، أي لتهدأ وتطمئن نفسك.

- المقطع الثالث: (١٠– ١٤) (فهل تبكين...كما لو...١١،١٠) ، وفيه يشبّه موتها بموته، وبكاءَها ببكائه.

(وجاد لها جارٍ من الدمع... ١١) ، استعارة، وفيها يشبه الدمع بالإنسان الكريم الذي يجود حيناً، وبالسيلِ الجاري حيناً آخر، للدلالة على الغزارة والكثرة.

(قد وصلت جناحهم...١٢) ، استعارة، وفيها يشبه أصحابه بالطيور للدلالة على السرعة.

(على ظهر مغبر المفاوز...١٢) ، استعارة، وفيها يشبه المفاوز بحيوان له ظهر يُمتطى.

(وما ذكرتي... إلا الترهات الصحاصح ١٤) ، تشبيه بليغ وهو توحيد لهويتين متباينتين عن طريق الإلحاح على نقطة الالتقاء بينهما، وإبطال مسافة التباين [٣١] .

فالشاعر يوحد بين ذكرياته لليلى من جهة، وبين الترهات الصحاصح من جهة أخرى، كي يلغي المسافة بين حدي التشبيه. وقد استقى الشاعر صوره، في هذه القصيدة، من صفات متعلقة بالإنسان أو من الطبيعة، وعلى النحو الآتي:

(جدول مصدر الصورة)

المقطع	مصدر الصورة	البيت	عدد الصور
الأول ١ – ٣	الإنسان	١	٢
	الإنسان	٢	٢
	الطبيعة	٣	١
الثاني ٤ – ٩	الإنسان والطبيعة	٧	١
	الإنسان	٩	١
الثالث ١٠ – ١٤	الإنسان	١٠، ١١	٢
	الإنسان والطبيعة	١١	٢
	الطبيعة	١٢	٢
	الإنسان	١٤	١

والشاعر إذ يستمد صورَه من الإنسان والطبيعة (بيئَتِه الواسعة) ، فلأنه أقرب إلى الشعراء الرومانسيين الذين يركزون على الإنسان الفرد وعواطِفه، وعده القيمة الأولى، ولأن علاقتهم بالطبيعة علاقة تعاطف وتلاق وانسجام، فهم يفيضون عليها من مشاعرهم، فتشاركهم ما يحسون من حزن أو كآبة.

ولذا يغلب على صوره طابع التشاؤم والسلبية الناتجة عن معاناة الإنسان في هذه البيئة الجافة الشحيحة.

هـ. مستوى الوزن والإيقاع (المستوى الصوتي) :

«الإيقاع بالمعنى العميق لغة ثانية لا تفهمها الأذن وحدها، وإنما يفهمها قبل الأذن والحواس، الوعي الحاضر والغائب، ولهذه اللغة علاقة ثنائية بالأجواء الشعرية تستحضر الأجواء، والأجواء تبعثها» [٣٢] . «هذا يعني، بالتالي، أن الكلمة داخل النظام العام للتجربة تستدعي ما يلائمها موسيقياً، لأن الموسيقى عامل هام في الشعر، فهي سلسلة من الأصوات ينبعث عنها المعنى» [٣٣] .

ثمة تناول يسمح باكتناه العلاقات بين مكونات البنية الإيقاعية، كما تتوزع في القصيدة، عن طريق دراسة الوزن.

تنتمي هذه القصيدة إلى البحر الطويل، وعدد دوائرها الوزنية (٤) دوائر. وبتمثيل فعولن بـ (١) ، ومفاعيلن بـ (٢) ، وفعول بـ (٣) ، ومفاعلن بـ (٤) ، نحصل على الجدول الآتي الذي سيظهر في الصفحة الآتية [٣٤] :

وفي هذا المخطط (الجدول) يمثل كل سهمين يربطان بين صندوقين توحد هوية بيتين،

أو أكثر من أبيات القصيدة بالشطر الأول والثاني من حيث وزنهما. أما الأسهم المفردة الخارجة من الصناديق (١، ٤، ٩، ١٣) فإنها تمثل تفرد هذه الأبيات بشطريها، وانعدام وجود أبيات تتحد هويتها بها أو بواحد منها في القصيدة، بينما قد تتحد بغيرها ضمن شطر واحد فقط.

وباستقراء العلاقات التي تنشأ بين الأبيات، نحصل على الظواهر الآتية:

- هناك تناسق يتعلق بهندسة القصيدة، فنهاية كل مقطع تنتهي بالترتيب الآتي: ١ ٢ ١ ٤ (الشطر الثاني) ، كما أن بداية القصيدة ونهايتها تنتهي بالترتيب نفسه: ١ ٢ ١ ٤ (الشطر الأول) .

- ثمة تناسق في تكرار صور الأبيات، ينعكس في التدرج الآتي:

(٢/ ١٤، ٣/ ٥/ ٦/ ٨، ٧/ ١٢، ١٠/ ١١) .

- البيتان: ٢/ ١٤، لهما التركيب الموحد: ١ ٢ ١ ٤ ١ ٢ ١ ٤، وواضح أن البيتين يترابطان بأكثر من عنصر مشترك: كلاهما يبدأ بواو العطف، ويبدأ بجملة اسمية، وكلاهما ينطوي على ثنائيات: فالبيت (٢) فيه لفظا زمان (غدٍ، اليوم) ، وفي البيت (١٤) لفظا مكان (دارها، بنجران) . وكلاهما تتساوق فيه الموسيقى الداخلية، فتتوازى ثنائية حرف (الحاء) في عجز البيتين. والتناوس الحاصل من تكرار (السين) في (سراح، النفوس ٢) ، وفي تكرار (الراء) في (ذكرتي، دارها، بنجران، الترهات ١٤) .

- الأبيات الأربعة (٣، ٥، ٦، ٨) لها التركيب الموحد: ١ ٢ ٣ ٤ ١ ٢ ١ ٤، ويلاحظ أن التشابه في هذه الأبيات ناتج عن تكرار ثنائيات متجانسة في اللفظ داخل البيت الواحد، مثل (فصردت، صرد ٣) ، (لسلمت، تسليم ٥) ، (... ليلى إلى ليلى... ٦) ، (.. الناس قالوا... قلت للناس... ٨) .

ويجمع هذه الأبيات أيضاً الثنائيات الضدية في كل بيت، والتي تولد حساً بالاتصال والانقطاع مثل: (سقتني/ فصردت ٣) ، (تسليم البشاشة/ صدى من القبر ٥) ، (ليلى في السماء/ العيون الكواشح ٦) ، (بدا/ ضمير ٨) .

وتشترك هذه الأبيات على صعيد المكونات الصوتية بوجود ألفاظ تنتهي بحرف المد (الألف) مثل: (كما ٣) ، (زقا، إليها صدى ٥) ، (ليلى مرتين، إلى ٦) ، (إذا، بدا ٨) ، والتكرار الحرفي مثل: (الضحاضح ٣) ، (البشاشة ٥) ، (ليلى ٦) ، (الناس قالوا... قلت للناس ٨) ، وتناوب حرفي الصفير (السين والصاد) في كل بيت. (سقتني، المستضاف، فصردت، صرد ٣) ، (لسلمت، تسليم، صدى، صائح ٥) ، (السماء، لأصعدت ٦) ، (الناس، للناس، صالح ٨).

- البيتان ٧/ ١٢، لهما التركيب الموحد ١ ٢ ٣ ٤ ١ ٢ ٣ ٤. يشترك البيتان – في الشطر الأول منهما – بثنائية علاقة اتصال اختياري، بين المحبوبة والشاعر في البيت ٧ [٣٥] (ولو

أرسلت وحياً إلي) ، وبين الشاعر وصحبه، في البيت ١٢ (قد وصلت جناحهم) ، وتعود هذه العلاقة – في الشطر الثاني منهما – للانقطاع، حيث يتبدد ما أوحت به المحبوبة للشاعر، مع الريح، وكذلك اتصال الشاعر بصحبه ينقطع عبر (مغبر المفاوز) البيئة الصحراوية الجافة، زد على ذلك ورود حرف (الحاء) متخللاً ألفاظ البيتين للإيحاء بالسرعة المتعلقة بالريح مثل: (وحياً، مع الريح، المتناوح ٧) ، (جناحهم، نازح ١٢) .

- البيتان ١٠/ ١١، لهما الترتيب الموحد ١ ٢ ١ ٤ ٣ ٢ ١ ٤، ومن الجدير بالذكر أن هذين البيتين يشكلان معاً الخط الدرامي المأساوي في القصيدة، فيهما مشاركة في الحدث (الموت) وما يتبعه من بكاء وحزن وانفعال، والثنائية الضدية التي يحملها الموت، كما ذكر، إضافة إلى تكرار ألفاظ (الشرط، البكاء، ليلى، الموت) في البيتين.

- ويعود تفرد كل بيت من الأبيات: (١، ٤، ٩، ١٣) – بشطريه – عن غيره من أبيات القصيدة، إلى ما يأتي:

- البيت (١) (مطلع القصيدة) ، وينفرد بالترتيب:

(١ ٢ ١ ٤ ١ ٢ ٣ ٤) ، وهو البيت الوحيد الذي يظهر فيه وعد ليلى للشاعر بصورة صريحة ومباشرة (وأت ليلى) ، فكان هذا المطلع المفتاحَ القادحَ لشرارة الحركة الشعورية التي تشد أوتار هذه القصيدة.

- البيت (٤) (مطلع المقطع الثاني) ، وينفرد بالترتيب:

(١ ٢ ٣ ٤ ٣ ٢ ٣ ٤) ، وهو البيت الوحيد في القصيدة الذي يذكر اسم المحبوبة كاملاً (ليلى الأخيلية) ، كما يصف قبر الشاعر وصفاً تفصيلياً، وهذا يفسر تفردَه.

- البيت (٩) (نهاية المقطع الثاني) ، وينفرد بالترتيب:

(٣ ٢ ١ ٤ ١ ٢ ١ ٤) ، ويبدأ بفعل مضارع هو الوحيد الذي ورد في القصيدة بصيغة المبني للمجهول (وأغبط) ليؤكد الشاعر مدى جهلنا بعمق الغبطة التي يحسها، مع أنه غير حاصل عليها مطلقاً، فهي في حكم المجهول.

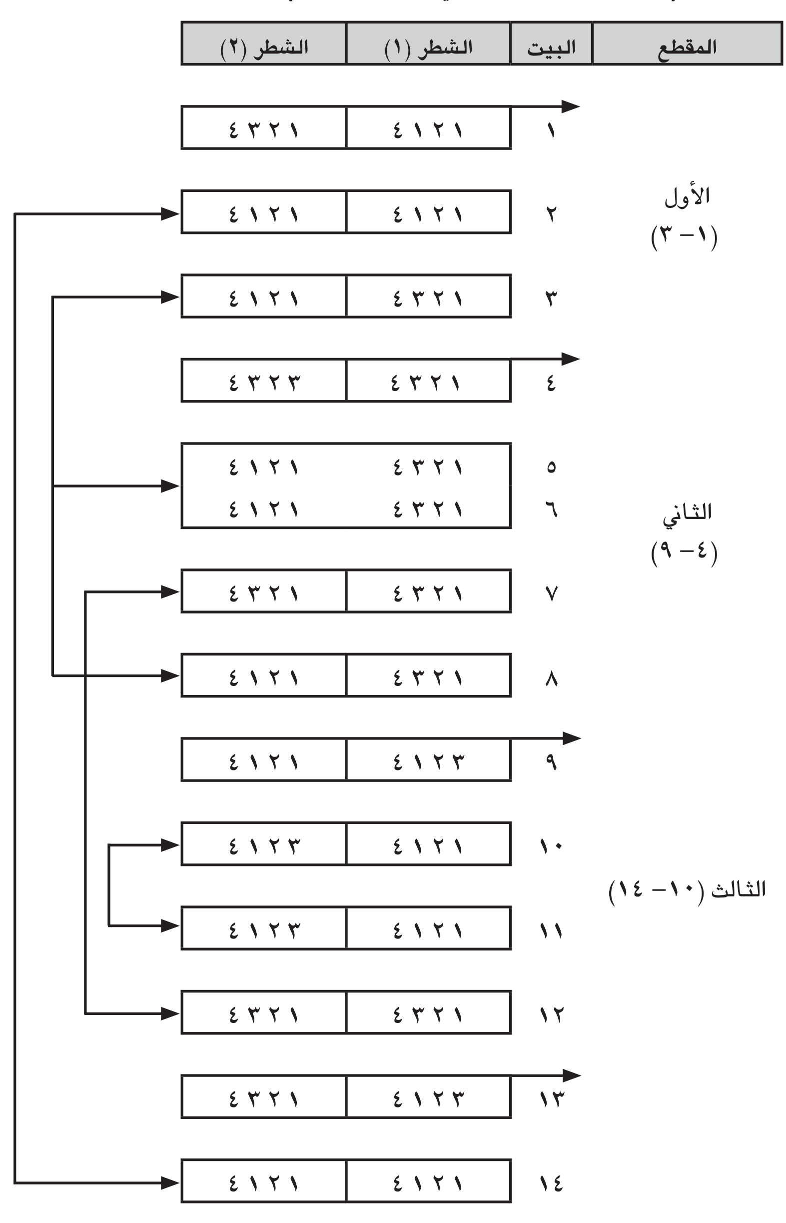
- البيت (١٣) وينفرد بالترتيب (٣ ٢ ١ ٤ ١ ٢ ٣ ٤) ، وهو يختص بوصف الناقة، كما يبدأ وينتهي باسم الفاعل (بمائرة... والمتطاوح) .

دلت دراسة البنية الإيقاعية على أن العلاقات التي تشكلت ضمن هذه البنية، مرتبطة بعمق وتناغم وانسجام بالبنية الدلالية للرؤية الوجودية التي جسدتها القصيدة.

نجد أن هذه القصيدة مبنية على أساس من التنوع العام المتحد، فالمواقف فيها تتغير، وانفعالات الشاعر تتلون والعناصر تتعدد وتتنوع، لا على أساس من التشابه فقط، بل على

أساس من التنافر أيضاً، والموسيقى تتبدل وفق ذلك كله، مما جعل القصيدة تتخذ الشكل الدرامي أساساً لبنائها. إنها تكثيف قوي لتجربة حية عاشت في صاحبها، ثم انتقلت إلينا، فولدت فينا توتراً ممتعاً، دفعنا إلى متابعتها من خلال رحلة عذابه التي قدمها لنا، بصورة هذا البناء الفني المنوع الأصيل، المتلاحم في سياقه ومعانيه وتركيبه وصوره وموسيقاه.

(جدول البنية الإيقاعية في القصيدة الثالثة)



المقطع	البيت	الشطر (١)	الشطر (٢)
الأول (١– ٣)	١	٤ ١ ٢ ١	٤ ٣ ٢ ١
	٢	٤ ١ ٢ ١	٤ ١ ٢ ١
	٣	٤ ٣ ٢ ١	٤ ١ ٢ ١
الثاني (٤– ٩)	٤	٤ ٣ ٢ ١	٤ ٣ ٢ ٣
	٥	٤ ٣ ٢ ١	٤ ١ ٢ ١
	٦	٤ ٣ ٢ ١	٤ ١ ٢ ١
	٧	٤ ٣ ٢ ١	٤ ٣ ٢ ١
	٨	٤ ٣ ٢ ١	٤ ١ ٢ ١
	٩	٤ ١ ٢ ٣	٤ ١ ٢ ١
الثالث (١٠– ١٤)	١٠	٤ ١ ٢ ١	٤ ١ ٢ ٣
	١١	٤ ١ ٢ ١	٤ ١ ٢ ٣
	١٢	٤ ٣ ٢ ١	٤ ٣ ٢ ١
	١٣	٤ ١ ٢ ٣	٤ ٣ ٢ ١
	١٤	٤ ١ ٢ ١	٤ ١ ٢ ١

الخاتمة:

من خلال رحلتي في أعماق المصادر القديمة، وتجوالي بين المراجع الحديثة – إيماناً مني بضرورة التكامل العلمي بين القديم والجديد – وبعد العودة إلى شعر توبة في ديوانه المطبوع، لأنه القاضي والحكم في كل ما يصدر من نتائج، واتخاذي القصيدة الثالثة (الحائية) نموذجاً ممثلاً لهذا الشعر توصلت إلى ما يأتي:

كشفت القصيدة الثالثة أكثر الخصائص الفنية لشعر توبة، فوضحت مدى الفاعلية التي كانت للموسيقى في شعره. فوزن هذه القصيدة من البحر الطويل المؤلف من دوائر وزنية أساسها الشطر، وهذه الدوائر تتوزع داخل القصيدة إما متباعدة أو متقاربة، وقد تظهر أو تختفي في صدر القصيدة ووسطها ونهايتها بشكل متجاوب، فنلمس الترجيع المتناغم المناسب في المكان المناسب الذي يطلبه، ولا فرق أن تكون هذه الأشطار أولى أو ثانية. بدأ الشاعر قصيدته بمقدمة، عرض فيها ملخصاً لمشكلته التي كانت السبب الرئيس لقلقه وتوتره، كما لم ينسَ ذكر المحبوبة (ليلى) في هذه المقدمة. وهذا يفسر أن مطلع القصيدة يحمل نفسية الشاعر، ويكون صدى لمشاعره وانفعاله، «وأن الشاعر سواء قصد أم لم يقصد، فإنه يصب ما نفسه من مشاعر إزاء موضوع القصيدة وملابساتها» (٣٦) . ثم صوّر الصراع الذي اعتمل بداخله، حتى إذا جاء للنهاية مال إلى الهدوء النسبي. «وهذا يؤكد ما جاء في الأبحاث النقدية الحديثة التي درست الوزن على أن العلاقة بينه وبين الانفعال أساسية وثابتة، لأنهما يتحدان داخل التجربة الواحدة وفي خيال الشاعر (٣٧) . وتشكل القافية (٣٨) في القصيدة نوعاً من الانفعال ممثلاً بها، إذ تعمل كرابط يربط الوزن بالمعنى العام داخل السياق، وتأتي أهميتها في كونها نهاية ثلاث وحدات: وحدة الوزن والمعنى والبناء النحوي.

وإذا تتبعنا نوع القافية في هذه القصيدة، وجدناها مطلقة (٣٩) لمناسبتها استقرار الأصوات. «بالإضافة إلى خصائص الأحرف العربية التي تقرب الإيقاع الصوتي من اتجاه معين» (٤٠) .

وقع الشاعر في هذه القصيدة في بعض عيوب القافية مثل: الإيطاء (٤١) والإقواء (٤٢) والتضمين (٤٣) . ويأتي الإيقاع الداخلي ضمن المجموعة الموسيقية للقصيدة، ليساهم بهدوء في بعث النغم المناسب والمنسجم مع جو القصيدة ومعناها. وتبدو ألوان الإيقاع الداخلي في هذه القصيدة في التكرار (٤٤) اللفظي والحرفي، ورد العجز على الصدر (٤٥) والاعتراض

والترادف. ونلاحظ أن التكرار اللفظي والحرفي في القصيدة يكمل أحدهما الآخر، فالأبيات التي خلت من التكرار اللفظي مثلاً، ورد فيها تكرار حرفي، وقد باعد الشاعر بينها وبين الرتابة فجعلها تتناوب الحضور والغياب بشكل ترتاح له النفس.

وغطّت هذه القصيدة مفردات المعجم الرومانسي وتراكيبه مثل: الحب والحنين والشكوى والبكاء والموت والنأي ونار الشوق... إلخ، مما أدى إلى ولادة حقول معجمية جديدة، وكان حقل الحب هو الذي انبثقت عنه سائر الحقول الأخرى. ومن هنا كان تكرار الشاعر للفظة (ليلى) بهذه الكثافة، فهي مفتاح شعره، الذي اتخذ في هذه القصيدة شكل ثنائيات ضدية أظهرت تأرجح الشاعر بين الأطراف، فهو بين شك ويقين، مسافر عائد، يائس متأمل، منفصل عن ليلى متصل بها، وهي النسيان والتذكر، القرب والبعد، الحلم والواقع، الحياة والموت.

وطغى على القصيدة أسلوب الجمل التي تساعد على خلق الحركة النفسية كالاستفتاح والاستفهام والشرط والنداء والتنبيه والنفي والتوكيد بأنواعه المختلفة.

وصدرت الصور في هذه القصيدة عن تجربة الشاعر الذاتية، وحياته الخاصة والعامة، فارتبطت بالإنسان والحيوان والطبيعة، فكانت الصورة البصرية هي الأعم، «فالكثرة الكاثرة من ماديات الكون، تُرى بالعين، ولذا عُدت أم الحواس، وتشتمل على الألوان، وإشراق المنظورات وبُعدها وقربها» [٤٦] ، ولمسنا الصورة السمعية [٤٧] والصورة اللمسية [٤٨] والصورة الذوقية [٤٩] والصورة الحركية [٥٠] . واتخذت الصورة في هذه القصيدة شكل الإشارة [٥١] أو التشبيه [٥٢] أو الاستعارة [٥٣] . والصورة الاستعارية هي الأكثر شيوعاً من غيرها. «ونستطيع القول أنه لا يجوز أن نبحث في الشعر عن الصورة بحد ذاتها، وإنما عن اللون الشعري فيه، وعن صلته بالإنسان والعالم والكشف عنهما» [٥٤] .

ونلمح في القصيدة الروح القصصية بما فيها من حوار وحدث وشخوص وعنصري الزمان والمكان، حتى العقدة تكاد تظهر فيها. ولهذا تميزت هذه القصيدة بالتماسك والالتحام والأصالة والتشكيل والتراكم المؤدي بالتالي إلى تماسك البنية.

وأخيراً، يمكن القول إن هذا الشعر إنساني، يمثل الصراع المستديم مع الأقدار، وهو – وإن كان نابعاً من البيئة العربية البدوية الأصيلة، والثقافة الإسلامية المحض – فقد حمل في طياته طابعاً فكرياً، عبّر صاحبه من خلاله عن موقفه الخاص كشاعر وإنسان إزاء هذه البيئة، وتلك الثقافة. وهو إذ ينقل إلينا آراءه ومعاناته، إنما ينقل تجربة إنسانية عامة، تمس فكر كل إنسان في الوجود، وعبقريته، أنه استطاع أن ينقل تجربته من الحيز الخاص

المحدود، إلى الساحة الكلية العامة، التي يشارك فيها بنو البشر جميعاً. فالفنان من استطاع تحويل الذات إلى موضوع، كما اتفقت على ذلك أكثر الفلسفات الحديثة في الفن.

وبعد، فلو أمهلته يد المنون، ولم تقطفه في هذه السن المبكرة، لاتسعت أشعاره، وملأت أكثر من ديوان.

توصية:

أتمنى أن تُعتَمد هذه القصيدة– في جامعة القدس المفتوحة– نموذجاً تطبيقياً للمنهج النقدي البنيوي المعاصر، لخلو مساقات اللغة العربية (النقدية والشعرية) في الجامعة من نموذج تطبيقي يوضح هذا المنهج.

والله من وراء القصد،،،

الهوامش:

١. البنائية أو البنيوية، كما يحلو للبعض أن يسميها، كلمة أصبحت منذ حقبة ليست بالقصيرة، تتردد في أبحاث الباحثين في مختلف فروع العلم والمعارف الإنسانية. وليست البنائية مجرد اصطلاح، بل هي منهج تحاول الدراسات المختلفة في العلوم الطبيعية والانثروبولوجية واللغوية والأدبية والفنية أن تطبقه في إصرار، نبيلة إبراهيم، «البنيوية من أين وإلى أين»، فصول/ ٢، ص ١٦٨.

٢. ابن خير الأشبيلي، الفهرست، ص ٣٩٥ وما بعدها؛ الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص ١٧٢؛ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ٧/ ٢٧؛ القالي، الأمالي، ١/ ١٦٦؛ الآمدي، المؤتلف والمختلف، ص ٦٨.

٣. في العصر الحديث قام بتحقيق الديوان، والتعليق عليه، والتقديم له، الأستاذ خليل إبراهيم العطية. ديوان توبة بن الحُميِّر الخفاجي، بغداد (مط الإرشاد) ، ١٩٦٨.

٤. أحمد الجندي، «ديوان توبة بن الحُميّر الخفاجي»، مجلة مجمع اللغة العربية، ٤٥/ ١٧٠.

٥. حيث تدرس الحروف ورمزيتها، صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، ص ٢٥٠، وفيه مستويات أخرى.

٦. ابن قتيبه، الشعر والشعراء، ١/ ٣٥٦؛ الزجاجي، الأمالي، ص ٧٧؛ أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ١١/ ٢٠٤ – ٢٠٥؛ الحصري، زهر الآداب، ص ٩٣٤.

٧. ابن شاكر الكتبي ، فوات الوفيات، ٢/ ٢٩٠.

٨. داود الأنطاكي، تزيين الأسواق، ص ٩٦.

٩. أبو الفرج الأصفهاني ، م. س، ص. ن، ١١/ ٢٠٤ بالدال والعين المهملتين وعنه نقل الآخرون: كالمرزباني وابن شاكر الكتبي وابن واصل الحموي. وفات محققي "طبعة دار الكتب" تحقيقه، وصوابه: بالذال والغين المعجمتين، وبنو الاذلغ: قوم من بني عبادة ابن عقيل، البكري، سمط اللالئ ١/ ١١٩؛ وفي اللسان (ذلغ) : الاذلغ بن شداد من بني عبادة بن عقيل عن ابن بري. وينظر: تاج العروس (الاذلغ) ٦/ ١٠، على أن الفيروز آبادي: ذكره بالدال والعين المهملتين. القاموس المحيط (دلع) .

١٠. أبو الفرج الأصفهاني، م. س، ١١/ ٢٠٥.

١١. أبو الفرج الأصفهاني، م. ن، ص. ن.

١٢. أبو الفرج الأصفهاني، م. ن، ١١/ ٢٠٦ – ٢٠٧.

١٣. ابن قتيبه، الشعر والشعراء، ١/ ٤٤٥؛ أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ١١/ ٢٠٥؛ ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، ٢/ ١٨٢.

١٤. ديوان توبة، القصيدة (١) ، البيت (١٠) .

١٥. الحصري، زهر الآداب، ص ١٠٠٧؛ السرّاج، مصارع العشاق، ١/ ٢٨٦؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٢/ ٤٩. داود الأنطاكي ، تزيين الأسواق، ص ١٨٩ وفيه قال لها: مكّنيني من تقبيل يدك، وفيه أيضاً عن الروض النضير، أنه سألها قبلة.

١٦. ديوان ليلى الأخيلية، ص ٩٥ – ٩٦.

١٧. ديوان توبة، القصيدة (٣) ، الأبيات: ٤، ٥، ١٠، ١١، ص ٤٨.

١٨. الصفائح: الحجارة العراض تكون على القبر.

١٩. زقا: صاح. الصدى: طائر، زعمت العرب أنه يخرج من رأس القتيل يصيح اسقوني، إلى أن يؤخذ بثأره. السرّاج، م. س، ١/ ٢٨٥. وهذا البيت وسابقه من شواهد النحو. وموضع الشاهد فيهما استعمال (لو) حرف شرط في المستقبل غير جازم. ابن هشام، مغني اللبيب، ١/ ٢٦١، الشاهد (٤١٧) ، ابن عقيل، شرح ألفية ابن مالك، ٢/ ٣٠٢، الشاهد (٣٤٧) .

٢٠. لاحاه ملاحاة ولحاء: نازعه.

٢١. ديوان ليلى، قصيدة (٣٠) ، البيتان: ١١ – ١٢، ص٩٨.

٢٢. هي مدينة بالحجاز من شق اليمن. البكري، معجم ما استعجم، ص ١٢٩٨.

٢٣. ديوان توبة، ص ٥٠.

٢٤. طحّان، الألسنية العربية/ ٢، ص ٨٤، ٩٦.

٢٥. يُنظر كمال أبو ديب ، جدلية الخفاء والتجلي، ص ٢٨٢.

٢٦. طحّان، م. س، ص ٨٦.

٢٧. نازك الملائكة، قضايا الشعر المعاصر، ص ٢٤٢، ٢٤٣.

٢٨. يُنظر المستوى الصوتي، ص ٢٢ من هذا البحث.

٢٩. الربّاعي، الصورة الفنية، ص ١٤.

٣٠. سورة مريم، آية ٢٦.

٣١. خالدة سعيد، حركية الإبداع، ص ١٧١.

٣٢. خالدة سعيد، م. ن، ص ١١١.

٣٣. رينيه ويليك وأوستن وارن، نظرية الأدب، ص ٢٠٥.

٣٤. يُنظر جدول البنية الإيقاعية للقصيدة، ص ٢٦.

٣٥. البيت فيه إقواء.

٣٦. عبد الحليم حفني، مطلع القصيدة العربية، ص ٥.

٣٧. رينيه ويليك وأوستن وارن، نظرية الأدب، ص ٢٢٠.

٣٨. عبد العزيز عتيق، علم العروض والقافية، ص ١٣٤.

٣٩. عبد العزيز عتيق، م. ن.، ص ١٦٥.

٤٠. خالدة سعيد، حركية الإبداع، ص ١١٢ – ١١٣.

٤١. ينظر السيد أحمد الهاشمي، ميزان الذهب، ص ١٢٤؛ ديوان توبة، البيتان: ٨، ٩ ص ٤٩.

٤٢. ديوان توبة، البيتان: ٧، ١٣، ص ٤٨، ٥٠ ويُنظر الهامش (٢) .

٤٣. م. ن، ق (٣) ، البيتان: ٤ – ٥، ص ٤٨.

٤٤. نازك الملائكة، قضايا الشعر المعاصر، ص ٢٣٠.

٤٥. نازك الملائكة، م. ن، ص ٢٤٢.

٤٦. نصرت عبد الرحمن، في النقد الحديث، ص ٦٧.

٤٧. ديوان توبة، ق (٣) ، البيت ٥، ١٠، ص ٤٨ – ٤٩.

٤٨. م. ن، ق (٣) ، البيت ٤، ٥، ص ٤٨.

٤٩. م. ن، ق (٣) ، البيت ٣، ص٤٧.

٥٠. م. ن، ق (٣) ، البيت ١٢، ص ٥٠.

٥١. م. ن، ق (٣) ، البيت ٦، ص ٤٨.

٥٢. م. ن، ق (٣) ، الأبيات: ٣، ٥، ١١، ١٤، ص ٤٧ – ٥٠.

٥٣. م. ن، ق (٣) ، الأبيات: ١، ٢، ١١، ١٢، ص ٤٧ وما بعدها.

٥٤. أدونيس، زمن الشعر، ص ١٥٥.

المصادر والمراجع:

أولاً– المصادر:

١. القرآن الكريم، كتاب الله عز وجل.

٢. الآمدي، أبو القاسم الحسن بن بشر، المؤتلف والمختلف. تصحيح وتعليق د. ف كرنكو. القاهرة (مكتبة المقدسي) . ١٩٣٥.

٣. ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد. وفيات الأعيان. تحق محمد محي الدين عبد الحميد. القاهرة (مكتبة النهضة المصرية) طب ١. ١٩٤٨. ج ١ – ٨.

٤. ابن خير الاشبيلي، أبو بكر محمد. الفهرست. تحق كوديرا وطواخو. سرقسطة ١٨٩٣.

٥. ابن شاكر الكتبي، أبو عبد الله محمد. فوات الوفيات. تحق إحسان عباس. بيروت (دار صادر) ١٩٧٣.

٦. ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله. شرح ألفية ابن مالك. تحق محمد محي الدين عبد الحميد. القاهرة (مط. السعادة) طب ٨، ١٩٥٤.

٧. ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم. الشعر والشعراء. تحق أحمد محمد شاكر. القاهرة (دار المعارف) طب ٢، ١٩٦٧. ج ١– ٢.

٨. ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم. لسان العرب. بيروت (دار صادر، دار بيروت) لا. ت.

٩. ابن هشام، أبو محمد جمال الدين. مغني اللبيب. تحق محمد محي الدين عبد الحميد. بيروت (دار الكتاب العربي) لا. ت. ج ١ – ٢.

١٠. الأخيلية، ليلى بنت عبد الله بن الرحال. ديوان ليلى الأخيلية. تحق وجمع خليل إبراهيم العطية، وجليل العطية. بغداد (مط. دار الجمهورية) ١٩٦٧.

١١. الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين. الأغاني. مصور عن طبعة دار الكتب. بيروت (مؤسسة جمال للطباعة والنشر) لا. ت. ج ١ – ١٦.

١٢. الانطاكي، داود بن عمر. تزيين الأسواق في أخبار العشاق. بيروت (دار حمد ومحيو) طب ١، ١٩٧٢.

١٣. البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز. سمط اللآلي. القاهرة (لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٩٣٥.

١٤. الحصري القيرواني، أبو اسحق إبراهيم بن علي. زهر الآداب. مضبوط بقلم زكي مبارك، ومحمد محي الدين عبد الحميد. بيروت (دار الجيل) طب ٤، ١٩٧٢.

١٥. الخفاجي، توبة بين الحُميِّر بن حزن. ديوان توبة بن الحميّر الخفاجي. تحق وتعليق وتقديم خليل إبراهيم العطية. بغداد (مط. الإرشاد) ١٩٧٨.

١٦. الزبيدي، أبو بكر محمد بن الحسن. طبقات النحويين واللغويين. تحق محمد أبو الفضل. القاهرة (لا. ن) ١٩٥٣.

١٧. الزبيدي، أبو الفيض محمد بن محمد. تاج العروس. القاهرة (مط. الخيرية) ١٨٨٨.

١٨. الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحق. الأمالي. تحق وشرح عبد السلام هارون. بيروت (دار الجيل) ط ٢، ١٩٨٧.

١٩. السرّاج، أبو محمد جعفر بن أحمد. مصارع العشاق. بيروت (دار بيروت، دار صادر) ١٩٥٨.

٢٠. الفيروز آبادي، مجد الدين محمد. القاموس المحيط، القاهرة. (مط. السعادة) ١٩١٣.

٢١. القالي، أبو علي اسماعيل بن القاسم. الأمالي. القاهرة (مط. السعادة) طب ٣، ١٩٥٣. ج ١-٢.

٢٢. ياقوت الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله. معجم الأدباء. القاهرة (دار المأمون) ١٩٣٨.

ثانياً- المراجع:

١. أبو ديب، كمال. جدلية الخفاء والتجلي. دراسات بنيوية في الشعر. بيروت (دار العلم للملايين) طب ٣، ١٩٨٤.

٢. أدونيس، علي أحمد سعيد. زمن الشعر. بيروت (دار العودة) طب ٢، ١٩٧٨.

٣. حفني، عبد الحليم. مطلع القصيدة العربية ودلالته النفسية. القاهرة (الهيئة المصرية العامة للكتاب) ١٩٨٧.

٤. الربّاعي، عبد القادر، الصورة الفنية في شعر أبي تمام. إربد (نشر بدعم من جامعة اليرموك) طب ١، ١٩٨٠.

٥. سعيد، خالدة. حركية الإبداع. دراسات في الأدب العربي الحديث. بيروت (دار العودة) طب ١، ١٩٧٩.

٦. طحّان، ريمون. الألسنية العربية/ ٢. المكتبة الجامعية/ ٣. بيروت (دار الكتاب اللبناني) طب ١، ١٩٧٢.

٧. عبد الرحمن، نصرت. في النقد الحديث. عمان (مكتبة الأقصى) طب ١، ١٩٧٩.

٨. عتيق، عبد العزيز. علم العروض والقافية. بيروت (دار النهضة العربية) طب ٢، ١٩٦٩.

٩. فضل، صلاح. نظرية البنائية في النقد الأدبي. القاهرة (مكتبة الأنجلو المصرية) ١٩٧٨.

١٠. الملائكة، نازك. قضايا الشعر المعاصر. بغداد (مكتبة النهضة) طب ٢، ١٩٦٥.

١١. الهاشمي، السيد أحمد. ميزان الذهب. بيروت (دار الكتب العلمية) ١٩٧٩.

١٢. ويليك، رينيه، ووارن أوستن. نظرية الأدب. ترجمة محي الدين صبحي. بيروت (المؤسسة العربية للدراسات والنشر) طب ٢. ١٩٨١.

ثالثاً – المقالات:

١. إبراهيم، نبيلة. «البنيوية من أين...؟ وإلى أين ...؟» ، فصول/ ٢، مجلة النقد الأدبي، المجلد الأول، العدد الثاني، القاهرة. ١٩٨١.

٢. الجندي، أحمد. «ديوان توبة بن الحُميّر الخفاجي صاحب ليلى الأخيلية» . مجلة مجمع اللغة العربية. مج ٤٥، ج ١. دمشق. ١٩٧٠.

أسلوبية التكرار
في التعبير عن شعور الاغتِراب
(شعر سيد قطب نموذجاً)

د. جهانكير أميري*

أ. فاروق نعمتي**

* أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية و آدابها/ جامعة الرازي كرمانشاه/ ايران.

** طالب دكتوراه/ قسم اللغة العربية وآدابها/ جامعة الرازي كرمانشاه/ ايران.

ملخص:

تبحث هذه الدراسة عن ظاهرة الاغتراب بوصفها سمة بارزة في أشعار سيد قطب، وقد رصدت تأثيرات هذه الظاهرة على مقومات فكره، و بالتالي على نتاجه الإبداعي الشعري، باعتبار أنّه امتداد لتذبذبات الذهن معتمدةً على المنهج الأسلوبي لقدرته على إبراز الخصائص الأسلوبية لشعرية الاغتراب. فقد رأت الدراسة أن تسلط الضوء على بنية التركيب بوصفها حجر الأساس في العملية الشعرية. و قد اكتفت بدراسة أسلوبية التكرار بنوعيه: (الترجيع و التدويم) لحضوره الكثيف في شعر سيد قطب، ثم تطرّقت الدراسة إلى أنماط الترجيع و التدويم كلٍّ على حده، و حاولت من خلال عرض أمثلة شعرية للشاعر، توضيح أقسام الترجيع من ترجيع الكلمة و ترجيع الجملة، و أجزاء التدويم من التوازي و الإنشاء، كما ينقسم الإنشاء إلى الاستفهام و التمني و النداء. فأمّا الذي يرمي إليه هذا البحث، فهو التجسيد للشعور الاغترابي لدى سيد قطب، و تمثيله عبر أشعاره الراقية. و لا يخفى أنّ الاغتراب هو نوع من مصطلح (النوستاليجية) المتداولة فى أدبنا الحديث.

الكلمات الرئيسية:

سيد قطب، الشعر، الأسلوبية، الاغتراب، التركيب، التكرار، الترجيع، التدويم.

Abstract:

This study is an attempt to focus on the issue of alienation as a distinctive quality in the poetry of Sayed Qutub and its impact on his thinking and poetry. Qutub uses the repetition method in his poetry as a dominant technique to express the sense of nostalgia. The study concentrates on two types of repetition: Tarjee' and Tadweem both in words and sentences. It also illustrates the types of Tarjee' and Tadweem by using examples from Qutub's poetry.

Keywords:*SayedQotb,Method,Nostalgia,Composition,Repetition, Tarjee',Tadweem.*

١ـ مقدمة:

الحمدلله حمداً كثيراً، والصلاة و السلام على نبيه محمد (ص) ، وعلى آله وصحبه ومن والاه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين؛ أما بعد:

فتعدُّ مشكلة الاغتراب ظاهرةً بارزةً ومتميزة في العصر الحديث، الذي هو عصرٌ يعكس أزمات سياسية واجتماعية وفكرية وأخلاقية، وقد طُرحت هذه الظاهرة على ساحات علم النفس والفلسفة وعلم الاجتماع، وإن كانت لها جذورٌ طويلةٌ في النفس البشرية. ولما كان الأدب تعبيراً صادقاً عن تجارب ذاتية وهواجس نفسية، فمن الطبيعي أن تترك الاندفاعات النفسية بصماتها الخاصة عليه.

إنّ الأسلوبية برغم حضورها الكثيف في الأوساط الأدبية والعلمية وبرغم اهتمام الدارسين بها، مازالت حديثة العهد بمكانٍ، فهى تحتاج إلى مزيد من الرعاية والاهتمام؛ وذلك لقدرتها على الغور في خفايا النصٍ وإبراز خصائصه البارزة.

لقد تناول هذا البحث شاعراً وأديباً قبل أن يكون مفسّراً ومفكراً، ألا وهو سيد قطب، الذى شاع الاغتراب في فكره وشعره، كما تبيّن للباحث جليّاً بعد إلقاء نظرة فاحصة و شاملة في انتاجه الإبداعي، و في تصريحاته التي أدلى به هناك وهناك. من هنا اتخذ الباحث المنهج الأسلوبي لدراسة هذه الظاهرة ليبيّن ما إذا كان التشكيل النحوي امتداداً للتشكيل الذهني، وأنّ الحالة الاغترابية توكّد حضورها على الحالة الإبداعية وعياً أو لاوعياً، فضلاً عن أنّ البنية النحوية والتركيبية، لها دورها المؤثر فى ترسيخ المشاعر الاغترابية.

ومن هنا كان الهدف من هذه الدراسة إلقاء الضوء على عملية الاغتراب في الإبداع الشعري، وترمي إلى إبراز مدى فاعليتها على الإنتاج الأدبي.

عرف العرب وجوهاً متعددة من البحث الأسلوبي، ولكنهم لميعمقوا النظر في هذه الوجوه، وذلك ضمن الدرس البلاغي؛ فمثلا «الدارسون في البلاغة و الأسلوبية اليوم يعترفون بوجود منطقة مشتركة بين البلاغة والأسلوبية» (بن ذريل، ٢٠٠٠: ٤٧) و الدليل على هذا الارتباط تلك الجهود الحثيثة التي حفظتها كتب الموروث البلاغي والنحوي واللغوي، غير أن هناك فارقاً بين الأسلوبية والدرس البلاغي لاحظه عديدٌ من النقاد، وهو أنّ الأسلوبية لاتصدر أحكاماً تقويمية، بل كل ما في الأمر أنها تقومُ بوصف النصوص الأدبية وتحليلها، غير أن البلاغة تعتمد على التقسيم والحكم.

وقد ركّزت الدراسة على أسلوبية التكرار وما ينضوي تحته من التوازي والتدويم، ليتّضح للقارىء مدى فاعلية هذه العناصر في إيصال معنى الاغتراب إلى المتلقي وتعميقه عنده.

٢ـ وقفة مع سيد قطب وحياته الشعرية:

وُلد سيد قطب إبراهيم الشاذلي، عام ١٩٠٦، فى قرية «موشا» من محافظة أسيوط فى مصر. تخرّج عام ١٩٣٣ فى دارالعلوم حاملاً شهادة الليسانس فى الآداب. التحق بحركة «الإخوان المسلمين» وخاض فى معاركهم التى بدأت منذ عام ١٩٥٤، بدءاً من اعتقاله فى السنة نفسها، عندما اتهم الإخوان بمحاولة اغتيال الرئيس المصرى «جمال عبدالناصر». أفرج عن سيد قطب فى عام ١٩٦٤، ولكنه عاد إلى السجن مرة أخرى وحُكم عليه وعلى مجموعة من أعضاء الإخوان بالإعدام، و نُفّذ فيه الحكم فى فجر الإثنين عام ١٩٦٦. (ينظر: عبدالفتاح الخالدى، ١٩٩١: ٣٢٣- ٤٨٢)

لقد مارس سيد قطب حياته العلمية أديباً وناقداً، ولكن لا يعرفه كثير من الناس إلا مفكراً و مفسّراً إسلامياً، و ذلك من خلال دراساته الإسلامية المتعدّدة، مثل «فى ظلال القرآن»، «العدالة الاجتماعية فى الإسلام»، «معالم فى الطريق» و غيرها، وقد أهملت ثقافته الأدبية والنقدية من جانب الكثيرين وبذلك، ترك أدبه ومدرسته النقدية فى زاوية النسيان. (سربان، ١٤٣١ق: ٤٢) مارس نظم الشعر فى فترة مبكّرة من حياته، فأخرج ديوانه الأول فى عام ١٩٣٥، وديوانه الثانى فى ١٩٣٧؛ وكانت الفترة من ١٩٣٠ إلى ١٩٤٠، فترة ازدهار شاعريّته. (محمد حسين، ١٩٩٣: ١٣٧- ١٣٨)

لسيد قطب شعر كثير، منه ما جمعه بنفسه فى ديوان «الشاطئ المجهول» الذى نشره فى يناير سنة ١٩٣٥م، وله مقدمة نثرية كتبها بنفسه، تحدّث فيها عن «الشعر والنظريات العلميّة والفلسفيّة»، و «الجسم والعقل والروح»، و «الجسم والزمن والوحدة»، و «الإحساس بالزمن ومحاولة الخلود»، و «ملكة التصوير وروح القصص» و «موسيقية الديوان»، و«التعبير». لكن كان معظم شعره مبعثراً فى الصحف والمجلات، جمعه «عبدالباقي محمد حسين» ونشره مع ديوان «الشاطئ المجهول» فى ديوان سمّاه «ديوان سيد قطب». ويشتمل ديوان «الشاطئ المجهول» على سبع وخمسين قصيدة وخمس مقطوعات، ومجموع أبياته ١١٠٣ بيتاً، ومجموع قصائد الشاعر خارج هذا الديوان، واحد وسبعون قصيدة ومجموع الأبيات ١٤٧٠ بيتاً. ورتّب «عبدالباقي محمد حسين» كلّ أشعار سيد قطب، **حسب الموضوعات التى يُعالجها على الأبواب الآتية:**

١- التمرّد، ٢- الشكوى، ٣- الحنين، ٤- التأمّل، ٥- الغزل، ٦- الوصف، ٧- الرثاء، ٨- الوطنيات.

يخلو شعر سيد قطب من المدح والفخر والهجاء، والغزل الحسي الفاحش، الذى يصدر عن شهوات النفس وملذّاتها، وعبث الشباب ومُجونه، ويتركّز حول وصف مفاتن المرأة الجسديّة والحديث عن لقاءاتها المحرّمة؛ على العكس من ذلك تماماً نجد فى غزل سيد قطب، الحبّ الطاهر الخالد الذى يرتفع بالإنسان عن خطل الجسم إلى عالم النور والضياء. وهو فى الحقيقة لا يحصر الحبّ فى حبّ المرأة والأصدقاء، بل يرى للحبّ معنى أوسع وأشمل فيقول فى مقال له تحت عنوان «شاعر من شعراء الشباب»: «وهذا الحبّ الذى يخفق به قلب شاعرنا ليس مقصوراً على حبّ المرأة ولا حبّ الأصدقاء؛ ما أردتُ بذلك قط حين قلتُ أنّ نفسه محبّة وإنّما قصدتُ إلى معنى أشمل، هو معنى الحبّ العام الذي يعمر النفوس، فلا يدع فيها مكاناً للبغضاء أو الحقد، والذى يجعلها نزّاعة أبداً إلى الاجتماع والعطف، و تلقّي كل مظهر من مظاهر الحياة بنوع من القبول و الرفق، فهو يودّ لو يشمل الكون جميعه بالحنان، وأن يشمله كل شىء فى الكون بالحنان وكذلك يكون بينهما تعاطف وتراحم وتواد. بعد ذلك يظهر فى حبّ المرأة أو حبّ الأصدقاء أو حبّ العهود الماضية والدور البالية والأشجار الناضرة والذابلة والطيور المغرّدة والنائحة». (نقلاً من: سيد بركة، ١٩٩٩: ١٢٩)

كان سيد قطب فى شعره، يميل إلى استخدام الصور والظلال وإضفاء الحياة على الجمادات، وبذلك يُعدّ من الشعراء المصوّرين، ولا غرابة فى ذلك؛ لأن التصوير والتخييل هو السمة الغالبة على أسلوبه، وإنّ لهذه السمة جذوراً عميقةً راسخةً فى نفسه وشعوره ومخيلته وأحاسيسه. (عبدالفتاح الخالدي، ١٩٨٩: ٥٧) وبذلك يمكن أن يعدّ سيد قطب الشاعر المصوّر فى العصر الحديث، كما كان ابن الرومي الشاعر المصوّر فى العصر العباسي. (المرجع نفسه، ٦٩) يقول سيد فى مقدمة ديوانه: «يتبيّن للناقد، أنّ الشاعر فى هذا الديوان يقف موقفَ المصوّر فى كثير من القصائد؛ حتّى لا تكاد تخلو قصيدة من تصوير. وقد يزيد على الصورة الصامتة فى كثير من الأحيان حركة نابضة؛ والأمثلة على ذلك فى (الشّعاع الخابي. وخراب. والصحراء. والإنسان الأخير. وخريف الحياة. والجبار العاجز. وناحتِ الصَّخر) لا بل الأمثلة هى هذا الديوان كله، فهو مُتحف صُور، قبل أن يكون قصائد شِعر! ». (قطب، ١٩٩٢: ٣٤) ثمّ يبحث عن كيفيّة التصوير فى شعره قائلاً: «إنّه التصوير الهادئ؛ الغامض. فالهدوء والغموض هما اللذان يُثيران فى الشاعر خاطر التصوير، بل خاطر التعبير...»». (المرجع نفسه، ٣٤)

أُعجب سيد في بداية مسيرته الأدبيّة بمدرسة «العقاد»، حيث وصف العقادَ بأنه أفضل شاعر وأقوى أديب فى مصر. (البدوي، ١٩٩٢: ٥٢) كما أعجب أيضاً بالشعراء الإيرانيين، ولاسيّما «حافظ الشيرازي»، ووصف غزلياته بأنها «تساعد على انحسار الموجة الفكرية عن الشعر الحديث»، وأنّ قارئها «يستروح فيها عطر الشرق البعيد وبساطته ومرحه». (قطب، ١٩٨٣: ٧١)

٣ـ مفهوم الاغتراب:

تجمع المصادر اللغوية على أن مادة (غرب) تدل على البعد و«النزوح عن الوطن والاغتراب»، (ابن منظور، ١٩٨٨، ج١٠: ٣٢) إلا أن الغربة أصبحت فيما بعدُ تطلق على البعد الفكري أو النفسي ما يمكن تسميته بالغربة المعنوية. (دهقان، ١٣٨٦ش: ٢)

أمّا الاغتراب فهو «مشتق من (غرب، يغرب) ويعني غاب واختفى وتوارى وتمادى وتنحّى وبعُد عن وطنه؛ أمّا (اغترب،يغترب) فتعني أحسّ بالغربة ونزَحَ عن وطنه؛ فالاغتراب مصدرٌ لفعل (اغترب) أي انتاب الفرد شعورٌ بالاغتراب برغم وجوده في بلده؛ وفقدُ الإنسان ذاتَه و شخصيته مما قد يدفعه إلى الثورة لكي يستعيد كيانه». (العايد و الآخرون، ١٩٨٩: ٨٨٨)

والاغتراب اصطلاحاً هو ترجمة للكلمة الانجليزية (alientation) ، وإن اقترح بعض المترجمين تعابير أخري كـ «الاغتيار» و «الاستلاب» و «الألنية» للكلمة ذاتها. ولها أصل لاتينيّ مستمدّ من الفعل (alienare) الذي يعني نقل ملكية شيء مّا إلى آخر، وهذا الفعل هو «الاستلاب» و «الإلنية»، و هذا الفعل بدوره مستمد من (alienus) أي الانتماء إلى شخص آخر. (العبد الله، ٢٠٠٥: ٢١) فالاغتراب بوصفه مفهوماً حديثاً تناوله أول الأمر، الفيلسوف الألماني "هيغل" (ستوده، ١٣٨٢: ٢٣٩) إلى أن دخل معظم الدراسات الأدبية و النفسية و الاجتماعية، فهو حالة «من شعور الفرد بانفصاله عن واقعه وعجزه عن التكيّف للمجتمع الذي يعيش فيه، فهو حالة إخفاق الفرد في تحقيق التوازن بين الواقعية والإمكان». (الراوي، ١٤٢٣: ٦٦)

إن الاغتراب ظاهرة قديمة ولعل جذور فكرتها تعود إلى هبوط آدم (ع) على الكوكب الأرضي، إلّا أنها مفهوماً ومصطلحاً من سمات العصر الحديث، لما يتميز به هذا العصر من بواعث لهذه الظاهرة؛ ومن أهمّها الباعث السياسي الذي أسفر عن «إثارة إحساس الناس بالضيق في أوطانهم وبالذل في ديارهم»، (روحي، ٢٠٠٧: ٢٠) إلا أن غربة الشاعر المعاصر تكون من نوع آخر، تكاد تكون غربةً فكريةً؛ لأنّ «التغيّرات السياسية السريعة التي تعاقبت على العالم منذ أواخر الأربعينيات، والتفاوت الاقتصادي بين الطبقات الاجتماعية المختلفة، قد أسهمت في تصدع الأبنية الثقافية والاجتماعية التقليدية و انهيارها، فأدرك المثقّف إنعدام المعايير والقيم التي تحكم سلوك الفرد وتصرفاته وجمود هذه القيم وعدم فاعليتها، مما أدّي إلى تنامي إحساس المثقف بالغربة والانعزال». (ابوشاويش وعواد، ٢٠٠٦: ١٢٧)

٤ـ الأسلوبية:

وإذا كانت غاية الكلام إيصال المعنى إلى المخاطب ولفت اهتمامه، فإنّ من الضروري أن يسلك المتكلم طريقاً في التعبير يوصله إلى مطلوبه. من هنا جاء اهتمام المتكلم بتعابيره ونظمها، و تشكيلها وفقاً للاندفاعات التى تعكس شخصيته وتعبّر عنها.

فالأسلوب، رغم ما يحمل معناه الجذري من السطر من النخيل والطريق والوجه والمذهب، (ابن منظور، ١٩٨٨، ج٦: ٣١٩) ، يُستعمل فى العصر الحديث، طريقة للكتابة أو الإبداع؛ وبعبارة أخرى، إنه طريقة اختيار الكلمات وتأليفها للتعبير عن المعاني، فهو كما قال ابن خلدون: «المنوال الذي ينسج فيه التركيب أو القالب الذي يفرغ فيه». (الشايب، ١٩٥٦: ٤٩) وبذلك يكون الأسلوب تجسيداً حسياً أو صورة لفظية للجوانب العقلية والانفعالية لدى الأديب والشاعر، وقد أكّد «بوفون» الأديب الفرنسي، هذه المقولة بقوله: «الأسلوب هو الشخص نفسه»، (النحوي، ١٩٩٩: ١٥٥) كتأكيد على أن اللغة تكشف عن شخصية صاحبها.

إنّ حبّ الاطلاع على السمات التي تخلفها النفس المبدعة واكتناه سرّ عبقرية المبدع وأثره الإبداعي جعلا من دراسة الأسلوب علماً سمّي بالأسلوبية (stylistics) ؛ التي «تَعنى الأبعاد النفسية والقيم الجمالية والوصول إلى أعماق فكر الكاتب من خلال تحليل نصه». (المرجع نفسه، ١٥٨) ، فبذلك تسعى الأسلوبية إلى دراسة الأعمال منطلقة من تحليل الظواهر اللغوية والبلاغية، قصد توصيفها وإيضاحها وتصنيفها بحسب جماليتها الفنية.

وعلى الرغم من أن الدرس الأسلوبي أوروبياً كان أم عربياً، احتفى منذ القديم بدراسة الأسلوب في مباحث عديدة، إذ ارتبط بالبلاغة في الدراسات القديمة، فإن مصطلح «الأسلوبية» لم يظهر إلا في بداية القرن العشرين مع ظهور الدراسات اللغوية الحديثة التي أحدثتها لسانيات «فرديناند دي سوسير». وقد يذهب الدارسون إلى أن «شارل بالي» هو مؤسس علم الأسلوب بكتابه «بحث في علم الأسلوب الفرنسي». (خفاجي و الآخرون، ١٩٩٢: ١٢)

٥ـ مظاهر الاغتراب التركيبيّة و جماليّتها فى شعر سيد قطب:

«إن الشعر عمليةٌ تحدث في اللغة»، (كدكني، ١٣٧٦ش: ٣) يتناولها الشاعر بنوع خاص يختلف عن سياق نظام اللغة العادي الأتوماتيكي، وذلك بنظم الكلمات المختارة وتركيبها وفقاً للدفقة الشعورية التي يعيشها المبدع. فالشعر تحكمه عمليّتا الاختيار (selection) والتركيب (combination) ؛ بمعنى أن المبدع ينتقي سمات لغوية خاصة، ومن ثم ينظم تلك الكلمات المختارة في الخطاب الأدبي، بهدف التعبير عن موقفٍ معيّن.

وبذلك يصبح العمل الإبداعي ومنه الشعر «معادلاً موضوعياً» لانفعال المبدع، يعطي للأسلوبية أهميّه في تحديد تلك السمات المتميزة للتراكيب النحوية، وما تحمله من الدلالات النفسية، وقد أكّد «عبدالقاهر الجرجاني» على أهمية التركيب قائلاً: «اعلم أن ليست المزيّة بواجبة لها في أنفسها من حيثُ هي على الاطلاق، ولكن تعرض بسبب المعاني والأغراض التي يوضح لها الكلام، ثم بحسب موقع بعضها من بعض، واستعمال بعضها مع بعض» (الجرجاني، ٢٠٠٥: ٧٤) وانطلاقاً من هنا، رصد الباحث تلك السمات التركيبية النابعة من الحالة الاغترابية عند الشاعر، وركّز على «التكرار» بوصفه ظاهرة بارزة فيها.

١ـ ٥: التكرار:

انتشرت ظاهرة التكرار في الشعر الحديث كثيراً واتخذت موقفاً بارزاً في بناء النص والتعبير عن ضمير الشاعر؛ فإنّه يمثل عنصراً جوهرياً حاسماً في الصياغة الشعرية. (فضل، ١٩٨٧: ٢٦١) ، كما «يعدّ – في علو معدلات تكراره– وسيلة بلاغية (rhetorical device) ذات قيم أسلوبيّة مختلفة»، (العبد، ٢٠٠٧: ١٢٨) تبرز الجوانب التي يريدها الشاعر، وتكون أقدر على حمل مراده. فالتكرار «أحد الأضواء اللاشعورية التي يسلّطها الشعر على أعماق الشاعر فيضيئها». (الملائكة، ١٩٨٣: ٤٣) وفي شعر الاغتراب والغربة، يكون لأسلوب التكرار حضورُه المكثّف؛ الأمر الذي دعا إلى رصد مظاهره عند الشاعر، وتحديد وظيفته الدلالية في موضوع الاغتراب، **وذلك عبر مبحثين اثنين هما**: الترجيع والتدويم.

١- ١- ٥: الترجيع:

هو تكرار منظّم للكلمات والجمل، بحيث يمثّل ذلك، المركز الدلالي للانفعال والمشاعر. إنّ هذا النوع من التكرار يشمل تكرار كلمة بجميع حروفها أو أكثرها أو الجملة بجميع كلماتها. والقاعدة الأساسية في جمالية هذا التكرار، هو أن يكون اللفظ المكرر وثيق الصلة بالمعنى ونابعاً عنه، و إلّا كان عالةً على السياق لا سبيل إلى قبوله. **والترجيع بدوره ينقسم إلى**:

١- ١- ١- ٥: ترجيع الكلمة:

وهو ما سماه «اولمان» بالتكرار البسيط (simple repetition) ، (العبد، ٢٠٠٧: ١٢٨) والقصد منه إعادة اللفظ والكلمة مطلقاً، وقد صنف علماء البلاغة القدامى هذا النوع من التكرار تحت باب «الإطناب»، إلّا أنه لايمثّل إطناباً، وإنما محاولةٌ جادة للوفاء بالمعنى، بل قد يكون بؤرةً للشعور الانفعالي. وهو ما تجلّى ظاهراً في تكرار كلمة «غريب» عند سيد قطب في قصيدة «غريب...! »:

غَـرِيــبٌ أَجَــــل أنـا فـــى غُـربـَةٍ وَإن حَفَّ بِىَ الصَّحبُ وَالأَقربُـون
غَـرِيــبٌ بِـنَفسـى وَمَــا تَـنطَوى عَلَيه حَنَايَا فُــؤَادي الحَـنُـون
غَـرِيــبٌ وَإن كَـــانَ لَـمَّــا يَـزَل بِبَعضِ القُلــوبِ لِقَلبى حَنين
غَرِيــبٌ فَــوا حَاجَتِـى لِلمُعِين وَوا لَـهفَ نَفسِـى لِلمُخلِصين
(قطب، ١٩٩٢: ٦٣)

إنّ التكرار هنا يعمّق مجرى دلالة «غريب»، وينقّب عن طبقات المعنى، ليصل إلى العمق المطلوب وهو التعبير عن اغتراب الشاعر في هذا الواقع المكروه الموهن فى نفسه الذي وقع فيه، فإنّ تكرار كلمة «غريب» أربع مرات في كل بيت يقوم بدور «التعويض» عن تلك الحالة الشعورية المسيطرة عليه، حالة الاغتراب والحزن. إنّ الغربة التي يعيشها سيد، ليست غربة عاديّة يعيشها أىّ إنسان غريب يسكن خارج وطنه بعيداً عن أحبابه وأقاربه؛ ذلك لأنّ سيد قطب كما صرّح في هذه الأبيات يُقيم وسط أصحابه وأقرانه و يتمتّع برعايتهم وعطفهم وحنانهم. إنّما يكون هذا الاغتراب الذي بداخله ناجماً من شعوره بالوحدة والإنفراد في عالم الكون، فهو غربةٌ فلسفيّة إن جاز التعبير. كما يعيشها المزيد من المفكّرين والشُّعراء منذُ أن هبط آدم (ع) مع زوجته إلى الأرض، وبأمرٍ من الله سبحانه وتعالى، فاختمر الشعور بالغربة في وجوده وتأصّلت جذوره في أعماق نفسه، يطغى على السطح كلّما واجه الآدميّ ظروفاً تستثيرُ عواطفه ومشاعره؛ كما لو أنّه يكون واقفاً عند شاطئ البحر وقت الأصيل مُراقباً أمواج البحر التي تُعانق الصُّخور فتعزف موسيقا حزينة بألحان شجيّة، حينئذٍ يستفيق الشعور بالاغتراب لدى الإنسان مُترافقاً مع الحزن العميق، هذا الشعور لا ينعدم مهما كان الإنسان مُنهمكاً في ملاهي الدنيا وملاذّها، لأنّه يتداعى ويتناوب بين حينٍ وآخر كجَمرة تحت الرماد؛ والاغتراب الذي تحدّث عنه سيد قطب، يأتي في هذا السياق ويُؤَطّر في هذا الإطار.

وقد يتمثّل التكرار تمثّلاً حسياً من خلال ذكر اللفظة المكررة تكراراً متعاقباً، كما في قوله:

الظَّـلامَ الظَّــلامَ أروِحُ لِلقَلــبِ وَلَــو كَانَ لَا يُريــحُ العُـقُــولا!
(المرجع نفسه، ١٤٥)

إنّ التكرار هنا يوحي لنا بظلمة المكان الذي يتحمله الشاعر، فتكرار «الظلام» تجسيد للغربة المكانيّة التى لا ضياء فيها. فالشاعر يُروّح ويُسكّن قلبه بالظّلمة العميقة التى دخل فيها، والتى كانت حصيلة الغربة الشعورية فى نفسه.

فقد أدّى هذا الحنين، إلى تكرار يُعبّر عن جوانب الذات المغتربة وتعكس عمق تفاعل

الموضوع فيها وهو ما حصل فعلاً لسيد قطب، إثر «مأساة البداري»؛ هذه المأساة الوحشيّة التى مثّلها مأمور «البداري» مع أهالي هذه البلدة. (المرجع نفسه، مقدمة القصيدة، ٢٨١) إذ انتاب الشاعر والمجتمع المصرى بهذه الحادثة الكارثة، شعورٌ بالخزي والذلّ. فقد عبّر الشاعر في قصيدة (مأساة البداري) ، عمّا كان الشعب المصري يُعانيه حالياً، فدفعه الإحساس بما يحدث في شعبه من الإهانة والغضب للكرامة الإنسانيّة، إلى تكرار عبارة (فى مصر) ، في بداية كل بيت، لتعمل كمرآة تعكس ما يتحسّس به سيد قطب، من مشاعره الجيّاشة أمام شعبه:

فِى مِصـرَ قَد تَلقَـى الـكلابُ رعـايَةً ... بينـا يُحقَّـرُ شَـعبُهَا وَيُحَطَّـمُ!

فِى مِصـرَ لَا يَـلقَى المُسِـيءُ جَزاءَه ... لَا بَـل يُكافَـأُ دونَـهُ وَيُكـرَّمُ

فِـى مِصر مَا لَا يَحفَـظُ التَّاريخُ مِـن ... فُحشٍ يَعجُّ بِهَـا وَفُحشٍ يُكتَمُ

فِى مِصـرَ! لَو فِى مِصرَ بَعضُ كَرامةٍ ... غَضِبَت وَفَارَ عَلَـى جَوانِبهَا الدَّمُ!

(المرجع نفسه، ٢٨٢)

ممّا يُثير الشعور بالاغتراب لدى سيد قطب، الظلم والفوضى اللذين يشهدهما فى بلده مصر؛ المشهد الرهيب الذي يراه سيد للظلم والاضطهاد تجاه شعبه المهضوم يملأ نفسه حُزناً وأسىً، لا يُطيق الشاعر المجتمع الذي ينقصه العدل والكرامة، والإنسان فيه أقلّ شأناً من الكلاب. كما يستثير الشعور بالاغتراب لديه عدمُ مُكافأة المُحسنين وعدم مُعاقبة المُجرمين في المُجتمع المصري الذي لا يُكرّم فيه المُواطن، ولا تُحترم فيه القيمُ والمُثُل، بل تُنتهك فيه الحرمات وتُسفك به الدماء وتنتشر في أرجائه الضغائن والفُحش والخُنوع. هذه المشاهد السيّئة والصور القبيحة فجّرت الأحزان والهموم بداخل الشاعر، وكأنّها بُركانٌ هائل، كما أثار مشاعر الوحشة والاغتراب في نفس سيد قطب. فعبّر الشاعر عن هذه الأحاسيس الجياشة بأسلوب التكرار، فملأت مشاعره إناء الكلمات وسال فائضها منه، فلا تكاد الكلمات تتّسع لتلك المشاعر الجامحة، فكلّ كلمة تعجّ بشعور الاغتراب فكأنّها تئنّ ألماً ومضاضةً، حيثُ يسمعُ القارئ أنينها بوضوحٍ حينما يقرأ الأبيات.

وعملت هذه المشاعر الاغترابية فعلَها على فكرة سيد قطب وتركت بصماتها عليها، فتسلّلت إلى نفسه فى قصيدة «هُبل..هُبَل»؛ فإنّه يكرر هذه الكلمة، عند نهاية كل فقرة، كرمز للسَّخافة والدَّجل والجَهالَة:

«هُـبَـل... هُبَـل، رَمـزُ السَّخَـافَة وَالدَّجَـل

مِـن بَعـد مَـا انـدَثَـرَت عَـلَى أيـدِى الـأُبَاة....

هُـبَـل... هُبَل، رَمـزُ السَّخَـافَة وَالجَـهَـالَـة والـدَّجَـل

لَا تَـسـأَلَن يَـا صَاحِـبِـي تِـلـكَ الجُمُـوع...

هُبَل .... هُبَل، رَمزُ الخِيانَة وَالجَـهَالَة وَالسَّخَــافَة وَالـدَّجَل
هُـتَّـافَـةُ التَّـهريـج مَـا مَـلُّـوا الثَّـنَـاء...
هُبَل ... هُبَل، رَمزُ الخِيانَـة وَالعَـمَالَـة وَالدَّجَـل
صِـيغَت لَـهُ الأمجَادُ زَائفَةً فَصَدَّقَـهَا الغَبِـيّ...».

(المرجع نفسه، ٢٨٩)

٢- ١- ١- ٥: تكرار الجملة:

وقد سمّاه (أولمان) بـ «الأنماط المركبة للتكرار complex patterns repetition»، (العبد، ٢٠٠٧: ١٢٨) وفيه يعمد الشاعر إلى عبارة معينة، يكرّرها في أثناء النص وبشكل يهيّئ لها فرصة التعبير عن حالة يريد هو بثَّها. وقد استثمر سيد قطب هذا النمط ليتغنّى بمشاعره الاغترابية، ففي قصيدة (زَفراتٌ جامحةٌ مكبوحة) ، يكرّر الشاعر جملتين (إذهب و خلِّفني) مرتين، تعبيراً منه عن قشعريرة اغترابه المرير:

اذهَب وَخَلِّفني هُنَا مُتَأَلِّمَا ... لَا تَلقَني سَمحاً ولَا مُتَجَهِّمَا!
اذهَب وخَلِّفني تَذوبُ حُشَاشَتِي ... وَيَبُضُّ قَلبِي مِن قَرارته دَمَا
اذهَب فَلَن أشكُو إليكَ عَواطِفِي يَوماً ... وَلَن ألقَاكَ إلّا أبكَمَا
اذهَب وَفِي نَفسِي لِبُعدِك حَسرةٌ ... وَالعَيشُ بَعدكَ صَارَ صُلباً عَلقَما

(قطب، ١٩٩٢: ٤٤)

يسأل الشاعر هنا عن صديقه أن يتركه وآلامه التى تُذيب حشاشته وقلبه الذي يرشح دماً. فوقع الشاعر هناك فى غربة نفسية، كان سببها، فقدان من يحبه ويعشقه وتجوال الحبّ فى نفسه، فينكر مكانه وتضيق نفسه به، ويحسّ وحشة الغربة وكآبة الوحدة. وعدّت العرب قديماً هذا النمط نوعاً من الغربة، فقالت فى مأثور كلامها: «فَقدُ الأَحِبَّة غُربَةٌ».

وقد يأتي التكرار للجملة ليؤكّد شدة إحساس المغترب بضيق الواقع وحنينه إلى رحبة الماضي المُشرق؛ وهذا سيد قطب فى قصيدة «الجنة المفقودة»، يعبّر عن حماسه إلى فردوسه الضائع، فيقول:

فَقَدتُكَ فِى النَّفس أنشُودَةً ... وَمَعنَىً مِنَ الفتنَة السَّاحِرَه
فَقَدتُكَ ذِكرَىً فَوَا حَسرَتَاه ... لِفَقدٍ مِنَ العَينِ وَالخَاطِرَه

(المرجع نفسه، ١٨٣)

في هذا المقطع الشعري، يفتح لنا سيد قطب نوافذ أخرى على قلبه ونفسه لنُطلّ منها على أحزانه الكامنة والمسيطرة على كيانه. في هذه المرة عزف قيثارةَ وجوده هجرُ الحبيب

وابتعاده وخلَق أنغاماً وألحاناً ملؤها الحزنُ والأسى. هجران الحبيب من الموضوعات التي أذرفت الدموع من عيون الشعراء، وأدمت قلوبهم منذُ قديم الأزمنة. وسيد قطب بوصفه شاعراً مُحبّاً وغزير العاطفة والإحساس اقتفى أثرهم واحتذى حذوهم؛ فهو يذرف الدموع الحمراء، ويُطلق الزفرات الحارّة، ويُبدي حالة الضيق والضجر والسآمة، ويتجرّع كُؤوس المرارة والغُصص، تعبيراً عن شعور الوحشة والاغتراب الذي يلمسه، فهذا الشعور يكاد يُمزّق نياط قلبه حسرةً ويُذيب حُشاشته كآبةً. فالشاعريتحدث عن الجنة الضائعة التي كان يتقلب في نعيمها وفي فضاءها الرحب، وهذه الجنة بقِيت "أنشودة" يتغنّى بها الشاعر و"ذكرى" تتجول فى ذهنه. قد يكون واضحاً أن النفس المغتربة بسبب ما تكابده من معاناة وضياع في واقعها المتدهور تفقد توازنها واتّزانها، ما يستدعي الحنين إلى حياة زاهرة ومكان مشرق يخلصانها من اغترابه المضني، فتلجأ إلى الجنة المفقودة التى قلما تجدها على أرض الواقع.

ونشاهد أيضا تكرار جملة «تعالى» فى قصيدة «نداء الخريف»، والخريف كما هو معلوم، رمزٌ للحزن والغربة لدى كثير من الشعراء:

تَـعَـالَي أوشَـكَت أيَّـامُـنـا تَنفَد
تَـعَـالَي أوشَـكَت أنفَاسُنا تَـبرُد
بِـلاَ أمَـلٍ وَلا لُـقيَـا وَلَا مَوعِد

(المرجع نفسه، ٩٨)

كلمة (تعالي) في الأبيات السابقة تعبّر عن رغبة الشاعر المُلحّة لانتهاز الفُرص واغتنام الثواني قبل ضياعها، فتجعل هذه الرغبة الشاعرَ أن يدعو حبيبته إلى التواصل والتآلف قبل أن تفوتهم الفُرصُ. كما يسعى الشاعر جاهداً أن يذكّر الحبيب أنّ الأيام ستمضي قُدماً، وستنتهي كلمح البصر، وسيأتي يومٌ تنقطع فيه أنفاسهما وتتوقّف حياتهما ويوافيهما الأجل دون إنذار مسبق وموعد محدّد. تعكس كلمات الشاعر مُنتهى أمله وبُغيته لعودة الحبيب إليه وَلمّ شمل الصداقة بينمهما و ذلك بأسلوب التكرار؛ فالتكرار هنا يُوحي بشعور خاص لدى الشاعر بالتفرد والوحشة لامتداد العمر به، نتيجة فقدان الأقران والأصحاب؛ فحنين الشاعر هناك، كان حصيلةً للغربة؛ إذ لا شعور بالحنين دون شعور سابق بمعاناة الغربة أولاً. والحنين هو التشوّق إلى ما تفقده وتأنس إليه، وهو فى هذه النوع من الغربة، حنين إلى الشباب وأيامه الحلوة، وإلى من يلقى فيه الشاعر من الأصحاب والخلّان. فجاء التكرار ليركّز على اغترابه وأن يكون «تنفيساً مديداً يعالج به القلب من ضواغط الأشجان». (السيد، ١٩٨٦: ١٨٥)

٢- ١- ٥: التدويم:

يُعرّف التدويم بأنّه «تكرار النماذج الجزئية أو المركّبة بشكل متتابع أو متراوح، بغية الوصول بالصياغة إلى درجة عالية من الوجد الموسيقي والنشوة اللغوية، عندئذ تتصاعد البنية الموسيقية لتسيطر على المستوى التصويري، وتصبح رمزاً تتكثف حوله دلالة الشعر ويتمركز معناه، وتصبح الصياغة هى محور القوة التعبيرية ونقطة التفجير الشعري». (فضل، ١٩٨٧؛ ٢٦٢) فالتدويم يبنى على المستوى التركيبي بإعادة تكرار بنيات نحوية.

وقد جاءت ظاهرة التدويم وأنماطها في شعر سيد قطب، كشفاً عن حالته الإغترابية، كما أنّها قادرة على تعميق معنى الاغتراب لدى المتلقي، لِما تتميز به من استمرارية تلك الحالة وتمريرها. فقد رصد الباحث هذه الظاهرة في شعره من خلال الأنماط التالية:

١- ٢- ١- ٥: تدويم التوازي:

هو «عبارة عن تماثل أو تعادل المباني أو المعاني في سطور متطابقة الكلمات أو العبارات القائمة على الازدواج الفني»؛ (حسن، ١٩٩٩: ٧) وهو حصيلة «التكرار الكلامي»، (صفوي، ١٣٧٣: ١٥٦) الذي يقوم على تكرار البنية النحوية و«يحتلّ المنزلة الأولي بالنسبة للفن الأدبي». (ياكبسون، ١٩٨٨: ١٠٣) إن هذا النوع من التكرار يُعدّ عند البعض، ضمن (التدويم) وإن يحمل في طياته صورة من صور الترجيع، ذلك لأنّه قائم على مماثلة في الألفاظ.

لقد اشتدّ الحزن و الاغتراب بسيد قطب، فينقل حزنه وكآبته إلى مظاهر الكون؛ فالأرض لا تدور من شدة حزنه، و الريح تخفى فى صدرها الحسرة والزفير، والطير تشدو بالهلاك والدمار، والناس وقعوا فى اليأس والقنوط؛ كل هذه كانت بسبب تدفّق مشاعر الشاعر القاتمة إلى الخارج متمثلة في بنية التوازي، في محاولة منه ليتخلص نهائياً من وخز الاغتراب، حيث تكشف بنية التوازي واتجاهها الخطي عن استمرارية هذا الاغتراب واتصالها بذات الشاعر خاصة:

الأَرضُ غيرُ الأرضُ فِي دَورانِها ... لَتَكادُ من فَرطِ السَّامَةِ لا تَدُور
وَالرِّيحُ غَيرُ الرِّيح في جَولانِهَا ... لَتَكَادُ تَكتَمُ في جَوانحِها الزَّفير
وَالطَّيرُ غَيرُ الطَّيرِ فَي أَلحَانِها ... لَتَكَادُ تَنعَبُ بِالخرابِ وَبِالثُّبُور
وَالنَّاسُ غَيرُ النَّاسِ فِي آمَالِها ... لَيَكَادُيَجثُواليَأسُفيتلكَالصُّدُور

(قطب، ١٩٩٢: ٥٣)

إنّ المفهوم الذي تُوحيه كلمات الشاعر للقارئ، هو أنّ الإحساس بالاغتراب من شأنه أن يُفقد الإنسانَ حالة الاتّزان والتعادل في مشاعره ورؤيته تجاه الحياة؛ فالشاعر لا يرى

في الحياة إلا الوخز الأليم والعذاب الشديد، ولا يرى الرياح التي تهبّ في حياته سوى رياح مُدمّرة تُدمّر كل شيء، ولا يسمع من الطيور المُغرّدة عدا نغمات الخزن والألحان الشجيّةً تبعث البُكاء والعويل.

قد يحدث التوازي في (حرف النفى) ، وفي هذه الحالة يكون تكرار حرف النفى أمراً متوقعاً، وفي شعر الاغتراب كان تكرار هذه الحرف (الثابت) والإسم بعدها (المتغير) سعياً لاحتواء الدلالة في وجوهها المختلفة:

آه، لا شَكوَى وَلا بَثَّ شَجَن — لَا أرِيدُ الضَّعفَ كَلَّا لا أرِيد

(المرجع نفسه، ٤٢)

وهذا سيد قطب، لم يجد في قصيدة «عينان»، أفضل من التوازي ليقدّم صوره نموذجية للموضوع (المرأة المحبوبة ومدى نظرة عينها التى تخترق الحجب والأستار) ، حيث لايمرّ مصراع من كل بيت إلا وتتمثل فيها بنية التوازي:

إلَى مَخبَإ أسرار في نَفس كَاهن — تُحَجِّبُها أستَارُ دُجوانِ مُظلم

إلَى الغَابر المَاضيَ الَّذي ضَاعَ رَسمُهً — وَغَيَّبه النِّسيانُ فى تيَه عَيلَم

إلَى القَابل الآتي الَّذي نَدَّ طَيفُه — عَن الوَهم بَل ضَلَّته رُؤيا المُنَجِّمَ

إلَى حَيثُما الأقَدارُ تُمضي أمُورَها — عَلَى خِفيَةٍ مِن وَهمه المُتَوهِّمَ

(المرجع نفسه، ١٦٥)

يُصرّح الشاعر في الأبيات الماضية عن شدة تيهه و ضلاله في عيلم الحياة، فهو لم يهتد إلى سرٍّ من أسرار الكون، ولم يعثر على رسم لحبيب له مضى وطواه النسيان؛ ولم يزُر حتّى طيفه في الحلم. فالشاعر يُداهمه الوهم وينتابه الضياع، وكأنّه هامَ على وجهه في فلاة قاحلة ضاعت معالمها وامّحى رسمها وأصبحت حياته كلّها كالدياجير المُظلمة، وتبلغ حالة الضياع في الشاعر ذروتها ، فيقول إنّ الأقدار أصبحت تهابُه وتخاف منه. فشبه الجملة يستقصي جزئيات حِدة عين المحبوبة التى يُصوّرها الشاعر وإذن، يصبح التوازي الواقع في النص مناسباً لتوازٍ في مشاعر الشاعر، إذ «التوازي النحوي يجسّد توازي المحتوى». (عبد المجيد، ١٩٩٨: ١٢١)

٢- ٢- ١- ٥: تدويم الإنشاء:

والمقصود بالإنشاء، كما هو معلوم فى البلاغة، عبارة عن كلام لا يحتمل فيه الصدق والكذب، كما أن الخبر مقابل لذلك. والإنشاء ينقسم فى بحثنا إلى ما يأتي:

أ. **(ألف) بنية الاستفهام:**

إن الإحساس بالاغتراب والشعور بالضياع يوصلان الذات المغتربة إلى (عدم

التماسك)، والذي «يؤدّي إلى كثرة التعامل مع أدوات الاستفهام». (بدوي، ١٩٨٤: ٣٨) من هنا تتحول بنية الاستفهام في التجربة الشعرية الاغترابية إلى وسيلة تعبيرية تخدم الشاعر في سعيه وراء لمّ نفسه المتشتّتة؛ إذ تفتقد الذات المغتربة في ظل المعاناة والشعور بضياع نفسها، فتسعى في البحث عنها سواء في الماضي من خلال الذكريات أم في المستقبل من خلال التعلق بالأمل في تحقيق آماله.

وها هو ذا سيد قطب، يجتهد من خلال تدويم بنية الاستفهام لإعادة تلك اللحظات الطيبة التي قضاها مع حبيبته علّه يتغلب بها على اغترابه و ملله وتضجره:

أيُّها الحُلمُ الَّذى كَانَ وكَان	أينَ نَحنُ الآنَ من هَذَا الزَّمَان؟
أينَ أطيَافُك أوهامُ العَيَان	أينَ يَا حُلمُ؟ لَقَد كُنتَ وكَان!
أينَ أنتَ الآنَ يَا سِرَّ حَيَاتِى	أينَ أنتَ الآنَ يَا مَعنَى وُجُودِي!
أينَ يَا وَحىَ نَشِيدي وصَلاتِي؟	أينَ؟ فِى وادٍ مِنَ الصَّمتِ بَعِيد

(قطب، ١٩٩٢: ٢١٦)

أيّام الماضي وذكرياتها الجميلة لم تُفارق الشاعر، بل أصبحت حُلماً يعيشه ليلَ نهار، وقد يلهو الشاعر بأحلامه البعيدة إلى درجة ينسى الزمن الحالي الذي يعيشه، فالشاعر يتساءل في حيرة وضياع أين هو وفي أيّ زمن هو. هذا التساؤل يعكس مدى استغراق الشاعر في أحلامه وأوهامه، حتّى فقد ذاتَه ومعنَاه مُعلّقاً في متاهات الأحلام ونسىَ فلسفة وجوده وسرّ حياته. ففقدان الذات ونسيان معنى الحياة خلّف حالةً من الصمت الرهيب والفراغ الهائل، استولت على حياة سيد قطب، وعبّر عنها في غضون أبياته الماضية مُستخدماً أسلوب الاستفهام مع التكرار ليقوى أثرها المُوحي على نفس القارئ. فاستخدام أداة الاستفهام (أين) المسؤول بها عن الظرف المكاني، يعبّر عن محاولة الذات، منع نفسها من التشتّت والحنين وراء تماسكها؛ وبعبارةٍ أخرى حصرها بين جهات المكان؛ لكن السؤال هنا يكشف عن انعدام قدرة الذات على هذا الأمر، ليظل الشاعر يتراوح بين الاغتراب المضني وحنين التشبث بأيامه الوردية مع عشيقته.

ب. بنية النداء:

إنّ الاغتراب بالنسبة للذات المغتربة يُعَدّ موتاً، فمن الطبيعي أن تحاول قهره بشتّى الطرق الممكنة، منها بنية النداء، بما تمنح الذات المغتربة من حياة، وتبعث فيها الأمل باستحضار المطلوب المنشود. إنّ المغترب وما يحسّ به من تفاهة الواقع وفوضويّة الحياة، يرفض الحياة بل يّعاديها، ما يدفعه عفويّاً إلى البحث عن مُنج والتشبّث به؛ وقد وجد سيد قطب، هذا المنجي في الحبّ مستخدماً تدويم النداء ليُخاطب حُلمَ حبّه ورؤياه:

أيُّها الحلمُ الَّـــذي كَانت حَياتي مــن حَواليــه دُعَـاء وَصَـــلاه
أيُّها الحُلـمُ الَّـــذي أطلَقَني من قُيُـودي نَحوَ آفَـاق عَجيبَه
أيُّها الحُلمُ الَّذي طَهَّرَ نَفسي بالعَذاب الحُلـو وَالدَّمعِ الطَّهُور
أيُّها الحُلـمُ الَّـذي رَدَّ عَليَّا نَـزَقَ الطِّفـلَ وَأهـواءَ الغُلام!
أيُّهـا الحُلـمُ الَّـذي صَـوَّرَهَـا كُلَّ يَوم صُـورةً منهَـا طَريفَه

(المرجع نفسه، ٢١٥- ٢١٦)

يستخدم الشاعر كما هو الملاحظ، النداء في تدويم متتابع لاستحضار الأحلام في مخيّلته، ومن ثمّ تعميقها عبر التكرار ، حنيناً منه إلى الخلاص من اغترابه وحيرته؛ فبذلك يحتلّ الصوت الاغترابي صدر السطور وصدر الشاعر على مستوى العميق.

يتوجّه الشاعر في أبيات أخرى إلى الشباب باعتبارهم صانعي المجد وبُناة المستقبل، ويستحثّ هممهم بتكرار النداء واستخدام أسلوب في السخريّة، من شأنها أن تُثير غيرة الرجولة لدى كل شابّ عربيّ؛ فيُنادي سيد قطب الشباب بأسلوب موهن ويحذّرهم من أن يكونوا كالمخدّرات الخفرات التي همّهنّ زينتهنّ وتبرّجهنّ، ثمّ يكرّر الشاعر النداء ويستدعي فيه الشباب أن يكونوا مبعث الفخر والكرامة للأجيال القادمة:

يَا شَـبَاباً نَاعماً مُستَأنثَاً! كَـذَوات الخدر في ظـلِّ الخبَاء!
يَا شَـبَاباً تَافهَاً مُحتَقَراً تَأنَفُ الأجيَالُ مَنهُ في ازدرَاء
يَا شَـبَاباً هَمُّهُ لَذَّاتُهُ فَهُـوَ يَحيَا بَينَ كَأس وخَنَاء
يَا شَـبَاباً قَصُرَت آمَالُهُ كَخَشَاش الأرض مَرمَاهُ الغذَاء
يَا شَـبَاباً نُكِبَ النِّيلُ بِهِ في الأمَانِي وَالتَّعِلَّاتِ الوضَاء

(المرجع نفسه، ٢٦٢)

في هذه الأبيات، يستنكر سيد قطب في صورة قاصفة السعيَ وراء الشهوات واتّباع الملذّات. لا يكتفي الشاعر بهذه الكلمات التي تُضفي عليها لوناً من السخرية، بل يستخدم هذه المرة، بلاغة التشبيه للتعبير عن المعنى الذي يدور في خلده، فيشبّه الشباب اللاهثين وراء الشهوات بالحشرات التافهة العديمة القيمة التي يقتصر همّها على المأكل والشراب.

ت. بنية التمني:

إنّ التواصل مع الآخر (المحبوبة) هو غاية ما يتمناه المغترب، فإنّها هي الأمل الوحيد الذي يُفلته من أسر الواقع المؤلم ويحلق به في فضاء المطلق، كما أن حضورها المستمر يولّد السلام والأمان؛ فلذلك يتحسر سيد قطب على حبّه الضائع متمنياً عودته عبر تدويم بنية التمني:

لَـيتَنى أدري –وإن لَـم يَشـفِـني– كَيــفَ أُبدي مَا بِنَفســي من أَلَم!
لَـيتَنى أدري خَـبـيئاتِ السِّـــنيـن إنَّ فراقـاً أو يكُــن بَعــدُ اقتِراب
لَيتَ، لَكن «ليــت» لا تُدني رَجَاء فَلأَمُــت أو أَبــقَ حِـلــفَ الكَمَد

(المرجع نفسه، ١٥٤– ١٥٥)

كانت المعاناة كبيرة للذات المغتربة في ظل غياب حبّها، وقد كانت حدة هذه المعاناة السببَ الرئيس لحنينه إلى التواصل مع الحببيب، ولذلك وقع الشاعر في ألم وحزن وصار حليفاً للكمد.

خاتمة البحث:

انتشرت ظاهرة «التكرار» في الشعر الحديث كثيراً واتّخذت موقفاً بارزاً في بناء النصّ والتعبير عن مشاعر الشاعر؛ فالتكرار وفق رؤية الشعرية الحديثة ليس ضرباً من الترف، بل له وظائفه النفسية والدلاليّة، وعلى هذا يُصبح التكرار عنصراً جوهريّاً حاسماً في الصياغة الشعريّة. في حينِ أنّ الاغتراب، بوصفه حالةً من شعور الفرد بانفصاله عن واقعه وعجزه عن التكيّف مع المجتمع الذي يعيش فيه، أو حالة إخفاق الفرد في تحقيق توازن بين الواقعية والإمكان، له دورٌ بارزٌ في الأدب العربي الحديث ومردّ ذلك، يرجع إلى عوامل عدة كالعامل السياسي الذي يسبّب إثارة إحساس الناس بالضيق في أوطانهم وبالذلّ في ديارهم وبالرغبة الملحّة في الرحيل. بعبارةٍ أخرى إنّ الاغتراب، أمرٌ يتعلق بالنفس، وله تأثيره الحاسم على الطريقة الشعرية، كما وجد سبيله إلى صوت الشاعر، وترك بصماته الواضحة على إبداع الشاعر المعاصر سيد قطب؛ حيث استفاد الشاعر من التكرار، ليُري اغترابه للآخرين عبر هذا المنهج.

جاء التكرار في شعر سيد قطب بنوعيه: الترجيع والتدويم، معمّقاً لدلالة الاغتراب وتعبيراً عنه. كما تبيّن أنّ التكرار رغم الفضاء التعريفي السائد عليه، بأنه مملّ ويبعث السأم وينزل بالشعر إلى هاوية النثرية، فقد أُثبِت في نصّ الاغتراب المدروس، بأنه عنصرٌ بنائيٌّ مهم يقوم بتقوية المعنى. إضافةً إلى هذا بات واضحاً أنّ الصوت النحوي، وتشكيله امتدادٌ للصوت النفسي، بغضّ النظر عن قائله ومستوى ثقافته ونوع لغته.

في الحقيقة في هذا البحث، قمنا بدراسة نمط التكرار خارجاً عن نطاق البلاغة الضيّق، والوجوه التى ذكرها البلاغيّون لتوجيه التكرار. بل ألقينا نظرة جديدة، وذلك من منظور الدراسات الحديثة للغة وخاصةً في الدراسات المسمّاة «بالنوستاليجية» في الشعر الحديث. إذ إنّ التكرار في الشعر الاغترابي، بكل أنواعه التى بيّناها في هذا البحث، يأتى لتقوية المعنى والتعبير عن شعور الاغتراب لدى الشاعر ويُوصله إلى أعماق نفوس القارئين.

المصادر والمراجع:

١. ابن منظور، لسان العرب، بيروت، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م، المجلد العاشر.

٢. ابوشاويش، حماد حسن؛ وعواد، ابراهيم عبدالرزق، الاغتراب في رواية «البحث عن وليد مسعود»، مجلة الجامعة الإسلامية. المجلد١٤. العدد٢، ٢٠٠٦م.

٣. بدوى، أحمد، سيد قطب نقاد الأدب (١٠) ، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٩٢م.

٤. بدوي، عبده، «الغربة المكانية في الشعر العربي»، مجلة عالم الفكر، الكويت، المجلد١٥، العدد الأول، ١٩٤٨م.

٥. بن ذريل، عدنان، النص و الأسلوبية بين النظرية و التطبيق (دراسة) ، دمشق، منشورات اتحاد الكتاب العرب، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.

٦. الجرجاني، عبدالقاهر، دلائل الإعجاز. بيروت، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م.

٧. خفاجي، محمد عبد المنعم؛ وفرهود، محمد السعدي؛ وشرف، عبدالعزير، الأسلوبية و البيان العربي، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٢م.

٨. دهقان، حميده، أثر الغربة فى اللغة و التصاوير الشعرية فى ديوان ناصر خسرو (تأثيرات غربت بر زبان و تصاوير اشعار ديوان ناصر خسرو) ، رسالة الماجستير باللغة الفارسية، جامعة الرازي كرمانشاه– ايران، ١٣٨٦ش.

٩. روحي، مها، الحنين و الغربة في الشعر الأندلسي عصر سيادة غرناطة، رسالة الماجستير فى جامعة النجاح الوطنية، ٢٠٠٧م.

١٠. ستوده، هدايت الله، علم النفس الاجتماعي (روان شناسي اجتماعي) ، طهران، طبعة آواز نور، ١٣٨٢ش.

١١. سربان، حسن، «سيد قطب و تراثه الأدبي و النقدي»، مجلة اللغة العربية و آدابها، جامعة طهران (فرديس قم) ، العدد العاشر، السنة السادسة، ١٤٣١ق.

١٢. السيد، عز الدين علي، التكرير بين المثير و التأثير، بيروت، عالم الكتب، الطبعة الثانية، ١٩٨٦م.

١٣. سيد بركة، محمد، سيد قطب صفحات مجهولة، دار الاعتصام، ١٩٩٩م.

١٤. الشايب، أحمد، الأسلوب: دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية. مصر، مكتبة النهضه المصرية، الطبعة الخامسة، ١٩٥٦م.

١٥. شفيعي كدكني، محمدرضا، موسيقا الشعر (موسيقى شعر) . طهران، طبعة آكه، الطبعة الخامسة، ١٣٧٦ش.

١٦. شميسا، سيروس، معاني المعاني، طهران، طبعة ميترا، الطبعة العاشرة، ١٣٨١ش.

١٧. الشيخ، عبدالواحد حسن، البديع و التوازي، القاهرة، مكتبة و مطبعة الإشعاع الفنية، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.

١٨. صفوي، كورش، من علماللغة إلى الأدب (از زبان شناسي به ادبيات) . طهران، طبعة چشمه، الطبعة الأولى، ١٣٧٣ش، المجلد الأولى.

١٩. العبد الله، يحيي، الاغتراب: دراسة تحليلية لشخصيات الطاهر بن جلون الروائية، بيروت، المؤسسه العربية للدراسات و النشر، ٢٠٠٥م.

٢٠. عبدالفتاح الخالدى، صلاح، نظرية التصوير الفنّى عند سيد قطب، جدة، دارالمنار، ١٩٨٩م. الطبعة الثانية.

٢١. .... سيد قطب: من الميلاد إلى الاستشهاد، دمشق– بيروت، دارالقلم– الدار الشامية، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.

٢٢. عبد المجيد، جميل، البديع بين البلاغة العربية و اللسانيات النصية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨م.

٢٣. العبد، محمد، اللغة و الإبداع الأدبي، القاهرة، دار المعرفة، الطبعة الثانية. ٢٠٠٧م.

٢٤. فضل، صلاح، إنتاج الدلالة، القاهرة، مؤسسة مختار للنشر و التوزيع، الطبعة الأولى. ١٩٨٧م.

٢٥. قطب، سيد، ديوان أشعار، جمعه ووثّقه: عبدالباقي محمد حسين، المنصورة، دارالوفاء، الطبعة الثانية، ١٩٩٢م.

٢٦. ....، كتب و شخصيات، القاهرة، دارالشروق، الطبعة الثالثة، ١٩٨٣م.

٢٧. محمد حسين، عبدالباقي، سيد قطب: حياته و أدبه، المنصورة، دارالوفاء، الطبعة الثانية، ١٩٩٣م.

٢٨. الملائكة، نازك، قضايا الشعر المعاصر، بيروت، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى، ١٩٨٢م.

٢٩. النحوي، عنان علي رضا، الأسلوب والأسلوبية بين العلمانية والأدب الملتزم بالإسلام، السعودية، دار النحوي، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.

٣٠. الهاشمي، أحمد، جواهر البلاغة، طهران، طبعة إلهام، الطبعة الأولى، ١٣٧٧ش.

٣١. ياكبسون، رومان، القضايا الشعرية، ترجمة: محمد الولي ومبارك حنون، المغرب، دار توبقال للنشر، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.

وجُوبُ تَحْرِيْرِ أَسْرَى المُسْلِمِيْنَ

د. غسّان عيسى محمد هِرْماس*

* أستاذ مساعد/ قسم التربية الإسلامية/ فرع بيت لحم/ جامعة القدس المفتوحة.

ملخص:

تحرير الأسرى مطلب لدى الأمم كلها، وهو عند المسلمين آكد وأوجب، إذ يرتبط بعقيدتهم وتعاليم دينهم. ولما كان المسلمون اليوم أكثر أهل الأرض أسرى لدى الأعداء، خاصة في فلسطين التي زاد عدد أسراها في سجون الاحتلال الإسرائيلي على سبعة الآف أسير، لزم التذكير بوجوب تحرير أسرى المسلمين، وانتهاج شتى الوسائل والسبل لتحقيق هذه الغاية.

وهذا البحث يتناول منهج الإسلام في معالجة قضيتهم، ويتكون من مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة ضمنتها النتائج والتوصيات. وقد تحدثت في المقدمة عن أهمية البحث، وأهدافه، وخطته، والدراسات السابقة المتعلقة بموضوعه. وبيَّنْتُ في المبحث الأول فضل الجهاد، لأن الأسر أحد إفرازاته، كما عرَّفت بالأسير وفضل استنقاذه. وخصصت المبحث الثاني لأقوال العلماء في حكم تحرير الأسرى، مبيِّناً أدلتهم، مرجحاً الرأي القوي، ومفنداً الرأي المرجوح في المسألة. وتناولت في المبحث الثالث طرق تحريرهم وتخليصهم من أسرهم. وختمت البحث بخاتمة ضمنتها نتائج البحث، وتوصيات ذكرتها لأهميتها. والحمد لله رب العالمين.

Abstract:

Prisoners' release has always been a demand that all nations have especially the Muslim nation which gives this issue a priority since releasing prisoners is closely associated with Moslem's doctrine and Shari'a. Nowadays, Muslims form the biggest number of prisoners and their number is seven thousand in Palestine. Consequently, releasing Muslim prisoners in all means and approaches has been assured for its importance.

This research deals with the Islamic approach in releasing detainees. It consists of an introduction, three chapters, and a conclusion and recommendations. In the introduction, the research importance, objectives, plans and previous studies have been presented. Also, the merit of resistance (Jihad) since imprisonment is one of its results and the definition of the prisoner and the importance of releasing him/ her have been discussed. Chapter Two has been devoted to the scholars' viewpoints in the judgment of prisoners' release showing their evidences that support their release. Chapter Three discusses ways of releasing prisoners .The results of the study have appeared in the conclusion followed by the research important recommendations.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وعلى آله، وأصحابه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فإذا كانت الشريعة الإسلامية تعطي الأسير الكافر عناية خاصة، لا ترقى إليها كل القوانين الأرضية والأنظمة الدولية قديماً وحديثاً، فأي عناية تعطيها للأسير المسلم؟! إنَّ أمره فوق كل الأمور، وحريته مقدمة على كل الحريات، ولا يعدل أمره عند الحاكم الصالح أي أمر آخر.

وأعظم هذه الحقوق وأوجبها تحريره من أسره وإطلاق سراحه. ولعل من أعظم الخذلان له تركه لدى الأعداء يُسام العذاب ألواناً، ولا يُجهد في إنقاذه، وشعار المسلم تجاه أخيه: المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ لا يَظْلِمُهُ، ولا يُسْلِمُهُ، ومَنْ كانَ في حاجَةِ أَخِيْهِ كانَ اللهُ في حاجَتِهِ(١).

ومما دفعني للكتابة في هذا الموضوع أني كنت واحداً من مئات آلاف الأسرى الفلسطينيين الذين غيبهم الاحتلال الإسرائيلي في سجونه سنوات وسنوات. وعشت ما عاشه ويعيشه غيري ممن مرَّ بتجربة الاعتقال المريرة، وكابدت ما كابدوا، واحتجت ما احتاجوا، ولمست التقصير الذي تتعرض له هذه الشريحة من أبناء أمتنا، حتى زاد عدد المعتقلين اليوم في سجون إسرائيل وحدها على عشرة آلاف أسير. ولئن لم يتوسع الأوائل في بحث موضوع الأسرى المسلمين لوضوح أهمية قضيتهم في الأذهان يومها، إلا أن الأمر اليوم أصيب بانتكاسة في الهمم والعزائم، وضمور في الأفكار والمشاعر.

كما كان من أهم الدوافع التي أسست لإنجاز هذا البحث نتائج استبانة بسيطة أجريت داخل السجن على بعض أصحاب الأحكام العالية والمؤبدة، تناول موضوعها توقعاتهم بشأن الإفراج عنهم ذات يوم، وكيف يتعاملون مع هذه الفرضية؟ وقد ذهبت الإجابات إلى حد تحويل الفرضية إلى متعلق زمني لا نهائي. فكتب أحدهم: حتى يرث الله الأرض ومن عليها. وكتب آخر: ٩/ ٩/ ٩٩٩٩. وخط ثالث بقلمه الكليل: إلى أن يُنْفَخَ في الصُوْرِ. وشابههم رابع . ولم يَبْعُد عنهم الخامس. أما السادس فكان جوابه آلَمَ الأجوبة وأقساها، إذ لم يجد ما يعبر به إلا أن يضع أصفاراً تدل على الزمن اللامتناهي: ....ولنا أن نسأل أنفسنا: تُرَى كيف سيتحرر هؤلاء؟ ومتى؟ ومن المسؤول عن ذلك؟ وما دورنا كمسلمين تجاههم؟؟؟؟

ثم إني لم أجد من أَفْرَدَ مسألَةَ (الأسير المسلم) بالكلام التفصيلي والبحث المستقل، وجَهِدتُ أن أجمع أقوال أهل العلم في ذلك، فما أصبتُ منها إلا النَزْرَ اليسير المتناثر في

بطون الكتب، وبعض مقالات قصيرة تقع في صفحة أو صفحتين على الشبكة العنكبوتية لا تفي بالغرض.

لذلك كله أحببت الكتابة في هذه المسألة. ورأيت أن أجعل ذلك في مقدمة وثلاثة مباحث:

- المبحث الأول: تعريف الجهاد وفضله وفضل المجاهدين. وتعريف الأسر والأسير. وفضل استنقاذه.

- المبحث الثاني: حكم استنقاذ الأسرى، ومذاهب أهل العلم وأدلتهم، والراجح.

- المبحث الثالث: طرائق فك الأسرى ومنها: الحرب وتسيير الجيوش، وفرق الإنقاد، والمفاداة.

وختمته بخاتمة ضمنتها نتائج توصلت إليها، وتوصيات ذكرتها لأهميتها.

وسميته (وجُوبُ تَحْرِيْرِ أَسْرَى المُسْلِميْنَ)، إذ يغفل كثير من المسلمين عن التفكر في أمر الأسرى وتحريرهم. ويراه آخرون من نافلة القول، ظناً منهم أن هذا شأن الدولة المسلمة. فأحببت أن أوقظ الغافلين، وأن أمحو كل شك في وجوب تحرير أسرانا. ثم ليعلم غير المسلمين من أمم الأرض أن المسلمين لن يطيب عيشهم وأسير واحد لهم لدى الأعداء، وسيبقى دينهم يحدوهم ليحرروا أسراهم، ويستنقذوا آخر مجاهديهم.

وكان من منهجي في هذا البحث أني اتبعت المنهج التحليلي على النحو الآتي:

- أوردت الآيات القرآنية التي لها تعلق بالبحث، ونقلت تفاسير العلماء حيث لزم التفسير، وبينت الراجح من هذه التفاسير.

- وذكرت من الأحاديث النبوية الشريفة ما له صلة بالبحث، وتتبعت تعليقات أهل العلم وشراح الحديث عليها، متعرضاً لبعض ما يستفاد منها، والحكم عليها.

- فما كان من الأحاديث النبوية في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بِعَزْوِهِ إليهما أو إلى أحدهما، ولم أبين حُكْمَهُ لتلقي الأمة لهما بالقبول. وما كان في كتب السنة الأربعة أو أحدها، أشرت إلى من خرجه، ولم أتتبعه في كتب السنة الأخرى طلباً للاختصار، إلا ما دعت إليه الحاجة. وما كان في غيرها عزوته إلى من خرجه، وذكرت حكمه من حيث الصحة والضعف.

- أوردت بعض الأحاديث الضعيفة التي لها ارتباط ودلالة خاصة في البحث، وتصلح للاستشهاد بها في فضائل الأعمال. وفق الشروط التي وضعها من أجاز العمل بالحديث الضعيف.

- لم أتعرض للحكم على بعض الروايات الموقوفة أو المقطوعة، كأقوال عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعمر بن عبدالعزيز رحمه الله، إذ كانت لا تخرج عن القصد، وتبقى أقوال صحابة أو تابعين أو فقهاء يجوز الأخذ بها أو ردها، إلا أقوال الصحابة التي لها حكم المرفوع.
- ذكرت أقوال الفقهاء في المسائل الفقهية المختلفة وعزوتها إلى مصادرها الأصلية، وحاولت الترجيح بينها، وربما عَلَّقْتُ عليها طلباً للتوفيق بينها، أو لفائدة رأيتها.

وأخيراً، فقد جهدت في أن يوافي المكتوبُ حقَّ مَنْ كُتِبَ فيه، وما أحسبني أدركت المأمول، ولا بلغت مرتبة القَبُول، إلا أن يبارك الله جهد المقل، وبذل الضعيف. سائلا الله العظيم أن يكرمنا برؤية جميع أسرانا الأبطال في عالم الحرية والانتصار.

والحمد لله رب العالمين

المبحث الأول:

تعريف الجهاد، وفضله، وفضل المجاهدين:

وبدأت به لأن الأسر أحد إفرازات الجهاد الرئيسة، وبينهما ارتباط واتصال، فكان لا بد من الحديث عن الجهاد وفضله، لِيُعْرَفَ فضلُ الأسير وضرورةُ تحريره، وأجرُ من يفعل ذلك.

تعريف الجهاد: يمكن القول: إن مدلول الجهاد في الشرع أعم من أن يقصد به القتال فقط. وهو ما دلَّت عليه النصوص ولكل نصٍ دلالته المعروفة. أما إن قصدنا به قتال الأعداء، فمعناه على ما يراه الكاساني من الحنفية: بذل الوسع والطاقة بالقتال في سبيل الله عز وجل، بالنفس، والمال، واللسان، أو غير ذلك، أو المبالغة في ذلك[٢]. ولا تَبْعُدُ تعريفات أصحاب المذاهب والفقهاء الآخرين عن تعريفه كثيراً.

فضل الجهاد والمجاهدين في سبيل الله: لا أعلم شيئًا في الإسلام بعد شهادة أن لا إله إلا الله يعدل الجهاد، وما ذلك إلا لأن الأمة إذا أضاعت الجهاد أضاعت كل شيء، وضَاعَتْ وذَلَّتْ.

فالجهادُ أفضلُ الأعمالِ بعدَ الإيمان، فعن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم سُئِلَ: أَيُّ العَمَلِ أَفْضَلُ؟ فقالَ: إيمانٌ باللهِ ورَسُولِهِ، قيلَ: ثُمَّ ماذا؟ قالَ: الجِهادُ في سَبيلِ اللهِ، قيلَ ثُمَّ ماذا؟ قالَ: حَجٌّ مَبْرورٌ[٣].

والمجاهدُ خيرُ النَّاس، فإذا كان الجهادُ أفضل الأعمال فالمجاهد خير الناس وأفضلهم، فعنْ أبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه قِيْلَ: يَا رَسُوْلَ اللهِ، أيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ

صلى الله عليه وسلم: مُؤْمِنٌ يُجَاهِدُ في سَبِيْلِ الله بنَفْسِه ومَالِه، قَالُوا: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: مُؤْمِنٌ في شِعْبٍ مِنَ الشِّعَابِ يَتَّقي الله ويَدَعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ(٤).

وهو ميزانُ الصَّلاحِ والرِّفعةِ والتَّقوى، يميز الله به بين المؤمنين العابدين، الراكعين، الساجدين، القاعدين عن الجهاد من غير ضرر، وبين من يبذل روحه وماله في سبيل الله، قال الله تعالى: ﴿لاَّ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُـلاًّ وَعَدَ اللّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً﴾٩٥. ﴿دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللّهُ غَفُوراً رَّحِيماً﴾٩٦ سورة النساء.

والصدقةُ في الجهاد أو عليه تضاعف أضعافاً كثيرة، فَعَنْ خُرَيْم بن فَاتك رضي الله عنه قال: قال رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: مَنْ أَنْفَقَ نَفَقَةً في سَبيلِ اللهِ كُتِبَتْ لَهُ سبعمائةِ ضِعْفٍ(٥).

وأجر رباط يوم في سبيل الله أعظم للمجاهد من حيازة الدنيا بحذافيرها، فعن سهل بن سَعْد رضي الله عنه قال: قالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: رِبَاطُ يَوْمٍ في سَبيلِ الله خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيا ومَا عَلَيْها، وَمَوْضِعُ سَوْطِ أَحدِكُمْ مِنَ الجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا ومَا عليْها، والرَّوْحَةُ يَرُوحُهَا العَبْدُ في سَبِيْلِ الله أَو الغَدْوَةُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا ومَا عَلَيْهَا(٦).

وحسب المجاهد شرفاً أنه إذا مات أجرى الله له أجر أعماله الصالحة حتى كأنه يباشرها، وذلك من إكرام الله له، فَعَنْ سَلْمَانَ رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ، وإِنْ مَاتَ جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ الذي كَانَ يَعْمَلُهُ، وأُجْرِيَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ، وأَمِنَ الفَتَّانَ(٧).

وهو صاحب وعد الله، فإما جنة وفردوس أعلى، وإما عودة كريمة بنصر مُؤَزَّر وغنيمة عاجلة، وأجر عظيم. فَعَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: تَكَفَّلَ اللهُ لمَنْ جَاهَدَ في سَبيْلِه لا يُخْرِجُهُ مِنْ بَيْتِه إِلاَّ الجِهَادُ في سَبِيْلِهِ وَتَصْدِيْقُ كَلِمَتِهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ أَوْ يَرُدَّهُ إِلى مَسْكَنِه بِمَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيْمَةٍ(٨).

وإذا كان غبار الدنيا يحجب الرؤية فإنَّ ما يعلق بحذاء المجاهد من غبار المعارك والسير إليها يحجبه عن نار جهنم، فعن أبي عَبْس عبدالرحمن بن جَبْر رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم يقولُ: مَنْ اغْبَرَّتْ قدَماهُ في سَبيلِ الله حَرَّمَهُ اللهُ على النَّارِ(٩). وعَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: لا يَجْتَمِعُ غُبَارٌ في سَبِيلِ اللهِ وَدُخَانُ جَهَنَّمَ في جَوْفِ عبدٍ أبداً، ولا يَجْتَمِعُ الشُّحُّ والإِيْمَانُ في قَلْبِ عَبْدٍ أَبداً(١٠).

وفضائل الجهاد أعظم وأكثر من أن أحصيها في هذه الصفحات القليلة.

تعريف الأسر والأسير:

ولأن الأسير إنما يستمد مكانته من منزلة المجاهد في سبيل الله، فهو في الأصل مجاهد بذل نفسه وماله لله رب العالمين، غير طامع في جائزة ولا راغب في دنيا، إلا أن المقادير حالت بينه وبين ما تمنى، فوقع أسيراً في أيدي الأعداء، فوجب حقه على المسلمين، ووجب تخليصه مما هو فيه، لأن شرف الجهاد ومسماه لم يفارقاه، كالمصلي الذي لا يزال في صلاة ما انتظر الصلاة[١١].

والأسير في اللغة: من الأسر، وهو الشَّدُّ والعَصْبُ....والأسير: الأَخِيذُ والمقيد والمسجون، والجمع: أسراء[١٢]. وقال الجوهري: أسرَ قَتَبَهُ يأسره أسراً: شَدَّه بالإسار، وهو القدُّ، ومنه سمي الأسير، وكانوا يشدونه بالقدِّ، فسمي كلُّ أخيذ أسيراً وإن لم يشدَّ به، يقال: أسرتُ الرجلَ أسراً وإساراً، فهو أسير ومأسور، والجمع أسرى وأُسارى[١٣]. وقال أبو منصور الأزهري: وقال أبو إسحاق: يجمع الأسير: أسرى. قال: وفعلى جمعٌ لكل ما أصيبوا به في أبدانهم أو عقولهم، مثل: مريض ومرضى، وأحمق وحمقى، وسكران وسكرى، قال: ومن قرأ: أُسارى وأَسارى فهو جمع الجمع[١٤].قال الزبيدي: وقد اختار هذا جماعة من أهل الاشتقاق[١٥]. ونقل ابن منظور عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً﴾ ٨ سورة الإنسان. قال: الأسير المسجون، والجمع أُسراء وأُسارى وأَسارى وأسرى. قال ثعلب: ليس الأسرُ بعَاهة فيجعل أسرى من باب جرحى في المعنى، ولكنه لما أصيب بالأسر صار كالجريح واللديغ، فكسِّرَ على فَعْلى، كما كسر الجريح ونحوه، وهذا معنى قوله[١٦]. ويطلق على الأسير العاني[١٧] كما ورد في حديث رسول الله: فكوا العاني، وأطعموا الجائع، وعودوا المريض[١٨].

وأما المعنى الاصطلاحي فلا يبعد عن المعنى اللغوي، وقد عرَّفَ الدكتور زيد بن عبدالكريم الزيد أسرى الحرب بأنهم: الأعداء الذين أظهروا العداوة للإسلام وعملوا على محاربته، فسقطوا في أيدي المسلمين[١٩]. لكن الأسير المسلم يمكن أن يكون مقاتلا أو غير مقاتل، فإن كان مقاتلا فحقه أَبْيَنُ من أن ننبه إليه، وإن كان غير مقاتل فله علينا حق الإسلام والأخوة.وعليه فالأسير المسلم هو كل مسلم وقع في أيدي الأعداء، مقاتلاً كان أو غير مقاتل.

فضل استنقاذ الأسرى:

يرتبط فضل استنقاذ الأسرى بفضل الجهاد والمجاهدين، إذ هو ضرب من ضروب الجهاد، ولون من ألوانه، وسبب من أسبابه، والأسير إما مجاهد وقع في أيدي الأعداء، ولزوم عونه ونصرته لا يخفى على أحد، وإما واحد من عامة أهل الإسلام أسره الأعداء، وحق على المسلم عون أخيه المسلم.

ومما يدل على عظيم فضل استنقاذ الأسرى أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم جعل فداء الأسير المسلم من أيدي الأعداء كفداء ذاته النبوية الشريفة صلى الله عليه وسلم، وأي عمل أرجى للمسلم عند الله من إطلاق سراح محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم من أسره– لو وقع في الأسر– ، فَعَن ابن عَبَاس رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: مَنْ فَدَى أَسِيْراً مِنْ أَيْدِي العَدُوِّ فأَنا ذلِكَ الأَسير[٢٠].

ويرى عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنَّ استنقاذ مسلم خير له من حيازة جزيرة العرب مُلْكَاً خالصاً، فقد رُويَ عنه أَنَّهُ قال: لأَنْ اسْتَنقِذ رجُلاً مِنَ المسلمينَ مِنْ أَيْدِي الكُفَّارِ أَحَبُّ إِليَّ مِنْ جزيرةِ العَرَب[٢١]. وأي معان عظيمة تجمعها جزيرة العرب وفيها مكة المكرمة، وطيبة الطيبة، والمسجد الحرام، والمسجد النبوي، وهي عنوان الإسلام، وقلب الأمة، ومهوى أفئدة المسلمين، كل ذلك أعظم منه تحرير مسلم.

وإذا كانت تعاليم النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه رضي الله عنهم الإحسان إلى أسرى الأعداء، فأي إكرام تمنحه الشريعة لأسرى المسلمين، وأي حق يجب لهم على أئمة المسلمين وعامتهم. وأي فضل عظيم لمن يتولى مهمة انقاذهم، وانتزاعهم من أغلالهم، وإذا كان أجر الأسير المحتسب عظيماً كبيراً، فأجر من يخلصه عظيم كبير.

المبحث الثاني:

حكم استنقاذ الأسرى، ومذاهب أهل العلم وأدلتهم، والراجح

مذاهب أهل العلم في حكم استنقاذ الأسرى:

لا بد من تحرير الأسرى، تلك حقيقة تؤمن بها كل الأمم، وتتبناها كل الشعوب، والتفريط فيها تفريط بمقدس، وبلازم لا انفكاك منه. وفي قول الله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ في سَبيلِ اللّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَـذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّاً وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيراً﴾٧٥سورة النساء، إلزام للمسلمين بالقتال لاستنقاذ المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين لا حول لهم ولا قوة، ولا يستطيعون الفرار بدينهم، ولا الخروج من دار الكفر إلى دار الإسلام. كما يحمل مطلع الآية الكريمة العتابَ الشديد لمن تكاسل عن القيام بواجبه تجاه هذه الطائفة المستضعفة، والحضَّ والتشجيع والإثارة والانطلاق لتحريرهم وتحطيم قيودهم.

وعلق الأستاذ سيد قطب عليها بقوله: وكيف تقعدون عن القتال في سبيل الله واستنقاذ هؤلاء المستضعفين من الرجال والنساء والولدان؟ هؤلاء الذين ترتسم صورهم

في مشهد مثير لِحَمِيَّة المسلم، وكرامة المؤمن، ولعاطفة الرحمة الإنسانية على الإطلاق؟ هؤلاء الذين يعانون أشد المحنة والفتنة، لأنهم يعانون المحنة في عقيدتهم، والفتنة في دينهم. والمحنة في العقيدة أشد من المحنة في المال والأرض والنفس والعرض، لأنها محنة في أخص خصائص الوجود الإنساني(٢٢). فكيف إن كان الأسرى من المقاتلين الذين لهم الأيادي البيضاء على أمتهم؟

وقد اختلفت أقوال العلماء في مسألة حكم استنقاذ الأسرى تَبَعَاً لتعدد فروعها، وحكم كل فرع، بينما اتفقت آراؤهم في حكم أصل المسألة.

القائلون بالوجوب: وهم جمهور الفقهاء من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة، وبه قال ابن حزم. ومن قال بغيره فقوله محصور في مسألة مخصوصة.

قول الحنفية: قال المرغيناني: ولأبي حنيفة أن تخليص المسلم عن ذل الكافر واجب(٢٣). بل يرى الحنفية أن تحرير الأسير مسؤولية المسلمين، لذا قالوا: إنقاذ الأسير، وجوبه على الكل متجه من أهل المشرق والمغرب ممن علم(٢٤). وقال محمد بن الحسن الشيباني: وَإِذَا دَخَلَ الْمُشْرِكُونَ دَارَ الإِسْلام فَأَخَذُوا الأَمْوَالَ وَالذَّرَارِيَّ وَالنِّسَاءَ، ثُمَّ عَلِمَ بِهِمْ جَمَاعَةَ الْمُسْلمينَ، وَلَهُمْ عَلَيْهِمْ قُوَّةٌ، فَالْوَاجِبُ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَّبِعُوهُمْ مَا دَامُوا في دَارِ الإِسْلام، لا يَسَعُهُمْ إلا ذَلِكَ. فَإِنْ دَخَلُوا بِهِمْ دَارَ الْحَرْبِ نُظِرَ: فَإِنْ كَانَ الَّذِي في أَيْدِيهِمْ ذَرَارِيُّ الْمُسْلمينَ، فَالْوَاجِبُ عَلَى الْمُسْلمينَ أَيْضاً أَنْ يَتَّبِعُوهُمْ، إِذَا كَانَ غَالِبُ رَأْيِهِمْ أَنَّهُمْ يَقْوَوْنَ عَلَى اسْتِنْقَاذِ الذَّرَارِيِّ مِنْ أَيْدِيهِمْ إِذَا أَدْرَكُوهُمْ، مَا لَمْ يَدْخُلُوا حُصُونَهُمْ(٢٥).

قول المالكية: قال مالك بن أنس رحمه **الله**: ذلك على الناس ولو بجميع أموالهم(٢٦) وكان رحمه **الله** يرى: أن كل أسير مسلم يخرج به إلينا حربي بأمان أنه يؤخذ من يده بقيمته، أحبَّ أو كره، ولا يُترك يرجع به إن أعطي قيمته، ولا يحل لجماعة المسلمين تركه ليرد إلى أرض الكفر وعليهم واجباً فداؤه(٢٧).

قول الشافعية: قال الغزالي: ولو أسروا مسلما أو مسلمين فهل يتعين القتال كما لو استولوا على الديار؟ فيه خلاف. والظاهر أنه يتعين إذا أمكن إلا حيث يعسر التوغل في ديارهم ويحتاج إلى زيادة أهبة، فقد رخص فيه في نوع من التأخير ولكن لا يجوز إهماله(٢٨).

وقال العز بن عبدالسلام: إِنْقَاذُ أَسْرَى الْمُسْلِمِيْنَ مِنْ أَيْدي الْكُفَّارِ مِنْ أَفْضَلِ الْقُرُبَاتِ، وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: «إِذَا أَسَرُوْا مُسْلِمًا وَاحِدًا وَجَبَ عَلَيْنَا أَنْ نُوَاظِبَ عَلَى قِتَالِهِمْ حَتَّى نُخَلِّصَهُ أَوْ نُبِيْدَهُمْ»، فَمَا الظَّنُّ إِذَا أَسَرُوْا خَلْقًا كَثِيْرًا مِنَ الْمُسْلِمِيْنَ؟ (٢٩).

قول الحنابلة: قال ابن قدامة المقدسي: ويجب فداء أسرى المسلمين إذا أمكن، وبهذا قال عمر بن عبدالعزيز ومالك وإسحاق، ويروى عن ابن الزبير أنه سأل الحسن بن علي: على من فكاك الأسير؟ قال: على الأرض التي يقاتل عليها، وثبت أن رسول الله قال: أطعموا الجائع، وعودوا المريض، وفكوا العاني[٣٠].

قول الظاهرية: ويرى ابن حزم فرضية فداء المسلم فيقول: وإسار المسلم أبطل الباطل، وأخذ الكافر أو الظالم ماله فداء من أبطل الباطل، فلا يحل إعطاء الباطل ولا العون عليه، وتلك العهود والأيمان التي أعطاهم لا شيء عليه فيها، لأنه مكره عليها، إذ لا سبيل إلى الخلاص إلا بها، ولا يحل له البقاء في أرض الكفر وهو قادر على الخروج، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه[٣١]. وهكذا كل عهد أعطيناهم، حتى نتمكن من استنقاذ المسلمين وأموالهم من أيديهم، فإن عجزنا عن استنقاذه إلا بالفداء ففرض علينا فداؤه لخبر الرسول صلى الله عليه وسلم الذي رويناه من طريق أبي موسى الأشعري: (أطعموا الجائع وفكوا العاني) وهو قول أبي سليمان والشافعي[٣٢]. فجمهور الفقهاء على أن الأصل في مسألة استنقاذ الأسرى هو الوجوب.

وجوب استنقاذ أسرى أهل الذمة: وذهب بعض الفقهاء إلى أبعد مما سبق فألحقوا بالمسلمين أهل الذمة وذراريهم في هذا الوجوب. قال محمد بن الحسن الشيباني: وَالْحُكْمُ فِيمَا إذَا ظَهَرَ أَهْلُ الْحَرْبِ عَلَى ذَرَارِي أَهْلِ الذِّمَّة أَوْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ عَلَى نَحْوِ مَا ذَكَرْنَا أَيْضًا) . أي من وجوب تحريرهم. وقال السرخسي: لأَنَّ الْمُسْلِمِينَ حِينَ أَعْطَوْهُمْ الذِّمَّةَ فَقَدْ الْتَزَمُوا دَفْعَ الظُّلْم عَنْهُمْ وَهُمْ صَارُوا مِنْ أَهْلِ دَارِ الإِسْلام[٣٣]. وقال ابن قدامة: وجملة ذلك أنَّ أهل الحرب إذا استولوا على أهل ذمتنا فسبوهم وأخذوا أموالهم ثم قدر عليهم، وجب ردهم إلى ذمتهم، ولم يجز استرقاقهم في قول عامة أهل العلم، منهم: الشعبي ومالك والليث والأوزاعي والشافعي وإسحاق، ولا نعلم لهم مخالفاً، وذلك لأن ذمتهم باقية ولم يوجد ما يوجب نقضها، وحكم أموالهم حكم أموال المسلمين في حرمتها. قال علي رضي الله عنه: إنما بذلوا الجزية لتكون دماؤهم كدمائنا وأموالهم كأموالنا[٣٤].

♦ **القائلون بالاستحباب**:

وممن نَقَلَ القولَ بالاستحباب ابن النَّحاسِ في مَشَارِعِ الأشواق فقال: مذهب الشافعي أنَّ فداء الأسير مستحب، وأوجبه أحمد بن حنبل كما أوجبه مالك[٣٥]. وقال النووي رحمه الله: فداء الأمير الأسيرَ مستحب، فلو قال مسلم لكافر: أطلق أسيرك ولك عليَّ ألف، فأطلقه، لزمه الألف[٣٦].

♦ **القول الراجح في المسألة:**

لا أحسب عاقلاً في كل الأرض، وفي كل الأزمان والأوقات، وعلى اختلاف المذاهب والأديان والأهواء والأفكار يقول بجواز ترك المقاتلين من أبناء أمته أسرى لدى الأعداء، أو لا يرى فداءهم، إلا أن يكون مصاباً في عقله أو مطعوناً في دينه وانتمائه. فأمر المجاهدين الأسرى أكبر من أن يَسمحَ النَّاسُ لأنفسهم في مناقشة قضية إطلاق سراحهم أو عدمها. والأمر عند المسلمين داخل تحت باب الوجوب على الكفاية، فإن لم يقم به بعضهم عمَّ الإثم الجميع، وأصبح واجباً عيناً على كل مسلم حتى يُحَرَّرَ الأسرى. وبه قال ابن بطال وعزاه إلى الجمهور(٣٧). وذكر صاحب مغني المحتاج أن الكفار لو أسروا مسلماً، فالأصح وجوب النهوض إليهم وإن لم يدخلوا دارنا لخلاصه – إن توقعناه– بأن يكونوا قريبين، كما ننهض إليهم عند دخولهم دارنا، بل أولى لأن حرمة المسلم أعظم من حرمة الدار(٣٨). وقال ابن الملقن: لو قدر أسير على هرب لزمه، إقامةً لدينه...ولو شرطوا أن لا يخرج من دارهم لم يجز الوفاء، أي بل عليه الخروج لأن في ذلك ترك إقامة الدين(٣٩).

ويحملني على القول بوجوب تحرير الأسرى وجوباً لا نزاع ولا خلاف فيه، جملة من الأدلة، أذكر طرفاً منها:

♦ أما من قول الرسول صلى الله عليه وسلم: فقوله عليه الصلاة والسلام: فُكُوا العَانيَ، وأَطْعِمُوا الجائِعَ، وعُودُوا المريضَ(٤٠). وهو حديث عظيم يشتمل على معانٍ جميلة، تنم عن مسؤولية تجاه الأمة والرعية، وتدل دلالة واضحة على التكافل والتواصل بين المسلمين، وفي تقديمه فكَّ العاني في هذه الرواية على إطعام الجائع وعيادة المريض، مع عظيم منزلتهما في الإسلام ما يدلل بوضوح على وجوب تحرير الأسير.

♦ وما تضمنته وثيقةُ المدينةِ النَّبَويَّةِ التي أمر النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم بكتابتها بين أهل المدينة، لتكون أولَ وثيقة تشتمل على نصوص بَيِّنَة في القانون الدولي، تحوي شيئاً مما له تعلق بالأسرى وهو قولُهُ صلى الله عليه وسلم: والمُهَاجِرُونَ مِنْ قُرَيْشٍ عَلَى رِبْعَتِهِمْ(٤١) يَتَعَاقَلُونَ بَيْنَهُم، وَهُمْ يَفْدُونَ عَانِيهِمْ بِالمَعْرُوفِ والقِسْطِ بينَ المُؤْمنينَ، وبَنُو عَوْفٍ عَلَى رِبْعَتِهِمْ يَتَعَاقَلُونَ مَعَاقِلَهُم الأُوْلَى، كُلُّ طَائِفَةٍ تَفْدِي عَانِيها بِالمعْرُوفِ والقِسْطِ بينَ المؤْمِنينَ(٤٢). فقد ألزم النبي صلى الله عليه وسلم كل طوائف المسلمين فداء أسراهم، بل جعل كل طائفة تتحمل مسؤولية فداء أسراها، لأنه كان يعلم أنَّ الأيام المقبلة تحمل في طياتها الحروب والقتل والأسر وكثيراً من تبعات إقامة الدولة الجديدة، ولا مصادر دخل لها، وأمر الأسرى لا يحتمل التأخير، فجزأ المسؤولية ليسهل تحمل نفقات الفداء.

♦ وما رواه أبو جُحَيْفَةَ قالَ: قُلْتُ لعلي رضي الله عنه: هلْ عندَكُمْ شيءٌ منَ الوحْي إلا مَا في كتاب الله؟ قال: لا والَّذي فَلَقَ الحبَّةَ وبَرَأَ النَسْمة، ما أَعلَمُهُ إلا فَهْماً يُعْطيه الله عزَّ وجلَّ رَجُلاً في القرآنِ، وما في هذه الصَّحيفَةِ، قلت: وما في هذهِ الصَّحيفَةِ؟ قال: العَقْلُ وفكاكُ الأسيرِ، وأنْ لا يُقْتَلَ مُسْلِمٌ بكافرٍ[٤٣].

وأما من فعله صلى الله عليه وسلم: فإنه فادى عمرو بن أبي سفيان – وكان أسره يوم بدر – بالصحابي سعد بن النعمان بن أكال، من بني عمرو بن عوف، وفادى رجلاً من بني عقيل برجلين من المسلمين، كما فدى بامرأة من المشركين ناساً من المسلمين[٤٤].

ثم إنَّ القول بالوجوب هو مذهب الجمهور كما ذكر بعضهم: قال ابنُ حَجَرٍ معلقاً على حديث فكوا العاني: قوله: (باب فكاك الأسير) أي من أيدي العدو بمال أو بغيره.....قال ابن بطال: فكاك الأسير واجب على الكفاية، وبه قال الجمهور[٤٥]. وأحسب أنَّ قول ابن بطال يفيد الإجماع لا الوجوب، فنص قوله: (فكاك الأسير فرض على الكفاية، لقوله صلى الله عليه وسلم: فكوا العاني. وعلى هذا كافة العلماء[٤٦]) . وقال ابن حجر الهيثمي: ولو أسروا مسلماً فالأصح وجوب النهوض إليهم فوراً على كل قادر[٤٧]. وقال ابن النحاس: وتخليص الأسارى واجب على جماعة المسلمين إما بالقتال، وإما بالأموال، وذلك أوجب لكونها دون النفوس إذ هي أهون منها[٤٨]. وهو مذهب عمر بن عبدالعزيز الذي يقول: إذا خرج الأسير المسلم يفادي نفسه فقد وجب فداؤه على المسلمين ليس لهم رده إلى المشركين، قال الله تعالى: ﴿وَإِن يَأتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾ البقرة: ٨٥[٤٩].

وممن قال بالوجوب من المعاصرين الدكتور يوسف القرضاوي الذي صرح بأن إنقاذ الأسير من أيدي أعدائه الآسرين له، هو من فروض الكفاية التي تجب على الأمة بالتضامن، وتجب عيناً على أولي الأمر خاصة[٥٠].

وهذا الدكتور عبدالكريم زيدان يرى أنَّه: إذا أسر الكفار مسلماً أو مسلمةً وجب النفير ونهوض المسلمين لاستنقاذ المسلم أو المسلمة من ذلِّ الأسر، وهذا واجب عيني على جميع المسلمين القادرين عليه[٥١].

ولعل فيما ورد عن ابن العربي ما يؤكد القول بالوجوب، حتى إنه ذهب إلى القول بأن الفرد المسلم ملزم باستنقاذ أسرى المسلمين في حال تخلى الجميع، فقال رحمه الله: فإن قيل: فكيف يصنع الواحد إذا قصر الجميع؟ وأجاب: أن يعمد من رأى تقصير الخلق إلى أسير واحد فيفديه، فالأغنياء لو اقتسموا فداء الأسرى ما لزم كل واحد منهم إلا أقل من درهم للرجل الواحد، فإذا فدا الواحدَ فقد أدى في الواحد أكثر مما كان يلزمه في الجماعة، ويغزو بنفسه إن قدر وإلا جهز غازياً، فقد قال رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: مَنْ جَهَزَ غَازِياً فقدْ غَزَا، ومَنْ خَلَفَ غَازِياً في أَهْلِهِ فقدْ غَزَا[٥٢].

وقال: إذا كان النفير عاماً لغلبة العدو على الحوزة، أو استيلائه على الأسارى كان النفير عاماً، ووجب الخروج خفافاً وثقالاً، وركباناً ورجالاً، عبيداً وأحراراً، من كان له أبٌ من غير إذنه، ومن لا أبَ له، حتى يظهر دينُ الله، وتُحمى البَيْضَةُ، وتحفظ الحَوْزَة، ويُخزى العدو، ويُستنقذ الأسرى، ولا خلاف في هذا(٥٣). وانقاذ المرأة المسلمة من باب أولى، لأن استنقاذها وتخليصها من التعرض لها بالفاحشة أولى من استنقاذ الأسير المسلم.

بل إن القول بالوجوب هو ما أجمعت عليه الأمة: فقد حكى ابن حزم الإجماع عليه فقال: واتفقوا أنه إن لم يُقْدَر على فَكِّ المسلم إلا بمال يعطاه أهل الحرب، أنَّ إعطاءهم ذلك المال حتى يفك ذلك الأسير واجب(٥٤). ونقل الدكتور القرضاوي حفظه **الله** عن ابن خويز منداد قوله: تضمنت الآية – أي ﴿وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ﴾ البقرة: ٨٥– وجوب فك الأسرى، وبذلك وردت الآثار عن النبي صلى **الله** عليه وسلم أنه فكَّ الأسرى، وأمر بفكهم. وجرى بذلك عمل المسلمين، وانعقد به الإجماع(٥٥). وتقدم قريباً قول ابن بطال بما يفيد الإجماع.

توجيه القول بالاستحباب:

وأما ما نقل عن بعض الشافعية من قولهم بالاستحباب، فيمكن تأويله: بأنَّه يستحب فداؤهم إذا لم يعاقبهم الكفار ولم يعذبوهم، أما إذا عاقبوهم فيصبح فداؤهم واجباً(٥٦). أو أنَّ الاستحباب على الآحاد، والوجوب على الإمام. واستحسنه صاحب مغني المحتاج(٥٧).

وَرَجَّحَ الدكتور القرضاوي المعنى الثاني واستحسنه فقال: وهذا الترجيح الذي اختاره في مغني المحتاج: مسلَّمٌ مقبول. فالأفراد مطلوب منهم تحرير الأسارى على سبيل الاستحباب، أما الدولة – المعبر عنها بالإمام – فهو مطلوب منها على سبيل الوجوب. وهذا ما تفعله كل دول العالم قديماً وحديثاً(٥٨).

وأقول: إنَّ تحرير الأسرى قد يُستحبُ في بعض الأحيان نظراً للحال الذي يكون عليه المسلمون، كدخول العدو بأسرى المسلمين دار الحرب وتوغلهم فيها، والخوف على المسلمين من الهلاك والخسران إذا لحقوهم لاستنقاذ الأسرى.والناظر في كتب الفقه يجد أن الشافعية لم ينفردوا بالقول بالاستحباب في مثل هذه المسألة، بل شاركهم فيها محمد بن الحسن الشيباني فقال: فَأَمَّا إذَا دَخَلُوا حُصُونَهُمْ فَإِنْ أَتَاهُمْ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى يُقَاتِلُوهُمْ لاسْتِنْقَاذِ الذَّرَارِيِّ فَذَلِكَ فَضْلٌ أَخَذُوا بِهِ، وَإِنْ تَرَكُوهُمْ رَجَوْت أَنْ يَكُونُوا في سَعَةٍ مِنْ ذَلِكَ.

وعلق عليه السرخسي بقوله: لأَنَّ الظَّاهِرَ أَنَّهُمْ بَعْدَ مَا وَصَلُوا إلَى مَأْمَنِهِمْ وَدَخَلُوا حُصُونَهُمْ يَعْجِزُ الْمُسْلِمُونَ عَنْ اسْتِنْقَاذِ الذَّرَارِي مِنْ أَيْدِيهِمْ، إلاَّ بِالْمُبَالَغَةِ في الْجَهْدِ وَبَذْلِ النُّفُوسِ وَالأَمْوَالِ فِي ذَلِكَ. فَإِنْ فَعَلُوهُ فَهُوَ الْعَزِيمَةُ، وَإِنْ تَرَكُوهُ لِدَفْعِ الْحَرَجِ وَالْمَشَقَّةِ عَنْ

أَنْفُسِهِمْ كَانَ لَهُمْ في ذَلكَ رُخْصَةٌ. ألا تَرَى أَنَّا نَعْلَمُ أَنَّ في يَدِ الْكُفَّارِ بِالرُّومِ وَالْهِنْدِ بَعْضَ أُسَارَى الْمُسْلِمِينَ، وَلا يَجِبُ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا الْخُرُوجُ لِقِتَالِهِمْ لاسْتِنْقَاذِ الأُسَارَى مِنْ أَيْدِيهِمْ(٥٩). وهذا أمر لا يُخْتَلَفُ فيه، فالضرورة تقدر بقدرها، والمصلحة العامة مقدمة على المصلحة الخاصة، وحفظ آلاف النفوس أولى من استنقاذ آحادها.

ورد الإمام النووي نفسُهُ الأمرَ إلى القدرة والإمكان فقال: دخل مسلم دار الحرب فوجد مسلمة أسروها لزمه إخراجها إنْ أمكنه(٦٠).

كما يمكننا فهم قول الإمام النووي السابق (فداء الأمير الأسيرَ مستحب، فلو قال مسلم لكافر: أطلق أسيرك ولك علي ألف، فأطلقه، لزمه الألف) بأنه متعلق بالفداء بالمال، فمن العلماء من يرى أن فداء الأسير بالمال يجب من مال الدولة حتى لوكان الأسير غنياً، ومنهم من يرى أن الأسير الغني يفدي نفسه من ماله. وإن فداه أحد المسلمين فهل يعود عليه بالمال أم لا؟ مسألة خلافية.

وفي أقوال النووي نفسه ما يؤيد القول بالوجوب، فقد كتب في الروضة ما نصه: لو أسروا مسلماً أو مسلمين فهل هو كدخول دار الإسلام؟ وجهان، أحدهما: لا، لأن ازعاج الجنود لواحد بعيد، وأصحهما: نعم، لأن حرمته (المسلم) أعظم من حرمة الدار، فعلى هذا لا بد من رعاية النظر، فإن كانوا على قرب دار الإسلام وتوقعنا استخلاص من أسروه لو طرنا إليهم، فعلنا، فإن توغلوا في بلاد الكفر ولا يمكن التسارع إليهم، وقد لا يتأتى خرقها بالجنود اضطررنا إلى الانتظار، كما لو دخل منهم ملك عظيم الشوكة طرف بلاد الإسلام لا يتسارع إليه آحاد الطوائف(٦١). وبَيِّنٌ من هذا القول أنَّ الإمام النووي رحمه الله يرجح وجوب الخروج لاستنقاذ المسلم الواحد أو المسْلِمَين، خاصة إذا توقعنا تخليصهما وأَمِنَّا غائلة الأعداء ومكرهم، وهو ما يستوي مع فهمه لدين الله، وفقهه في النوازل، وحرصه على المسلمين ومصالحهم.

المبحث الثالث:

طرائق فك الأسرى:

لا أعلم أحداً له حقٌ على واليه وحكومته كحق الأسير المسلم، خاصة إن كان خرج مجاهداً فأسر، فله حقان: حق المجاهد، وحق الأسير الذي قهره الأعداء، ونكلوا به، وحبسوه عن أهله وبلده، وعن كل متاع الدنيا، حتى حرموه نسمة الهواء، وضوء الشمس، ورؤية القمر. وقبل ذلك وفوقه حق الإسلام، فهو مسلم له ما للمسلمين من حقوق، وعليه ما عليهم من واجبات، وقد أدى واجبه، فجاهد وضحى وبذل نفسه رخيصة في الذود عن أمته وبلده، فوجبت له حقوق عليهم، فإن قصَّروا فقد أثموا، وباؤوا بسخط من الله وغضب.

وهمة المسلمين واجتهادهم يأبيان عليهم أن يُسْتَرَقَّ مسلمٌ في أقصى الأرض، لأن الأسر استرقاق وإهانة وإذلال، وقديماً قال الإمام الزُّهْرِيُّ رحمه الله: قَضَتْ السُّنَّةُ أَنْ لا يَسْتَرِقَّ كَافِرٌ مُسْلِمًا. وقَالَ محمد بن الحسن الشيباني: وَبِهِ نَأْخُذُ إِذَا أَسْلَمَ عَبْدُ الْكَافِرِ لَمْ يُتْرَكْ يَسْتَرِقُّهُ، وَيُجْبَرُ عَلَى بَيْعِهِ(٦٢). وتحرير الأسير له وجوه متعددة: منها ما هو لازم للدولة والحاكم، ومنها ما يلزم الأمة والشعب، ومنها ما يلزم المجاهد وأهله. والأصل أن تَتَضَافَرَ كُلُّ الجُهُودِ، وتُتَّبَعَ كُلُّ السُّبُلِ لِتَحْرِيْرِهِ.

وأولها ـ الحرب وتسيير الجيوش:

وهذا سبيل يلزم الدولة والحاكم، وإن احتاج إلى جهود الأمة ودمائها. وبدأتُ به وإنْ كان أعظم وأثقل سبل الإنقاذ على النفس، وأكثرها خسارة في الأموال والأنفس، ليُعْلَمَ أَنَّ حقَّ الأسيرِ كبيرٌ على دولته، ومكانته عظيمة فيها، يستحق أن يبذل في سبيل خلاصه الغالي والنفيس. قال الله تعالى)وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ(سورة الأنفال: آية٧٢. وفي تفسيرها يقول القرطبي رحمه الله: يريد إن دعوا – هؤلاء– المؤمنون الذين لم يهاجروا من أرض الحرب عونكم بنفير أو مال لاستنقاذهم فأعينوهم، فذلك فرض عليكم فلا تخذلوهم، إلا أن يستنصروكم على قوم كفار بينكم وبينهم ميثاق فلا تنصروهم عليهم ولا تنقضوا العهد حتى تتم مدته(٦٣).

أما ابن العربي، فيرى: أن الوَلاية مع هؤلاء الأسراء المستضعفين قائمة، والنصرة لهم واجبة بالبدن، حتى لا يبقى منا عين تطرف حتى نخرج إلى استنقاذهم إن كان عددنا يحتمل ذلك، أو نبذل جميع أموالنا في استخراجهم حتى لا يبقى لأحدٍ درهم، كذلك قال مالك، وجميع العلماء، فإنا لله وإنا إليه راجعون على ما حل بالخلق في تركهم إخوانهم في أسر العدو وبأيديهم خزائن الأموال، وفضول الأحوال، والعدة والعدد والقوة والجلد(٦٤).

وتسيير الجيوش لاستنقاذ أسرى المسلمين، ودفع صولة العدو شيمة الخلفاء المجاهدين، والسلاطين الصالحين، فهذا هشام بن عبدالملك لما بلغه أنَّ العدو قد أخذ أردبيل(٦٥)في سنة اثنتي عشرة ومائة (١١٢هـ) ، واستاق المسلمين أسرى، بعث سعيد بن عمرو الحرشي بجيشٍ، وأمره بالإسراع

إليهم، فلحق الترك وهم يسيرون بأسارى المسلمين نحو ملكهم خاقان، فاستنقذ منهم الأسارى ومن كان معهم من نساء المسلمين ومن أهل الذمة أيضاً(٦٦). فلم يكفهم أن يستنقذوا أسرى المسلمين حتى استنقذوا أسرى أهل الذمة، وهذا والله غاية الوفاء لأهل الذمة بذمتهم، ومن وفَّى لهؤلاء بذمتهم، وفَّى لأبطال المسلمين بحقهم، ولم يتركهم نهباً للأعداء وتسلطهم.

وحكى القاضي ابن العربي أن بعض الأمراء عاهد كفاراً ألا يحبسوا أسيرا، فدخل رجل من جهته إلى بلادهم، فمر على بيت مغلق، فنادته امرأة: إني أسيرة فأبلغ صاحبك خبري. فلما اجتمع به استطعمه عنده، وتجاذبا ذيل الحديث، انتهى الخبر إلى هذه المعذبة فألقاه إليه، فما أكمل حديثه حتى قام الأمير على قدمه، وخرج غازياً من فوره، ومشى إلى البلد حتى أخرج الأسيرة واستولى على الموضع(٦٧). فَعِرْضُ المسلمة أغلى من الأرواح، وتحريرها وردها إلى أهلها وزوجها واجب على كل من وَلِيَ أمرَ المسلمين، وتَرْكُهَا سَبِيَّةً بأيدي العدو خيانة **لله** ورسوله والمؤمنين. وقصة استنجاد المرأة بالخليفة العباسي المعتصم **بالله** مشهورة معروفة(٦٨).

ويُذكر أن السلطان صلاح الدين خلص من الأسرى في وقعة حطين سنة (٥٨٣هـ) أكثر من عشرين ألف أسير(٦٩). وقرابة أربعة آلاف لما فتح بيت المقدس(٧٠). ومثلهم يوم عكا(٧١).

وقد تنتهي مهمة الجيش عند تحصيل المنفعة المرجوة، واستنقاذ أسرى المسلمين، وهي منفعة مقدمة على فتح البلاد وكسر الجيوش وقهر الأعادي، ففي سنة سبع وثمانين ومائة (١٨٧هـ) بعث الرشيد ولده القاسم على الصائفة، وجعله قرباناً ووسيلة بين يديه، وولاه العواصم، فسار إلى بلاد الروم فحاصرهم حتى افتدوا بخلق من الأسارى يطلقونهم ويرجع عنهم، ففعل ذلك(٧٢).

ثانيها ـ فِـرَقُ الإنقاذ:

وهي وسيلة لا يلجأ إليها إلا من ضَعُفَ عن خوض حرب وتسيير جيش، وقهر عدو، أو رأى السلامة في عملية سريعة، لا في حرب مفتوحة، فعمد إلى تكوين مجموعات قليلة العَدَد، خفيفة العُدَد، لاستنقاذ أسراه. وقديماً ومنذ أيام الإسلام الأولى، يوم خرج رسول **الله** صلى **الله** عليه وسلم من مكة مهاجراً خُفْيَةً إلى المدينة، مخلفاً وراءه بعض ضعفاء المسلمين الذين ألقت قريش القبض عليهم، وحبستهم في بعض بيوت مكة، وصبت عليهم العذاب ألواناً لتردهم عن دينهم. فما أن وصل النبي صلى **الله** عليه وسلم إلى المدينة المنورة حتى انتدب مجموعة من خيرة الصحابة الأبطال y، واختارهم بنفسه من المهاجرين العارفين بمكة، ودروبها، وبيوتها، وممن لهم جَلَدٌ ومُصَابَرَةٌ، وقدرة جسدية جبارة، ودراية حربية وخبرة عسكرية، وأمرهم بتخليص الأسرى واستنقاذهم من أيدي الكفار في قلب مكة، ومكة يومها في قمة عنفوانها وجبروتها وحقدها على المسلمين، وكفرها بالإسلام.

قال ابن إسحاق: حدثني من أثق به: أَنَّ رَسُولَ **الله** صلى **الله** عليه وسلم قَالَ وهُوَ بالمدينة: (مَنْ لي بعيَّاش بن أَبي رَبيعَةَ، وهِشَام بن العَاصي؟ فقالَ الوليدُ بنُ الوليد بن المُغيرة: أَنَا لَكَ يا رسُولَ **الله** بِهما، فَخَرَجَ إِلى مَكَّةَ، فَقَدِمَهَا مُسْتَخْفِياً، فَلَقِيَ امْرَأَةً تَحْمِلُ

طَعَاماً، فقالَ لَهَا: أَيْنَ تُريدينَ يَا أَمَةَ الله؟ قَالَتْ: أُريدُ هَذَيْنِ المَحبُوسَيْنِ– تَعْنيهما. فَتَبِعَها حتى عَرَفَ مَوْضِعَهُما، وكَانَا مَحْبُوسَيْنِ في بيت لا سَقْفَ لَهُ، فَلَما أَمْسَى تَسَوَّرَ عَلَيهما، ثُمَّ أَخَذَ مَرْوَةً[٧٣] فوضَعَها تحتَ قَيْدَيْهما، ثُمَّ ضَرَبَهُما بسَيْفه فَقَطَعَهُما، فكانَ يُقالُ لسَيْفِه: ذُو المَرْوَةِ لذَلِكَ. ثُمَّ حَمَلَهُمَا على بَعيْرِه، وسَاقَ بِهما، فعَثَرَ، فَدَميَتْ أُصْبَعُهُ، فقالَ:

هَلْ أَنْتِ إلاَّ أُصْبَعٌ دَمِيْتِ

وفي سَبِيْلِ الله مَا لَقِيْتِ

ثُمَّ قَدِمَ بِهِما عَلَى رسُولِ الله صلى الله عليه وسلم المدينَةَ[٧٤].

ثالثها ـ المُفَادَاة:

وهي وسيلة ثالثة لاستنقاذ الأسرى، عَرَفها الناس قديماً، وحكى الله سبحانه عن بني إسرائيل معرفتهم لها في الزمن الغابر فقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَـؤُلاء تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقاً مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾ سورة البقرة: آية٨٥. والمفاداة على ضربين: فإما أن تكون على مال يؤخذ أو أسير يطلق[٧٥]، وربما جُمِعَ بين الأمرين في المفاداة الواحدة، وقد فعل النبي صلى الله عليه وسلم الأمرين، ففادى أسرى بدر على مال[٧٦]، وفادى بعض المسلمين ببعض المشركين.

♦ **أما المفاداة بالمال**: فيجب ألا يدخر مالٌ، ولا يحتفظ بكثيرٍ ولا قليلٍ وأسير لنا لدى الأعداء، وهل الدرهم والدينار أغلى من المجاهدين ومن نفوس المسلمين؟ وهو أَمْرُ رسول الله للمسلمين بأن يفادوا أسراهم ، وألا يحتفظوا بفيئهم ويدعوا أبناءهم ومقاتليهم في سجون العدو، فعن حِبَّان بن أبي جَبَلَةَ رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إنَّ على المسلمين في فيئهم أن يفادوا أسيرهم، ويؤدوا عن غارمهم.[٧٧]

وتتحمل الدولة مسؤولية المفاداة من خزينتها، وإن غلا الثمن، وهو واجب الحكومة قبل أن يكون واجبًا على الناس، فعَنِ ابْنِ عَبَّاس رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ عُمَرُ رضي الله عنه: كُلُّ أَسِيرٍ كَانَ في أَيْدِي الْمُشْرِكِينَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَفِكَاكُهُ مِنْ بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ[٧٨]. وسَأَلَ ابْنُ الزُّبَيْرِ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ عَنِ الرَّجُلِ يُقَاتِلُ عَنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ ، فَيُؤْسَرُ؟ قَالَ: فَكَاكُهُ مِنْ خَرَاجِ أُولَئِكَ الْقَوْمِ الَّذِينَ قَاتَلَ عَنْهُمْ[٧٩]. وقديماً فدى عمر ابن عبدالعزيز رحمه الله تعالى رجلاً مسلماً من العدو بمائة ألف درهم[٨٠]. وكتب إلى عماله: أن فادوا بأسارى المسلمين وإن أحاط ذلك بجميع مالهم[٨١]. ووصى قائده على الصائفة قائلاً له: يا عمرو... فادِ من قدرت عليه من المسلمين وأرقائهم وأهل ذمتهم[٨٢].

وكان يفتي بحرمة ردِّ المسلم إلى الكفار، ووجوب بذل المسلمين ما يستطيعونه في سبيل مفاداته، فقد روى عنه سعيد بن منصور في سننه أنه قال: إذا خرج الرومي بالأسير من المسلمين فلا يحل للمسلمين أن يردوه إلى الكفر، وليفادوه بما استطاعوا، قال **الله** عز وجل ﴿وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ﴾ سورة البقرة ٨٥ (٨٣).

وروى أشهب وابن نافع عن مالك أنه سئل: أواجب على المسلمين افتداء من أسر منهم؟ قال: نعم، أليس واجب عليهم أن يقاتلوا حتى يستنقذوهم ، فكيف لا يفدونهم بأموالهم؟ (٨٤) وحكى ابن حزم الإجماع عليه فقال: و اتفقوا أنه إن لم يُقْدَر على فَكِّ المسلم إلا بمال يعطاه أهل الحرب، أنَّ إعطاءهم ذلك المال حتى يفك ذلك الأسير واجب(٨٥).

وعند السرخسي: من وقع أسيراً في يد أهل الحرب من المؤمنين و قصدوا قتله يفترض على كل مسلم يعلم بحاله أن يفديه بماله إنْ قدر على ذلك، وإلا أخبر به غيره ممن يقدر عليه، وإذا قام به البعض سقط عن الباقين بحصول المقصود(٨٦).

ونص الإمام النووي رحمه **الله** على أن: الفداء بالمال واجب إن استطعنا تخليص الأسرى به(٨٧).

ولا يقف الأمر عند هذا الحد فإن على الدولة وعلى المسلمين أن يدفعوا للمسلم الذي يشتري مسلماً أو ذمياً من الأعداء ما دفعه ثمناً لهما، فعن إبراهيم النخعي في الحرِّ والحُرَّةِ من المسلمين، أو الذِّمِّية أو الذِّمِّيِّ الحُرَّيْنِ يأسرهم العدو فيشتريهم الرجل من المسلمين، قال: لا يكون واحد منهم رقيقاً، وعليهم أن يسعوا للرجل في الثمن الذي اشتراهم به حتى يؤدوه إليه. قال أبو يوسف: وهذا أحسن ما سمعنا في ذلك و**الله** أعلم(٨٨).

ولا يخفى ما في هذا القول من معان عظيمة، إذ فيه عدم جواز استرقاق هذا الأسير، ولو اشتري على هذه الصفة وعدَّه الأعداء رقيقاً. كما يُلحِقُ الذِّميَّ بالمسلم في المعاملة مما يدل على فضل الإسلام وعلو شأنه وعنايته برعاياه. ثم بذل المال لمن قام بالشراء سواء بذلته الدولة من خزينتها، أو سعى الناس في جمعه مما في أيديهم وأيدي المحسنين حتى يؤدوه لمن دفعه أولاً، مما يشحذ الهمم لفداء أسرى المسلمين، ويطمئن به كل من بذل مالاً أنَّ مالَهُ مردودٌ إليه لا يخاف عليه الضيعة.

قال ابن العربي المالكي في تفسير هذه الآية: ﴿وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ **اللّهِ** وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَـذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّاً وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيراً﴾٧٥ سورة النساء: قال علماؤنا: أوجب **الله** تعالى في هذه الآية القتال لاستنقاذ الأسرى من يد العدو مع ما في القتال من تلف النفس، فكان بذل المال في فدائهم أوجب لكونه دون النفس وأهون لها. وقال مالك: على الناس أن يفكوا الأسارى بجميع أموالهم(٨٩).

♦ **المفـاداة بـأسـرى الأعـداء**: وهـي وسيلة قديمة عرفتهـا البشرية لاستنقاذ الأسرى. فلا أقل من أن ندفع للأعداء أسراهم لِنُخَلِّصَ أسرانـا من رَهَق القيد وظلم السجان، سواء فادينـا أسيرَنـا بـأسيرٍ مثلِه، أو بـأسيرين اثنين، أو بثلاثةٍ، أو بـأكثرَ من ذلك، إذ مـا جدوى الاحتفـاظ بـأسرى الأعداء وأسرانـا بـأيديهم؟

ومن المعلوم أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فـادى رجلاً من المسلمين برجل من المشركين، فقد روى ابن هشام في سيرته أَنَّ عَمْرَو بنَ أَبي سُفْيانَ بنِ حَرْبٍ كانَ أَسِيْراً في يَدَيْ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم منْ أَسْرى بَدْر،أَسَرَهُ عليُ بنُ أَبي طَالبٍ رضي الله عنه، فَقيلَ لأبي سُفْيانَ: افْدِ عَمْراً ابْنَكَ. قالَ: أَيَجْمَعُ عَلَيَّ دَمي ومَالي! قَتَلوا حَنْظَلَةَ وأَفْدي عَمْراً، دَعُوْهُ في أَيْدِيْهم يُمْسكُوهُ مَا بَدَا لهم. قالَ: فبينما هو كذلكَ محبوسٌ بالمدينة عندَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، إذ خرجَ سعدُ بنُ النُّعمانِ بن أكال، أخو بني عمرو بن عوف ثم أَحَدُ بني معاويةَ معتمراً، ومعه مَريَةٌ[٩٠] له، وكان شَيْخاً مسلماً في غَنَم له بالنَقيْع[٩١]، فخرجَ منْ هنالكَ مُعْتَمراً، ولا يَخْشَى الذي صُنِعَ به، لَمْ يَظُنْ أَنَّهُ يُحْبَسُ بمكَّةَ، إنَّما جاءَ مُعْتَمراً. وقد كانَ عَهِدَ قريشاً لا يَعْرِضُون لأحدٍ جاءَ حَاجّاً أو مُعْتَمراً إلا بخيرٍ، فَعَدا عليه أبو سفيانَ بنُ حَرْبٍ بمكَّةَ فَحَبَسَهُ بابنِه عمرو.

ومَشَى بَنُو عمرو بن عوف إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، فأَخْبروهُ خَبَرَهُ، وسَأَلُوهُ أَنْ يُعْطِيَهُم عمرو بنَ أبي سُفيانَ، فيَفُكُّوا به صَاحبَهُم، فَفعَلَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم، فبعثُوا به إلى أبي سفيان، فخَلَّى سبيلَ سَعْدٍ[٩٢].

كما أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فادى رجلاً من بني عقيل برجلين من المسلمين، فقد أخرجَ مسلم رحمه الله في صحيحه عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ قَالَ: كَانَتْ ثَقيفُ حُلَفَاءَ لِبَنِى عُقَيْلٍ فَأَسَرَتْ ثَقِيفُ رَجُلَيْنِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَأَسَرَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم رَجُلاً مِنْ بَنِى عُقَيْلٍ وَأَصَابُوا مَعَهُ الْعَضْبَاءَ[٩٣] فَأَتَى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَهْوَ فِى الْوَثَاقِ. قَالَ: يَا مُحَمَّدُ. فَأَتَاهُ فَقَالَ: مَا شَأْنُكَ؟ فَقَالَ: بِمَ أَخَذْتَنِي؟ وَبِمَ أَخَذْتَ سَابِقَةَ الْحَاجِّ؟ فَقَالَ إِعْظَامًا لِذَلِكَ: أَخَذْتُكَ بِجَرِيرَةِ حُلَفَائِكَ ثَقِيف. ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهُ فَنَادَاهُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ يَا مُحَمَّدُ. وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم رَحِيمًا رَقِيقًا، فَرَجَعَ إِلَيْهِ فَقَالَ: مَا شَأْنُكَ؟ قَالَ إِنِّى مُسْلِمٌ. قَالَ: لَوْ قُلْتَهَا وَأَنْتَ تَمْلِكُ أَمْرَكَ أَفْلَحْتَ كُلَّ الْفَلاَحِ. ثُمَّ انْصَرَفَ. فَنَادَاهُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ يَا مُحَمَّدُ. فَأَتَاهُ فَقَالَ: مَا شَأْنُكَ؟ قَالَ: إِنِّى جَائِعٌ فَأَطْعِمْنِي وَظَمْآنُ فَأَسْقِنِي. قَالَ: هَذِهِ حَاجَتُكَ. فَفُدِيَ بِالرَّجُلَيْنِ[٩٤].

قلت: وفي الحديث فوائد جليلة كثيرة منها: جواز أخذ رجال الأعداء وأسرهم إذا أخذوا رجالنا وأسروهم، والإبقاء عليهم في الأسر حتى يفك أسير المسلمين ويطلق سراحه، وهذا من باب المقابلة والمعاملة بالمثل، وايجاد التوازن، وزرع الرعب، وحفظ الهيبة. كما أَنَّ

إطعام الأسير حق مكفول، لا يجوز حرمانه منه، ولا التأخر به عليه. ثمَّ رِقَّة النبي صلى **الله** عليه وسلم وحسن خلقه، وسعة صدره، ورحمته بالأسرى وعدم تجبره بهم. وأما قول النبي صلى **الله** عليه وسلم: (لَوْ قُلْتَهَا وَأَنْتَ تَمْلِكُ أَمْرَكَ أَفْلَحْتَ كُلَّ الْفَلاَحِ) . فمعناه كما قال النووي: لو قلت كلمة الإسلام قبل الأسر حين كنت مالك أمرك أفلحت كل الفلاح، لأنه لا يجوز أسرك لو أسلمت قبل الأسر، فكنت فزت بالإسلام والسلامة من الأسر، ومن اغتنام مالك، وأما إذا أسلمت بعد الأسر فيسقط الخيار في قتلك، ويبقى الخيار بين الاسترقاق والمن والفداء، وفي هذا جواز المفاداة، وأن إسلام الأسير لا يسقط حق الغانمين منه، بخلاف ما لو أسلم قبل الأسر(٩٥). وفي مفاداة الرسول **الله** صلى **الله** عليه وسلم رجلين من المسلمين برجل من المشركين دليل على أن المفاداة بالأسرى تخضع لبعض المعايير والموازين، ومنها: قيمة الأسير لدى قومه ومنزلته فيهم، كما تخضع للمساومة والمفاصلة، وأنجح الفريقين من استطاع أن يخلص أسراه بأقل تكلفة وأيسرها، ولا يصار إلى أعلاها حتى ينقطع الرجاء من أدناها، وهذا لا يعني أن ينظر إلى القيمة القليلة دون اعتبار لحقيقة الأسر، بل يبذل الكثير إن تعذر قبول القليل، فقيمة المسلم وحرمته أعظم من بيت **الله** الحرام، وقد أعطى عمر ابن عبدالعزيز برجل من المسلمين عشرة من الروم وأخذ المسلم(٩٦).

كما فادى عليه الصلاة والسلام امرأة من المشركين بأسرى من المسلمين، فقد أخرج مسلمٌ عنْ إياسِ بنِ سَلَمَةَ عن أبيه سَلَمَةَ بن الأكْوَعِ قال: غَزَونَا فَزارَةَ وعَليْنا أَبُو بكرٍ. أمَّرَه رسول **الله** صلى **الله** عليه وسلم علينا. فلما كانَ بيننا وبين الماء ساعة، أمرنا أبو بكرٍ فعَرَّسْنا. ثمَّ شَنَّ الغارةَ. فوَرَدَ الماءَ. فقتل من قتلَ عليه، وسبى. وأَنْظُرُ إلى عُنُقٍ(٩٧) من الناسِ فيهمُ الذَّرَاري، فخشيتُ أن يسبقوني إلى الجبل، فرميتُ بسهم بينهم وبين الجبل. فلما رأَوا السهم وقفوا. فجئت بهم أسوقهم، وفيهم امْرَأَةٌ من بني فَزَارَةَ، عليها قَشْعٌ من أَدَمٍ (قال: القَشْعُ النِّطَعُ) معها ابنةٌ لها من أحسن العرب. فسقتهم حتى أتيتُ بهم أَبا بكرٍ، فَنَفَّلَني أبو بكرٍ ابنتها. فقدمنا المدينةَ وما كشفتُ لها ثوبًا. فلقيني رسول **الله** صلى **الله** عليه وسلم في السوقِ، فقال: يا سلمةُ، هَبْ لي المرأَةَ. فقلت: يا رسول **الله**، و**الله** لقد أعجبتني، وما كشفت لها ثوباً. ثمَّ لقيني رسولُ **الله** صلى **الله** عليه وسلم من الغدِ في السُّوقِ. فقال لي: يا سلمةُ، هب لي المرأَةَ، **لله** أبوكَ!! فقلتُ: هيَ لكَ يا رسول **الله**، فو**الله** ما كشفت لها ثوباً. فبعث بها رسول **الله** صلى **الله** عليه وسلم إلى أهل مكةَ ففدى بها ناسًا من المسلمين، كانوا أُسِروا بمكةَ(٩٨).

قال النووي: وفي الحديث جواز المفاداة، وجواز فداء الرجال بالنساء الكافرات، وجواز التفريق بين الأم وولدها البالغ، وجواز استيهاب الإمام أهل جيشه بعض ما غنموه ليفادي به مسلماً أو يصرفه في مصالح المسلمين، أو يتألف به من في تألفه مصلحة كما فعل النبي صلى **الله** عليه وسلم هنا(٩٩).

ومن الفقه الجميل أنَّ الإمام أحمد منع فداء نساء المشركين بالمال، لأن في بقائهن في الرق تعريضاً لهن للإسلام لمعاشرتهن للمسلمين، لكنه جوَّزَ أن يفادى بهن أسارى المسلمين أخذاً بهذا الحديث، ولأن في ذلك استنقاذ مسلم متحقق إسلامه(١٠٠). غير أنَّ الأسيرة الكافرة إذا أسلمت حرم ردها إلى دار الأعداء ﴿فَلا تَرْجِعُوهُنَّ إِلى الكُفَّارِ لا هُنَّ حِلٌ لَهُمْ ولا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ سورة الممتحنة ١٠، وفي ردها إليهم تعريضاً لها للرجوع عن الاسلام واستحلال ما لا يحل منها.(١٠١)

وفي الحديث دليل على عناية النبي صلى الله عليه وسلم بأسرى المسلمين الذين منعهم المشركون من اللحاق بالمدينة وبالمسلمين، فلم يَنْسَهُمُ النبي صلى الله عليه وسلم بل أرسل إليهم من أنقذهم، ومن بقي منهم حبيساً في مكة جعله على قائمة أولوياته عند أول عملية أسر ينفذها المسلمون في أول مواجهة لهم مع الأعداء. ثم إنَّه يدل دلالة واضحة على مدى الحب الذي كانت تنطوي عليه قلوب الصحابة للنبيِّ صلى الله عليه وسلم، وايثارهم رضاه على شهوات أنفسهم ورغباتهم. وفيه رد على من زعم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان رجلَ شهوة، وأنه كان يؤثر شهوته على مصالح أصحابه، فعلى الرغم من الجمال الفائق الذي كانت تتمتع به الأسيرة الفزارية، وإمكانية استمتاعه بها، إلا أنه آثر أن يفدي بها بعضاً من صحبه.

ومن أروع الأمثلة على المفاداة تلك المحاورة البديعة بين خليفة المسلمين عمرَ بنِ عبدالعزيز رحمه الله وبين رسولِه إلى امبراطور القسطنطينية، والتي تتجلى فيها عظمة الإسلام، وعظمة رجاله، وفقههم القديم البديع، المنطوي على نفع الأمة والدائر مع مصلحتها، والشامل لجميع من قَبِلَ أن يستظل بظل الإسلام.

فعن عبدالرحمن بن أبي عمرة قال: لما بعثه عمر بن عبدالعزيز بفداء أسارى المسلمين من القسطنطينية، قلت له: أرأيت يا أميرَ المؤمنين إنْ أبَوْا أنْ يُفَادوا الرَّجلَ بالرَّجل، كيف أصنع؟ قال عمر: زدهم. قلت: إنْ أَبَوا أنْ يُعْطُوا الرَّجُلَ بالاثنين؟ قال: فأعطهم ثلاثاً. قلت: فإنْ أبوا إلا أربعاً؟

قال: فأعطهم لكل مسلم ما سألوك، فوالله لرجلٌ من المسلمين أحبُّ إليَّ من كل مشرك عندي، إنَّكَ ما فديت به المسلم فقد ظفرت، إنك إنما تشتري الإسلام. قلت: النساء؟ قال: نعم، افدهنَّ بما تفدي به غيرهن. قلت: أرأيت إن وجدت امرأةً تنصرت فأرادت أن ترجع إلى الإسلام؟ قال: افدها بمثل ما تفدي به غيرها. قلت: أفرأيت العبيد، أفديهم إذا كانوا مسلمين؟ قال: افدهم بمثل ما تفدي به غيرهم.قلت: أفرأيت إن وجدتُ منهم من قد تنصر، فأراد أن يُرَاجِع إلى الإسلام؟ قال: فاصنع بهم ما تصنع بغيرهم. فصالحت عظيم الروم على كل رجل من المسلمين، رجلين من الروم. زاد إسماعيل: وزاد فيه ناسٌ من أصحابنا عن عبدالرحمن أنه سأل عمر بن عبدالعزيز عن أهل الذمة؟

فقال: افدهم بمثل ما تفدي به غيرهم[١٠٢].

فهذا عمر بن عبدالعزيز يرى وجوب افتداء كل مسلم، ولو افتُدِيَ المسلمُ الأسير الواحد بكل ما في أيدي المسلمين من أسرى الأعداء، قلَّ عددهم أو كثر، وهو بهذا إنما ينتصر للإسلام الذي يحمله المسلم وينتمي إليه.

– ثم إنَّ المرأة في هذا الأمر حالها كحال الرجل، تجب مفاداتها ولا يبخل عليها في ذلك بشيء، بل إن أمرها أخطر وأحرج، وإنقاذها أولى وأوجب، حفظاً لعرضها، وصوناً لحرمتها. حتى إن المفاداة لتشمل المرأة التي تنصرت وأقامت في بلاد النصارى وتزوجت منهم، وأنجبت لهم، ثم رأت أن ترجع إلى الإسلام، فلا يترك مثلها أسيراً لدى الأعداء، وهذا والله فقه عظيم عجيب من عمر بن عبدالعزيز رحمه الله، إذ نظر إلى انتقالها من النصرانية إلى الإسلام برغبتها فيه وحبها له، ولم ينظر إلى تنصرها، لما يعتري تنصرها من إكراه وتضييق. ثم هي الغاية الكبرى من خلق البشر وإرسال الأنبياء وهي عبادة الله تعالى، وإخراج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد.

وما ينطبق على الرجال والنساء المسلمين– وإن تنصروا– ينطبق على العبيد وأهل الذمة، وهذا غاية الوفاء وحفظ الذمة لأهل الذمة، والرعاية والإحسان للرقيق والعبيد والإماء.

ولما خاطب ابن تيمية التتار في إطلاق الأسرى، أطلقوا له أسرى المسلمين، وأبوا أن يطلقوا أسرى النصارى الذين أخذوهم من القدس. فقال لكبيرهم غازان: بل جميع من معك من اليهود والنصارى الذين هم أهل ذمتنا، فإنَّا نفتكهم ولا ندع أسيراً لا من أهل الملة ولا من أهل الذمة. وكان له ما أراد[١٠٣].

وتاريخ الإسلام حافل بوقائع المفاداة ومنها: مفاداة سنة إحدى وثلاثين ومائتين (٢٣١هـ) ، والتي فادى فيها الأمير خاقان الخادم أسارى المسلمين الذين كانوا في أيدي الروم، وكان عددهم أربعة آلاف وثلاثمائة واثنين وستين (٤٣٦٢) أسيراً[١٠٤].

وذكر ابن كثير شيئاً عن موقع المفاداة والطريقة التي تمت بها، فقال: وكان وقوع المفاداة عند نهر يقال له اللامس، عند سلوقية بالقرب من طرسوس[١٠٥]، بَدَل كل مسلم أو مسلمة في أيدي الروم، أو ذمي أو ذمية كان تحت عقد المسلمين أسير من الروم كان بأيدي المسلمين ممن لم يسلم، فنصبوا جسرين على النهر، فإذا أرسل الروم مسلماً أو مسلمة في جسرهم فانتهى إلى المسلمين كَبَّرَ وكَبَّرَ المسلمون، ثم يُرسل المسلمونَ أسيراً من الروم على جسرهم، فإذا انتهى إليهم تكلم بكلام يشبه التكبير أيضا. ولم يزالوا كذلك مدة أربعة أيام بدل كل نفس نفس، ثم بقي مع خاقان جماعة من الروم الأسارى فأطلقهم للروم حتى يكون له الفضل عليهم[١٠٦]. ومفاداة سنة ست وأربعين ومائتين (٢٤٦هـ) بين المسلمين والروم، والتي فدي فيها من المسلمين نحو من أربعة آلاف أسير[١٠٧].

ومفاداة سنة ثلاث وثمانين ومائتين (٢٨٣هـ) التي استُنْقِذَ فيها من أيدي الروم ألفا أسير وخمسمائة وأربعة أنفس[١٠٨]. وكان يوم المفاداة يوماً عظيماً مشهوداً، يجتمع له الناس من كل حدب وصوب، من له أسير ومن ليس له أسير، الرجال والنساء، والشيوخ والصبيان، والعلماء والأمراء، والعقلاء والسفهاء. فالكل فرح نشوان، وبلقاء الأسرى طَرِبٌ جذلان، يتقرب إلى الله بالنظر إليهم، أو بتحيتهم، فإن لم يستطع الوصول إليهم، ومصافحة أكفهم، وتقبيل جباههم، لوح بيده من بعيد، يشهد الله على حبهم، والمبايعة لهم، وأنهم كانوا منه في سويداء القلب. وحضور هذا اليوم عربون محبة واعتراف بالفضل لأهل الفضل. وما كان للعلماء أن يتخلفوا عن هذا المهرجان الحافل، والحشد الهائل، وهم الحَاضُّون على الجهاد، الذاكرون لفضائله. بل كانوا يتنادون لحضوره، ويقطعون المسافات لشهوده. وذلك تأكيد منهم على أهمية الجهاد، ووجوب تحرير الأسرى، واستقبالهم والوفاء بحقهم. روى الحافظ مأمون المصري أنه خرج إلى طرسوس سنةً لمشاهدة الفداء مع الإمام النسائي، وجماعة من مشايخ الإسلام والحفاظ منهم: عبد الله بن أحمد بن حنبل، ومحمد بن إبراهيم مربَّع، وأبو الأذان ومشيخة غيرهم[١٠٩].

وما كان للسلطان أن يقبض يده في مثل هذا اليوم العظيم، بل كان يأمر بتزيين الشوارع والدروب، وينثر على الناس أصناف العطايا والطيوب. سوى ما كان يأمر به نائبه ومتولي أمر المفاداة عنه، من بذل الغالي والنفيس في المبادلة واستنقاذ أسرى المسلمين. ذكر التنوخي أنَّ سيف الدولة أقام الفداء بشاطئ الفرات في سنة خمس وخمسين وثلاثمائة (٣٥٥هـ) ، وأنفق عليه خمسمائة ألف دينار، وأخرج كل من قدر على إخراجه من أسارى المسلمين من بلد الروم، واشترى كل أسير بثلاثة وثمانين ديناراً وثلث رومية، من ضعاف الناس، فأما الجلة ممن كان أسيراً، ففادى بهم رؤساء كانوا عنده أسرى من الروم. وكانت الحال هائلة فيما أخبرني جماعة حضروا، يبقى فخرها وثوابها له[١١٠].

ولا بُدَّ من الإشارة إلى أن كثيراً من حوادث المفاداة التي كانت تعقد لاستنقاذ بعض ملوك الأعداء وأمرائهم كان يشترط في الفدية أن تشتمل على أسرى المسلمين والمال. فقد أسر نورُالدينِ زَنْكِي صاحبَ طرابلس في بعض غزواته، وأسر معه جماعة من أهل دولته، فافتدى نفسه منه بثلاثمائة ألف دينار، وخمسمائة حصان، وخمسمائة وردية، ومثلها برانس[١١١]، أي لبوس، وقنطوريات، وخمسمائة أسير من المسلمين، وعاهده أن لا يغير على بلاد المسلمين لمدة سبع سنين وسبعة أشهر وسبعة أيام[١١٢].

وأسر صلاح الدين الأيوبي صاحب طرابلس وبقي عنده في الأسر عشر سنين، ثم افتدى نفسه بمائة ألف دينار، وألف أسير من المسلمين[١١٣]. وفي سنة سبع وستمائة (٦٠٧هـ) أُخِذَ ملك الكَرْج[١١٤] إيواني أسيراً، فأُسْقِطَ في أيدي الكرج، ففادوه بمائتي ألف دينار وألفي أسير من المسلمين[١١٥].

- **أيهما أولى المفاداة بالمال أم بالأسرى:**

إن الناظر في الصفحات المتقدمة من هذا البحث يجد أن بعض أهل العلم ذهب إلى أن دفع المال لاستنقاذ الأسير المسلم مقدم على مبادلة أسير بأسير، **ناظرين في ذلك إلى أمرين**:

أولهما: أنَّ مصلحة الإسلام تقتضي الإبقاء على أسير الأعداء بأيدي المسلمين رجاء هدايته وإسلامه. وثانيهما: أنَّ في إطلاق سراحه ورده إلى الأعداء تقوية لشوكتهم وزيادة لعددهم. وعللوا بقاء الأسير المسلم بأيدي الأعداء في حال عدم القبول بالمفاداة المالية، أن المسلم بصبره على الأسر والسجن ينال الأجر والثواب العظيم من **الله**، وهو في جهاد ما صبر وثبت واحتسب.

وذهب آخرون إلى أنه يفادى بالرؤوس ولا يفادى بالمال، محتجين بأهمية المال في الإعداد والدفاع عن المسلمين.

ونقل الحافظ ابن حجر العسقلاني بعض كلام العلماء في هذه المسألة فقال: قال ابن بطال: فكاك الأسير واجب على الكفاية، وبه قال الجمهور. وقال إسحاق بن راهويه: من بيت المال، وروي عن مالك أيضا. وقال أحمد: يفادى بالرؤوس، وأما بالمال فلا أعرفه. ولو كان عند المسلمين أسارى وعند المشركين أسارى واتفقوا على المفاداة تعينت، ولم تجز مفاداة المشركين بالمال(١١٦). ورد ابن بطال على قول الإمام أحمد بعدم معرفته المفاداة بالمال، فقال: وقوله صلى **الله** عليه وسلم: (فكوا العاني) ، عموم فى كل ما يفادى به، فلا معنى لقول أحمد(١١٧).

والقارئ لكتب السياسة، الشرعية وغير الشرعية، الناظر في أخبار الدول قديمها وحديثها، المتتبع لآثار الأوائل والأواخر، يدرك تماماً أن شؤون الأسرى لا تجري على نسق واحد، ولا يتحكم فيها طرف دون طرف، وإن رجحت كفة الأقوى فيما يملى من الشروط. وهذا الإمام محمد بن الحسن الشيباني ينص في هذه المسألة بكلام دقيق، يغني عن الشرح والبيان، فقد تدرج في بيان الأولى تدرجاً منصفاً، يدل على فهم وعقل، ودراية وعناية. وتبعه السرخسي في شرحه لبعض عبارات إمامه، فقالا: (بَابُ الْمُفَادَاة بِالأَسَرَاء وَغَيْرِهِمْ مِنْ الأَمْوَال: وَإِذَا رَغِبَ أَهْلُ الْحَرْبِ في مُفَادَاة أُسَارَى الْمُسْلمينَ بِالْمَال فَلا يَنْبَغي لِلْمُسْلمينَ أَنْ يُفَادُوهُمْ بِالأَسَرَاء، وَلا بِالْكُرَاع وَالسِّلاح). لأَنَّ مَنْفَعَتَهُمْ في دَفْع الْمَال إِلَيْهِمْ دُونَ مَنْفَعَتهمْ في رَدِّ الْمُقَاتلَة أَوْ دَفْع آلَةَ الْقتَال إِلَيْهمْ. أَلا تَرَى أَنَّ حَمْلَ الأَمْوَال إِلَيْهمْ للتِّجَارَة جَائزٌ، وَحَمْلَ السَّبْي وَالْكُرَاع وَالسِّلاح إِلَيْهِمْ للتِّجَارَة حَرَامٌ. (وَإِنْ كَرِهُوا الْمُفَادَاةَ بِالْمَال وَرَغبُوا فيه بِالْكُرَاعَ وَالسِّلاحَ فَلا يَنْبَغي لَهُمْ أَنْ يُفَادُوهمْ بِالأَسَرَاء). لأَنَّ حُكْمَ دَفْع الْكُرَاع وَالسِّلاح إِلَيْهِمْ أَهْوَنُ منْ حُكم رَدِّ الْمُقَاتلَة عَلَيْهمْ، أَلا تَرَى أَنَّهُ يَجبُ قَتْلُ الْمُقَاتلَة مَنْهُمْ إذَا تَمَكَّنَ الْمُسْلمُونَ منْ ذَلكَ، ولاَ يَجبُ إتْلافُ الْكُرَاعِ وَالسِّلاحِ عَلَيْهِمْ. (فَإِنْ كَرِهُوا ذَلكَ أَيْضًا

فَحِينَئذٍ يَجُوزُ الْمُفَادَاةُ بِالأسَرَاءِ. وَلَوْ رَغِبُوا في الْمُفَادَاةِ بِمَالٍ عَظِيمٍ فِيهِ إجْحَافٌ بِالْمُسْلِمِينَ في بَيْتِ مَالِهِمْ فَإِنَّهُ يَجُوزُ مُفَادَاتُهُمْ بِالأُسَرَاءِ دُونَ الْمَالِ.) [118].

وعليه، فالأمر متروك للإمام يقدره وفق مصلحة الأمة وما فيه خيرها، ويستشير فيه أهل حربه ومشورته، فإن رأى المصلحة في مبادلة الأسرى بالأسرى فعل ذلك، وإن رأى دفع المال لاستنقاذهم دفع ولا تثريب عليه.

- **المفاداة العجيبة:**

وقد لا تقتصر المفاداة على مبادلة الأسرى بالمال أو بأسرى مثلهم، بل تتعدى ذلك إلى ما له قيمة معنوية عند الأعداء، كصليب أو تحفة فنية، أو قطعة من القماش مَسَّتْ جسد نبي من الأنبياء، أو صالح من الصلحاء، أو عظيم من العظماء. ففي سنة إحدى وثلاثين وثلثمائة (٣٣١هـ) ورد كتاب ملك الروم إلى خليفة المسلمين، يطلب منه منديلاً بكنيسة الرها[119]، كان المسيح قد مسح بها وجهه، فصارت صورة وجهه فيه، وأنه متى وصل هذا المنديل يبعث من الأسارى خلقاً كثيراً. فأحضر الخليفة العلماء فاستشارهم في ذلك، فمن قائل: نحن أحق بعيسى منهم، وفي بعثه إليهم عضاضة على المسلمين، وَوَهَنٌ في الدِّين. فقال علي بن عيسى الوزير: يا أمير المؤمنين إنقاذ أسارى المسلمين من أيدي الكفار خير وأنفع للناس من بقاء ذلك المنديل بتلك الكنيسة. فأمر الخليفة بإرسال ذلك المنديل إليهم وتخليص أسرى المسلمين من أيديهم[120].

الخاتمة:

الحمد لله الذي أتمَّ عليَّ نعمته، وأعانني على فتح هذا الباب وولوجه، والكتابة فيه على ضعفي وقلة بضاعتي، ولعل عالماً نشيطاً يرى فيما كتبت حافزاً ليكتب ويُجَوِّدَ بأفضل مما كتبت، وينصف الأسرى الذين قصَّرَ الكُلُّ في إنصافهم وتحريرهم، **غير أني في ختام بحثي أجد من لازم تمامه أن أسجل بعض النتائج التي وقفت عليها:**

١. إنَّ تحرير الأسرى واجب على الكفاية، يلزم الفرد كما يلزم الحاكم، كل حسب طاقته وقدرته، إن قام به البعض سقط عن الكل، وإن تقاعس الكل أثموا.

٢. ووجوب تحريرهم مما أجمعت عليه الأمة، ولم يخالف فيه أحد، وأما القول بالاستحباب فمرتبط بمسائل خاصة لا يمكن تعميم حكمها.

٣. ولا بد من تضافر كل الجهود الممكنة للدفع باتجاه تحرير الأسرى، سواء ما تعلق منها بالحاكم أو المحكوم.

٤. كما يجب استنهاض الأمة بكامل طاقاتها، وكافة أفرادها لخدمة هذه الشريحة، سواء كانت في الأسر أو الحرية، فحقها فوق كل الحقوق، وفضلها يعلو على كل فضل. والمتقاعس عنها مقصر مفرط في واجب يلزمه، أو خلق حسن يُجَمِّلُهُ.

٥. وفي وضع كوضعنا وحال كحالنا، وفي غياب الرعاية الكاملة، والتغطية التامة لهذه الشريحة العزيزة من أمتنا، وفي ظل العجز الاقتصادي الذي يلف دول العالم الإسلامي والعربي، ودفع كل واحد من المسلمين زكاة ماله على الوجه الذي يناسبه، بعيداً عن الدولة ودورها القديم في جمع الزكاة وإنفاقها في وجوهها المتعددة، ومنها فك الأسرى، أرى أنَّ القول بجواز دفع جزء من زكاة المال لفك الأسرى والإنفاق عليهم قولٌ وجيه، له اعتباره في السياسة الشرعية ومستنده من الأدلة النصية وفقه العلماء لها.

٦. ثم إنَّ حكم الأسرى من أهل الذمة كحكم أسرى المسلمين، يجب استنقاذهم وبذل النفس والمال في ذلك، فقد أعطيناهم ذمتنا على حمايتهم ورعايتهم، فوجب علينا الوفاء بما عاهدناهم عليه.

٧. وقضية المفاداة بالمال أو الأسرى تخضع لرأي الحاكم وقراره، وهو يقدره مع أهل مشورته وأركان حربه.

توصيات:

١. ضرورة تفعيل قضية الأسرى إعلامياً، واستثارة الرأي العالمي في سبيل إنهائها، نظراً لما يواجهه الأسرى من حياة بئيسة في المعتقلات.

٢. تشكيل وزارة فاعلة خاصة بالأسرى خاصة في الدول التي يكثر أسراها لدى الأعداء ، وهو ما تنبهت إليه السلطة الفلسطينية فأفردت وزارة للأسرى، تعنى بشؤونهم، وتقوم على توفير احتياجاتهم، ومتابعة أمورهم.

٣. ايجاد صندوق خاص لجمع جزء من أموال الزكاة والصدقات لصالح الأسرى لتغطية احتياجاتهم والإنفاق عليهم منه.

٤. إنشاء المؤسسات الأهلية الداعمة، التي تعنى بشؤون الأسرى سواء في أثناء اعتقالهم، أو بعد تحررهم، ليلتقي جهد الدولة مع الجهد الشعبي.

٥. ولا بأس ببعث وإحيائها بعض الموارد القديمة التي كانت تشكل رافداً مالياً لفك الأسرى والإنفاق عليهم كالوقف والوصايا. أو استحداث موارد جديدة تساهم في تحقيق هذا الهدف.

والحمد لله رب العالمين

الهوامش:

١. البخاري - صحيح البخاري برقم (٦٩٥١) في كتاب الإكراه - باب يمين الرجل لصاحبه أنه أخوه (٤/ ٢١٧٣)، والنيسابوري - صحيح مسلم برقم (٢٥٦٤) في كتاب البر والصلة - باب في تحريم ظلم المسلم (٤/ ٢٩١- ٢٩٢) بنحوه.

٢. الكاساني- بدائع الصنائع (٧/ ١٧٨).

٣. البخاري - صحيح البخاري برقم (٢٦) في كتاب الإيمان - باب من قال إن الإيمان هو العمل (١/ ٣٣) وبرقم (١٥١٩) في كتاب الحج - فضل الحج المبرور (١/ ٤٥٤)، والنيسابوري - صحيح مسلم برقم (٨٣) في كتاب الإيمان - باب كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال (١/ ٩٥).

٤. البخاري - صحيح البخاري برقم (٢٧٨٦) في كتاب الجهاد - باب أفضل الناس مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله (٢/ ٨٦٢) وبرقم (٦٤٩٤) في كتاب الرقاق - باب العزلة راحة من خُلاط السوء (٤/ ٢٠٣٦)، والنيسابوري - صحيح مسلم برقم (١٨٨٨) في كتاب الإمارة - باب فضل الجهاد والرباط (٣/ ٣٦٤).

٥. الترمذي - سنن الترمذي برقم (١٦٣١) في كتاب فضائل الجهاد - باب ما جاء في فضل النفقة في سبيل الله (٣/ ٢٣٣) وقال: حديث حسن، والنسائي- السنن الصغرى برقم (٣١٨٣) في كتاب الجهاد - فضل النفقة في سبيل الله تعالى (٦/ ٤٩).

٦. البخاري - صحيح البخاري برقم (٢٨٩٢) في كتاب الجهاد والسير- باب فضل رباط يوم في سبيل الله (٢/ ٨٩٢).

٧. النيسابوري - صحيح مسلم برقم (١٩١٣) في كتاب الإمارة - باب الرباط في سبيل الله عز وجل (٣/ ٣٨١).

٨. البخاري- صحيح البخاري برقم (٧٤٦٣) في كتاب التوحيد - باب قول الله تعالى (قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي) (٤/ ٢٣٣٠)، والنيسابوري - صحيح مسلم برقم (١٨٧٦) في كتاب الإمارة - باب فضل الجهاد والخروج في سبيل الله (٣/ ٣٥٦).

٩. البخاري- صحيح البخاري برقم (٩٠٧) في كتاب الجمعة - باب المشي إلى الجمعة (١/ ٢٧٠).

١٠. النسائي– السنن الصغرى برقم (٣١٠٧) في كتاب الجهاد – باب فضل من عمل في سبيل **الله** على قدمه (٦/ ١٤) وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٧٦١٦) (٢/ ١٢٦٢).

١١. إشارة إلى الحديث الذي رواه البخاري – صحيح البخاري برقم (٦٤٧) في كتاب الأذان – باب فضل صلاة الجماعة (١/ ٢٠٧) والنيسابوري – صحيح مسلم برقم (٢٧٢/ ٦٤٩) في كتاب المساجد ومواضع الصلاة – باب فضل صلاة الجماعة وانتظار الصلاة (١/ ٤٧٦).

١٢. الفيروزآبادي– القاموس المحيط (١/ ٤٣٨) مادة (أسر).

١٣. الجوهري– الصحاح (٢/ ٥٧٨)، ابن منظور– لسان العرب (٤/ ١٩).

١٤. الأزهري– معجم تهذيب اللغة (١/ ١٥٩)، ابن منظور– لسان العرب (٤/ ١٩)، الزبيدي– تاج العروس (٦/ ٢٣).

١٥. تاج العروس (٦/ ٢٣).

١٦. ابن منظور– لسان العرب (٤/ ١٩)، الزبيدي– تاج العروس (٦/ ٢٣).

١٧. انظر الخطابي– غريب الحديث (٣/ ٢٦٥).

١٨. البخاري – صحيح البخاري برقم (٣٠٤٦) في كتاب الجهاد والسير– باب فكاك الأسير (٢/ ٩٣٦– ٩٣٧)، وبرقم (٧١٧٣) مختصراً، في كتاب الأحكام – باب إجابة الحاكم الدعوة (٤/ ٢٢٤٣) ونصه: فكوا العاني وأجيبوا الداعي.

١٩. عبدالكريم الزيد– مقدمة في القانون الدولي الإنساني في الإسلام (ص٣٤).

٢٠. الطبراني– المعجم الصغير، فيمن اسمه حصين (١/ ١٥١) وقال: لم يروه عن زيد إلا هشام، ولا عنه إلا بكر بن صدقة الجدي، تفرد به أيوب بن سليمان، ولا يروى عن رسول **الله** صلى **الله** عليه وسلم إلا بهذا الإسناد. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ٣٣٢): رواه الطبراني في الصغير وفيه أيوب بن أبي حجر، قال أبو حاتم: أحاديثه صحاح، وضعفه الأزدي، وبقية رجاله ثقات.

وقال ابن أبي حاتم الرازي في الجرح والتعديل (١/ ٢٤٩) في ترجمة أيوب بن سليمان بن أبي حجر الأيلي: سألت أبي وأبا زرعة عنه فقالا: لا نعرفه. وقال أبي: هذه الأحاديث التي رواها صحاح.

وقد ضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير برقم (٥٧٢١) (ص٨٢٤) . وأورده الحلبي ومن معه في موسوعة الأحاديث والآثار الضعيفة والموضوعة برقم (٢٥٤٩٤) (١٠/ ١٣٦) .

٢١. أبو يوسف– الخراج (ص١٩٦) ، ابن أبي شيبة– المصنف في الأحاديث والآثار برقم (٣٣٢٥٣) في كتاب الجهاد– باب في الفداء من رآه وفعله (٦/ ٤٩٦) ، وذكره ابن النحاس في مشارع الأشواق (٢/ ٨٣١) .

٢٢. قطب– في ظلال القرآن (٢/ ٧٠٨) .

٢٣. المرغيناني– الهداية شرح بداية المبتدي (٢/ ٨٤٧) .

٢٤. ابن نجيم– البحر الرائق شرح كنز الدقائق (٥/ ٧٨) وابن عابدين– حاشية ابن عابدين (٤/ ١٢٦) .

٢٥. الشيباني– السير الكبير (١/ ١٤٤– ١٤٥) .

٢٦. القرافي– الذخيرة (٣/ ٢٢١) ، ابن العربي– أحكام القرآن (١/ ٤٥٩) .

٢٧. النمري– الكافي (١/ ٤٧١) .

٢٨. الغزالي– الوسيط في المذهب (٧/ ١٣) .

٢٩. السُّلَمي– أحكام الجهاد وفضائله (ص٩٧) .

٣٠. المقدسي– المغني (٨/ ٤٤٥) .

٣١. الطبراني– المعجم الكبير برقم (١١٢٧٤) (١١/ ١٣٣– ١٣٤) بلفظ: إنَّ **الله** عز وجل تجاوز لأمتي عن الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه. وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٣٥١٥) (١/ ٦٥٩) . وانظر تعليق العسقلاني عليه في تلخيص الحبير (١/ ٢٨١– ٢٨٣) ، والألباني في إرواء الغليل برقم (٨٢) (١/ ١٢٣) .

٣٢. ابن حزم– المحلى بالآثار (٥/ ٣٦٤) مسأله رقم (٩٣٤) .

٣٣. السرخسي– شرح كتاب السير الكبير (١/ ١٤٤– ١٤٦) .

٣٤. المقدسي– المغني (٨/ ٤٤٤– ٤٤٥) .

٣٥. ابن النحاس– مشارع الأشواق (٢/ ٨٢٩) .

٣٦. النووي– روضة الطالبين (١٠/ ٢٩٤– ٢٩٥) .

٣٧. العسقلاني– فتح الباري (٦/ ٢٧٩) .

٣٨. الخطيب الشربيني– مغني المحتاج (٤/ ٢٩١) .

٣٩. ابن الملقن– عجالة المحتاج (٤/ ١٧٠٢) .

٤٠. تقدم في (ص٦) .

٤١. رِبْعَتهم: أي على استقامتهم، يريد أنهم على أمرهم الذي كانوا عليه. ورِباعة الرجل: شأنه وحاله التي هو رابعٌ عليها: أي ثابت مقيم. ابن الأثير– النهاية في غريب الحديث (٢/ ١٨٩) .

٤٢. المعافري– السيرة النبوية (٢/ ٩٧) وابن حنبل – مسند أحمد بن حنبل برقم (٢٤٤٣) (٣/ ١١٣) وابن أبي شيبة– المصنف برقم (٣٣٢٥٢) في كتاب الجهاد – باب في الفداء من رآه وفعله (٦/ ٤٩٦) مختصراً، ونصه: أن النبي صلى **الله** عليه وسلم كتب كتاباً بين المهاجرين والأنصار: أن يعقلوا معاقلهم، وأن يفدوا عانيهم بالمعروف، والإصلاح بين الناس. وصحح إسناده الشيخ أحمد شاكر رحمه **الله**.

٤٣. البخاري– صحيح البخاري برقم (٣٠٤٧) في كتاب الجهاد والسير – باب فكاك الأسير (٢/ ٩٣٧) .

٤٤. انظرها في المبحث الثالث في المفاداة.

٤٥. العسقلاني– فتح الباري (٦/ ٢٧٩) .

٤٦. ابن بطال– شرح صحيح البخاري (٥/ ٢١٠) .

٤٧. الهيثمي– تحفة المحتاج (٩/ ٢٣٧) .

٤٨. ابن النحاس– مشارع الأشواق (٢/ ٨٢٨) .

٤٩. ابن النحاس– مشارع الأشواق (٢/ ٨٢٩) .

٥٠. القرضاوي– فقه الجهاد (٢/ ٨٦٨) .

٥١. زيدان– المفصل في أحكام المرأة والبيت المسلم (٤/ ٤٠٠) .

٥٢. ابن العربي– أحكام القرآن (٢/ ٩٥٦) ، وروى الحديث البخاري – صحيح البخاري برقم (٢٨٤٣) في كتاب الجهاد والسير – باب فضل من جهز غازيا (٢/ ٨٧٩) ، والنيسابوري – صحيح مسلم برقم (١٨٩٥) في كتاب الامارة – باب فضل إعانة الغازي في سبيل **الله** (٣/ ٣٦٨) .

٥٣. ابن العربي– أحكام القرآن (٢/ ٩٥٥) .

٥٤. ابن حزم– مراتب الإجماع (ص١٢٢) .

٥٥. القرضاوي– فقه الجهاد (٢/ ٨٦٩) .

٥٦. الخطيب الشربيني– مغني المحتاج (٤/ ٢٨١) .

٥٧. الخطيب الشربيني– مغني المحتاج (٤/ ٣٢٠) .

٥٨. القرضاوي– فقه الجهاد (٢/ ٨٦٨) .

٥٩. السرخسي– شرح كتاب السير الكبير (١/ ١٤٥) .

٦٠. النووي– روضة الطالبين (١٠/ ٢٩٥) .

٦١. النووي– روضة الطالبين (١٠/ ٢١٦) .

٦٢. الشيباني– السير الكبير (١/ ٩٢– ٩٣) .

٦٣. القرطبي– الجامع لأحكام القرآن (٧/ ٣٣٠) .

٦٤. ابن العربي– أحكام القرآن (٢/ ٨٨٧) .

٦٥. أردبيل: من أشهر مدن إقليم أذربيجان، تقع بالقرب من الساحل الجنوبي الغربي لبحر قزوين، وكانت حتى صدر العهد العباسي عاصمة الإقليم. من كتاب تعريف بالأماكن الواردة في البداية والنهاية لابن كثير (١/ ٢١) .

٦٦. ابن كثير– البداية والنهاية (٩/ ٢١٥) .

٦٧. ابن العربي– أحكام القرآن (٢/ ٩٥٥– ٩٥٦) .

٦٨. ابن كثير– البداية والنهاية (١٠/ ٢٠٦– ٢٠٨) ، ابن الأثير– الكامل في التاريخ (٦/ ٤٨٠) .

٦٩. ابن النحاس– مشارع الأشواق (٢/ ٨٣٧) .

٧٠. ابن كثير– البداية والنهاية (١٢/ ٢٥٠) .

٧١. ابن كثير– البداية والنهاية (١٢/ ٢٤٩) .

٧٢. ابن كثير– البداية والنهاية (١٠/ ١٣٨) .

٧٣. مروة: وجمعها مرو، وهي حجارة بيض براقة تكون فيها النار وتقدح منها. ابن منظور– لسان العرب (١٥/ ٢٧٥) .

٧٤. المعافري- السيرة النبوية (٢/ ٨٠) وانظر خبر أسرهما فيه (٢/ ٧٨- ٨٠) .

٧٥. انظر الماوردي- الأحكام السلطانية (ص٥٠) .

٧٦. انظر المعافري- السيرة النبوية (٢/ ٢٠٠) .

٧٧. الخراساني- سنن سعيد بن منصور برقم (٢٨٢١) – في كتاب الجهاد- باب ما جاء في الفداء (٢/ ٢٩٣) . وإسناده ضعيف، فيه: إسماعيل بن عياش صدوق في روايته عن أهل بلده، مخلط في غيرهم. العسقلاني- تقريب التهذيب (١/ ٩٨) وروايته هنا عن غير أهل بلده. وأما عبدالرحمن بن زياد بن أنعم ضعيف في حفظه. العسقلاني- تقريب التهذيب (١/ ٥٦٩) ، والحديث فوق ذلك مرسل، فحبان بن أبي جبلة ثقة من الثالثة مات سنة اثنتين وقيل خمس وعشرين ومائة. العسقلاني- تقريب التهذيب (١/ ١٨١) .

٧٨. أبو يوسف – الخراج (ص١٩٦) ، ابن أبي شيبة- المصنف في الأحاديث والآثار بر قم (٣٣٢٦٢) في كتاب الحج – باب في فكاك الأسرى على من هو (٦/ ٤٩٧) .

٧٩. ابن أبي شيبة- المصنف في الأحاديث والآثار برقم (٣٣٢٦٣) في كتاب الجهاد- باب في فكاك الأسرى على من هو (٦/ ٤٩٧) .

٨٠. ابن سعد- الطبقات الكبرى (٥/ ٣٥٠) ، وابن أبي شيبة- المصنف في الأحاديث والآثار برقم (٣٣٢٤٨) في كتاب الجهاد- باب في الفداء من رآه وفعله (٦/ ٤٩٦) ، والنووي- تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٣٣٩) .

٨١. ابن الجوزي- سيرة عمر بن عبدالعزيز (ص٨٢) .

٨٢. ابن سعد- الطبقات الكبرى (٥/ ٣٦٩) .

٨٣. الخراساني- سنن سعيد بن منصور برقم (٢٨١٩) – في كتاب الجهاد- باب ما جاء في الفداء (٢/ ٢٩٣) .

٨٤. ابن بطال- شرح صحيح البخاري (٥/ ٢١٠) .

٨٥. ابن حزم- مراتب الإجماع (ص١٢٢) .

٨٦. السرخسي- المبسوط (٣٠/ ٢٧١) .

٨٧. النووي- روضة الطالبين (١٠/ ٢١٦) .

٨٨. أبو يوسف- الخراج (ص٢٠٠) .

٨٩. ابن العربي- أحكام القرآن (١/ ٤٥٩) .

٩٠. المريَّة: الناقة الغزيرة الدَّرِّ، من المَرْي وهو الحلب. ابن الأثير– النهاية في غريب الحديث (٤/ ٣٢٣) ، الزمخشري– الفائق (٣/ ٢٣٦) .

٩١. النقيع: موضع قرب المدينة كان لرسول **الله** صلى **الله** عليه وسلم ، حماه لخيله. الحموي– معجم البلدان (٥/ ٣٤٨) .

٩٢. المعافري– السيرة النبوية (٢/ ٢٠١– ٢٠٢) بتصرف.

٩٣. اسم ناقة رسول **الله** صلى **الله** عليه وسلم.

٩٤. النيسابوري– صحيح مسلم برقم (١٦٤١) في كتاب النذر – باب لا وفاء لنذر في معصية (٣/ ١١٧– ١١٨) .

٩٥. النووي– شرح النووي على صحيح مسلم (٦/ ١٠٠) .

٩٦. ابن سعد– الطبقات الكبرى (٥/ ٣٥٤) .

٩٧. العنق من الناس: الجماعة الكثيرة من الناس. ابن منظور– لسان العرب (١٠/ ٢٧٣) مادة عنق.

٩٨. النيسابوري– صحيح مسلم برقم (١٧٥٥) في كتاب الجهاد والسير– باب التنفيل وفداء المسلمين بالأسرى (٣/ ٢٣٢– ٢٣٣) .

٩٩. النووي– شرح النووي على صحيح مسلم (٦/ ٢٨٨) .

١٠٠. المقدسي– المغني (٨/ ٣٧٦) .

١٠١. المقدسي– المغني (٨/ ٣٧٦– ٣٧٧) .

١٠٢. الخراساني– سنن سعيد بن منصور برقم (٢٨٢٢) – في كتاب الجهاد– باب ما جاء في الفداء (٢/ ٢٩٣– ٢٩٤) .

١٠٣. ابن تيمية– مجموع الفتاوى (٢٨/ ٣٣٦) .

١٠٤. ابن كثير– البداية والنهاية (١٠/ ٢١٩) .

١٠٥. طرسوس: ثغر من أهم الثغور الإسلامية في منطقة (كليكيا) بين نهري سيحان وجيحان، ويشقها نهر (البردان) وقد ظلت من أكبر الثغور حتى استولى عليها الروم سنة ٣٥٤ هـ وظلت بيدهم حتى سنة ٦٢٣ هـ، دفن فيها الخليفة المأمون. وهي اليوم من مدن الجمهورية التركية. تعريف بالأماكن الواردة في البداية والنهاية لابن كثير (٢/ ١٢١) .

١٠٦. ابن كثير– البداية والنهاية (١٠/ ٢٢٢) .

١٠٧. ابن كثير– البداية والنهاية (١٠/ ٢٥١) .

١٠٨. ابن كثير– البداية والنهاية (١١/ ٥٧) .

١٠٩. الخطيب البغدادي– الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع برقم (١٥١٤) (٢/ ٢٢١).

١١٠. التنوخي– نشوار المحاضرة (١/ ١٩٠) .

١١١. برانس جمع بُرْنُس، وهو قلنسوة طويلة، أو كل ثوب رأسه منه. الفيروزآبادي – القاموس المحيط (٢/ ٢٢٦) .

١١٢. ابن كثير– البداية والنهاية (١٢/ ٢٢٣) .

١١٣. ابن كثير– البداية والنهاية (١٢/ ٢٢٥) .

١١٤. الكرج: اسم كان يطلقه العرب والمسلمون في العصور السابقة على الأراضي الواقعة في جمهورية جورجيا الحالية، وعاصمتها تبليسي، وكانت تشتهر بتفليس.

http:// wikipedia.org/ wiki.

١١٥. ابن كثير– البداية والنهاية (١٣/ ٤٥) .

١١٦. العسقلاني– فتح الباري (٦/ ٢٧٩) .

١١٧. ابن بطال– شرح صحيح البخاري (٥/ ٢١٠) .

١١٨. السرخسي– شرح كتاب السير الكبير (٤/ ٣٤٣– ٣٤٤) .

١١٩. الرها: مدينة بيزنطية تقع في الجزيرة شمالي حران عند منابع أحد روافد نهر البليخ وكان اسمها اليوناني (كلرهو callrho) فسماها العرب الرها وهي تحريف لاسمها اليوناني، وهي اليوم من بلاد تركيا وتسمى أورفة. تعريف بالأماكن الواردة في البداية والنهاية لابن كثير (١/ ١٨١) .

١٢٠. ابن كثير– البداية والنهاية (١١/ ١٥٣) .

المصادر والمراجع:

١. الأزهري، محمد بن أحمد- معجم تهذيب اللغة- تحقيق رياض قاسم- دار المعرفة- بيروت/ لبنان – ط الأولى٢٠٠١م.

٢. الألباني، محمد ناصر الدين:

أ. إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل – المكتب الإسلامي – بيروت/ لبنان- ط الأولى ١٩٧٩م.

ب. صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير) – المكتب الإسلامي- بيروت- ط الثانية ١٩٨٨م.

ت. ضعيف الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير) – المكتب الإسلامي- بيروت- ط الثانية ١٩٨٨م.

٣. ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد الشيباني- الكامل في التاريخ – دار الفكر – بيروت/ لبنان- ط ١٩٨٢هـ.

٤. ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري- النهاية في غريب الحديث والأثر- دار الفكر – بيروت/ لبنان – ط الأولى ١٩٩٧م.

٥. البخاري، محمد بن إسماعيل- صحيح البخاري- تحقيق الشيخ محمد علي القطب وهشام البخاري- المكتبة العصرية- صيدا/ لبنان – ط ٢٠١٠م.

٦. ابن بطال، علي بن خلف بن عبد الملك البكري القرطبي- شرح صحيح البخارى- تحقيق أبي تميم ياسر بن إبراهيم- مكتبة الرشد- السعودية/ الرياض – ط الثانية ٢٠٠٣م.

٧. الترمذي، محمد بن عيسى- سنن الترمذي- تحقيق أحمد شاكر – دار الفكر – بيروت/ لبنان- ط ١٩٩٤م.

٨. التنوخي، المحسِّن بن علي بن محمد البصري- نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة- تحقيق مصطفى حسين عبد الهادي- دار الكتب العلمية- بيروت/ لبنان – ط الأولى ٢٠٠٤ م.

٩. ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم الحراني- مجموعة الفتاوى- اعتنى بها وخرج أحاديثها عامر الجزار وأنور الباز – دار الوفاء، المنصورة/ مصر. ومكتبة العبيكان، الرياض/ السعودية – ط الثانية ١٩٩٨م.

١٠. الجوهري، إسماعيل بن حماد- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية- تحقيق أحمد عبدالغفور عطار- ط الثالثة ١٩٨٤م .

١١. ابن الجوزي، عبدالرحمن بن علي- سيرة عمر بن عبدالعزيز - ب م ن- ب ت ن.

١٢. الحلبي، علي حسن وآخرون- موسوعة الأحاديث والآثار الضعيفة والموضوعة- مكتبة المعارف للنشر والتوزيع- الرياض/ السعودية - ط الأولى ١٩٩٩م.

١٣. الحموي، ياقوت بن عبدالله- معجم البلدان - تحقيق فريد الجندي- دار الكتب العلمية - بيروت/ لبنان - ب.ت.ن.

١٤. ابن أبي حاتم الرازي، عبدالرحمن بن محمد بن إدريس- الجرح والتعديل- مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية- حيدر آباد الدكن/ الهند - ط الأولى ١٩٥٢م.

١٥. ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي الظاهري

أ. المحلى بالآثار- تحقيق عبدالغفار البنداري - دار الكتب العلمية - بيروت/ لبنان- ب.ت.ن.

ب. مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات- دار الكتب العلمية - بيروت/ لبنان - ب.ت.ن.

١٦. ابن حنبل، أحمد بن محمد- مسند الإمام أحمد بن حنبل- تحقيق أحمد محمد شاكر- دار الحديث - القاهرة/ مصر - ط الأولى ١٩٩٥م.

١٧. الخراساني، سعيد بن منصور بن شعبة المكي- سنن سعيد بن منصور- تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي - دار الكتب العلمية- بيروت/ لبنان- ط ١٣٨٧هـ.

١٨. الخطابي، حمد بن محمد- غريب الحديث- تحقيق عبدالكريم العزباوي- من منشورات جامعة أم القرى- مكة المكرمة- ط١٩٨٣م.

١٩. الخطيب البغدادي، أحمد بن علي- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع- تحقيق محمد عجاج الخطيب- مؤسسة الرسالة- بيروت/ لبنان- ط الثانية ١٩٩٤م.

٢٠. الخطيب الشربيني، محمد- مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج - اعتنى به محمد خليل عيتاني- دار المؤيد - الرياض/ السعودية- ط الأولى ١٩٩٧م.

٢١. الزبيدي، السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي الحنفي- تاج العروس من جواهر القاموس- تحقيق علي شيري- دار الفكر- بيروت/ لبنان- ط ١٩٩٤م.

٢٢. الزمخشري، محمود بن عمر- الفائق في غريب الحديث- تعليق إبراهيم شمس الدين- دار الكتب العلمية - بيروت/ لبنان - ط الأولى ١٩٩٦م.

٢٣. زيدان، عبدالكريم- المفصل في أحكام المرأة والبيت المسلم في الشريعة الإسلامية - مؤسسة الرسالة - بيروت/ لبنان- ط الثالثة ١٩٩٧م.

٢٤. السرخسي، محمد بن أحمد- شرح كتاب السير الكبير- تحقيق محمد حسن الشافعي- دار الكتب العلمية - بيروت/ لبنان - ط الأولى ١٩٩٧هـ.

٢٥. السُّلَمِي، عِزالدين عبد العزيز بن عبد السلام- أَحكام الجهاد وفضائله- تحقيق نزيه كمال حماد- مكتبة دار الوفاء للنشر والتوزيع - جدة/ السعودية- ط الأولى ١٩٨٦م.

٢٦. ابن سعد، محمد كاتب الواقدي - الطبقات الكبرى- دار صادر و دار بيروت - بيروت/ لبنان- ط ١٩٦٠م .

٢٧. الشيباني، محمد بن الحسن- السير الكبير (مع شرحه للإمام محمد بن أحمد السرخسي) - تحقيق محمد حسن الشافعي- دار الكتب العلمية - بيروت/ لبنان - ط الأولى ١٩٩٧هـ.

٢٨. ابن أبي شيبة، عبدالله بن محمد- المصنف في الأحاديث والآثار- تحقيق كمال الحوت- دار التاج- بيروت/ لبنان- ط الأولى ١٩٨٩م.

٢٩. الطبراني، سليمان بن أحمد:

أ. المعجم الصغير- دار الكتب العلمية- بيروت- ط١٩٨٣م-

ب. المعجم الكبير- تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي - مكتبة ابن تيمية - القاهرة/ مصر - ط الثانية ١٩٨٣م.

٣٠. عبدالكريم الزيد، زيد- مقدمة في القانون الدولي الإنساني في الإسلام- من منشورات اللجنة الدولية للصليب الأحمر- ب.ت.ن.

٣١. العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر:

أ. تقريب التهذيب- تحقيق مصطفى عطا - دار الكتب العلمية - بيروت/ لبنان - ط الأولى١٩٩٣م.

ب. تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير - صححه عبدالله هاشم اليماني- دار المعرفة - بيروت/ لبنان - ب.ت.ن.

ت. فتح الباري بشرح صحيح البخاري- تحقيق الشيخ عبدالعزيز بن باز- دار الفكر- بيروت/ لبنان - ط ١٩٩٦م.

٣٢. ابن عابدين، محمد أمين- حاشية ابن عابدين (حاشية رد المختار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار) - دار الفكر - بيروت/ لبنان - ط ٢٠٠٠م. من ضمن كتب المكتبة الشاملة.

٣٣. ابن العربي، محمد بن عبدالله- أحكام القرآن- تحقيق علي محمد البجاوي- دار المعرفة - بيروت/ لبنان- ب ت ن.

٣٤. الغزالي، محمد بن محمد- الوسيط في المذهب- تحقيق أحمد محمود إبراهيم ومحمد محمد تامر - دار السلام- القاهرة/ مصر - ط الأولى ١٩٩٧م.

٣٥. الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب- القاموس المحيط - تحقيق مجدي السيد - المكتبة التوفيقية - القاهرة/ مصر - ب. ت. ن.

٣٦. القرافي ، أحمد بن إدريس الصنهاجي المصري- الذخيرة في فروع المالكية- تحقيق أحمد عبدالرحمن - دار الكتب العلمية - بيروت/ لبنان - ط الأولى ٢٠٠١م.

٣٧. القرضاوي، يوسف عبدالله- فقه الجهاد - مكتبة وهبة - القاهرة/ مصر- ط الأولى ٢٠٠٩م.

٣٨. القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري- الجامع لأحكام القرآن- ضبطه صدقي جميل العطار- دار الفكر- بيروت/ لبنان - ط الأولى ١٩٩٩م.

٣٩. قطب، سيد- في ظلال القرآن - دار الشروق - بيروت/ لبنان - ط٢٥ - ١٩٩٦م.

٤٠. الكاساني، علاء الدين أبو بكر بن مسعود الحنفي- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع - دار الفكر - بيروت/ لبنان - ط الأولى ١٩٩٦م.

٤١. ابن كثير، إسماعيل بن عمر- البداية والنهاية- دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي- بيروت/ لبنان- ط الأولى ١٩٩٧م.

٤٢. الماوردي، علي بن محمد بن حبيب- الأحكام السلطانية والولايات الدينية- دار الكتب العلمية - بيروت/ لبنان- ط ١٩٧٨م.

٤٣. المرغيناني، علي بن أبي بكر- الهداية شرح بداية المبتدي - تحقيق محمد محمد تامر وحافظ عاشور - دار السلام القاهرة/ مصر - ط الثانية ٢٠٠٦م.

٤٤. المعافري، عبدالملك بن هشام- السيرة النبوية- تحقيق محمد بيومي- مكتبة الإيمان- المنصورة/ مصر- ط الأولى ١٩٩٥م.

٤٥. المقدسي، عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة- المغني- مكتبة الرياض الحديثة- الرياض/ السعودية - ط سنة ١٩٨١ م .

٤٦. ابن الملقن، عمر بن علي بن أحمد- عجالة المحتاج إلى توجيه المنهاج- تحقيق عزالدين هشام البدراني- دار الكتاب- إربد/ الأردن - ط ٢٠٠١م.

٤٧. ابن منظور، محمد بن مكرم الإفريقي- لسان العرب- دار صار- بيروت/ لبنان- ط الثالثة ١٩٩٤م.

٤٨. النسائي، أحمد بن شعيب- سنن النسائي الصغرى (المجتبى)- ضبط وتوثيق صدقي العطار- دار الفكر- بيروت/ لبنان- ط ١٩٩٥م.

٤٩. النمري، يوسف بن عبدالله بن عبدالبر القرطبي– الكافي في فقه أهل المدينة المالكي– تحقيق محمد محمد أحيد الموريتاني– مكتبة الرياض الحديثة– الرياض/ السعودية– ط الأولى ١٩٧٨م.

٥٠. النووي، يحيى بن شرف:

أ. تهذيب الأسماء واللغات– دار الفكر– بيروت/ لبنان– ط الأولى ١٩٩٦م.

ب. روضة الطالبين وعمدة المتقين– المكتب الإسلامي– بيروت/ لبنان– ط سنة ١٤٠٥هـ.

ت. شرح صحيح مسلم– خرَّج أحاديثه محمد محمد تامر– دار الفجر للتراث– القاهرة/ مصر – ط الأولى ١٩٩٩م.

٥١. النيسابوري، مسلم بن الحجاج– صحيح مسلم– تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي– دار الحديث – القاهرة/ مصر – ط الأولى ١٩٩٧م.

٥٢. ابن نجيم، زين الدين بن إبراهيم المصري– البحر الرائق شرح كنز الدقائق– دار المعرفة – بيروت/ لبنان – ب.ت.ن. ضمن كتب المكتبة الشاملة.

٥٣. ابن النحاس، أحمد بن إبراهيم بن محمد الدمشقي ثم الدمياطي– مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق ومثير الغرام إلى دار السلام (في فضائل الجهاد)– تحقيق إدريس محمد علي ومحمد خالد إسطنبولي– دار البشائر الإسلامية– بيروت/ لبنان– ط الأولى ١٩٩٠م.

٥٤. الهيثمي، أحمد بن محمد بن حجر– تحفة المحتاج بشرح المنهاج (بحاشية كتاب حواشي الشرواني وابن قاسم العبادي على تحفة المحتاج)– دار إحياء التراث العربي– بيروت/ لبنان – ب. ت. ن.

٥٥. الهيثمي، علي بن أبي بكر– مجمع الزوائد ومنبع الفوائد– دار الكتاب العربي– بيروت/ لبنان– ط الثالثة ١٩٨٢م.

٥٦. أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم– الخراج– دار المعرفة– بيروت/ لبنان – ب.ت.ن.

المواقع الألكترونية:

١. تعريف بالأماكن الواردة في البداية والنهاية لابن كثير– بدون مؤلف– عن موقع الإسلام http:// www.al- islam.com والكتاب مدرج ضمن المكتبة الشاملة.

٢. http:// wikipedia.org/ wiki.

٣. المكتبة الشاملة.

المسؤولية الجنائية عن الإضرار بالمدنيين بسبب الكمين في الحرب في الفقه الإسلامي

د. سهيل الأحمد*

* أستاذ مساعد/ قسم الحقوق/ كلية فلسطين الأهلية الجامعية/ بيت لحم.

ملخص:

تناولت هذه الدراسة المسؤولية الجنائية عن الإضرار بالمدنيين في الحرب في الفقه الإسلامي، هادفة إلى بيان رأيه فيها، وقد وقف الباحث على ماهية المسؤولية والكمين وعناصرهما وموقف الفقه الإسلامي منهما؛ فتبين أن القيام بالكمين في الحرب من الأعمال الجائزة والمشروعة فيها، وبأن قواعد الشريعة الإسلامية ومقاصدها العامة تقضي بمساءلة المتسبب بالإضرار بأرواح المدنيين من خلال نظام الديات وفق حالات معينة يجب معرفتها ومراعاتها.

Abstract:

Prisoners' release has always been a demand that all nations call for especially the Muslim nation which gives this issue a priority since releasing prisoners is closely associated with Islamic doctrine and Shari'a. Nowadays, Muslims form the biggest number of prisoners and their number in Palestine is seven thousand. Consequently, releasing Muslim prisoners by all means and approaches has been assured for its importance.

This research deals with the Islamic approach in releasing detainees. It consists of an introduction, three chapters, and a conclusion and recommendations. In the introduction, the research importance, objectives, plans and previous studies have been presented. Also, the merit of resistance (Jihad) has been explained since imprisonment is one of its results. The definition of the prisoner and the importance of releasing him/her have been discussed as well. Chapter two has been devoted to the scholars' viewpoints on the judgment of prisoners' release showing their evidences that support these views. Chapter three discusses ways of releasing prisoners .The results of the study have appeared in the conclusion followed by the research's important recommendations.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد الخلق أجمعين، وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد؛

فإن الفقه الإسلامي قد أولى النفس البشرية عناية ورعاية بقصد احترامها والحفاظ عليها ومنع الاعتداء عليها، حيث جعلها من الضرورات الخمس التي يجب تحقيق مصالحها، وإرساء قواعد سلامتها بما يحقق الرفاهة والسعادة التي تمكن الناس من العيش الكريم بعيدًا عن الحرج والمشقة.

ولهذا كان لزامًا على من يوقع الأذى والضرر بها أن يسأل مسؤولية تقتضيها متطلبات الحياة الكريمة، وتكفلها نصوص الشريعة ومقاصدها العامة، فإذا قام المسلمون في حروبهم مع الأعداء بعمليات قتالية قد تلحق الضرر بالمدنيين[١] كعمليات الكمائن العسكرية؛ فإن هذه المشروعية للمعركة لا تلغي قضية المساءلة عما تسببه هذه الأعمال من خسائر بالأرواح، ومن هنا جاء هذا البحث ليظهر فيه الباحث مدى المسؤولية التي تفرضها الشريعة الإسلامية على معتنقيها حال إضرارهم بالمدنيين في الحرب بطريق الخطأ لا العمد.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

تبرز أهمية الموضوع وأسباب اختياره فيما يأتي:

١. تسهم هذه الدراسة في بيان عظمة الإسلام، وأنه دين صالح لكل زمان ومكان، وهو قادر على بيان الحلول الملائمة لكل ما تطرحه المجتمعات من مسائل ومشكلات، فليست تنزل في أحد من أهل دين الله نازلة إلا وفي كتاب الله الدليل على سبيل الهدى فيها[٢].

٢. قلة تناول هذا الموضوع بدراسة شرعية مستقلة تعالجه رغم أهميته والحاجة إليه.

٣. القناعة بوجوب خدمة الفقه الإسلامي، وذلك بتناول جزئياته ودراستها دراسة متعمقة.

٤. مساس هذا الموضوع بحياة الناس المعاصرة، وهو ليس بعيدًا عن واقعهم ومشاهدتهم.

وأما منهج البحث فلقد كان كالآتي:

١. تصوير المسألة المراد بحثها تصويراً دقيقاً قبل بيان حكمها، ليتضح المقصود من دراستها.

٢. التركيز على موضوع البحث وتجنب الاستطراد.

٣. العناية بضرب الأمثلة خاصة الواقعية.

٤. الاعتماد على المنهج الوصفي والاستقرائي التحليلي.

٥. الرجوع إلى المصادر الأصلية وأمهات الكتب، وخاصة في أخذ الآراء من المذاهب وذلك بأخذ رأي كل مذهب من مصادره المعتمدة مع ذكر أدلتهم من كتبهم، مع المناقشة والترجيح المبني على قوة الدليل وسلامته من المعارضة.

٦. الاهتمام بعزو الآيات القرآنية إلى مواطنها في الكتاب العزيز، وتخريج الأحاديث النبوية الشريفة.

محتوى البحث:

وقد جاءت هذه الدراسة، إضافة للمقدمة والخاتمة في ثلاثة مباحث، حيث جاء الأول في ماهية الكمين وأنواعه وطبيعة القيام به، وتحدث الثاني عن حكم الكمين من الناحية الفقهية، وناقش الثالث قضية المسؤولية عن الإضرار بالمدنيين بسبب الكمين في الحرب وهل يلزم القائمين به العوض أم لا، **وبيان هذه المباحث فيما يأتي:**

المبحث الأول:

ماهية المسؤولية الجنائية والكمين، وأنواع الكمين في الحرب،

وطبيعة القيام به:

يعد الكمين في الحرب من الأساليب القديمة المتجددة التي تدور فكرتها حول الخفاء والحيلة والمباغتة مع التركيز في تحقيق النكاية والتأثير في صفوف الأطراف المتحاربة والتقليل من الخسائر قدر المستطاع بحسب الأدوات القتالية المتاحة لكل طرف، ومن هنا كان لابد من الوقوف على ماهية الكمين وأنواعه وطبيعة القيام به، وكذلك بيان المقصود بالمسؤولية الجنائية المترتبة على إضراره بالمدنيين، **وذلك فيما يأتي من مطالب:**

◄ **المطلب الأول- التعريف بالمسؤولية الجنائية والكمين:**

من مقتضيات التعامل مع المصطلحات الوقوف على محدداتها بقصد تكييفها، ومن

ثم معالجة ما ينبني على ذلك من أحكام، ومن هنا كان لابد من التعريف بمصطلحات المسؤولية الجنائية والكمين في الحرب لبيان الماهية وتجلية صورتهما، وذلك في الفروع الآتية:

♦ **الفرع الأول- التعريف بالمسؤولية الجنائية:**

المسؤولية لغة[٣] : من سأل وهي حال أو صفة من يسأل عن أمر تقع عليه تبعته، يقال: أنا بريء من تبعة هذا العمل، وتساءلوا: سأل بعضهم بعضًا.

وتطلق أخلاقيًا على: التزام الشخص بما يصدر عنه قولا أو عملا، وتطلق قانونًا على: الالتزام بإصلاح الخطأ الواقع على غيره طبقًا لقانون[٤] . فالمسؤولية تقتضي الالتزام وتوجيه السؤال لشخص ما لمعرفة تبعاته وطبيعة الالتزام الواقع عليه بقصد إصلاح الخلل وتصويب الخطأ.

أما المسؤولية الجنائية اصطلاحًا: فهي أن يتحمل الإنسان نتائج الأفعال المحرمة التي يأتيها مختارًا وهو مدرك لمعانيها ونتائجها.

وبناء على هذا التعريف: فمن أتى فعلا محرمًا وهو لا يريده كالمكره أو المغمى عليه لا يسأل جنائيًا عن فعله، ومن أتى فعلا محرمًا وهو يريده، ولكنه لا يدرك معناه كالطفل أو المجنون لا يسأل أيضًا عن فعله[٥] .

ومن التعريف نستخلص أيضًا أن المسؤولية الجنائية تقوم على أسس ثلاثة: أولها: أن يأتي الإنسان فعلاً محرَّماً، وثانيها: أن يكون الفاعل مختارًا، وثالثها: أن يكون الفاعل مدركًا، فإذا وجدت هذه الأسس وجدت المسؤولية، وإذا انعدم أحدها انعدمت[٦] .

♦ **الفرع الثاني- التعريف بالكمين في الحرب**

الكمين لغة: من كمن كمونًا: أي توارى، واستخفى في مكمن لا يفطن له، والكمين: هم القوم يكمنون في الحرب حيلة[٧]

ويعرف الكمين اصطلاحًا بأنه: هجوم مفاجئ وسريع من موقع مخفي لتدمير قوات العدو المتحركة أو التي تقف للاستراحة مؤقتا، لقسم كبير من أفراده، أو القضاء عليه، ولمنع وصول نجداته[٨] .

وجاء في قاموس المصطلحات العسكرية في تعريف الكمين بأنه: مصيدة تستطيع القطعات القائمة به، والمختفية بصورة جيدة، إيقاع أكبر الخسائر والتدمير بالعدو، وذلك بهجوم مباغت من الموضع المخفي، على عدو غافل أثناء الحركة أو خلال واقعة مؤقتة[٩].

وقيل أيضًا: إنه أحد طرائق العمل التكتيكي للقيام بإغارة مفاجئة على العدو من مخابئ تقع على محاور تحركه[١٠] .

يلحظ على التعريفات السابقة للكمين بأنها ترجع في مجملها إلى معناه اللغوي، فهي تدور حول الخفاء والسرعة والإعداد والتخطيط المسبق المحكم، والتأثير في الطرف الموجه ضده بما يكفل النكاية به مع الحفاظ على أرواح القائمين به ومتعلقاتهم بشكل مباغت مفاجئ مؤقت. وهذه المعاني تمثل الشروط التي يجب مراعاتها في الحكم على الفعل الذي يعد من باب الكمائن في الحرب.

◄ **المطلب الثاني- أنواع الكمائن في الحرب**:

الناظر في الكمائن وطبيعتها يجد أنها تتنوع إلى عدة أنواع: منها ما يكون مخططًا له، ومنها ما يكون قد طرأ حسب المستجدات على أرض المعركة، ومنها ما يتخذ لخداع الخصم باستدراجه والسيطرة عليه، **وبيان هذه الأنواع فيما يأتي**[١١] :

♦ **الكمين المدبر**، وهو الكمين الذي يجرى التخطيط له وتحضيره بدقة، وذلك بحسب معلومات دقيقة تصل إلى الجيش وقيادته وفى وقت كاف للتخطيط والتدبير والتنفيذ.

♦ **الكمين السريع**، وهو الكمين الذي يحدث عندما تصادف أي قوة متقدمة قوات العدو، وفى هذه الحالة يقوم قائد المجموعة المقاتلة بالتجهيز لهذا الكمين، وذلك من خلال توضيح سريع لطبيعة الكمين وأعماله لأفراد مجموعته، وذلك بغية الانقضاض على قوات العدو المتقدمة، ومن ثم تدميرها في أقصر وقت ممكن.

♦ **كمين خدعة**، حيث إن هذا الكمين يوضع في منطقة معينة وبعدها يدفع من قوة الكمين بمجموعة صغيرة لتشتبك مع العدو، ومن ثم تنسحب قليلا لأجل استدراج العدو إلى موضع الكمين الرئيس؛ الأمر الذي يفاجئ العدو بقوة الكمين الذي قد كان خدعة له، مما سيؤدى إلى القضاء على أفراد العدو وجنوده.

◄ **المطلب الثالث- طبيعة القيام بالكمين في الحرب**:

تدور عمليات الكمائن حول الأعمال التي تنكي في الطرف الموجه ضده وتؤثر في صفوف جيوشه، **ولذا كان لهذا النوع من العمل القتالي واجبات لتحقيق النكاية؛ ومنها**[١٢]:

♦ **قتل أفراد العدو**: ويعد هذا الأمر من الأعمال المهمة في القتال لأن القوة البشرية في الحروب أساس في استمرارها، والنكاية بهذه القوة وإرعابها وإضعاف معنوياتها عنصر مهم من عناصر النصر والظفر، ولذا كان استهدافها بعمليات الكمائن إعانة للقائم بالكمين

على كسب المعركة والفوز فيها[١٣] . ومثاله ما فعله عبد الله بن أبي حدرد[١٤] وصاحباه في سريتهم لقتل رفاعة بن قيس الجشمي[١٥] ، إذ كمنوا في موضع ليلا وانتظروه حتى قدم آخذًا سيفه، فشدوا عليه وقتلوه، وجاءوا برأسه[١٦] .

♦ **تأخير تحركات العدو إيقافها**، وعزل القوات التي تعمل على الهدف من تدخل نجدات العدو[١٧] . فالقيام بهذا الكمين يعطي القائمين به المزيد من الوقت للثبات والقتال والتقدم، لأن إشغال العدو بقوة مجهزة مدربة ومعدة، بأسلوبٍ مؤثر في العمل؛ يجعل العدو يعمل حسابا لقوة الكامنين عمومًا، لأن بعضًا من أفرادٍ قوته قد أوقع فيه الكثير من الخسائر فكيف بباقي القوات، وبالتالي كان قيام الطرف الكامن بهذا الواجب محققًا لمصلحته ومسهلا له في عمله وتقدمه.

ومثاله قيام بعض الصحابة بذلك، ومن هؤلاء عمر بن الخطاب رضي **الله** عنه حينما كتب إلى عتبة بن غزوان[١٨] بعد أن أرسله إلى البصرة، سنة أربع عشرة: أنه قد فتح **الله** على إخوانكم الحيرة[١٩] وما حولها، وقتل عظيم من عظمائها، ولست آمن أن يمدهم إخوانهم من أهل فارس فإني أريد أن أوجهك إلى أرض الهند وفى رواية: أرض السند لتمنع أهل تلك الجزيرة من إمدادهم إخوانهم على إخوانكم، وتقاتلهم لعل **الله** يفتح عليكم، فقدم البصرة[٢٠] في خمسمائة يزيدون قليلا أو ينقصون قليلا[٢١] . فأمر عمر رضي **الله** عنه لمنع أهل الهند من نجدة مَنْ انهزم من إخوانهم في الحيرة؛ دلالة على أمره بوضع قاعدة وخطة عسكرية تنكي في أعدائها وتؤثر في صفوفهم في أدائها وموقعها لتأخير قوات العدو والحد من تحركاته.

كذلك فعل خالد بن الوليد رضي **الله** عنه حين أرسلَ ضرار بن الأزور[٢٢] لتدمير قوات العدو المتقدمة، إلى أجنادين[٢٣] ولتأخيرها، حيث إنه كمن بمن معه عند بيت لهيا[٢٤] ، وأخفى أمره فلما قارب العدو أعطى أمره بالهجوم بأن كبر وكبر معه المسلمون وفاجأوا قوات العدو المتقدمة فقتلوا منهم وأخروا تقدمهم[٢٥] . فإرسال خالد لضرار دلالة على أهمية الكمائن وتأثيرها في قوات العدو.

♦ **قتل القادة أو أسرهم، أو فك الجنود من الأسر، أو استنقاذ الجرحى منهم**[٢٦]. فالنكاية في العدو مطلب من متطلبات المعركة وعامل من عوامل النصر فيها، وهي تحقق ذروتها باستهداف من تؤول إليه الأمور في الرأي والحكمة والسيطرة والتقدم ولذا؛ كان قتل القادة أو أسرهم من أهم الأمور المثبطة لتقدم العدو والممكنة للطرف الكامن من إضعاف معنويات العدو وتخذيله وتفريق صفوفه.

ومثاله إرسال خالد بن الوليد رافع بن عميرة الطائي[٢٧] لفك أسر ضرار بن الأزور، حيث قد سار رافع في واجبه حتى بلغ وادي الحياة، فكمن في الوادي حتى مر ضرار ومعه الحرس من الروم يريدون به حمص، فكبر رافع معلناً بداية الاقتحام، فكبروا جميعا واقتحموا الحرس، وخلصوا ضرارًا من الأسر[٢٨] .

المبحث الثاني:

حكم القيام بالكمين في الفقه الإسلامي:

تعد الكمائن من أنجح العمليات للتأثير على معنويات العدو، وخلخلة قواه في الحروب التقليدية، وربما كان لها دور كبير في تدمير آلات القتال[٢٩] وخططه أيضًا، وهو ما يدل على مشروعية هذا النوع من العمليات وجوازه وضرورته في الأعمال الحربية عمومًا.

جاء في مشارع الأشواق[٣٠] : « ومن أهم ما يعتنى به في الحروب من المكايد الكمناء، فإن الكمين وإن كان عددًا يسيرًا؛ فإنه إذا ظهر أثر في القلوب رعبًا، وفى الأعضاء ضعفًا، وفى العقل جمودًا، وفى الإقدام وقفةً، ولا يدوم إقبال مقاتل على خصمه إلا إذا كان آمنًا من ورائه، ومتى جوز أن يؤتى من خلفه تشتت همته بين الدفع والقتال، وضعف جأشه عن مقاومة الرجال، والتفت قلبه حذرًا مما قد يقع فكيف إذا سمع جلبةً خلفه أو صوتًا من ورائه، ولو من رجل واحد، ولا تحصى كثرة العساكر الذين استبيحوا بالكمناء وكان سبب هلاكهم في الجاهلية والإسلام».

ومن الأدلة على جواز الكمائن في الحرب ما يأتي:

♦ قوله صلى **الله** عليه وسلم: «الحرب خدعة»[٣١] . فالحديث عام في جواز مخادعة العدو والتمويه عليه في الحروب وهو ما لا خلاف فيه بين الفقهاء[٣٢] . قال النووي: «اتفق العلماء على جواز خداع الكفار في الحرب، وكيف أمكن الخداع إلا أن يكون فيه نقض عهد أو أمان فلا يحل»[٣٣] .

والكمين في الحرب نوع من أنواع الخداع التي يقصد بها إحداث النكاية في العدو والإضرار بجنوده، وهو ليس بغدر لأنه لا يكون إلا بأن يستخفوا في مكمن بحيث لا يفطن لهم، ثم ينهضون على العدو على غفلة منهم[٣٤] . وفي هذا دليل على جوازه ومشروعيته.

♦ إن القيام بالكمائن يحقق إغاظة للعدو، وإغاظة العدو في الإسلام مرغوبة ومطلوبة، فقد جعل **الله** سبحانه وتعالى للمجاهد مغيظ الكفار أجرًا وثوابًا[٣٥] حيث قال: «ولا يطأون موطئًا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا إلا كتب لهم به عمل صالح»[٣٦] . ومن قام بالكمائن في الحرب فقد استحق الأجر لعدها من باب الإغاظة المشروعة وهذا دليل على جوازها.

♦ إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جعل على الرماة يوم أحد، وكانوا خمسين رجلا عبد الله بن جبير وقال: إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا من مكانكم هذا حتى أرسل لكم، وإن رأيتمونا هزمنا القوم وأوطأناهم فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم، قال: فهزمهم الله، قال: فأنا والله رأيت النساء يسندن على الجبل، فقال أصحاب عبد الله بن جبير: الغنيمة أي قوم الغنيمة ظهر أصحابكم فما تنتظرون، فقال عبد الله بن جبير: أنسيتم ما قال لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا: والله لنأتين الناس فلنصيبن من الغنيمة، فأتوهم فصرفت وجوههم وأقبلوا منهزمين"[٣٧] . فَجعْلُ النبي صلى الله عليه وسلم للرماة يكمنون على الجبل لحماية جيش المسلمين دليل على جواز اتخاذ الكمائن في الحرب.

♦ إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يريد غزوة يغزوها إلا ورى بغيرها[٣٨] ، والتورية من الأعمال التي تشبه الكمين في الحرب من خلال خفاء هدفها، وعدّها من الأعمال التي تحقق مقاصد مطلوبة في الحرب، الأمر الذي يدل على مشروعيتها ومشروعية الكمين الذي هو في حكمها.

المبحث الثالث:

المسؤولية الجنائية عن الأضرار اللاحقة بالمدنيين بسبب عمليات الكمين:

قد يؤدي القيام ببعض الأعمال الحربية، ومنها الكمائن أن تؤثر في المدنيين من حيث الجرح أو القتل نتيجة استخدام مواد قتالية متفجرة واسعة الانتشار، الأمر الذي يقتضي تناول مسألة تعويض هؤلاء المتضررين عن الخسائر اللاحقة بأرواحهم، وبيان قدره وطبيعته، مع التنبيه إلى أن هذا الإضرار يعد من قبيل الخطأ الواقع من القائمين به، على اعتبار أن المستهدف من حيث الأصل في المعركة هو العدو لا غيره، ولذلك فإن تناول مسألة التعويض بسبب هذا الضرر سيتضمن معالجته من خلال أحكام القتل الخطأ في المعركة المشروعة، مع الإشارة إلى مسألة حكم المقتول من المدنيين في عمليات الكمائن، هل يعد من قبيل الشهداء أم من غيرهم؟ وبيان ذلك في المطالب الآتية:

◄ المطلب الأول- حكم المقتول من المدنيين بسبب عمليات الكمائن:

إن الإضرار اللاحق بالمدنيين حال القيام بالكمين يكون بطريق التبع لا طريق القصد وفرق بين الطريقين من حيث النتيجة والآثار، وعليه فإذا قتل أحد من المدنيين كأن كان من المارة مكان الكمين أو حصوله فإن حكمه في هذه الحالة كمن قتل خطأ من قبل مسلم في أرض المعركة، وقد اختلف الفقهاء في حكم المقتول في هذه الحالة هل يعد شهيد معركة

أو لا إلى قولين:

♦ **القول الأول**: وهو للشافعية وقول عند المالكية، ومفاده: أن المقتول من المسلمين في هذه الحالة شهيد معركة، وبالتالي لا يغسل ولا يصلى عليه ولا يكفن،بل ويدفن بثيابه التي قتل فيها[٣٩] . وقد جاء هذا القول بناء على رأيهم من أن الشهيد في نظرهم من مات بسبب قتال الكفار حال قيام القتال، سواء قتله كافر، أو أصابه سلاح مسلم خطأ، أو قتله مسلم يظنه كافرًا[٤٠] .

ويمكن أن يستدل لهؤلاء بما روى عن عائشة رضي **الله** عنها، قالت: لما كان يوم أحد هزم المشركون، فصاح إبليس: **أي عباد الله أخراكم، فرجعت أولاهم فاجتلدت هي وأخراهم،** فنظر حذيفة[٤١] **فإذا هو بأبيه اليمان[٤٢] ، فقال: أي عباد الله أبي أبي، فوا الله ما احتجزوا حتى قتلوه،فقال حذيفة: غفر الله لكم»[٤٣] .**

فأبو حذيفة أخذ سيفه لأجل أن يلحق برسول **الله** صلى **الله** عليه وسلم،لعل **الله** أن يرزقه الشهادة معه، فأخذ السيف ثم دخل في الناس ولم يعلم به،فاختلفت عليه أسياف المسلمين، فقتلوه ولا يعرفونه، فأراد النبي صلى **الله** عليه وسلم أن يديه،فتصدق حذيفة بديته للمسلمين[٤٤] .

وهذا الاستدلال بناء على ما جاء في تعريف الشهيد عند هذا الفريق؛ في أنه من قتل من المسلمين في المعركة مع الكفار سواء كان ذلك القتل عن طريق الخطأ أو ظن المسلمين بأنه من الكفار فهو شهيد في نظرهم، وهو ما وقع في حق أبي حذيفة من اختلاف سيوف المسلمين عليه فقتلوه، وبالتالي فلا يغسل ولا يصلى عليه ويدفن بثيابه التي قتل فيها.

ومن هنا كان في هذا الحديث المؤيد لوجهة نظر هذا الفريق في تعريف الشهيد، دلالة على أن من قتل خطأ من قبل مسلم في المعركة مع الكفار- سواء كان ذلك برمي سهم أو ضرب سيف أو اشتباك أو انفجار حال الكمين.. فإنه شهيد تنطبق عليه أحكام الشهداء في الإسلام، وهذا لأن قتله كان بسبب الكفار وقتالهم، ولولا محاربته لهم وقتالهم لما حصل له هذا القتل، وبالتالي كان شهيدًا.

♦ **القول الثاني**: وهو قول الحنفية والحنابلة، وقول للمالكية ومفاده: أن المقتول من المسلمين في هذه الحالة ليس بشهيد معركة، وبالتالي يغسل ويكفن ويصلى عليه[٤٥] . جاء في تبيين الحقائق: إن رمى مسلم إلى الكفار فأصاب مسلماً، فمات لم يعد شهيدًا، لأن هذا الفعل قطع النسبة إلى العدو[٤٦] . وجاء في مواهب الجليل: ولو قتل المسلمون في المعترك مسلماً ظنوه من العدو، فإنه يغسل ويصلى عليه[٤٧] . وفى المبدع وغيره: من قتله المسلمون خطأ؛ غسل رواية واحدة[٤٨] .

ففي الأقوال السابقة ما يدل على أن أصحاب هذا القول لا يرون في المقتول من المسلمين في هذه الحالة بأنه شهيد، بل يرون أن يغسل ويصلى عليه ويكفن، وذلك لأن قتله في هذه الحالة لم يكن بفعل مضاف إلى العدو، وبالتالي لا يصل بهذا القتل إلى منزلة من قتله العدو، ولذلك فهو شهيد في حكم الآخرة لا في حكم الدنيا.

والذي يظهر أن هذا القول هو الراجح على اعتبار أن المقتول حال الكمين لم يكن بفعل مضاف للعدو، ولم يكن العدو هو من باشره بل المسلم القائم بالعمل القتالي من قتل، وأما إذا كانً القتل قد وقع بسبب مضاف للعدو، كأن قتل بسبب الاشتباك الحاصل، فهو بهذا يكون قد قتل بفعل مضاف للعدو، ومن باشر العدو قتله من المسلمين أو كان القتل مضافًا إليه، فإن المقتول في هذهً الحالة يعد شهيدًا، وبالتالي لا يغسل ولا يصلى عليه، ولا يكفن بل يدفن في ثيابه التي قتل فيها.

◄ المطلب الثاني- طبيعة المسؤولية الجنائية عن الضرر اللاحق بأرواح المدنيين بسبب الكمين:

إن المطالع لمسائل الفقه الإسلامي التي عالجت موضوع الجناية على النفس أو ما دونها يجد أن النفس البشرية مصونة محترمة، ويتمثل هذا الأمر بمنع الاعتداء عليها ولزوم التعويض المتمثل بنظام الديات[٤٩] في حال وقوع ذلك، وإذا وقع الكمين وترتب على القيام به ما يضر بالمدنيين فهل يلزم القائمين به العوض؟

الناظر في كلام الفقهاء يظهر له أن العوض قضية لازمة في مثل هذه الحالة وهي متمثلة بنظام الديات، على اعتبار أن الكمائن من الأعمال التي يلجأ إليها للضرورة الحربية، والتي يترتب على تنفيذها أحيانًا. خسائر تتعلق بالأرواح، وعليه كان لابد من بيان حالات القتل الحاصلة، **والتي يلزم فيها نظام الديات بيانه في الفروع الآتية**:

♦ الفرع الأول- المسؤولية الجنائية حال القتل الخطأ في الكمين:

اتفق الفقهاء[٥٠] أن المسلم إذا قتل مسلما خطأ في المعركة، ومن ذلك القتل حال الكمين أن على القاتل الدية تحملها العاقلة. **يدل على ذلك ما يأتي**:

- قوله تعالى: ﴿وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ﴾ [النساء: ٩٢]. قال القرطبي(فحكم **الله** جل ثناؤه في المؤمن يقتل خطأ بالدية، وثبتت السنة الثابتة عن رسول **الله** صلى **الله** عليه وسلم على ذلك، وأجمع أهل العلم على القول به) [٥١] .

- عن محمود بن لبيد[٥٢] قال: (اختلفت سيوف المسلمين على اليمان أبي حذيفة، ولا يعرفونه فقتلوه، فأراد رسول **الله** صلى **الله** عليه وسلم أن يديه، فتصدق حذيفة بديته على المسلمين) [٥٣] .

♦ **الفرع الثاني- المسؤولية الجنائية حال قُتِل المدنيون المسلمون المتترِّس بهم العدو خلال الكمين:**

إذا تترس العدو بأسرى المسلمين حال التحام القتال وإقبال العدو على الحرب وخوف المسلمين أن يحيط العدو بهم، فقد اتفق الفقهاء[٥٤] على أنه يجوز الرمي نحو الترس ويقصد بالرمي الكفار، سواء كان ذلك في المواجهة في المعركة أم حال الكمين، وإن أفضى ذلك إلى قتل المسلمين المتترَّس بهم، لأن الحال حال ضرورة وفي ترك قتالهم ورميهم ترتب ضرر على المسلمين، فكان في قتلهم ورميهم استدفاعًا لأكثر الضررين بأقلهما.

وأما إذا تترسوا بهم في غير التحام القتال، وعدم الخوف منهم على المسلمين فقد اختلف الفقهاء في جواز رميهم إلى قولين:

- **الأول منهما**: أنه لا يجوز قتالهم ورميهم. وبه قال المالكية[٥٥] والشافعية[٥٦] والحنابلة[٥٧] والحسن بن زياد من الحنفية[٥٨] . حيث لا يوجد ضرورة لرميهم، ولأن قتل المسلم حرام، والامتناع عن قتل الكافر أمر جائز، وجانب المسلم مقدم[٥٩] .

- **وأما القول الثاني**: فقد ذهب إلى جواز رميهم، وبه قال الحنفية[٦٠] ورواية عند الحنابلة[٦١] ، وذلك لأن في ترك رمي العدو سدًا لباب الجهاد فيتضرر المسلمون، وفي رميهم دفع الضرر بإلحاق ضرر خاص أولى[٦٢] . ويناقش هذا: بأن ترك رمي العدو لحرمة رمي الترس المسلم عملية مؤقتة حتى يتميز العدو، فلا يؤدي ذلك إلى سد باب الجهاد.

والذي يظهر أن الرأي الراجح الأول والذي يتمثل بعدم جواز قتال العدو ورميهم إذا تترسوا بأسرى المسلمين، طالما أنه لم يكن هناك ضرورة لقتالهم ورميهم ولا حاجة ملحة تتنزل منزلة الضرورة، وهذا لأن حرمة دم المسلم أعظم من قتل الكفار. وعليه؛ فإن قتل أحدٌ من المدنيين المسلمين الذين تترس بهم العدو، **فقد اختلف الفقهاء في ضمان دية المقتول ولزوم الكفارة**[٦٣] **على المسلم إلى ثلاثة أقوال:**

- **القول الأول**: لا يلزم المجاهد دية ولا كفارة، وبهذا قال الحنفية[٦٤] والمالكية إذا لم يعلم الرامي أن الترس من المسلمين[٦٥] . **واستدلوا بما يأتي:**

▪ ما روي أن رسول **الله** صلى **الله** عليه وسلم كان إذا أمر أميرا على جيش قال له: ادعهم إلى الإسلام فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، فإن هم أبوا فسلهم الجزية، فإن هم أجابوك فأقبل منهم وكف عنهم، فإن هم أبوْا، فاستعن **بالله** وقاتلهم) [٦٦] . ففي الحديث دلالة على جواز محاربة العدو مطلقًا وإن تترسوا بالمسلمين، وعلى هذا فالرمي يكون مباحًا، ولا يبقى على الرامي تبعة من كفارة أو دية[٦٧] .

▪ بأنه لما قضت الضرورة رفع المؤاخذة لإقامة فرض القتال، قضت كذلك إلى نفي الضمان، لأن وجوب الضمان يمنع إقامة الفرض خوفًا من لزوم الضمان، وإيجاب ما يمنع من إقامة الواجب متناقض، وفرض القتال لم يسقط فدل على أن الضمان ساقط(٦٨) . ونوقش هذا: بأن الضرورة تنفي المؤاخذة، ولا تنفي الضمان، كتناول مال غيره في حال المخمصة، فقد رخص في تناوله لكنه يجب عليه ضمانه(٦٩) .

والجواب: أن وجوب الضمان في المخمصة لا يمنع تناول الطعام، لأنه لو لم يتناوله هلك، وإذا لم يمنع من التناول فلا يؤدي إلى التناقض ثم في المخمصة يجب عليه الضمان مقابل ما حصل له(٧٠) .

- **القول الثاني**: إن على المسلم الدية والكفارة، وهذا قول المالكية إذا علم أن الترس من المسلمين(٧١) ، وقول للشافعية(٧٢) ورواية عند الحنابلة(٧٣) وقول الحسن بن زياد من الحنفية(٧٤) . **واستدلوا بما يأتي**:

▪ قوله تعالى: ﴿وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ﴾ [النساء: ٩٢]. فالآية عامة في وجوب الدية والكفارة على قاتل المؤمن خطأً(٧٥) .

▪ أنه قتل معصومًا بالإيمان والقاتل من أهل الضمان، فتلزم الدية كما لو لم يتترسوا به(٧٦) .

- **القول الثالث**: تلزم المسلم الكفارة، ولا تلزمه الدية، وهذا قول للشافعية(٧٧) ، ورواية عند الحنابلة هي المذهب(٧٨) . **واستدلوا بما يأتي**:

▪ قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إلا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إلا أَنْ يَصَّدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ [النساء: ٩٢].

وجه الدلالة: أنه ذكر الكفارة ولم يذكر الدية في الآية وترْكه لذكرها في هذا النوع مع ذكرها في الآية التي قبلها دليل ظاهر، أنه لا تجب في هذه الآية، ولا تدخل في عموم وجوب الدية في القتل الخطأ(٧٩) .

▪ ولأنه قتل في دار الحرب برمي مباح فلا دية(٨٠) . **والظاهر من هذه الأقوال أن هناك حالتين**:

أولاهما: أن يقصد المسلم بالرمي العدو، ثم لا يعلم هل أصاب مسلمًا، أم لا. وفي هذه الحالة فالذي يرجح القول الأول في أنه لا دية عليه ولا كفارة. لاحتمال أنه أصاب مسلمًا

ويحتمل أنه لم يصبه، ومع الاحتمال يسقط الاستدلال، وبالتالي لا يثبت الحكم، فلا دية ولا كفارة. ولأن إيجاب الدية والكفارة على المسلم في أمر لابد أن يفعله للضرورة إليه، ولم يقصد الإضرار بالمسلم، ولم يعلم أنه أصابه أو لا مدعاة لترك الجهاد، وفي هذا ما فيه من المفاسد والمخاطر التي يجب منعها وعدم السماح بوقوعها.

وأما الحالة الثانية: فهي أن يقصد المسلم بالرمي العدو، ثم يقتل من يعلمه مسلمًا في صف الكفار[٨١] ففي هذه الحالة يظهر رجحان القول الثاني القائل بوجوب الدية وكفارة القتل الخطأ، لأن هذا قتل خطأ والآية واضحة وصريحة في ذلك. إلا أن الذي يتحمل الدية عن المسلم بيت مال المسلمين، لأن النبي صلى الله عليه وسلم أراد أن يدي اليمان بعد أن قتله المسلمون وهم لا يعرفونه، فتصدق حذيفة بدية أبيه على المسلمين[٨٢] ، ولأن المسلم إنما فعل ذلك مضطرًا لما فيه مصلحة المسلمين ونصر الدين، فإن لم يكن بيت مال للمسلمين، فتكون الدية على العاقلة.

♦ **الفرع الثالث- المسؤولية حال وقوع قتلى من مدنيي العدو في الكمين سواء كان ذلك بطريق العمد أم الخطأ**:

من المعلوم أنه لا يجوز التعرض لمن لم يشارك من العدو في المعركة بنفسه، أو رأيه، أو التحريض، كالنساء والأطفال والشيوخ وغيرهم[٨٣] . ولذلك فإذا قتل أحد ممن لا يجوز قتله من العدو خطأً أو عمدًا حال الكمين في الحرب، فإنه لا يترتب شيء على قتلهم من الدية أو الكفارة، وإنما يلزم التوبة والاستغفار[٨٤] . **يدل على ذلك**:

- ما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن أهل الدار يبيتون من المشركين فيصاب من نسائهم وذراريهم، فقال: (هم منهم) [٨٥] . فقوله صلى الله عليه وسلم(هم منهم) يعني: أن ذراري المشركين ونساءهم منهم في أنه لا عصمة لهم ولا قيمة لذمتهم[٨٦] .
- ولأن مجرد حرمة القتل لا توجب الضمان وذلك لانتفاء العاصم وهو: الإسلام أو الإحراز بالأسر[٨٧] .

خاتمة البحث و نتائجه:

الحمد لله رب العالمين، الذي أعانني على إتمام هذا الجهد المتواضع، والحمد والشكر له سبحانه، خير ما يختتم به المرء أعماله، وبعد؛

فإنه يجدر بي في هذه المحطة أن أعرض أهم النقاط التي تضمنتها هذه الدراسة:

١. تُعرَّف المسؤولية الجنائية اصطلاحًا بأنها أن يتحمل الإنسان نتائج الأفعال المحرمة التي يأتيها مختارًا وهو مدرك لمعانيها ونتائجها.

٢. تقوم المسؤولية الجنائية على أسس ثلاثة: أولها: أن يأتي الإنسان فعلا محرما، وثانيها: أن يكون الفاعل مختارًا، وثالثها: أن يكون الفاعل مدركًا.

٣. الكمين اصطلاحًا هجوم مفاجئ وسريع من موقع مخفي لتدمير قوات العدو المتحركة أو التي تقف للاستراحة مؤقتا،لقسم كبير من أفراده،أو القضاء عليه،ولمنع وصول نجداته.

٤. عند الحكم على الفعل القتالي واعتباره من الكمائن يجب مراعاة شروط منها: السرعة، والخفاء، والمباغتة، والمفاجأة، والتخطيط المسبق المحكم، وفاعلية النكاية، وسلامة عودة القائم بالكمين إلى مواقعه.

٥. الناظر في الكمائن وطبيعتها يجد أنها تتنوع إلى أنواع عدة: منها ما يكون مخططًا له، ومنها ما يكون قد طرأ حسب المستجدات على أرض المعركة، ومنها ما يتخذ لخداع الخصم باستدراجه والسيطرة عليه.

٦. تعد الكمائن من أنجح العمليات للتأثير على معنويات العدو، وخلخلة قواه في الحروب التقليدية، وربما كان لها دور كبير في تدمير آلات القتال وخططه أيضًا، وهو ما يدل على مشروعية هذا النوع من العمليات وجوازه وضرورته في الأعمال الحربية عمومًا.

٧. قد يؤدي القيام بالكمائن إلى التأثير في المدنيين من حيث الجرح أو القتل نتيجة استخدام مواد قتالية متفجرة واسعة الانتشار، وهو ما يقتضي تناول مسألة تعويض هؤلاء المتضررين عن الخسائر اللاحقة بأرواحهم وبيان قدره وطبيعته.

٨. يعد الإضرار بالمدنيين بسبب الكمين من قبيل الخطأ الواقع من القائمين به، على اعتبار أن المستهدف من حيث الأصل في المعركة هو العدو لا غيره.

٩. المسؤولية الجنائية قضية لازمة حال لحق الضرر بأرواح المدنيين وهي متمثلة بنظام الديات، على اعتبار أن الكمائن من الأعمال التي يلجأ إليها للضرورة الحربية، والتي يترتب على تنفيذها خسائر تتعلق بأرواح المدنيين وفق حالات معينة.

وأخيراً؛ فإنني أتوجه إلى الله سبحانه بخالص الدعاء أن يوفقنا لتحصيل العلم، وأن يعلمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علمنا، وأن يزدنا علماً، إنه سميع مجيب الدعاء.

الهوامش:

١. يعرف المدني: بأنه الشخص الذي لا يشارك في الحرب أو العمليات العسكرية بأي مجهود كان بشكل مباشر أو غير مباشر سواء كانت المشاركة بالقول أم بالفعل، ويستوي في ذلك النساء والرجال والشباب والصبيان والشيوخ وغيرهم، الموصلي، عبد الله بن محمود بن مودود، الاختيار لتعليل المختار، خرج حديثه وضبطه وعلق عليه خالد عبد الرحمن العك، بيروت، لبنان، دار المعرفة، ط١٩٩٨،١م، ٤/ ١٤٥- ١٤٦، الكاساني، علاء الدين بن أبي بكر بن سعود، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، بيروت، دار الكتاب العربي، ط٢، ١٩٨٢م، ٦/ ٦٣، الدسوقي، محمد عرفة، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، تحقيق محمد عليش، بيروت، دار الفكر، د.ط، د.ت، ٢/ ٤٧٩- ٤٨٠، الخطيب، محمد الشربيني، مغني المحتاج، بيروت، دار الفكر، د.ط، د.ت، ٦/ ٣٠- ٣١، ابن قدامة، عبد الله بن أحمد، المغني، بيروت، دار الفكر، ط١، ١٤٠٥هـ، ١٣/ ١٣٩- ١٤٠، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العصمي النجدي، د.م، مكتبة ابن تيمية، ط٢، د.ت، ٢٨/ ٣٥٤.

٢. الإمام الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس، الرسالة، القاهرة، د.ط، د.ت، تحقيق أحمد محمد شاكر، ص٢٠.

٣. الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، اعتنى به حسان عبد المنان، بيت الأفكار الدولية، ط ٢٠٠٤م، عمان، الأردن، ص٧٧٤، إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية، استنابول، تركيا، ص٤١١.

٤. إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ٤١١.

٥. انظر: مبحث الأهلية وعوارضها سواء كانت سماوية كالصغر والجنون والعته والنسيان ..، أم مكتسبة كالجهل والسكر والخطأ والإكراه..، البخاري، علاء الدين بن عبد العزيز، كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٩٩٧م، ٤/ ٤٣٥- ٤٣٦، مع ملاحظة أن الكمين من العمليات الحربية التي تقتضي طبيعة معينة للقائم بها من حيث الشروط والأهلية والقوة والقدرة الجسدية والعقلية والتي يكاد يخلو منها الضعفاء وأصحاب الأعذار في الجهاد، انظر: شروط الجهاد في الإسلام، فخر الدين عثمان بن علي، تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، القاهرة، دار الكتب الإسلامي، د.ط، ١٣١٣هـ، ٣/ ٢٤١، ابن قدامة، المغني، ١٣/ ٨.

٦. عبد القادر، عودة، التشريع الجنائي الإسلامي مقارنًا بالقانون الوضعي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط١٤، ٢٠٠٠م، ١/ ٣٩٢.

٧. الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص١٥٢٨، إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ص٧٩٩.

٨. الأيوبي، هيثم، الموسوعة العسكرية، بيروت، دار الفكر، ط ١، ١٩٨١م، ١/ ٧٢٤.

٩. أمين، محمد فتحي، قاموس المصطلحات العسكرية، د.م، د.ت، ط ٢، ص ٤١٦.

١٠. المعجم العسكري الموسوعي، بإشراف العماد مصطفى طلاس، دمشق، مركز الدراسات العسكرية، د.ط، د.ت، ٢/ ١١٥٩.

١١. المومني، أحمد محمد خلف، التعبئة الجهادية في الإسلام، عمان، الأردن، دار الأرقم، ط١، ١٩٨٦م، ص١٢٤.

١٢. كمال، أحمد عادل، الطريق إلى المدائن، دار النفائس، د.م، ط١، ١٩٧٢م، ص٣٦٥، عون، عبد الرؤوف، الفن الحربي في صدر الإسلام والدولة العباسية، دار المعارف، القاهرة، ط١، ١٩٦١م، ص٢٥٠، المومني، التعبئة الجهادية، ص ١٢٠– ١٢٣، زعرب، خالد محمد عطوة، الخداع في الحرب، رسالة ماجستير مقدمة لبرنامج الدراسات العليا، كلية الشريعة، قسم الفقه المقارن، الجامعة الإسلامية، غزة، بإشراف الدكتور يونس الأسطل،٢٠٠٥م، ص١٠٠.

١٣. كمال، الطريق إلى المدائن، ص٣٦٥.

١٤. هو: عبد الله بن أبي حدرد، واسمه سلامة، وقيل عبيد بن عمير بن أبي سلامة بن سعد بن سنان بن الحارث بن عبس بن هوازن بن أسلم بن أفصى الأسلمي، أبو محمد، له ولأبيه صحبة، كان من وجوه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وكان ممن يؤمر على السرايا، أول مشاهده الحديبية ثم خيبر، وتوفي سنة إحدى وسبعين وهو ابن إحدى وثمانين، انظر: ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق علي محمد البجاوي، بيروت، دار الجيل، ط١، ١٩٩٢م، ٤/ ٥٤، ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله بن محمد، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق علي محمد البجاوي، بيروت، دار الجيل، ط١، ١٤١٢هـ– ١٩٩٢م، ١/ ٢٨٠.

١٥. هو: رجل من جشم بن معاوية يقال: له رفاعة بن قيس، أو قيس بن رفاعة، انظر: ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل، البداية والنهاية، لبنان، بيروت، دار المعرفة، ١٩٩٧م، ٤/ ٢٢٣، الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير ، تاريخ الأمم والملوك، د.م، دار بدران، د.ت، د.ط، ٢/ ١٤٨.

١٦. ابن هشام، السيرة النبوية، حققها وشرحها ووضع فهارسها: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحميد شلبي، د.م، دار ابن كثير، د.ط، د.ت، ٢/ ٦٢٩ وما بعدها.

١٧. المومني، التعبئة الجهادية في الإسلام، ص١٢١.

١٨. هو: عتبة بن غزوان بن جابر بن مضر، قديم الإسلام، هاجر إلى الحبشة، وشهد بدرا، واشترك في فتح العراق، واستعمل على البصرة ومات في معدن بني سليم في سنة ١٧هـ، وهو ابن سبع وخمسين سنة، انظر: ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله البصري الزهري، الطبقات الكبرى، بيروت، دار صادر، د.ط، د.ت، ٣/ ٩٨ – ٩٩ .

١٩. أطلال قاعدة الملوك اللخميين بين النجف والكوفة في العراق، عرفت بحيرة النعمان، واشتهرت بنشاطها الثقافي والأدبي، انظر: المنجد في الأعلام، بيروت، دار المشرق، ط٢٥، ٢٠٠٢م، مطبوع ضمن كتاب المنجد في اللغة والأعلام، ص٢٢٧.

٢٠. مدينة في العراق على شط العرب تأسست في عهد عمرو بن الخطاب رضي الله عنه وازدهرت مع العباسيين وأصبحت هي و الكوفة مهدا للدروس اللغوية ومركزا ثقافيا، انظر: المنجد في الأعلام، ص ١٢٩.

٢١. الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ٣١/ ٥٩١.

٢٢. هو ضرار بن مالك الأزور بن أوس بن خزيمة الأسدي، أحد الأبطال في الجاهلية والإسلام، وكان شاعرًا مطبوعًا، له صحبة، وهو الذي قتل مالك بن نويرة بأمر خالد بن الوليد، وقاتل يوم اليمامة أشد قتال حتى قطعت ساقاه، فجعل يحبو على ركبتيه ويقاتل والخيل تطأه، ومات بعد أيام في اليمامة، انظر: الزركلي، خير الدين، الأعلام، بيروت، دار العلم للملايين، ط١٠، ١٩٩٢م، ٣/ ٢١٥.

٢٣. موقع في فلسطين، انتصر فيه المسلمون على البيزنطيين في سنة ١٣هـ بقيادة أبي عبيدة ابن الجراح، انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، بيروت، دار الفكر، د.ط، د.ت، ١/ ١٠٣، والمنجد في الأعلام، ص٢٧.

٢٤. هي قرية بغوطة دمشق، انظر: الحموي، معجم البلدان، ١/ ٥٢٢ .

٢٥. الواقدي، محمد بن عمر بن واقد، فتوح الشام، بيروت، دار الفكر، د.ط، د.ت، ١/ ٤٣.

٢٦. زعرب، الخداع في الحرب، ص١٠٠، المومني، التعبئة الجهادية، ص١٢٣.

٢٧. هو: رافع بن عمرو بن جابر بن حارثة بن عمرو بن مخضب أبو الحسن الطائي السنبسي ويقال: بن عميرة ، قيل: له صحبة، وقيل: هو من التابعين، شهد غزوة ذات السلاسل، وصحب أبا بكر الصديق فيها، وهو الذي دل خالد بن الوليد على طريق السماوة حتى رحل بهم من العراق إلى الشام في خمسة أيام، وتوفي سنة ثلاث وعشرين، انظر: ابن الأثير، أسد الغابة، ١/ ٣٥٢، ابن حجر، الإصابة، ٢/ ٤٤٠، ت رقم ٢٥٤٠.

٢٨. الواقدي، فتوح الشام، ١/ ٤٨.

٢٩. المومني، التعبئة الجهادية، ص١٢٣.

٣٠. ابن النحاس الدمياطي، مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق ومثير الغرام إلى دار السلام، بيروت، لبنان، دار البشائر الإسلامية، ط٣، ٢٠٠٢م، ص ١٠٧٨- ١٠٧٩.

٣١. البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، عمان، الأردن، بيت الأفكار الدولية، د.ت، د.ط، كتاب الجهاد والسير، باب الحرب خدعة، ح برقم ٣٠٢٩، ص ٥٧٩، ومسلم، ابن الحجاج القشيري النيسابوري ، صحيح مسلم، عمان، الأردن، بيت الأفكار الدولية، ١٩٩٨م ، د.ط، كتاب الجهاد والسير، باب جواز الخداع في الحرب، ح ١٧٣٩، ص ٧٢٢.

٣٢. السرخسي، محمد بن أحمد، شرح السير الكبير للإمام محمد بن الحسن الشيباني، إملاء محمد بن أحمد السرخسي، د.م، مطبعة شركة الإعلانات الشرقية، ١٩٧١م، د.ط، ١/ ٨٥، ابن قدامة، المغني، ٩/ ١٧٧، والبهوتي، منصور، كشاف القناع عن متن الإقناع، القاهرة ، مطبعة أنصار السنة المحمدية، ١٣٦٦هـ- ١٩٤٧م، د.ط، ٣/ ٣٨، والشوكاني، محمد بن علي، نيل الأوطار، بيروت، دار الجيل، ١٩٧٣ م، د.ط، ٨/ ٥٧.

٣٣. النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف، شرح النووي على صحيح مسلم، بيروت، دار إحياء التراث، ط٢، ١٣٩٢هـ، ١٢/ ٤٥ .

٣٤. الفيومي، أحمد بن علي المقري، المصباح المنير، القاهرة، المطبعة الأميرية، ط٤، ١٩٢١هـ، ص٣٢٢.

٣٥. ابن القيم، شمس الدين محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٩٤م، تحقيق وتعليق محمد المعتصم بالله البغدادي، ١/ ٢٤١.

٣٦. سورة التوبة ، آية ١٢٠.

٣٧. البخاري، الصحيح، كتاب الجهاد والسير، باب ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب، وعقوبة من عصى إمامه، ح برقم٣٠٣٩، ص٥٨١، أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود، عمان، الأردن، بيت الأفكار الدولية، ٢٠٠٤م، د.ط، كتاب الجهاد، باب في الكمناء، ح٢٦٦٢، ص٣٠٠، واللفظ له.

٣٨. البخاري، الصحيح، كتاب الجهاد والسير، باب ما يكره من أراد غزوة فورى بغيرها، ح برقم٢٩٤٧، ص٥٦٦.

٣٩. الدردير، أبو البركات سيدي أحمد، الشرح الكبير، تحقيق محمد عليش، بيروت، دار الفكر، د.ط، د.ت، مطبوع مع حاشية الدسوقي، ١/ ٤٢٥، والخرشي، محمد بن عبد الله بن علي، حاشية الخرشي علي مختصر سيدي خليل، للإمام خليل بن إسحاق بن موسى المالكي،

ضبط وتخريج زكريا عميرات، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م، ٢/ ٣٦٩، النووي، محيي الدين بن شرف، روضة الطالبين وعمدة المفتين، بيروت، المكتب الإسلامي، ط٢، ١٩٨٥، ٢/ ١١٩.

٤٠. الدردير، الشرح الكبير، ١/ ٤٢٥، والنووي، محيي الدين بن يحيى بن شرف، تحقيق محمد نجيب المطيعي، المجموع، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ط، ١٩٩٥م، ٥/ ٢٢١.

٤١. هو: حذيفة بن حسل بن جابر العبسي، أبو عبد **الله**، واليمان: لقب حسل: صحابي، من الولاة الشجعان الفاتحين، كان صاحب سر النبي صلى **الله** عليه وسلم في المنافقين، ولم يعلمهم أحد غيره من الصحابة، ولد بالمدينة، وشهد أحدا والخندق، وتوفي بالمدينة سنة ٣٦ هجرية، انظر: ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن علي بن محمد الجزري، أسد الغابة في معرفة الصحابة، بيروت، دار الفكر، د.ط، ١٩٨٩م،(١/ ٤٦٨) ، ت رقم(١١١٣) ، الزركلي، الأعلام، ٢/ ١٧١.

٤٢. هو: حسل، ويقال حسيل بن جابر العبسي، أصاب دمًا في الجاهلية فهرب إلى المدينة وحالف بني عبد الأشهل، فسماه قومه(اليمان) لحلفه لليمانية وهم الأنصار. شهد أحدًا فقتله بعض الصحابة خطأ لأنهم لم يعرفوه، انظر: ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة،(١/ ٤٩٣) ، الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٩، ١٤١٣هـ،(٢/ ٣٦١) عند ترجمة حذيفة بن اليمان.

٤٣. البخاري، الصحيح، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، ح برقم ٣٢٩٠، ص٦٢٨، كتاب المغازي، باب إذ همت طائفتان، ح برقم ٤٠٦٥، ص٧٧١.

٤٤. ابن سعد، الطبقات، ٢/ ٤٥، والمصري، محمود، أصحاب الرسول، القاهرة، دار أبو بكر الصديق، ط٢، ٢٠٠٢م، ١/ ٤٣٠.

٤٥. الزيلعي، فخر الدين عثمان بن علي، تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، القاهرة، دار الكتب الإسلامي، د.ط، ١٣١٣هـ، ١/ ٢٤٧، المواق، محمد بن يوسف العبدري، التاج والإكليل لمختصر خليل، بيروت، دار الفكر، ط٣، ١٩٩٢م، مطبوع مع مواهب الجليل للحطاب، ٣/ ٦٦، الدسوقي، حاشية السوقي، ١/ ٤٢٦، برهان الدين إبراهيم بن محمد بن مفلح الحنبلي، المبدع في شرح المقنع، بيروت، لبنان، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، ط١، ١٤٠٢ هـ- ١٩٨٢م، ٢/ ٢٣٨، البهوتي، كشاف القناع، ١/ ٥٧٦ .

٤٦. الزيلعي، تبيين الحقائق، ١/ ٢٤٧.

٤٧. الحطاب، عبد الله محمد بن عبد الرحمن المغربي، مواهب الجليل لشرح مختصر خليل، ضبط وتخريج زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط١، ١٩٩٥م، ٣/ ٦٧.

٤٨. ابن مفلح، المبدع، ٢/ ٢٣٨، البهوتي، كشاف القناع، ١/ ٥٧٦.

٤٩. الدية: جمع ديات، وهي: ما يعطيه القاتل ولي المقتول من المال بدل النفس، يقال: ودي فلان فلانًا إذا أدى ديته إلى وليه. ابن منظور، جمال الدين محمد، لسان العرب، بيروت، لبنان، دار صادر،(١٥/ ٣٨٣) ، الفيومي، المصباح المنير، ص(٦٥٤) مادة(ودي) ، وشرعًا: المال المؤدى إلى مجني عليه أو وليه بسبب الجناية. انظر: ابن النجار، محمد بن أحمد الفتوحي، معونة أولى النهى شرح المنتنهى(منتهى الإرادات) تحقيق: د.عبد الملك بن دهيش، بيروت، لبنان، دار خضر، ط١، ١٤١٦ هـ- ١٩٩٥ م،(٣/ ٢٩١) .

٥٠. السرخسي، شرح السير الكبير،(٤/ ٢٢٥) ، العيني، محمود بن أحمد، البناية في شرح الهداية، بيروت- لبنان، دار الفكر، ط٢،١٤١١هـ- ١٩٩٠م،(١٢/ ١٢٨) ، ابن عبد البر القرطبي، أبو عمر يوسف، الكافي في فقه أهل المدينة المالكي، تحقيق: د.محمد محمد الموريتاني، الرياض، مكتبة الرياض الحديثة، ط٣، ١٤٠٦ هـ- ١٩٨٦ م،(١/ ٤٧٠) ، الحطاب، مواهب الجليل،(٤/ ٥٤٨) ، الشافعي، محمد بن إدريس، الأم، بيروت، لبنان، دار المعرفة،(٤/ ٢٤٦) ، الشيرازي، المهذب مطبوع مع تكملة المجموع،(٢٠/ ٤١٨) ، ابن قدامة، المغني،(١٢/ ٨١) .

٥١. القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، ط١، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م،(٥/ ٢٩٩) .

٥٢. هو: محمود بن لبيد بن رافع بن عبد الأشهل، الأنصاري الأوسي الأشهلي ولد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وروي عنه ولذا قال البخاري: له صحبة، وعده بعضهم في التابعين، والأولى ما قاله البخاري للأحاديث التي رواها، كان من العلماء وأكثر روايته عن الصحابة، توفي سنة(٩٦ هـ) وقيل غير ذلك. انظر: ابن الأثير، أسد الغابة،(٤/ ٣٤١) ، ابن حجر،الإصابة،(٦/ ٣٥) .

٥٣. صحيح البخاري مع الفتح كتاب الديات باب إذا مات في الزحام ح رقم(٦٨٩٠) وكتاب المغازي باب إذا همت طائفتان منكم أن تفشلا، ح رقم(٤٠٦٥) ، الإمام أحمد بن حنبل، خرج ووضع فهارسه، أحمد شاكر، وأكمله حمزة أحمد الزين، القاهرة، دار الحديث، ط١، ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م،(١٧/ ٦٢) ، ح رقم(٢٣٥٢٩) واللفظ كما في المسند.

٥٤. السرخسي، المبسوط،(١٠/ ٦٥) ، الدسوقي، حاشية الدسوقي،(٢/ ١٧٨) ، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن،(١٦/ ٢٤٤) ، الشافعي، الأم،(٤/ ٢٤٤) ، ابن قدامة، المغني،(١٣/ ١٤١) .

٥٥. الدسوقي، حاشية الدسوقي،(٢/ ١٧٨) .

٥٦. النووي، محيي الدين بن شرف، روضة الطالبين وعمدة المفتين، بيروت، المكتب الإسلامي، ط٣، ١٤١٢ هـ ١٩٩١م،(١٠/ ٢٤٥) .

٥٧. ابن قدامة، المغني،(١٣/ ١٤١) .

٥٨. السرخسي، المبسوط،(١٠/ ٦٤) .

٥٩. السرخسي، المبسوط،(١٠/ ٦٤) ، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن،(٤/ ١٣٩) ، النووي، روضة الطالبين،(١٠/ ٢٤٥) ، ابن قدامة، المغني،(١٣/ ١٤١) .

٦٠. السرخسي، المبسوط،(١٠/ ٦٤) .

٦١. المرداوي، علاء الدين أبو الحسن، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، صححه وحققه محمد حامد الفقي، بيروت، لبنان، دار إحياء التراث العربي، ط٢،(٤/ ١٢٩) .

٦٢. السرخسي، المبسوط،(١٠/ ٦٤) ، المرداوي، الإنصاف،(٤/ ١٢٩) .

٦٣. مأخوذة من الكفر وهو: الستر، لأنها تغطي الذنب وتستره، الفيومي، المصباح المنير، ص٥٣٥، وكفارة القتل هي: عتق رقبة مؤمنة، فإن لم يجد فصيام شهرين متتابعين، ولا إطعام فيها. ابن النجار، شرح منتهى الإرادات،(٣/ ٣٢٩) ، البهوتي، كشاف القناع،(٥/ ٥٤) .

٦٤. الكاساني، بدائع الصنائع،(٦/ ٦٣) ، السرخسي، المبسوط،(١٠/ ٦٥) .

٦٥. ابن العربي، محمد بن عبد الله، أحكام القرآن، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد عبد القادر عطا، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، د.ط، ١٤١٦ هـ– ١٩٩٦م،(٤/ ١٣٩) ، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن،(١٦/ ٢٤٣) .

٦٦. مسلم، الصحيح، كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الأمراء على البعوث، ح رقم(١٧٣١).

٦٧. الزيلعي، تبيين الحقائق،(٣/ ٢٤٣) ، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن،(١٦/ ٢٤٤) .

٦٨. الكاساني، بدائع الصنائع،(٦/ ٦٣) .

٦٩. المرجع السابق.

٧٠. المرجع السابق.

٧١. ابن العربي، أحكام القرآن،(٤/ ١٣٩) ، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن،(١٦/ ٢٤٣) .

٧٢. الشافعي، الأم،(٤/ ٢٤٦) ، الشيرازي، المهذب مع تكملة المجموع،(٢٠/ ٤١٧).

٧٣. ابن مفلح، المبدع،(٣/ ٣٢٤) ، ابن قدامة، المغني،(١٣/ ١٤٢) .

٧٤. الكاساني، بدائع الصنائع،(٦/ ٦٣) .

٧٥. ابن قدامة، المغني،(١٣/ ١٤٢) ، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن،(١٣/ ٢٤٤) .

٧٦. الكاساني، بدائع الصنائع،(٦/ ٦٣) .

٧٧. النووي، روضة الطالبين وعمدة المفتين،(١٠/ ٢٤٦) .

٧٨. المرداوي، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف،(٤/ ١٢٩) ، ابن قدامة، المغني،(١٣/ ١٤٢) .

٧٩. ابن قدامة، المغني،(١٣/ ١٤٢) ابن إبراهيم المقدسي، بهاء الدين عبد الرحمن، العدة شرح العمدة في فقه إمام السنة أحمد بن حنبل الشيباني، بيروت، لبنان، دار الفكر، ص(٤٩٢) .

٨٠. ابن قدامة، المغني،(١٣/ ١٤٢) .

٨١. النووي، روضة الطالبين،(١٠/ ٢٤٦) .

٨٢. البخاري، الصحيح، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، ح برقم ٣٢٩٠، ص ٦٢٨، كتاب المغازي، باب إذ همت طائفتان، ح برقم ٤٠٦٥، ص٧٧١.

٨٣. الموصلي، الاختيار، ٤/ ١٤٥– ١٤٦، الكاساني، بدائع الصنائع، ٦/ ٦٤، الدسوقي، حاشية الدسوقي، ٢/ ٤٨٠، الشربيني، مغني المحتاج، ٦/ ٣١، ابن قدامة، المغني، ١٣/ ١٣٩– ١٤٠، ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ٢٨/ ٣٥٤.

٨٤. الكاساني، بدائع الصنائع،(٦/ ٦٤) ، السرخسي، المبسوط،(٢٦/ ١٣٢) ، ابن عبد البر، الكافي في فقه أهل المدينة،(١/ ٤٦٧) ، ابن مهنا الأزهري المالكي، أحمد بن غنيم بن سالم، الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، اعتني به الشيخ عبد الوارث محمد، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٨هـ– ١٩٩٧م،(١/ ٦١٥) ، الشيرازي، المهذب،(٢١/ ١٧١) ، المرداوي، الإنصاف،(٤/ ١٣٠) .

٨٥. البخاري، الصحيح، كتاب الجهاد، باب أهل الدار يبيتون، ح رقم(٣٠١٢) ، مسلم، الصحيح، كتاب الجهاد باب جواز قتل النساء والصبيان في البيات من غير تعمد، ح رقم ٢٦،(١٧٤٥) .

٨٦. السرخسي، شرح السير الكبير،(٤/ ١٨٧) .

٨٧. ابن الهمام، كمال الدين محمد بن عبد الواحد، فتح القدير، بيروت، لبنان، دار إحياء التراث العربي، د.ط، د.ت،(٥/ ١٩٦) .

المصادر والمراجع:

١. القرآن الكريم

٢. إبراهيم المقدسي، بهاء الدين عبد الرحمن، العدة شرح العمدة في فقه إمام السنة أحمد بن حنبل الشيباني، بيروت، لبنان، دار الفكر.

٣. إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية، استنبول، تركيا.

٤. الأثير، عز الدين أبي الحسن علي بن محمد الجزري، أسد الغابة في معرفة الصحابة، بيروت، دار الفكر، د.ط، ١٩٨٩م.

٥. أحمد بن حنبل، خرج ووضع فهارسه، أحمد شاكر، وأكمله حمزة أحمد الزين، القاهرة، دار الحديث، ط١، ١٤١٦هـ– ١٩٩٥م.

٦. أمين، محمد فتحي، قاموس المصطلحات العسكرية، د.م، د.ت، ط ٢.

٧. الأيوبي، هيثم، الموسوعة العسكرية، بيروت، دار الفكر، ط ١، ١٩٨١م.

٨. البخاري، علاء الدين بن عبد العزيز، كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٩٩٧م.

٩. البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، عمان، الأردن، بيت الأفكار الدولية، د.ت، د.ط.

١٠. برهان الدين إبراهيم بن محمد بن مفلح الحنبلي، المبدع في شرح المقنع، بيروت، لبنان، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، ط١، ١٤٠٢ هـ– ١٩٨٢م.

١١. البهوتي، منصور، كشاف القناع عن متن الإقناع، القاهرة ، مطبعة أنصار السنة المحمدية، ١٣٦٦هـ– ١٩٤٧م، د.ط.

١٢. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العصمي النجدي، د.م، مكتبة ابن تيمية، ط٢، د.ت.

١٣. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق علي محمد البجاوي، بيروت، دار الجيل، ط١، ١٩٩٢م.

١٤. الحطاب، عبد الله محمد بن عبد الرحمن المغربي، مواهب الجليل لشرح مختصر خليل، ضبط وتخريج زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط١، ١٩٩٥م.

١٥. الحموي، ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، بيروت، دار الفكر، د.ط، د.ت.

١٦. الخرشي، محمد بن عبد الله بن علي ، حاشية الخرشي علي مختصر سيدي خليل، للإمام خليل بن إسحاق بن موسى المالكي، ضبط وتخريج زكريا عميرات، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٧هـ– ١٩٩٧م.

١٧. الخطيب، محمد الشربيني، مغني المحتاج، بيروت، دار الفكر، د.ط، د.ت.

١٨. أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود، عمان، الأردن، بيت الأفكار الدولية، ٢٠٠٤م، د.ط.

١٩. الدردير، أبو البركات سيدي أحمد، الشرح الكبير، تحقيق محمد عليش، بيروت، دار الفكر، د.ط، د.ت، مطبوع مع حاشية الدسوقي.

٢٠. الدسوقي، محمد عرفة، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، تحقيق محمد عليش، بيروت، دار الفكر، د.ط، د.ت.

٢١. الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٩، ١٤١٣هـ.

٢٢. الزركلي، خير الدين، الأعلام، بيروت، دار العلم للملايين، ط١٠، ١٩٩٢م.

٢٣. زعرب، خالد محمد عطوة، الخداع في الحرب، رسالة ماجستير مقدمة لبرنامج الدراسات العليا، كلية الشريعة، قسم الفقه المقارن، الجامعة الإسلامية، غزة، بإشراف الدكتور يونس الأسطل،٢٠٠٥م.

٢٤. الزيلعي، فخر الدين عثمان بن علي، تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، القاهرة، دار الكتب الإسلامي، د.ط، ١٣١٣هـ.

٢٥. السرخسي، محمد بن أحمد، شرح السير الكبير للإمام محمد بن الحسن الشيباني، إملاء محمد بن أحمد السرخسي، د.م، مطبعة شركة الإعلانات الشرقية، ١٩٧١م، د.ط.

٢٦. ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله البصري الزهري، الطبقات الكبرى، بيروت، دار صادر، د.ط، د.ت.

٢٧. الشافعي، محمد بن إدريس، الأم، بيروت، لبنان، دار المعرفة.

٢٨. الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس، الرسالة، القاهرة، د.ط، د.ت، تحقيق أحمد محمد شاكر.

٢٩. الشوكاني، محمد بن علي، نيل الأوطار، بيروت، دار الجيل، ١٩٧٣ م، د.ط.

٣٠. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير ، تاريخ الأمم والملاك، د.م، دار بدران، د.ت، د.ط.

٣١. ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله بن محمد، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق علي محمد البجاوي، بيروت، دار الجيل، ط١، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

٣٢. ابن عبد البر القرطبي، أبو عمر يوسف، الكافي في فقه أهل المدينة المالكي، تحقيق: د.محمد محمد الموريتاني، الرياض، مكتبة الرياض الحديثة، ط٣، ١٤٠٦ هـ- ١٩٨٦م..

٣٣. عبد القادر، عودة، التشريع الجنائي الإسلامي مقارنًا بالقانون الوضعي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط١٤، ٢٠٠٠م.

٣٤. ابن العربي، محمد بن عبد الله، أحكام القرآن، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد عبد القادر عطا، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، د.ط، ١٤١٦ هـ- ١٩٩٦م.

٣٥. عون، عبد الرؤوف، الفن الحربي في صدر الإسلام والدولة العباسية، دار المعارف، القاهرة، ط١، ١٩٦١م.

٣٦. العيني، محمود بن أحمد، البناية في شرح الهداية، بيروت- لبنان، دار الفكر، ط٢،١٤١١هـ- ١٩٩٠م.

٣٧. الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، اعتنى به حسان عبد المنان، بيت الأفكار الدولية، ط ٢٠٠٤م، عمان، الأردن.

٣٨. الفيومي، أحمد بن علي المقري، المصباح المنير، القاهرة، المطبعة الأميرية، ط٤، ١٩٢١هـ.

٣٩. ابن قدامة، عبد الله بن أحمد، المغني، بيروت، دار الفكر، ط١، ١٤٠٥هـ.

٤٠. القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، ط١، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

٤١. ابن القيم، شمس الدين محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٩٤م، تحقيق وتعليق محمد المعتصم بالله البغدادي.

٤٢. الكاساني، علاء الدين أبو بكر بن سعود، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، بيروت، دار الكتاب العربي، ط٢، ١٩٨٢م.

٤٣. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل، البداية والنهاية، لبنان، بيروت، دار المعرفة، ١٩٩٧م.

٤٤. كمال، أحمد عادل، الطريق إلى المدائن، دار النفائس، د.م، ط١، ١٩٧٢م.

٤٥. المرداوي، علاء الدين أبي الحسن، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، صححه وحققه محمد حامد الفقي، بيروت، لبنان، دار إحياء التراث العربي، ط٢.

٤٦. مسلم، ابن الحجاج القشيري النيسابوري ، صحيح مسلم، عمان، الأردن، بيت الأفكار الدولية، ١٩٩٨م ، د.ط.

٤٧. المصري، محمود، أصحاب الرسول، القاهرة، دار أبو بكر الصديق، ط٢، ٢٠٠٢م.

٤٨. المعجم العسكري الموسوعي، بإشراف العماد مصطفى طلاس، دمشق، مركز الدراسات العسكرية، د.ط، د.ت.

٤٩. المنجد في الأعلام، بيروت، دار المشرق، ط٢٥، ٢٠٠٢م، مطبوع ضمن كتاب المنجد في اللغة والأعلام.

٥٠. ابن منظور، جمال الدين محمد، لسان العرب، بيروت، لبنان، دار صادر.

٥١. مهنا الأزهري المالكي، أحمد بن غنيم بن سالم، الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، اعتنى به الشيخ عبد الوارث محمد، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٨هـ– ١٩٩٧م.

٥٢. المواق، محمد بن يوسف العبدري، التاج والإكليل لمختصر خليل، بيروت، دار الفكر، ط٣، ١٩٩٢م، مطبوع مع مواهب الجليل للحطاب.

٥٣. الموصلي، عبد الله بن محمود بن مودود، الاختيار لتعليل المختار، خرج حديثه وضبطه وعلق عليه خالد عبد الرحمن العك، بيروت، لبنان، دار المعرفة، ط١، ١٩٩٨م.

٥٤. المومني، أحمد محمد خلف، التعبئة الجهادية في الإسلام، عمان، الأردن، دار الأرقم، ط١، ١٩٨٦م.

٥٥. ابن النجار، محمد بن أحمد الفتوحي، معونة أولى النهى شرح المنتهى(منتهى الإرادات) تحقيق: د.عبد الملك بن دهيش، بيروت، لبنان، دار خضر، ط١، ١٤١٦ هـ– ١٩٩٥م.

٥٦. ابن النحاس الدمياطي، مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق ومثير الغرام إلى دار السلام، بيروت، لبنان، دار البشائر الإسلامية، ط٣، ٢٠٠٢م.

٥٧. النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف، شرح النووي على صحيح مسلم، دار إحياء التراث، بيروت،١٣٩٢هـ، ط٢.

٥٨. النووي، محيي الدين بن شرف، روضة الطالبين وعمدة المفتين، بيروت، المكتب الإسلامي، ط٢، ١٩٨٥.

٥٩. النووي، محيي الدين بن شرف، روضة الطالبين وعمدة المفتين، بيروت، المكتب الإِسلامي، ط٣، ١٤١٢ هـ ١٩٩١م.

٦٠. النووي، محيي الدين بن يحيى بن شرف، تحقيق محمد نجيب المطيعي، المجموع، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ط، ١٩٩٥م.

٦١. ابن هشام، السيرة النبوية، حققها وشرحها ووضع فهارسها: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحميد شلبي، د.م، دار ابن كثير، د.ط، د.ت.

٦٢. ابن الهمام، كمال الدين محمد بن عبد الواحد، فتح القدير، بيروت، لبنان، دار إحياء التراث العربي.

٦٣. الواقدي، محمد بن عمر بن واقد، فتوح الشام، بيروت، دار الفكر، د.ط، د.ت.

أثر تجربة الدعم على الفاقدات وفق نهج «من فاقدة إلى فاقدة»

د. سهيل حسين عطا حسنين*

* أستاذ مشارك/ دائرة الخدمة الاجتماعية/ جامعة القدس/ أبو ديس.

ملخص:

تعاني المرأة الفلسطينية من ممارسات الاحتلال، لذلك تعدُّ خبرة الفقدان مرحلة مميزة في حياتها من ناحية، وتعدُّ عملية التكيف والدعم الاجتماعي مورداً لا يتجزأ من عملية مواجهة أعراض ما بعد الفقدان من ناحية ثانية.

هدفت هذه الدراسة إلى وصف دور الدعم الاجتماعي المستند إلى نهج من «فاقدة إلى فاقدة» ومناقشتها، ومن خلال استخدام المنهج الكمي بهدف رصد التغييرات التي حصلت لدى الفاقدات نتيجة الدعم، وباستخدام استمارات مناسبة. تستخدم الدراسة أساليب إحصائية متعددة وصفية (المتوسط الحسابي والانحراف المعياري) ، واستدلالية (اختبار ت للمقارنات الثنائية، وتحليل التباين أحادي الاتجاه واختبار شيفيه لفحص مصادر الفروق في المواقف) .

أظهر التحليل الإحصائي أن لنوع الفقدان، وعمر الفاقدات، وحالتهن الاجتماعية ولسنوات التعليم، لا يوجد أي تأثير على أنماط التواصل خلال القياس القبلي والبعدي. في حين أن التحليل أظهر وجود الفروق في متغيرين: المنطقة السكنية ونوع الفاقدات.

أظهر التحليل الإحصائي أيضا حصول تغييرات جوهرية في مواقف الفاقدات اتجاه اضطرابات الفقدان وتجربة الدعم، حيث يؤكد أن لعملية الدعم تأثيراً على التعامل مع اضطرابات الفقدان. إن جزءا من هذه الاضطرابات موجود لدى الفاقدات قبل الفقدان، وهذا مؤشر لتأثير الفقدان الجمعي الذي تعاني منه شرائح عديدة في المجتمع الفلسطيني نتيجة لممارسات الاحتلال.

من الاستنتاجات المهمّة التي توصلت إليها التجربة الحالية أن نهج الدعم المتبادل الشمولي «فاقدة إلى فاقدة» أثبت فعاليته وإمكاناته في التخفيف من حدة اضطرابات الفاقدات والداعمات، وبخاصة على مستوى أنماط تواصلهن مع أنفسهن ومع الآخرين. يمكن اعتبار تجربة الدعم مع تحدياتها وإنجازاتها هي البداية، فالحاجة ملحة إلى تطوير هذه التجربة وتوفير الشرعية لها على المستوى المؤسساتي والاجتماعي.

كلمات مفتاحية: الفقدان، الدعم، نهج من فاقدة إلى فاقدة.

Abstract:

The current study aimed to describe and understand the effects of holistic intervention, based on the mutual support approach "from a bereaved woman to another". The quantitative method has been utilized to form an integrated description, analysis and explanation of the experience's consequences, that has been analyzed through using arithmetic mean and standard deviation measures, and by using the Paired Samples T-Test and One Way ANOVA, followed by using Scheffe test.

The results of the study have revealed that there are concrete changes in women's attitudes in terms of intra communication and inter communication patterns comparing before and after support's experience. Such outcome may reflect the fact that loss is a personal crisis, first and collective, second. It also reflects that it strongly affects the communication of the individual with self and then with others.

Results showed that there has been no effect, as regards to type of loss, age, social status and education, on the bereaved women's attitudes in communication patterns; whilst the statistical analysis revealed differences in two variables: residential area and type of bereaved women. The statistical analysis revealed that there have been essential changes in bereaved women's attitudes towards loss-related disorders and towards the support experience. It confirmed that support process affects dealing with loss-related disorders.

This current study has importantly concluded that the holistic, mutual support approach, based on the concept of bereaved woman-to-bereaved woman, has proved effective and promising as regards the alleviation of the intensity of the direct bereaved disorders.

The study concluded that there is a need to develop this approach and provide it with societal and political legitimacy.

Key words: *collective loss, social support, "from a bereaved woman to another" approach*

مقدمة:

إن الخوض في تجربة تربط النساء، والاحتلال، والفقدان والدعم هي مهمة صعبة، حيث تحاول الدراسة الحالية التركيز على تجربة النساء، كما انبثقت من أنشطة الدعم، ومن الدراسة الكمية التي أجريت لفحص نتائج هذه التجربة.

يعيش الشعب الفلسطيني رجالاً ونساء، أطفالاً وشباباً ومسنين تحت وطأة مستمرة من إجراءات الاحتلال التي تشكل تهديداً مستمراً على حياتهم. هذه الإجراءات تسبب بيئة من الخوف والقلق، وما يقترن بهما من التوتر النفسي والعصبية والإحباط والبلبلة وعدم القدرة على التفكير المنطقي، وتوقعات مستمرة لحصول صدمات وأزمات، وفقدان الضبط والسيطرة، ومشاعر أليمة أخرى. تتأثر النساء بشكل ملحوظ بهذه الممارسات. إنهن يعانين مع أسرهن في حالات الاعتقال أو الإصابات أو استشهاد أحد أفرادها، أو الحصار أو هدم البيت. والنساء أيضا أمهات، أخوات وبنات لفاقدين أو فاقدات، معتقلين ومعتقلات. هذه الأوضاع تؤدي لفقدان مستمر، وفي حالات كثيرة تظهر لدى النساء أعراض أو «اضطرابات ما بعد الصدمات».

تحرم النساء أحيانا من حق زيارة أزواجهن أو أولادهن المعتقلين أو السجينين، وينتظرن الأيام والليالي والأشهر أحياناً، من أجل الحصول على إذن، ولكن دون جدوى. أكثر من ذلك، وبسبب غياب الزوج، تجبر النساء على تحمل أعباء الأسرة ومسؤولياتها، وبسبب المجتمع المحافظ فهن غير مهيئات لهذه الأدوار الجديدة، كونهن يعشن في مجتمع أبوي وهذه الحقائق الاجتماعية تصعِّد من معاناتهن، إضافة لمعاناتهن من إجراءات الاحتلال.

حقيقة تعاني النساء الفلسطينيات– شأنهن شأن نساء العالم العربي والعالم الثالث– خاصة من الفقدان والصدمات. في حين أن معاناة النساء نابعة من ممارسات الاحتلال، إلا أن هذه الممارسات تؤثر أيضا على الأفراد والمجموعات والمجتمعات، حيث تعاني الأسرة، وبخاصة الأطفال والأزواج من تجارب مؤلمة يومياً، ومن أشكال مختلفة من الفقدان. ما يميز هذا الفقدان أنه يجسد عنفاً صدمياً مستمراً بدون أي استعدادات مسبقة؛ حدث صدمي يشكل«كارثة معنوية للفلسطينيين» (المركز العربي للدراسات المستقبلية، ٢٠٠٢) .

سياق عملية دعم النساء الفاقدات:

الاتجاه هو السعي في بحث واقع النساء الفلسطينيات، ومن خلال النظر إليهن من داخل السياق الذي يعشنه. يستند هذا النهج إلى الاستماع مباشرة ووجهاً لوجه لكلمات

النساء في وصف مشاعرهن وآلامهن وذكرياتهن من ناحية، والسعي إلى التعرف على أساليب ملائمة لمساعدة الناجين الآخرين من الناحية الأخرى.

وقد طُرحت فكرة جديدة حول كيفية الوصول إلى أكبر عدد ممكن من الفاقدات، وكيفية تطوير آليات تمكن من ذلك، فكانت فكرة تجريب منهج «من فاقدة إلى فاقدة» مع مراعاة أمور عدة منها المنطقة الجغرافية، وذلك لتغطية أكبر عدد ممكن من المواقع، طبيعة الفقدان، أنواع الفقدان، إمكانية الحركة للفاقدة، الرغبة الذاتية للفاقدة في المشاركة في هذا العمل، شخصية الفاقدة، ومدى إمكانية تبوئها لدور قيادي في المجتمع المحلي.

لقد طُوِّر نموذج تدخل دعم شامل لمواجهة صدمة الفقدان، حيث تم العمل ضمن أربعة مستويات دعم مختلفة: فالدعم الفردي الذي يهدف إلى التدخل في مرحلة ما بعد الفقدان مباشرة لمساعدة الفاقدة على مواجهة الصدمة والعودة إلى الحياة الطبيعية بأسرع وقت ممكن، وذلك من خلال التوجه للفاقدة من قبل داعمتين للعمل معها بشكل مباشر ومساعدتها على التفريغ الوجداني. أما الدعم الجماعي، فيهدف إلى توفير الراحة النفسية من خلال الدعم النفسي الاجتماعي داخل المجموعات التي تتشارك في الفقدان، حيث تتبادل الفاقدات خبراتهن وتجاربهن. ثم الدعم المجتمعي، الذي يهدف إلى زيادة الوعي المجتمعي حول الفقدان وآليات التعامل معه بما يضمن توفير بيئة مجتمعية داعمة للنساء الفاقدات، حيث تقوم الفاقدات الداعمات بعقد حلقات نقاش ومحاضرات من خلال التنسيق مع المؤسسات المجتمعية المختلفة، يعرضن فيها تجاربهن ويتطرقن بوضوح إلى الأخطاء المجتمعية التي تمارس وتزيد من عبء الفقدان على الفاقدات، وتسهم في زيادة معاناتهن، والبدائل المطلوب تطويرها مجتمعياً. وأخيراً تدريب الداعمات وتوجيههن، حيث تُشرك الداعمات في برنامج تدريبي يتمشى وفق حاجياتهن خلال تنفيذ لقاءات دعم الفاقدات.

يركز هذا النهج على تناول المواضيع التي تعرضت لها الفاقدات، مثل أعراض الفقدان، وأنواع الفقدان، ومضاعفات الفقدان وتأثيراته على الفاقدات وعلى أفراد الأسرة، وأوضاع اجتماعية واقتصادية نابعة من ممارسات الاحتلال وتأثيراتها على الفاقدات وعلى أسرهن، كيفية التعامل مع الفقدان على مستوى الفاقدة، وعلى مستوى الأسرة ككل، قضايا محددة مرتبطة بالفقدان مثل: (زواج الأرامل، ومخصصات الأرامل، وعلاقات زوجية وتأثير الفقدان، ودور الفاقدة في الأسرة والمجتمع) .

مصطلحات الدراسة:

◄ **الاحتلال الإسرائيلي**: عملية استيلاء السلطات الإسرائيلية وهيمنتها على مكونات الشعب الفلسطيني من أرض وإنسان منذ ١٩٦٧. وتُعدُّ هذه السيطرة الشاملة أحد

أشكال الاستعمار وأكثرها وضوحاً وإثارة، وتشمل السيطرة النفسية، والثقافية، والمدنية، والاقتصادية، والسياسية والعسكرية.

◄ **الفقدان**: استشهاد أو اعتقال أو إصابة أو هدم بيت أو سلب أي نوع من الحقوق والأملاك الناتجة من ممارسات الاحتلال.

◄ **مراحل المشروع**: المرحلة الأولى (٢٠٠٢– ٢٠٠٤) ، والمرحلة الثانية (٢٠٠٤– ٢٠٠٦) ، والمرحلة الثالثة (٢٠٠٧– ٢٠١٠) .

◄ **نساء فاقدات جدد**: نساء فقدن أحد أفراد الأسرة أو أقرباء من الدرجة الأولى، أو أملاك في الآونة الأخيرة (٢٠٠٧– ٢٠١٠) .

◄ **فاقدات داعمات جدد**: نساء فاقدات خلال انتفاضة الأقصى وبعدها اشتركن في فعاليات المرحلة الثانية من المشروع باعتبارهن فاقدات، ويشتركن باعتبارهن داعمات في المرحلة الثالثة.

◄ **فاقدات داعمات قدامى**: نساء فاقدات خلال انتفاضة الأقصى وبعدها اشتركن في فعاليات المرحلة الأولى من المشروع كفاقدات واشتركن كداعمات جدد في المرحلة الثانية، واشتركن أيضا كداعمات ضليعات في المرحلة الثالثة.

◄ **نهج الدعم المتبادل، أو من فاقدة إلى فاقدة**: إستراتيجية تدخل تؤمن أن دعم الفاقدات يتم من خلال فاقدات متشابهات في التجربة، وفي الخلفية الاجتماعية والسياسية.

◄ **مواقف أو اتجاهات**: آراء و مشاعر تعكس ميول الأفراد الإيجابية أو السلبية نحو شيء ما، وبدورها تؤثر على السلوك (Psychology Glossary, 2011)

أهداف الدراسة وأسئلتها:

في ضوء الازدياد في عدد النساء الفاقدات خاصة، وعدد الفاقدين في المجتمع الفلسطينيين عامة، نفترض أن الحاجة ملحة لدعم حاجيات النساء والمجتمعات التي تعاني من أعراض ما بعد الصدمات ومواجهتها. بالتالي فالغرض الأساس للدراسة هو فحص أثر نهج «من فاقدة إلى فاقدة» على الفاقدات من ناحية تواصلهن مع أنفسهن ومع الآخرين. أي أن للدراسة هدفاً أساسياً هو توفير مجموعة من الاستنتاجات والتوصيات النابعة من فحص فاعلية هذا النهج وكفاءته.

تسعى الدراسة إلى تحقيق أهداف فرعية أهمها: دراسة مواقف الفاقدات اتجاه التغييرات الحاصلة لديهن على مستوى أنماط التواصل الذاتي والتواصل مع الآخرين؛

فحص التباين ومصدره والحاصل في مواقف الفاقدات وفق متغيرات مثل: عمر الفاقدة، ومنطقة السكن، ونوع الفقدان والوضع العائلي؛ فحص حصول التغييرات في مواقف الفاقدات تجاه اضطرابات ما بعد الصدمة؛ فحص مواقف الفاقدات اتجاه عملية الدعم المعنوي والاجتماعي، وفحص مواقف أهل الفاقدات اتجاه الفقدان والدعم.

بالتالي، تحاول الدراسة الإجابة عن الأسئلة: ما مواقف الفاقدات والداعمات اتجاه أنماط التواصل بعد تجربة الدعم مقارنة بالفترة القبلية؟ هل هنالك فروق في مواقف الفاقدات والداعمات اتجاه أنماط التواصل تعزى لمتغيرات مستقلة (مثل: منطقة سكن الفاقدة، والعمر، ونوع الفاقدة، ونوع الفقدان، والحالة الاجتماعية وسنوات التعليم) ؟ وفي حال وجود فروق ذات دلالة إحصائية في المواقف اتجاه أنماط التواصل بين مجموعات هذه المتغيرات المستقلة: ما مصادر هذه الفروق؟ كيف تنظر الفاقدات للدعم المعنوي والاجتماعي عامة قبل الدعم وبعده؟ كيف تتصور الفاقدات تعاملهن مع الفقدان والقدرة على الاستمرار قبل الدعم وبعده؟ ما هي مواقف الداعمات اتجاه التغييرات الحاصلة لديهن نتيجة المشاركة في لقاءات الدعم؟ وكيف يدرك أفراد في الأسرة أوضاع الفاقدة خلال مرحلة الدعم وبعدها؟

منهجية الدراسة:

يتكون مجتمع الدراسة من فئة مقصودة تتكون من مجموع النساء اللواتي اشتركن في المرحلة الثالثة من مشروع «النساء، الاحتلال والفقدان». إن العدد النهائي للمجتمع المشارك في فعاليات المشروع كان ٧٠ فاقدة، و٢٤ فاقدة داعمة. وفق البيانات، فإن ما يميز أغلبية مجتمع الفاقدات هو فقدان من نوع اعتقال أو استشهاد الزوج أو أحد أفراد الأسرة (حوالي ٧٧٪ من المجموع الكلي) في حين أن حوالي ١٢٪ من الفاقدات يعانين من فقدان متعدد، وهذه النسبة ليست بقليلة، لما لها من مضاعفات على الصحة النفسية والاجتماعية. تظهر البيانات أيضا أن أغلبية الفاقدات والداعمات متزوجات (٧١٪) وأرامل (٢٠٪) ، في حين أن عمر ٣٩,٤٪ منهن هو ٤١- ٥٠ سنة، و ٢٤,٥٪ منهن ٣١- ٤٠ سنة؛ ٢٣,٤٪ منهن بعمر ٥٠ سنة فما فوق والباقي دون ٣٠ سنة. يبدو، من ناحية سنوات التعليم، أن ٥٠٪ من الفاقدات هن دون ٩ سنوات تعليمية.

ترتكز عملية جمع المعلومات على استمارة تتكون من أربعة أقسام، حيث يتطرق القسم الأول لمعلومات شخصية حول الفاقدة (١١ فقرة) ؛ ويتطرق القسم الثاني لوجهة نظر الفاقدة تجاه التعامل مع الفقدان والقدرة على الاستمرار (٢٣ فقرة مغلقة، الإجابات عليها تتدرج على سلم خماسي ابتداء من: «دائما» وانتهاء بـ «مطلقا») ؛ القسم الثالث يتطرق

لمواقف الفاقدات تجاه الدعم المعنوي والاجتماعي (٥ فقرات مغلقة)؛ القسم الرابع يصف رؤية الفاقدة لنفسها، وهذا القسم مهم جداً، ويتكون من ٢٠ متغيراً، من نوعين: متغيرات مرتبطة بمواقف تجاه الذات (٩ متغيرات): مدى معرفة الذات، وتقويم الذات، والثقة بالذات، والارتياح والطمأنينة، والتحصيل الذاتي، والانفتاح الفكري، والتصرف حين الغضب، والتخطيط للمستقبل، والاستقلالية. ومتغيرات مرتبطة بمواقف تجاه الآخرين (١١ متغيرا): محبة الآخرين، ورد فعل لمودة الآخر، ومدى مشاركة الآخرين للمشاعر والأفكار، ومدى المساهمة في المجتمع، والعلاقة مع المؤسسات، ورد الفعل لعنف الآخر، والاهتمام في دعم الآخر، والقدرة على الإنصات للآخر، ورد الفعل لنقد الآخر وتقويمه، مدى تقبل المختلف وحب العمل في جلسة فردية. وأسئلة هذا القسم مغلقة، حيث يندرج الجواب على مسار يتألف من ١٠ درجات: (قيم تدريجية من درجة ١– الأقل إلى درجة ١٠– الأكثر). إضافة إلى ذلك، لكل سؤال جوابان: جواب أول مرتبط بالوضع الموجود، وجواب ثان مرتبط بالوضع المرغوب. ومن المتوقع أن تضع الفاقدة خطاً بين الدرجة التي تعكس وضعها الموجود، وبين الدرجة التي تعكس وضعها المرغوب.

قام الباحث بتطبيق الاستمارة على مجتمع الداعمات والفاقدات معاً (٩٤ استمارة قبلية)، واُستخرج معامل ثبات الاتساق الداخلي وفق معادلة الثبات كرونباخ ألفا، وكانت الدرجة الكلية (٠,٩٢٥)، وهذه النتيجة تشير إلى تمتع هذه الأداة بثبات يفي بأغراض الدراسة، مما يجعل الاستمارة ثابتة، ويعتمد عليها لقياس ما أعدت له.

من ناحية تعبئة هذه الاستمارات، فقد عُبئت الاستمارات في نقطتين زمنيتين: قبل الدعم (خلال آذار ٢٠٠٩) وبعده (خلال شباط ٢٠١٠). لقد تمت المحافظة على تلاؤم بين الاستمارات بين القياس القبلي والفحص البعدي لكل فاقدة أو داعمة، (من خلال عملية ترقيم لكل استمارة، بحيث حصلت كل استمارة على رقم متشابه في القياسين).

حُلِّلت البيانات باستخدام برنامج الرزم الإحصائية في العلوم الاجتماعية (SPSS) مستنداً إلى طرق التحليل الإحصائي الوصفية والاستدلالية الآتية:

- **الإحصاء الوصفي**: عرض المعطيات الأولية باستخدام الرسوم البيانية والجداول، ثم باستخدام ثلاثة أنواع من المقاييس الإحصائية الوصفية: أحد مقاييس النزعة المركزية (الوسط الحسابي)، وأحد مقاييس التشتت (الانحراف المعياري) لوصف أنماط تواصل الفاقدات والداعمات.

- **الإحصاء الاستدلالي**: مجموعة من الطرائق تستخدم للتعرف إلى خصائص مجتمع الفاقدات المحدد. وقد اُستخدم اختبار «ت» للمقارنات الثنائية

♦ (Paired Samples T- Test) لاختبار الفروق في درجات الاختبارين القبلي والبعدي، واستخدام تحليل التباين أحادي الاتجاه (One Way ANOVA) ، وذلك لفحص مستوى دلالات الفروق بين المجموعات وداخل المجموعات لمواقف الفاقدات في أنماط التواصل (متغيرات تابعة) ، والتي تعزى للمتغيرات المستقلة مثل: (منطقة الفاقدة، ونوع الفاقدة، ونوع الفقدان، وأجيال الفاقدات، والحالة الاجتماعية، وسنوات التعليم) ، متبوعاً باختبار شيفيه (Scheffe test) لفحص مصادر الفروق (لصالح أي مجموعة) بين المجموعات وداخل المجموعات في هذه المواقف في حال وجود دلالة إحصائية للفروق بين المتوسطات الحسابية، تعزى للمتغيرات المستقلة. واُستخدمت درجة ثقة ذات مستوى أقل من ٠,٠٥ (على سبيل المثال: إذا كانت القيم تتراوح بين ٠,٠٠ و ٠,٠٥، فذلك يعكس أن هنالك فروقاً في المواقف تعزى لمتغير محدد) .

الإطار النظري: الفقدان والدعم في مناطق الصراع:

تحاول دراسات ميدانية متعددة أجريت في مناطق متعددة هي عرضة للصراعات المسلحة وللعنف المنظم الموجه من قوات عسكرية خارجية، إظهار أهمية الدعم الاجتماعي في مواجهة الاضطرابات ما بعد الصدمات وتأكيد أهمية هذا الدعم في وسط فئات النساء الأكثر عرضة لهذه الصدمات والاضطرابات (Dybdahl, 2000; Stein, 2000) . تفحص هذه الدراسات تبعات الاحتلال من ناحية، ومدى التكيف للفقدان واضطرابات ما بعد الصدمة من ناحية أخرى.

من هنا يبدو أن الفقدان والتكيف الاجتماعي هما مفهومان أساسيان لكثير من الدراسات. فقد أجرت عبد الهادي (٢٠٠٧) توثيقاً لروايات نساء خلال الانتفاضة الثانية، والتي هدفت إلى التعرف على الأدوار والصعوبات التي تواجه المرأة. وقد توصلت لنتائج بأن زوجات الشهداء يعانين من فقدان الأمان العاطفي والضغط الناجم عن تلبية احتياجات الأسرة الاقتصادية والنفسية. وتوصلت دراسة أكاديمية حول فردنية زوجات شهداء انتفاضة الأقصى (تعامرة وحسنين، ٢٠١٠) إلى نتيجة مفادها، أن زوجة الشهيد تعاني كثيراً نتيجة الفقدان، ولكن إيمانها بالله ساعدها على تقبل الفقدان، وكان عزاؤها الوحيد مع الأهل والأقارب والأصدقاء. وقد تبين أن لدى زوجات الشهداء درجة متوسطة من التكيف الاجتماعي. وتبين دراسة عواد (٢٠٠٦) ، أن الفاقدة لو اختارت إعطاء فقدانها معنى جماهيريًا وسياسيًا، سيتوجب عليها دفع ثمن قوامه عدم التحدث عن مشاعرها، وغضبها، وألمها وحزنها. فتكيف الفاقدة مرتبط بعالمين: عالم المعاناة الشخصية وعالم التوقعات الاجتماعية، والقومية والدينية منها كأم شهيد. كما توضح أبو دقة (٢٠٠٩) أن

تكيف النساء للفقدان ناتج من توافر العوامل الاجتماعية التي تتمحور حول ميزة التماسك الأسري والروابط الاجتماعية في المجتمع الفلسطيني، وبخاصة في أوقات الفقدان.

في هذا الصدد، من الضرورة التطرق لمفهوم مهم وهو «الفقدان الجمعي» (Bajra-tarevic- Hayward, 2008) الناتج من الصدمات الآتية للصراعات المسلحة والحروب والاحتلال المزمن، وعلاقته بالدعم الاجتماعي المتوافر للفاقدات. تؤكد الدراسات الميدانية (Liabre & Hadi, 1997; Drumm, Perry & Pittman, 2001) أن بيئة «الفقدان الجمعي» تؤدي دوراً مهماً في حياة الفاقدات، ويرتبط ذلك بتوافر الدعم الاجتماعي. لذلك فالدعم الاجتماعي الضعيف هو عامل منبئ لاضطرابات ما بعد الصدمة وأقوى من تأثير الصدمة نفسها. إضافة إلى ذلك، فالبيئة الأسرية القريبة تؤثر بشكل واضح على مخرجات الصحة النفسية للفاقدة، حيث إن توافر الدعم الاجتماعي يساعد الفاقدات على التعامل مع الصعوبات والتحديات الناتجة عن الصدمات، وعلى دمج الفقدان في مواقف حياتية جديدة تتعلم الفاقدات من خلالها تقبل أوضاعهن الجديدة، وبمساندة من المجتمع ودعمه. من هنا تبرز الضرورة بتوفير الفرص تستطيع النساء من خلالها التعبير حقيقة عن تجارب حياتية في ظل هذه الحروب أو الاحتلال. (;Gardam & Charlesworth, 2000; Wolte, 2004 Somasundaram, 2007) .

يعني الدعم مساعدة الأفراد على فهم الحدث الضاغط بشكل أفضل، وإمدادهم بالمصادر وأساليب التكيف معه. وقد يكون الدعم بمشاركتهم وجدانيا ومساعدتهم على التنفيس الانفعالي، أو بتقديم المعلومات ومساعدتهم على إعادة تنظيم مشاعرهم وأفكارهم وسلوكهم، وهو ما يمكنهم من التخفيف التدريجي عن الآثار السلبية للحرب (الشيمي، ٢٠٠٦) . ويبدو أن هذا الاتجاه من التدخل هو جمعي والذي يلزم، لكي نستخدمه، توفير الأدوات والموارد الكافية التي تضمن حصول الفاقدات على الأمن والدعم الذاتي (Gupta, 2008) . بالتالي، فالدعم الجمعي الشمولي (Kostelny, 2006) يقترح العمل مع النساء الفاقدات من خلال التطرق لخمسة مستويات: النساء كناجيات أو فاقدات، وأفراد الأسرة (خاصة الأزواج والأطفال) ، وأفراد المجتمع المحلي، وموفري الخدمات الاجتماعية، ثم المجتمع عامة.

إن الشفاء العاطفي والعقلي والروحاني الناتج من عمليات الدعم هي عملية مستمرة، وهو مرتبط بعناصر متعددة، منها الداخلية، ومنها الخارجية. ومن الواضح أن الاتجاه الذي يركز على حصول الإنسان على الدعم الاجتماعي (بما يشمل الاستماع والحديث معه) ، يساهم بشكل أنجع خلال التعامل مع الفقدان، وخاصة في حال أن دافعيته للتغيير تكون معدومة، وبحاجة لإعادة التنظيم (The Salvation Army International Headquarters Health Services, 2006).

في هذا السياق الخاص بالدعم فإن الخطوة الأولى المهمة هي قبول حقيقة، أن الدعم الاجتماعي الذي يؤدي لتغيرات سلوكية هو في الحقيقة جهد لبناء المجتمع من جديد. بالتالي من المتوقع فهم نتائج التدخل، وتحديد أي من العناصر لدى الفاقدة بحاجة للتغيير (International Development Research Center, 2008) . وهذا التدخل الشمولي يطوي بداخله تدخل وقت الفقدان (Dyer, 2005) الذي يضمن الكشف عن حاجيات ملموسة لدى الضحايا، والتفتيش عن طرق من خلالها تستطيع التعبير عن انفعالاتها، والعمل على مساعدتهم على مواجهة صراعات يومية، والكشف عن موارد دعم داخلية في البيئة المحيطة، والأهم هو مساعدة الضحية على الاستمرار في الحياة؛ في حين أن محور هذا التدخل هو المساندة النفسية لضحايا الاحتلال والحروب.

إن لمدى التأثر المتباين للفقدان على النساء تفسيراً يُذكر في دراسات حول الدعم الاجتماعي المرتبط بالنوع الاجتماعي، حيث تتوافر ميزتان للدعم الاجتماعي: الأولى تتطرق لمساعدة فعلية موجهه للفرد، والثانية تتطرق للمنفعة التي تحصل في إطار التواصل الاجتماعي، في حين إن العنصر العاطفي هو العنصر المهم في الدعم الاجتماعي. من مقاييس الدعم الاجتماعي عدد التداخلات الاجتماعية وتكرار التواصل، وجودة التواصل، في الوقت الذي تكون فيه الميزات العاطفية والاجتماعية والعلاقات الذاتية القريبة موارد أساسية يتغذى منها الدعم الاجتماعي.

يستند هذا الدعم على مفهوم تمكين النساء من خلال بناء موارد مجتمعية وعلاقات اجتماعية. بالإضافة إلى ذلك، فالعمل بمرافقة الأطراف المجتمعية يوفر بيئة ضرورية للتعامل مع الفقدان، من خلال معرفة السياقات التاريخية السياسية والاجتماعية والنفسية التي أنتجت هذا الفقدان وأفرزته (Kostelny, 2006; Conner, 2005) والتعامل معها كجزء من عملية الدعم من خلال توعية الفاقدات لتجارب ذاتية وجمعية، وتحليل هذه التجارب وفق هذه السياقات. فعلى سبيل المثال، أصبحت النساء في وقت الحرب (حسب الحالة الأوغندية) مسؤولات عن الأسرة وبدأن بتنفيذ أدوار جديدة إضافة للمسؤوليات التقليدية، مثل المحافظة وحماية الأطفال، وتنظيم الغذاء للأسرة، وفي الوقت نفسه اشتركن في فعاليات اجتماعية (Liebling et al., 2007) وفق هذه التجربة فقد تم العمل مع النساء من خلال تبني استراتيجيات تهدف إلى المحافظة على البقاء، وذلك من خلال تكوين مجموعات دعم. تحاول دراسة ليبلنج وآخرون (Liebling et al., 2008) ، إظهار الأدوار المهمة التي تؤديها النساء في أوقات الحرب وما بعدها، وخاصة على مستوى التدخل والاندماج الاجتماعي.

تظهر تجربة ضحايا الحروب في كمبوديا، كمثال ثان، أن التدخل طويل المدى يساعد الفاقدات على الكشف، وعلى توضيح طرق لإدارة الصعوبات النفسية. فمن ناحية

التدخل أُجريت لقاءات دعم فردية وجماعية لجميع ضحايا العنف العسكري. هذه الجلسات استخدمت تقنيات العلاج المعرفي الانفعالي، في حين أن هدفها هو مساعدة الضحايا على فهم مصادر عوارض الفقدان، والتخفيف من حدتها (Hinton, Navarro, & Pointe, 2006) . أما التجربة الأثيوبية، كمثال ثالث، فتتعامل مع ذكريات رمزية من ناحية أن المجتمعات خلال الصراع المسلح تمر بتجارب، وهذه التجارب تصبح ذكريات يعبر عنها بطرق مختلفة مثل القصص. كان اتجاه التدخل هو البدء في تحليل الصدمة الفردية وعلاجها، وبالمقابل تمكين الفاقدات من خلال بناء جديد للهوية القديمة أي تكوين هوية جديدة مستندة إلى الهوية القديمة، وهي قوية بشكل كاف، وتضمن تطوير الحل الذاتي للفقدان والوقاية من أي فقدان قادم (Trapman, 1997) .

أما التجربة الفلسطينية فتتعامل مع الفقدان وفق نهج من فاقدة إلى فاقدة (Espanioli, & Aweidah, 2007) . أي العمل من داخل المبنى العاطفي والنفسي للثقافة، بالإضافة إلى إزالة عنصر القوة والسلطة في العلاج، مما يجعل الدعم النفسي صادقاً وفاعلاً وسريع المفعول. يستند هذا العمل إلى عملية تواصل الفاقدات مع معاناتهن الذاتية وتواصلهن مع الفاقدات الأخريات، ومع أفراد مهمين في بيئتهن. تجربة توفر للفاقدات التعبير عن أصواتهن العاطفية الأمومية الطبيعية، وتود النساء الإفصاح عنها بخصوص الفقدان (أبو بكر وأخريات، ٢٠٠٦) . وبالتالي فقد نُظر للفاقدات ككيان حقيقي قائم بحد ذاته حول طرق مواجهتهن لممارسات الاحتلال (حسنين، ٢٠١١ب؛ Abu- Baker, et al., 2004).

نتائج الدراسة:

إن فترة الفقدان تُعدُّ هدما للتواصل، ليس فقط مع البيئة القريبة والبعيدة، وإنما مع الذات. ومما لا شك فيه أن تواصل الفرد يبدأ من ذاته، يليه تقوية التواصل مع الآخرين، ومن الممكن القول أيضا، وهذه الحقيقة لا تناقض ما قيل سابقا، إن العلاقة بين التواصل مع الذات والتواصل مع الآخر هي جدلية. تُعدُّ عملية توجيه مجموعة من الفقرات، التي تفحص تواصل الفاقدات مع أنفسهن ومع الآخرين خلال فترتين مهمتين في حياتهن (خلال الفقدان وبعد عملية الدعم) ، مقياساً جوهرياً من شأنه معرفة هل بالفعل طرأ تغيير حقيقي نتيجة المشاركة في تجربة الدعم.

أنماط تواصل الفاقدات والداعمات:

تظهر نتائج الدراسة أن حوالي ٦٠٪ من الفاقدات والداعمات أبدين موقفاً متوسطاً تجاه تواصلهن الذاتي والاجتماعي الموجود، في حين أن نسبة عالية منهن (٣٦٪) يحددن

أنماط تواصلهن الحالية بأنها ضعيفة (في حدود ١,٠٠- ٣,٣٣ من مجموع ١٠,٠٠ درجات) قبل خوضهن تجربة الدعم والتدريب. يبدو أيضا أن الفارق بين رؤيتهن الموجودة ورؤيتهن المرغوبة فرق شاسع حيث إن ٩٤٪ من الفاقدات والداعمات أبدين موقفاً متوسطاً تجاه تواصلهن المرغوب (مقارنة بـــ ٦٠٪ أبدين الموقف نفسه تجاه التواصل الموجود) .

الجدول (١)

استجابات الفاقدات والداعمات اتجاه أنماط التواصل الموجود والمرغوب القبلي والبعدي N: 94

أنماط التواصل	الدرجة	قبل الدعم	بعد الدعم
		النسبة	النسبة
الموجود	ضعيفة (١,٠٠- ٣,٣٣)	٣٦,٢	٢١,٣
	متوسطة (٣,٣٤- ٦,٦٧)	٥٩,٦	٧٨,٧
	قوية (٦,٦٨- ١٠,٠٠)	٤,٣	٠,٠
	المجموع	١٠٠,٠	١٠٠,٠
المرغوب	ضعيفة (١,٠٠- ٣,٣٣)	٦,٤	٠,٠
	متوسطة (٣,٣٤- ٦,٦٧)	٩٣,٦	٠,٠
	قوية (٦,٦٨- ١٠,٠٠)	٠,٠	١٠٠,٠
	المجموع	١٠٠,٠	١٠٠,٠

يظهر في الجدول (١) والرسم البياني (١) نتيجة مهمة بشأن التوقعات المرتفعة، ورغبتهن في الحصول على المزيد، وهذا الأمر يعكس عدم رضا الفاقدات عن وضعهن الحالي.

بعد حوالي السنة، طُرحت الأسئلة نفسها والنتيجة كانت مختلفة: ما حصل هو أن الفاقدات عبرن عن مواقف أكثر إيجابية تجاه وضعهن الموجود والمرغوب: ٧٩٪ (مقارنة بـ ٦٠٪ قبل الدعم) حددن أن درجة تواصلهن الحالية هي متوسطة و١٠٠٪ منهن حددن أن موقفهن تجاه تواصلهن المرغوب هي بدرجة قوية (جدول ٢ ورسم بياني ٢) . هل للتجربة التي مررن بها تأثير على هذه التغييرات؟؟ يفترض البحث أن لهذه التجربة الأثر الجوهري على التغيرات في أفكار الفاقدات ومشاعرهن وسلوكهن.

يؤكد الجدول الآتي (٢) هذه النتائج، من ناحية حصول تغييرات ملموسة في متوسط الدرجات التي حصلت عليها الفاقدات والداعمات على ثلاثة مستويات: الدرجة الكلية، والتواصل الذاتي والتواصل مع الآخر. بشكل عام: رؤية مجتمع الدراسة لتواصلهن الموجود هي من ضعيفة إلى متوسطة، في حين أن المتوسط الحسابي للدرجة الكلية لجميع الفقرات

التابعة لمحور التواصل مع الذات هي منخفضة، مقارنة بالمتوسط الحسابي للدرجة الكلية لجميع فقرات محور التواصل مع الآخر. وهذه النتيجة ربما تعكس أن الفقدان كأزمة شخصية أولاً، وجمعية ثانية تؤثر بشكل أقوى وأشد على تواصل الفرد مع ذاته، ثم على تواصله مع الآخرين. وبالموازنة مع هذه النتيجة يبدو أن تجربة الدعم التي مرَّت بها الفاقدات لها أثر على هذا التواصل، وعلى حصول تغيير ايجابي في رؤيتهن لأنفسهن وللآخرين.

هذا على مستوى مواقف الفاقدات والداعمات تجاه التواصل «الموجود»، ولكن بالتطرق لمستوى التواصل «المرغوب» فيظهر التغيير الظاهر والملموس في درجات المتوسط الحسابي بين المواقف البعدية والقبلية للفاقدات.

بالتطرق لكل نمط من الأنماط العشرين (حسب جدول ٢) ، تبرز ثلاثة أنماط من مواقف الفاقدات تجاه الذات: (١) مدى ثقة الفاقدة بذاتها (تغير من متوسط حسابي ٣,٩٥ إلى ٤,٩٢ نتيجة الدعم تجاه الوضع الموجود وتغيير من متوسط الدرجة ٨,٥٢ إلى متوسط الدرجة ٩,٢٦ بعد الدعم تجاه الوضع المرغوب) . (٢) كيفية تصرف الفاقدة حين الغضب حيث يبرز أن الفاقدات لا يعبرن عن غضبهن تجاه الآخرين وإنما الميل الموجود هو توجيه الغضب للذات (تغير من متوسط حسابي ٣,٧٨ إلى متوسط حسابي ٣,٥٠ نتيجة الدعم اتجاه الوضع الموجود وتغيير من متوسط حسابي ٧,٦٦ إلى متوسط ٧,٣٦ بعد الدعم اتجاه الوضع المرغوب) وهذه النتيجة مهمة وبخاصة أن الفاقدات يملن إلى توجيه غضبهن إلى أنفسهن بدلا من توجيهه للآخر، وكما يبدو فالدعم يقوي هذا الميل أي أن الفاقدات والداعمات يفضلن كبت الغضب حتى لو كان مصدر الغضب خارجياً و (٣) مدى الارتياح والطمأنينة، فإن درجة هذا النمط هي الأكثر انخفاضاً وبخاصة تجاه الوضع الموجود قبل الدعم (تغير من متوسط حسابي ٣,١١ إلى متوسط حسابي ٤,١٦ نتيجة الدعم تجاه الوضع الموجود وتغيير من متوسط حسابي ٧,٧٨ إلى متوسط حسابي ٩,٠٢ بعد الدعم تجاه الوضع المرغوب) . ما يبرز هنا هو الفرق الشاسع بين المتوسط الحسابي لدرجات التواصل تجاه الموجود مقارنة بالمتوسط الحسابي لدرجات التواصل تجاه المرغوب قبل الدعم وبعده.

أما على مستوى مواقف الفاقدات تجاه التواصل مع الآخر قبل الدعم وبعده، فتبرز أربعة تغييرات في: (١) مدى تقبل الآخر. (٢) مدى مشاركة الآخر بالمشاعر، وهذا نمط مهم وضروري خاصة للداعمات والفاقدات. (٣) مدى محبة الآخر وهنا يظهر التحسن في قدرة الفاقدات على توجيه المحبة للآخر بعد عمليات الدعم. (٤) مدى الاهتمام بالمشاركة في دعم الآخر.

الجدول (٢)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات أفراد مجتمع الدراسة عن متغيرات أنماط التواصل

اسم المتغير	القبلي N: 94				البعدي N: 94			
	موجود		مرغوب		موجود		مرغوب	
	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
أنماط تواصل ذاتي								
مدى معرفة الذات	٣,٤٦	١,٦٠	٨,٢٨	١,٣٣	٤,٠٩	١,٥٨	٩,٠٢	٠,٨٠
تقويم الذات	٣,٥٧	١,٥٨	٨,١٤	١,٤١	٤,١٤	١,٦٤	٩,٠٣	٠,٩٤
مدى الثقة بالذات	٣,٩٥	١,٧٣	٨,٥٢	١,٣٠	٤,٩٢	١,٧٩	٩,٢٦	٠,٨٥
الارتياح والطمأنينة	٣,١١	١,٣٨	٧,٧٨	١,٢٧	٤,١٦	١,٧١	٩,٠٢	١,٠٩
التوصل لتحصيل ما	٣,٦٩	١,٦٧	٨,٠٠	١,٣٩	٤,٤٠	١,٩٦	٩,٢٢	٠,٨٩
التصرف حين الغضب	٣,٧٨	١,٦٦	٧,٦٦	١,٧٣	٣,٥٠	١,٥٩	٧,٣٦	١,٤٣
انفتاح فكري	٣,٦١	١,٦٦	٨,١٣	١,١٢	٤,٤٠	١,٥٦	٨,٦٨	١,١٢
التخطيط للمستقبل	٣,٧٧	١,٨٠	٨,٥٩	١,١٤	٤,٦٠	١,٩٠	٨,٩٣	١,١٤
الاستقلالية	٣,٦٢	١,٥٢	٨,١٠	١,٥٦	٤,٢٧	١,٧٥	٨,٩٠	١,٠٤
المجموع	٣,٧٤	١,٣١	٨,١٤	١,٣١	٤,٢٧	١,٣٣	٨,٤٣	٠,٨٤
أنماط تواصل مع الآخر								
محبة الآخرين	٤,٠٥	١,٨٣	٨,١٥	١,٤٠	٤,٩٩	٢,١٣	٨,٧٢	٠,٩٩
التعبير عن مودة الآخرين	٣,٨٤	١,٨٠	٨,٢٤	١,٢٢	٥,٠١	٢,١١	٨,٧٣	١,٠٦
مشاركة الآخرين بالمشاعر	٣,٩٧	١,٩٤	٧,٨٥	١,٦٧	٤,٣١	١,٦٨	٨,١٨	١,٤١
مساهمة في المجتمع	٣,٦٠	١,٧٧	٨,٢٩	١,٤٥	٤,٢٦	١,٨٦	٨,٣٤	١,٣٦
علاقة مع مؤسسات	٣,١١	١,٧١٥	٦,٩٧	٢,١٥	٢,٨١	١,٧٤	٧,٢٤	٢,١٢
رد فعل لعنف الآخر	٣,٨١	١,٧٦	٧,٧٨	١,٦٣	٣,٤٠	١,٦٩	٧,٦٩	١,٥٢
القدرة على الإنصات للآخر	٤,٠٣	١,٦٣	٨,٣٤	١,٢١	٤,٧٨	١,٩٨	٨,٨٢	١,١٦
رد فعل لنقد الآخر	٣,٧٩	١,٤٤	٨,٠٩	١,٢٨٣	٤,٢٩	١,٨٣	٨,٤٣	١,٣٦
تقبل المختلف	٤,٤٣	١,٦٦	٨,١٧	١,٠٥	٤,٧٣	٢,٠١	٨,٥٣	١,٢٥
المشاركة في الدعم	٤,٣٠	١,٩٧	٨,٣٦	١,٣٩	٤,٣٧	٢,٠٢	٨,٨٧	١,١٠
المشاركة في جلسة فردية	٣,٧٤	١,٨٨	٧,٣٦	١,٧٤	٤,٧١	٢,٢٨	٧,٧٦	٢,٠٧
المجموع	٣,٩٨	١,٣٧	٨,٠١	٠,٨٥	٤,٢٤	١,٢١	٨,٣٠	٠,٨٤
المجموع الكلي	٣,٨٦	١,٢٩	٨,٠٧	٠,٧٨	٤,٢٦	٠,٨١	٨,٣٤	٠,٦٧

يلخص الجدول الآتي (٣) الفروق بين القياس والقبلي والقياس البعدي، والذي يظهر أن هذه التغييرات جوهرية وذات دلالة إحصائية على مستوى الفروق في المتوسطات الحسابية بين الفحص البعدي والفحص القبلي في مجمل أنماط التواصل «الموجود» (t (93) = 2.442; P=0.012) . تظهر هذه الدلالة الإحصائية الجوهرية في الفروق بين الفحصين أيضا في جميع أنماط التواصل «المرغوب» (t (93) = 4.756; P=0.000) .

الجدول (٣)

ملخص نتائج اختبار «ت» للمقارنة بين مجموعتي الداعمات القبلية والبعدية N: 94

نمط التواصل		القياس	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة t	مستوى الدلالة
عام	الموجود	البعدي	٤,٢٥٥	١,٢٠٨	٢,٤٤٢	٠,٠١٢
		القبلي	٣,٨١٦	١,٢٥٨		
	المرغوب	البعدي	٨,٣٤	٠,٦٦٠	٤,٧٥٦	٠,٠٠٠
		القبلي	٨,٠٧	٠,٧٨٤		
تواصل مع الآخر	الموجود	البعدي	٤,٢٤٠	١,٢٠٨	١,٦٣٠	٠,١٠٧
		القبلي	٣,٩٧٥	١,٣٧٢		
	المرغوب	البعدي	٨,٣٠١	٠,٨٤١	٢,٠٥٠	٠,٠٤٣
		القبلي	٨,٠٠٩	٠,٨٥٤		
تواصل مع الذات	الموجود	البعدي	٤,٣٧٤	١,٣٣١	٣,١٢٠	٠,٠٠٢
		القبلي	٤,٧٣٨	١,٣٠٧		
	المرغوب	البعدي	٨,٤٣٣	٠,٨٣٥	٢,٢٨١	٠,٠٢٥
		القبلي	٨,١٣٩	٠,٨٧٧		

يتضح من الجدول (٣) أن نتيجة واحدة غير جوهرية إحصائيا وهي بشأن الفروق في المتوسطات الحسابية بين القياس البعدي والقياس القبلي في أنماط التواصل مع الآخر في مستوى «الموجود» (t (93) = 1.630; P=0.107) . السؤال المطروح هنا: أي متغيرات من أنماط التواصل مع الآخر هي المؤثرة على هذه النتيجة غير الجوهرية؟ للإجابة على هذا السؤال حُلِّلت الفروق في كل نمط من أنماط التواصل مع الآخر «الموجود» خلال القياسين البعدي والقبلي. تظهر النتائج وجود فروق جوهرية وذات دلالة إحصائية بين المتوسطات الحسابية بين القياس البعدي وبين القبلي في خمسة أنماط تواصل مع الآخر «الموجود» وهذه المتغيرات هي: مدى محبة الآخر (t (93) = 3.450; P=0.001) ؛ مدى التعبير عن مودة الآخرين (t (93) = 4.404; P=0.000) ؛ مدى المساهمة في المجتمع (t (93) = 2.381; P=0.019) ؛ مدى القدرة على الإنصات للآخر (t (93) = 2.896; P=0.005) ؛ ومتغير رد

الفعل لعنف الآخر (t (93) = 2.176; P=0.032) ؛ أما بالنسبة للمتغيرات الستة الأخرى من التواصل مع الآخر (وهي: مدى مشاركة الآخر بالمشاعر؛ ومدى العلاقة مع مؤسسات؛ ومدى تقبل الآخر المختلف؛ ومدى الرغبة للمشاركة في الدعم؛ ومدى رد الفعل لنقد الآخر، ومدى المشاركة في جلسة فردية) ، فالتحليل الإحصائي البعدي والقبلي لا يظهر فروقاً ذات دلالة إحصائية، أي لا تتوافر تغييرات للمتوسطات الحسابية في درجات مواقف الفاقدات في هذه الأنماط من التواصل من خلال المقارنة بين القياس البعدي والقياس القبلي.

من الواضح أن نتائج هذا التحليل تؤكد حصول تغييرات إيجابية لدى الفاقدات والداعمات، وبخاصة على مستوى الوعي للهوية الذاتية. ومن الواضح أيضاً أنه لم تحصل تغييرات جوهرية في القياس البعدي مقارنة بالقبلي. من الممكن طرح بعض من التفسيرات التي توضح عدم وجود هذه التغييرات: (١) جزء من الفاقدات مررن بتجربة دعم سابقة، وعبرن عن رضاهن عن المشاركة في لقاءات الدعم، وهذا ما يفسر عدم وجود أي فارق ملموس في تصورهن تجاه المشاركة في الدعم في الفحص القبلي البعدي (متوسط حسابي ٣,٧٤ قبل الدعم مقارنة مع ٣,٧١- بعد الدعم) . (٢) حصل تراجع في تصور الفاقدات والداعمات لمدى العلاقة مع المؤسسات (من متوسط حسابي ٣,١١ قبل الدعم إلى ٢,٨١ بعد الدعم) ويمكن اعتبار هذه النتيجة منطقية، من ناحية تعبير الفاقدات عن مدى رضاهن «السلبي» عن أداء المؤسسات، وهذا المدى تعمق بعد الدعم بعدما مررن بتجربة الدعم في المشروع التي عززت موقفهن حول «عدم قدرة المؤسسات الأخرى على توفير مثل هذه التجربة لهن».

الفروق في أنماط التواصل:

كما ذكرنا سابقا هنالك مجموعة محددة من المتغيرات المستقلة التي تعبر عن مميزات مجتمع البحث. هذه المتغيرات هي: المنطقة السكنية، ونوع الفاقدة، ونوع الفقدان، والأعمار، والحالة الاجتماعية وسنوات التعليم.

ولمعرفة دلالة الفروق في المتوسطات الحسابية لدرجات مواقف الفاقدات والداعمات في أنماط التواصل التي تعزى لهذه المتغيرات، كل على حدة، اُستخدم تحليل التباين الأحادي الاتجاه (One- Way ANOVA) . يعكس التحليل أن نوع الفقدان، والأعمار، والحالة الاجتماعية وسنوات التعليم لا يوجد لها أي تأثير على المتوسطات الحسابية لدرجات مواقف الفاقدات والداعمات في أنماط التواصل. في حين أن التحليل الإحصائي يظهر وجود الفروق في متغيرين: المنطقة السكنية ونوع الفاقدات. يتطرق البحث إلى الفروق في الجداول الآتية (٤- ٧) . يظهر الجدول (٤) دلالة الفروق في أنماط التواصل تعزى للمنطقة السكنية.

الجدول (٤)

نتائج اختبار تحليل التباين الأحادي لاستجابة أفراد مجتمع الدراسة
على أنماط التواصل لمتغير منطقة السكن (N: 94)

المحور	مصدر التباين	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة «ف» المحسوبة	مستوى الدلالة
الدرجة الكلية/ الموجود القبلي	بين المجموعات	٣٤,٦٠٤	٢	١٧,٣٠٢	١٢,٨٨١	٠,٠٠٠
	داخل المجموعات	١٢٢,٢٣٧	٩١	١,٣٤٣		
	المجموع	٥٧,٢٣٨	٩٣			
الدرجة الكلية/ الموجود البعدي	بين المجموعات	٤٩,١٩٣	٢	٢٤,٥٩٦	٢٥,٨٤٣	٠,٠٠٠
	داخل المجموعات	٨٦,٦١٢	٩١	٠,٩٥٢		
	المجموع	٥٧,٢٣٨	٩٣			
الدرجة الكلية/ المرغوب القبلي	بين المجموعات	٣,٦٨٤	٥	١,٨٤٢	٣,١٣٠	٠,٠٤٨
	داخل المجموعات	٥٣,٥٥٤	٥٥٠	٠,٥٨٩		
	المجموع	٥٧,٢٣٨	٥٥٥			
الدرجة الكلية/ المرغوب البعدي	بين المجموعات	٩,٢٤٦	٢	٤,٦٣٢	١٣,١٤٨	٠,٠٠٠
	داخل المجموعات	٣٢,٠٥٧	٩١	٠,٣٥٢		
	المجموع	٤١,٣٢١	٩٣			
	داخل المجموعات	٥٥,٠٣٥	٩١	٠,٦٠٥		
	المجموع	٦٤,٩٨٦	٩٣			

يظهر هذا التحليل وجود فروق ذات دلالة إحصائية في المتوسطات الحسابية للدرجة الكلية لمحاور أنماط التواصل تعزى للمنطقة السكنية، ماعدا المتوسطات الحسابية للدرجة الكلية لمحور «تواصل مع الذات» على المستوى المرغوب في القياس القبلي. أي أن مواقف الفاقدات والداعمات تجاه أنماط تواصلهن مختلفة في المناطق الثلاث: بيت لحم، ونابلس وجنين. والسؤال المطروح هو: لصالح أي منطقة تكمن الفروق الدالة إحصائيا في المتوسطات الحسابية؟

الجدول (٥)

نتائج اختبار شيفيه للمقارنات البعدية بين المتوسطات الحسابية لمواقف الفاقدات والداعمات
من أنماط التواصل لمتغير مكان السكن (N: 94)

أنماط التواصل والقياس	المناطق		الفرق في المتوسطات	مستوى الدلالة
العام الموجود القبلي	جنين	بيت لحم	١,٤٠٩	٠,٠٠٠
	جنين	نابلس	١,١٠٦	٠,٠٠١
	نابلس	بيت لحم	٠,٣٠٣	٠,٥٩٧

أنماط التواصل والقياس	المناطق		الفرق في المتوسطات	مستوى الدلالة
الموجود البعدي	جنين	بيت لحم	١,٦٣٤	٠,٠٠٠
	جنين	نابلس	١,٣٩٠	٠,٠٠٠
	نابلس	بيت لحم	٠,٢٤٤	٠,٦٢٣
المرغوب القبلي	جنين	بيت لحم	٠,٤٠٥	٠,١٢٧
	جنين	نابلس	٠,٤٢٢	٠,٠٨٧
	نابلس	بيت لحم	٠,٠١٧	٠,٩٩٦
المرغوب البعدي	بيت لحم	جنين	٠,٤٦٣	٠,٠١٢
	نابلس	جنين	٠,٧٤٢	٠,٠٠٠
	نابلس	بيت لحم	٠,٢٧٨	٠,١٩٤

يظهر التحليل الإحصائي حسب اختبار «شيفيه» للمقارنات البعدية أن الفروق الجوهرية في المتوسطات الحسابية لمحور التواصل العام في المستوى «الموجود» القبلي والبعدي هي لصالح منطقة جنين. أي أن هذه النتيجة تعني أن للفاقدات والداعمات من منطقة جنين تصوراً أكثر إيجابية تجاه تواصلهن مع الذات ومع الآخر خلال القياسين البعدي والقبلي على مستوى التواصل «الموجود». يظهر هذا التحليل أيضا أنه على مستوى التواصل «المرغوب» لا نستطيع الكشف عن فروق جوهرية بين منطقة ومنطقة في القياس القبلي، مقارنة مع القياس البعدي: في حين توجد فروق جوهرية بين منطقة بيت لحم وجنين لصالح بيت لحم، وبين منطقة نابلس وجنين لصالح نابلس، وهذه النتائج (أي على مستوى المرغوب البعدي) تختلف عن نتيجة سابقة (الموجود البعدي) ، حيث تبين أن الفروق هناك لصالح منطقة جنين. والنتيجة المهمة في جميع الأحوال هي بشأن التشابه والتجانس في تصور فاقدات وداعمات منطقتي نابلس وبيت لحم تجاه تواصلهن. هذه النتيجة تختلف عن نتيجة سابقة تظهر أن فاقدات منطقة جنين ومنطقة نابلس هن الأكثر معاناة من الفقدان. من الصعب إيجاد التفسيرات المناسبة خاصة حول فاقدات منطقة جنين، فعلى الرغم من أن فقدانهن هو الأشد، فإن موقفهن تجاه تواصلهن العام على المستوى الموجود هو الأكثر إيجابياً. تبدو هذه الإجابة منطقية، وهذا يبين أن لشدة الفقدان تأثيراً إيجابياً، وخاصة على مستوى إدراك الفاقدات لتواصلهن الحالي مع الذات ومع الآخرين.

كما ذكرنا سابقاً، فان التحليل الإحصائي يظهر وجود الفروق في المتوسطات الحسابية لدرجات مواقف تجاه التواصل تعزى لمتغير «نوع الفاقدات». يتطرق المشروع لثلاثة أنواع من الفاقدات اشتركن في فعالياته: الفاقدات الجدد، والفاقدات الداعمات الجدد، والفاقدات الداعمات القدامى. والسؤال الذي نطرحه هنا: هل لكل نوع من الفاقدات أنماط تواصل مختلفة موجودة ومرغوبة قبل الدعم وبعده؟ الإجابة عن هذا السؤال تبدو في الجدول (٦) .

الجدول (٦)

نتائج اختبار تحليل التباين الأحادي لاستجابة أفراد مجتمع الدراسة

على أنماط التواصل لمتغير نوع الفاقدة (N: 94)

المحور	مصدر التباين	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة «ف» المحسوبة	مستوى الدلالة
الدرجة الكلية/ الموجود القبلي	بين المجموعات	٢٠,٠٨٨	٢	١٠,٠٤٤	٦,٦٨٤	٠,٠٠٢
	داخل المجموعات	١٣٦,٧٥٢	٩١	١,٥٠٣		
	المجموع	١٥٦,٨٤١	٩٣			
الدرجة الكلية/ الموجود البعدي	بين المجموعات	١٥,٠٢٥	٢	٧,٥١٣	٥,٦٦٠	٠,٠٠٥
	داخل المجموعات	١٢٠,٧٧٩	٩١	١,٣٢٧		
	المجموع	١٣٥,٨٠٤	٩٣			
الدرجة الكلية/ المرغوب القبلي	بين المجموعات	١,٢٣٣	٥	٠,٦١٦	١,٠٠١	٠,٣٧١
	داخل المجموعات	٥٦,٠٠٥	٥٥٠	٠,٦١٥		
	المجموع	٥٧,٢٣٨	٥٥٥			
الدرجة الكلية/ المرغوب البعدي	بين المجموعات	٠,٢٢٦	٢	٠,١١٣	٠,٢٥٠	٠,٧٨٠
	داخل المجموعات	٤١,٠٩٥	٩١	٠,٤٥٢		
	المجموع	٤١,٣٢١	٩٣			

النتيجة المهمة بشأن توافر تشابه في تصور جميع الفاقدات في أنماط التواصل المرغوبة في القياسين البعدي (المتوسط الحسابي للدرجة الكلية هي: ٨,٣٤) والقبلي (المتوسط الحسابي للدرجة الكلية هي: ٨,٠٧) ؛ في أنماط التواصل الذاتي المرغوب والقبلي (المتوسط الحسابي للدرجة الكلية هي: ٨,١٤) ، وفي أنماط التواصل مع الآخر المرغوب والبعدي (المتوسط الحسابي للدرجة الكلية هي: ٨,٣٠) . وهذه النتائج تعكس أن لجميع الفاقدات طموحات إيجابية وتصورات قوية لما يردن ويرغبن الحصول عليه مستقبلاً.

أما على مستوى التصورات التي تعكس تواصل الفاقدات الآتية: فتتوافر فروق جوهرية نسبة إلى مجموعات الفاقدات الثلاث. أين تكمن هذه الفروق؟ للإجابة على هذا التساؤل، اُستخدم اختبار «شيفيه» للمقارنات البعدية ونتائجه تظهر في الجدول (٧) .

الجدول (٧)

نتائج اختبار شيفيه للمقارنات البعدية بين المتوسطات الحسابية لمواقف الفاقدات من أنماط التواصل لمتغير نوع الفاقدة (N: 94)

المتغيرات			الفرق في المتوسطات	مستوى الدلالة
الموجود القبلي	داعمة قديمة	فاقدة جديدة	١,١٦٦	٠,٠١٢
	داعمة قديمة	داعمة جديدة	١,٧٦٣	٠,٠٠٣
	فاقدة جديدة	داعمة جديدة	٠,٥٩٦	٠,٣٠٢
الموجود البعدي	داعمة جديدة	فاقدة جديدة	٠,٩٦١	٠,٠٣٢
	داعمة قديمة	فاقدة جديدة	٠,٨٧٠	٠,٠٥٠
	داعمة جديدة	داعمة قديمة	٠,٠٩٢	٠,٩٨١
المرغوب القبلي	داعمة قديمة	داعمة جديدة	٠,٤٤١	٠,٣٩٠
	داعمة قديمة	فاقدة جديدة	٠,٢٧٩	٠,٥٢٣
	فاقدة جديدة	داعمة جديدة	٠,١٦١	٠,٨٠٥
المرغوب البعدي	داعمة قديمة	فاقدة جديدة	٠,٠٦٩	٠,٩٤٧
	داعمة جديدة	فاقدة جديدة	٠,١٤٠٠	٠,٨٠١
	داعمة جديدة	داعمة قديمة	٠,٠٧٠	٠,٩٦٧

تشير المقارنات الثنائية البعدية وفق اختبار شيفيه والواردة في الجدول (٧) أن هنالك فروقاً ذات دلالة إحصائية في تصورات الفاقدات من التواصل الموجود والقبلي بين أربع مجموعات من الفاقدات، وهي: الداعمات القدامى والفاقدات الجدد لصالح الداعمات القدامى، وبين الداعمات القدامى والداعمات الجدد، ولصالح الداعمات القدامى. ولكن لا توجد فروق جوهرية في المتوسط الحسابي لدرجة التواصل الموجود والقبلي بين الفاقدات الجدد والداعمات الجدد. ولكن بالتطرق للمواقف تجاه التواصل الموجود والبعدي، فالفروق الجوهرية في المتوسطات الحسابية جوهرية بين أربع مجموعات: الداعمات القدامى والفاقدات الجدد لصالح الداعمات القدامى وبين الداعمات الجدد والفاقدات الجدد لصالح الداعمات الجدد. وهذه النتائج منطقية ومتوقعة، حيث إن للداعمات القدامى تجربة سابقة في المرحلة الأولى والثانية من المشروع، وللداعمات الجدد تجربة في المرحلة الثانية، ولهذه التجارب تأثير ايجابي على مواقفهن تجاه أنماط تواصلهن على مستوى التواصل مع الذات ومع الآخر. أي أن للداعمات القدامى مواقف أكثر إيجابية تجاه تواصلهن الذاتي، وتواصلهن مع الآخر، مقارنة بالداعمات الجدد والفاقدات الجدد.

الدعم المعنوي والاجتماعي من وجهة نظر الفاقدات:

◄ السؤال الأول: **هل صحيح أن التضامن والمساعدة تخفف على الناس همومها ومصائبها؟**

الجدول (٨)

تأثير التضامن

القياس N: 94	موافقة جدا	موافقة	الى حد ما	غير موافقة	غير موافقة أبدا
	النسبة	النسبة	النسبة	النسبة	النسبة
قبل الدعم	٥١,٤	٣٤,٣	١١,٤	١,٤	١,٤
بعد الدعم	٦٤,٣	٢٤,٣	١٠,٠	٠,٠	١,٤

القبلي	M.D.= 1.671	S.D.= 0.846	t=1.21	p= 0.091 أي: p> 0.05
البعدي	M.D.= 1.500	S.D.= 0.794		

تظهر بيانات هذا الجدول أن أغلبية الفاقدات والداعمات توافقن على أن الدعم يساعد الناس على التخفيف من الشعور بالضائقة، في حين أن الفروق بين القياسين غير جوهرية إحصائياً، الأمر الذي يعني أنهن يؤمن بأهمية الدعم قبل خوضهن هذه التجربة.

◄ السؤال الثاني: **هل تشعرين أنك مررت بظروف أدت إلى طلب المساعدة؟**

الجدول (٩)

ظروف بحاجة للمساعدة

القياس N: 94	كثير مرات	أحيانا	ولا مرة
	النسبة	النسبة	النسبة
قبل الدعم	٧٧,١	٢١,٤	١,٤
بعد الدعم	٩١,٤	٨,٦	٠,٠

القبلي	M.D.= 1.242	S.D.= 0.462	t= 2.628	P= 0.017 أي: p< 0.05
البعدي	M.D.= 1.085	S.D.= 0.281		

من الواضح حسب هذا الجدول أن أغلبية الفاقدات والداعمات يؤمن أنهن بحاجة إلى مساعدة نتيجة الفقدان، في حين أن عملية الدعم ساعدت في رفع وعيهن لهذا الموقف، وبخاصة أن المقارنة البعدية القبلية تظهر تغييرات جوهرية في الموقف.

◄ السؤال الثالث: **هل تشعرين شخصيا أن هناك من يمكن أن يساندك ويساعدك في محنتك وصعوباتك؟**

الجدول (١٠)

المساندة والدعم الخارجي

القياس	نعم	أحيانا	لا
N: 94	النسبة	النسبة	النسبة
قبل الدعم	٦٢,٩	٢٠,٠	١٧,١
بعد الدعم	٧٠,٠	٢١,٤	٨,٦

القبلي	M.D.= 1.542	S.D.= 0.774	t= 1.332	P= 0.187
البعدي	M.D.= 1.385	S.D.= 0.643		أي: p> 0.05

وفق هذا الجدول لا تتوافر فروق دالة إحصائياً في موقف الفاقدات والداعمات حول شعورها بوجود مصادر دعم خارجية تستطيع مساعدتها خلال الفقدان بين القياسين البعدي والقبلي. ولكن من الواضح أن غالبيتهن يشعرن بأهمية المساندة الخارجية.

◄ السؤال الرابع: **كيف ممكن تقييم هذا الدعم؟**

الجدول (١١)

تقييم الدعم

القياس N: 94	تساعد كثيرا	تساعد	تساعد بعض الشيء	لا تساعد	لا تساعد بالمرة
	النسبة	النسبة	النسبة	النسبة	النسبة
قبل الدعم	٣٧,١	٣٢,٩	٢٥,٧	٢,٩	١,٤
بعد الدعم	٤٠,٠	٤٥,٧	١٤,٣	٠,٠٠	٠,٠

القبلي	M.D.=1.985	S.D.= 0.940	t= 1.715	P= 0.091
البعدي	M.D.=1.742	S.D.= 0.695		أي: p> 0.05

يوضح الجدول (١١) أن حوالي ٨٦٪ من الفاقدات والداعمات يقررن بفائدة المساعدة بعد تلقيهن الدعم مقارنة بـ ٧٠٪ منهن (قبل الدعم)، في حين لا توجد فروق دالة إحصائياً بين المتوسطات الحسابية في القياس البعدي مقارنة بالمتوسطات الحسابية في القياس القبلي.

◄ السؤال الخامس: **ما هي مصادر هذا الدعم؟**

الجدول (١٢)

مصادر الدعم

القياس	عائلية	اجتماعية	مؤسساتية
N: 94	النسبة	النسبة	النسبة
قبل الدعم	٥٢,٩	٢١,٤	٢٥,٧
بعد الدعم	٢٧,١	٢١,٤	٥١,٤

البعدي	M.D.=2.257	S.D.=0.879	t=4.114	P=0.000
القبلي	M.D.=1.742	S.D.=0.879		أي: $p< 0.05$

إن للتجربة التي مرت بها الفاقدات والداعمات تأثيراً على مواقفهن بشأن مصادر الدعم، أي أن حوالي ٢٦٪ منهن اعتقد قبل الدعم أن المؤسسات هي مصدر المساعدة، ولكن النسبة ارتفعت إلى ٥١٪ بعد الدعم وهذه التغييرات تعدُّ جوهرية إحصائياً، وهذه النتيجة تعزز أهمية الدعم الذي يوفره المشروع.

مواقف الفاقدات تجاه التكيف مع الفقدان:

فُحصت الكيفية التي تتعامل بها الفاقدات الجدد مع الفقدان، كما فُحصت قدرتهن على التأقلم. وقيست مواقفهن في ثلاث مراحل حرجة: قبل الفقدان، وقبل الدعم وبعد الدعم. والجدول (١٣) يظهر توزيع الفاقدات حسب مواقفهن تجاه جميع فقرات الفقدان والدعم.

الجدول (١٣)

توزيع الفاقدات حسب الدرجة الكلية لمواقفهن تجاه الاضطرابات (N: 94)

القياس	دائما	غالبا	أحيانا	نادرا	مطلقا
	النسبة	النسبة	النسبة	النسبة	النسبة
قبل الفقدان	٠,٠	٠,٠	١٢,٩	٤٨,٦	٣٨,٦
قبل الدعم	٠,٠	٢,٩	٦٧,١	٢٧,١	٢,٩
بعد الدعم	٠,٠	١,٤	١٨,٦	٤٧,٣	٥,٧

تظهر هذه النتائج أن حوالي ٩٢٪ من الفاقدات الجدد عبرن عن ندرة أو عدم معاناتهن من أي اضطرابات قبل الفقدان التي فُحصت، أي أن ٨٪ منهن عانين من الاضطرابات قبل الفقدان. في حين إن ٦٦٪ منهن عبرن عن ندرة أو عدم معاناتهن من أي اضطرابات بعد الدعم. أما بالنسبة لفترة قبل الدعم (أو بالأحرى خلال الفقدان) فقد عبَّرت ٣٠٪ عن ندرة

أو عدم وجود أي اضطرابات لديهن. أي أن ٧٠٪ منهن عانين من اضطرابات بعد الصدمة على جميع متغيراته خلال فترة الفقدان. هل هذه الفروق هي جوهرية إحصائياً؟ نرى ذلك في الجدول الآتي (١٤).

الجدول (١٤)

ملخص نتائج اختبار «ت» للمقارنة بين مجموعتي الفاقدات القبلية والبعدية لمتغيرات التعامل مع الفقدان والدعم (N: 70)

التعامل مع الفقدان	القياس	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة t	مستوى الدلالة
ملخص	قبل الفقدان	٤,٢٥٧	٠,٦٧٤	٥,٢٧٨	٠,٠٠٠
	بعد الدعم	٣,٨٤٢	٠,٥٢٨		
	بعد الدعم	٣,٣٠٠	٠,٥٧٤	٦,٤٦٢	٠,٠٠٠
	قبل الدعم	٣,٨٤٢	٠,٥٢٨		

يظهر في هذا الجدول أنه حصلت تغييرات جوهرية في مواقف الفاقدات الجدد تجاه اضطرابات الفقدان وتجربة الدعم. في حين إن المتوسط الحسابي للدرجة الكلية لمتغيرات الفقدان كانت ٤,٢٨ قبل الفقدان (أي، نادراً) و ٣,٣٠ خلال الفقدان (أي، أحياناً) لتصبح ٣,٨٤ بعد الدعم (أي، نادراً). تؤكد هذه النتائج أن لعملية الدعم تأثيراً إيجابياً على مواقف الفاقدات تجاه التعامل مع اضطرابات الفقدان.

وقد فحص كل نوع اضطراب على حدة، لنرى هل حصلت تغييرات في مواقف الفاقدة نتيجة الدعم أو لا؟ بالتطرق لاضطرابات النوم على سبيل المثال، تظهر النتائج وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين موقف الفاقدات في فترة الفقدان، وبين موقفهن في فترة ما بعد الدعم (t (69) =3.59; p=0.000) في حين إن موقف الفاقدات لوضعهن قبل الفقدان مشابه لموقفهن بعد الدعم. (t (69) =0.58; p=0.554) هنالك عشرة متغيرات أخرى متشابهة في النتائج وهي: فقدان الشهية، والعزلة، والخوف من الوحدة، وكوابيس وأحلام مزعجة، وسماع أصوات في الرأس، والبكاء الشديد، وضرب وصراخ على أفراد في الأسرة، وعدم الخروج من البيت، واستخدام مسكنات والقرار بشأن مولود جديد. تعني هذه النتائج أن لعملية الدعم تأثيراً في التخفيف من حدة هذه السلوكيات المصاحبة للفقدان، وهذه النتائج تنعكس بشكل جوهري، إحصائياً، من خلال المقارنة بين الفترات الثلاث.

المجموعة الثانية من المتغيرات تتطرق لمتغيرات الفقدان التي تختلف في درجة متوسطها الحسابي خلال المقارنة بين الفترات الثلاث. فعلى سبيل المثال، بالتطرق لمتغير

الشكوى من أمراض جسمانية تتوافر فروق دالة إحصائيا بين موقف الفاقدات في فترة ما بعد الدعم، وبين موقفهن في فترة ما قبل الفقدان ($t(69) = 3.34; p=0.001$) وإن موقف الفاقدات لوضعهن بعد الدعم مختلف أيضاً عن موقفهن قبل الدعم.($t(69) = 4.38; p=0.000$) كذلك الأمر بالنسبة لعشرة متغيرات أخرى هي: التشتت وعدم التركيز، والرعب المستمر، والخوف من الليل، والخوف من الاجتياح، والخوف من الدبابات والطيارات، والزيارات المتكررة للطبيب، وعلاقات جنسية مع الزوج، وعدم زيارة الأهل والجيران، وعدم لباس الملابس التي تريدها وعدم صنع كعك العيد. هذه النتائج تؤكد أثر الدعم على التخفيف من اضطرابات الفقدان، وأن وضع الفاقدات قبل الفقدان كان في درجة «نادراً» تجاه الاضطرابات، وكان «غالباً» قبل الدعم وأصبح «أحياناً» بعد الدعم.

من الواضح حسب هذه المعطيات أن جزءاً من الاضطرابات موجود لدى الفاقدات قبل الفقدان، وهذا مؤشر لتأثير الفقدان الجمعي الذي تعاني منه جميع شرائح المجتمع الفلسطيني نتيجة لممارسات الاحتلال. فعلى سبيل المثال، موقف الفاقدات في الفقرة «الخوف من الاجتياح» كان متشابهاً إلى حد ما في ثلاث فترات: فقبل الفقدان كان المتوسط الحسابي ٢,٦٤ (أحياناً) وكان المتوسط الحسابي خلال الفقدان ٢,١١ (غالباً) ويصبح ٣,٥٣ (نادراً) ما بعد الدعم. لكن النقطة المهمة هنا هي أن عملية دعم الفاقدات خففت من شعورهن بالخوف من الاجتياح، على سبيل المثال.

مناقشة وتوصيات ـ أثر تجربة الدعم:

إن المرأة الفلسطينية تواجه، بل تقاوم الاحتلال من خلال صمودها ووعيها رغماً عن الأسى والحزن، وتواجه أيضا وبالتزامن نفسه مسألة المحافظة على مكانتها في ظل النظام الأبوي، وفي الوقت نفسه هي فاقدة وفرضت عليها أدوار جديدة. هذه المواجهة الثلاثية الأوجه تخلق كائناً قوياً ومستعداً لخوض أي تجربة جديدة.

إن معاناة النساء في ظل الاحتلال لا تقل عن معاناة أي فئة سكانية أخرى وخاصة الرجال. فكثير من الدراسات الميدانية تُظهر أن المرأة هي الأكثر تضرراً من الاحتلال العسكري ومن تأثيراته وتبعاته السياسية، والعسكرية، والاقتصادية والاجتماعية. وبالرغم من ذلك، يتم تجاهل معاناتها، بل في أحيان يتم إسكات صوتها، فتتزايد معاناة النساء في فترات الاحتلال العسكري والحروب نتيجة الأدوار والمسؤوليات الإضافية الملقاة على عاتقهن كونهن زوجات وأمهات وفاقدات.

لقد تم، ضمن تجربة نساء فاقدات، وصف أوضاعهن وتحليلها: ما قبل الفقدان، وخلال الفقدان، وخلال الدعم وبعد الدعم، كما تتصورها الفاقدات والداعمات أنفسهن.

يظهر التحليل الإحصائي أن لنوع الفقدان، وعمر الفاقدات، وحالتهن الاجتماعية ولسنوات التعليم لا يوجد أي تأثير على أنماط التواصل خلال القياس القبلي والبعدي. في حين أن التحليل يظهر وجود الفروق في متغيرين: المنطقة السكنية ونوع الفاقدات.

يظهر التحليل الإحصائي أيضاً حصول تغييرات جوهرية في مواقف الفاقدات تجاه اضطرابات الفقدان وتجربة الدعم، ويؤكد أن لعملية الدعم تأثيراً على التعامل مع اضطرابات الفقدان. إن جزءا من هذه الاضطرابات موجود لدى الفاقدات قبل الفقدان، وهذا مؤشر لتأثير الفقدان الجمعي الذي تعاني منه شرائح عديدة في المجتمع الفلسطيني نتيجة لممارسات الاحتلال.

دراسات كثيرة ومتعددة تركز على تجارب النساء خلال الاحتلال والحروب وخاصة في لبنان والكويت والعراق وفلسطين (حب الله، ١٩٩٦؛ صالح، ٢٠٠٦؛ رضوان، ٢٠٠٦؛ جار الله، ٢٠٠٦؛ النابلسي، ٢٠٠٦) ، ودراسات أخرى تبرز تجارب لمشاريع عديدة أجريت في مناطق صراع عسكري (Ahern, 2004; Kawachi and Berkman, 2001) . وتُظهر نتائج هذه الدراسات أن أكثر المجموعات أو الفئات المتأثرة هن النساء اللواتي لا يتوافر لهن دعم اجتماعي كاف للتعامل مع الفقدان. دراسات شبيهة تظهر أهمية الدعم الاجتماعي في مواجهة الاضطرابات ما بعد الفقدان، وتؤكد أهمية هذا الدعم خاصة في وسط فئات النساء مقارنة بفئات الرجال، وذلك لأن النساء هن الأكثر عرضة لهذه الاضطرابات، وهذا يعني أن الرجال بحاجة للدعم، ولكن ربما بشكل مختلف (Dybdahl, 2000; Stein, 2000) .

تختلف هذه التجارب عن التجارب التي تمر بها المرأة الفلسطينية؛ لأن الاحتلال مستمر، وهذا التهديد مزمن. فالتجربة الفلسطينية فريدة من نوعها كونها تحصل في سياق احتلال يسيطر على الإنسان والأرض. فمع حصول الفقدان تتصاعد حدة الاضطرابات فتصبح المرأة الفلسطينية تعاني من توترات وقلق، ليس فقط بسبب الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي تعيشها كل أسرة فلسطينية، وإنما لأن زوجها أو ابنها مطارد أو معتقل أو مصاب أو شهيد، أو بسبب هدم بيتها أو بسبب الفقدان المتعدد. وما نتوصل إليه من خلال الدراسة أن المرأة الفلسطينية هي الفئة الأكثر تضررا نتيجة الفقدان، فزيادة على الخوف والحزن الذي ينتابها، اضطرت إلى تعزيز واجباتها الأسرية (نتيجة فقدان الزوج خاصة) في أحيان عديدة، إضافة إلى التأقلم مع ظروف جديدة فرضت عليها. لكن النتيجة الإيجابية هي أن النساء، وهنَّ ضحايا الحرب، استطعن التعبير عن قدرتهن على التكيف مع هذه الظروف الجديدة والتفاعل معها، وهذا التكيف نابع من توافر العوامل الاجتماعية التي تتمحور حول ميزة التماسك الأسري والروابط الاجتماعية والإيمان بالله وخاصة في أوقات الصدمات (أبو دقة، ٢٠٠٩؛ عبد الهادي، ٢٠٠٧؛ تعامرة وحسنين، ٢٠١٠) .

وانطلاقا من اتجاه التدخل الشمولي تظهر نتائج الدراسة الحالية صعوبة التعامل مع الفقدان الجمعي إلا بانتهاج تدخل يأخذ بالحسبان جميع الأطراف: الأفراد والجماعات والمؤسسات، والأهم هو أن هذا النهج يضمن العمل سوية مع النساء الفاقدات والفاقدات الداعمات، بالإضافة إلى العمل مع أطراف مجتمعية. هذا التوجه يتطرق أيضا إلى توعية الأطراف المجتمعية المختلفة حول تأثير السياقات العسكرية، والسياسية، والتاريخية، والاجتماعية والنفسية التي أفرزت هذا الفقدان (Kostelny, 2006; Conner, 2005) والتعامل معها كجزء من عملية الدعم، ومن خلال توعية الفاقدات لتجارب ذاتية، وتحليل هذه التجارب من منطلق هذه السياقات.

إن عملية فحص نتائج التجربة ضرورية من ناحية دعمها الذاكرة الجمعية و«صراع الذاكرة والهوية» (حسنين، ٢٠١١أ؛ كيفوركيان، ٢٠٠٧) حول الفقدان. من أهم نتائج الدراسة هي أن عملية فحص واقع النساء الفاقدات تعطي الفرصة في مشاركة هذه التجارب مع العالم الخارجي. إن مواقف الفاقدات، كما وردت وخلال فترات حياتية مختلفة، (خاصة خلال الفقدان وخلال الدعم وبعده) ، تعكس إدراك الفاقدات الخاص لمصادر الفقدان ألا وهو الاحتلال، وتعكس قوة النساء على تحدي ذلك من خلال الإصرار على التغيير وبناء مكانة ثقافية جديدة. بالتالي ففهم هذه التغييرات في مواقف الفاقدات مهمة لعلماء الاجتماع، للباحثين وللأخصائيين النفسيين والعاملين في المجالات النفسية والاجتماعية، وهي ضرورية لصانعي القرارات والسياسات الاجتماعية، بهدف ضمان استمرارية التعامل مع هذه التجارب، وتطوير التدخل الاجتماعي الشمولي في مجال الفقدان.

يبدو، من خلال الاستناد إلى نتائج الدراسة، أن تجربة الدعم الحالية أسهمت بشكل واضح في إحداث تحولات لدى الفاقدات، تتجه جميعها نحو الأهداف المنشودة، وهي التخفيف من حدة اضطرابات الفقدان، وإحداث تغييرات فكرية وعاطفية لديها، وبالتالي سلوكية من خلال التعامل مع ذاتها، ومع أفراد أسرتها، ومع أفراد في بيئتها، فالفاقدات رغم الحزن والأسى لم يستسلمن، بل نجحن في إعادة توازنهن وتوازن أسرهن خلال الدعم وبعده. فالفاقدات اليوم، يظهرن القوة والجرأة والتحدي، ويظهرن أن لديهن هوية وذاكرة جمعية قوية.

فالتطور الحاصل لدى الفاقدات هو أقوى من أي تغيير حصل لديهن قبل التجربة. هذه المرحلة من الدعم وفرت للفاقدات والداعمات تجربة جديدة. إن التحليل الإحصائي

يؤكد حصول تغييرات إيجابية لدى الفاقدات والداعمات، وبخاصة على مستوى الوعي لمركبات التواصل الذاتي. ولكن في بعض أنماط التواصل، وخاصة التواصل مع المؤسسات حصل تراجع في تصور الفاقدات والداعمات لمدى العلاقة مع المؤسسات، ويمكن اعتبار هذه النتيجة منطقية، من ناحية مدى تعبير الفاقدات عن مدى رضاهن «السلبي» عن أداء المؤسسات، وهذا المدى تعمق بعد الدعم بعدما مررن بتجربة الدعم التي عززت مواقفهن حول عدم قدرة المؤسسات الأخرى على توفير مثل هذه التجربة لهن.

بالتالي تتوصل الدراسة لمجموعة من التوصيات من أهمها:

١. نظراً للقضايا المرتبطة بمكانة المرأة في المجتمع الفلسطيني، لا تستطيع المرأة تمكين نفسها لوحدها، وإحداث تغييرات لديها. وبالتالي فالمنشود هو إقامة شبكة دعم نسائية في مجال الفقدان.

٢. الفهم الثقافي ضروري لتطوير أي برنامج تدخل للمرأة والفقدان الناجم عن وجود الاحتلال، وبالتالي من الأهمية أن تراعي هذه البرامج الحساسيات الثقافية والاجتماعية وعلاقات النوع الاجتماعي.

٣. إن دمج المرأة في عملية صنع القرار مهمة شاقة نظراً للقيود الثقافية والسياسية والعملية. ومع ذلك، يمكن تطوير مجتمعات محلية أو منظمات شعبية لها قدرة التأثير على هيئات صنع القرار، كالمشرعين والحقوقيين والناشطين الاجتماعيين والنواب السياسيين، في مجال تطوير برامج مناسبة لضحايا الفقدان.

٤. من الضرورة أن يساعد الدعم على تقوية المساعي لكسب العيش من خلال توفير فرص عمل جديدة وتطويرها للفاقدات.

٥. إن مدى الوعي لتأثير الاحتلال على المرأة قد ارتقى خلال السنوات الماضية، وما زال هناك كثيرٌ مما ينبغي معرفته حول المسائل المعقدة التي تحيط بالفقدان والدعم. إن من أهداف البرامج، هي تحسين حياة المرأة الفاقدة من خلال اتباع نهج متداخل ومتكامل يركز على التواصل الذاتي، والتواصل مع الآخرين خلال فترة الفقدان.

المصادر والمراجع:

أولاً- المراجع العربية:

١. أبودقة، س. (٢٠٠٩) . الآثار النفسية الاجتماعية التي خلفتها الحرب على المرأة بغزة وخطة مقترحة للتدخل. غزة: كلية التربية، الجامعة الإسلامية.

٢. ابو بكر، خ.، كيفوركيان، ش. عويضة، س. وضبيط، غ. (٢٠٠٦) . النساء والنزاع المسلح والفقدان. مجلة شبكة العلوم النفسية العربية، العدد ١٠ و١١: ١٧٩- ١٨٢.

٣. تعامرة، م. وحسنين، س. (٢٠١٠) . فردنية زوجات شهداء انتفاضة الأقصى في منطقة بيت لحم. القدس: برنامج العمل الاجتماعي، الدراسات العليا، جامعة القدس (غير منشورة) .

٤. جار الله، س. (٢٠٠٦) . الصدمة النفسية الناجمة عن انتفاضة الأقصى. مجلة شبكة العلوم النفسية العربية، العدد ١٢: ٢٣٨- ٢٤١.

٥. حب الله، ع. (١٩٩٦) . جرثومة العنف: الحرب الأهلية في صميم كل منا. بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر.

٦. حسنين، س. (٢٠١١أ) . فاقدات منسيات وذاكرة شعب. متوفر في الموقع:

http:// www.pls48.net/ default.asp?CatID=13&ID=75217

٧. حسنين، س. (٢٠١١ب) . تجربة الفقدان، الذاكرة المنسية وتغيير «الطابو» الاجتماعي: ما بين الحيز الخاص والحيز العام. متوفر في الموقع:

www.arabs48.com/ ?mod=articles&ID=84535

٨. رضوان، ج. (٢٠٠٦) . الاثار النفسية للخبرات الصادمة. مجلة شبكة العلوم النفسية العربية، العدد ١٢: ١٤- ١٩.

٩. الشيمي، د. (٢٠٠٦) . المساندة النفسية لمتضرري الحروب والكوارث. مجلة شبكة العلوم النفسية العربية، العدد ١٢: ٩٩- ١١٣.

١٠. صالح، ح. (٢٠٠٦) . اضطرابات ما بعد الضغوط الصدمية. مجلة شبكة العلوم النفسية العربية، العدد ١٢: ٩- ١٤.

١١. عبد الهادي، ف. (٢٠٠٧) . لو املك الخيار. رام الله: مركز للإرشاد القانوني والاجتماعي.

١٢. عواد، ن. (٢٠٠٦) . قصة الأمهات الـ ١٢ اللاتي قتل أبناؤهنّ بالرصاص في أكتوبر ٢٠٠٠. رسالة ما جاستير غير منشورة. قسم الدراسات متعددة المجالات، وحدة الدراسات الجندرية- جامعة بار ايلان.

١٣. المركز العربي للدراسات المستقبلية (٢٠٠٢) . ملامح الصدمة النفسية الفلسطينية عبر عقود من العدوان: سيكولوجية الانتفاضة وخصوصية الضغوط الممارسة عليها. متوفر في الموقع: http:// www.mostakbaliat.com/ trauma.html

١٤. النابلسي، م. (٢٠٠٦) . العناية بضحايا العنف الجمعي. مجلة شبكة العلوم النفسية العربية، العدد ١٢: ١٢٥- ١٣٢.

١٥. كيفوركيان، ن. (٢٠٠٧) . سياسات إسرائيل لهدم البيوت الفلسطينيّة وصراع الذاكرة، الأرض، الهُويّة: منظور نسويّ. حيفا: برنامج الدراسات النسوية في مدى الكرمل. متوفر في الموقع: www.arabs48.com/ ?mod=articles&ID=44311

ثانياً- المراجع الأجنبية:

1. *Abu- Baker, Kh., Kevorkian, N., Aweidah, S. & Dait, E. (2004) . Women, armed conflict and loss- the mental health of Palestinian women in the occupied territories. East Jerusalem: Women Studies Centre.*
2. *Ahern, J. et al., (2004) . Gender, social support, and Posttraumatic stress in Postwar Kosovo. The Journal of Nervous and Mental Disease. Vol. 192 (11) : 762- 770.*
3. *Bajraktarevic- Hayward, J. (2008) .Community level interventions in working with torture and trauma survivors- nexus between theory and practice. From the web site: http:// www.psychevisual.com/ lecture.html?lecture=39*
4. *Conner, M. (2005) . Coping and surviving violent and traumatic events. Available at: http:// www.crisiscounseling.org/ TraumaLoss/ CopingWithTrauma.htm*
5. *Drumm, R., Perry, S. & Pittman, S. (2001) . Women of war: Emotional needs of ethnic Albanian in refugees camps. AFFILIA, Vol. 16 (4) : 467- 487.*

6. *Dybdahl, R. (2000) . Children and mothers in war: An outcome stress of a psychosocial intervention program. Child Dev. 72: 1214- 1230.*
7. *Dyer, K., (2005) . Living Through and Surviving Traumatic Events. Available at: http:// www.medicalwellnessassociation.com/ articles/ traumatic_events.htm*
8. *Espanioli, H, & Aweidah, S. (2007) . Women, armed conflict and loss- the experience of bereaved women in mutual psychological support. Women Studies Centre. East Jerusalem: Al- Manar Modern Press.*
9. *Gupta, R. (2008) . The need for a holistic approach to social intervention. Available at: http:// t8web.lanl.gov/ people/ rajan/ AIDS- india/ MYWORK/ designing.html*
10. *Hinton, A., Navarro, N. & Pointe, T. (2006) . Truth, trauma and the victims of torture project: Helping the victims of the Khmer Rouge. Cambodia: Transcultural Psychological Organization.*
11. *International Development Research Center (2008) . Community Approaches to Coping with the Traumas of Violent Conflict. Available at: http:// www.idrc.ca/ en/ ev- 122220- 201- 1- DO_TOPIC*
12. *Kawachi, I. and Berkman, Lf. (2001) . Social ties and mental health. Journal of Urban Health, 78: 458- 467.*
13. *Kostelny, K. (2006) . A culture- based, integrative approach. In: Boothby N, Strang A, Wessells M. , editor. A world turned upside down- social ecological approaches to children in war zones. CT, USA: Kumarian Press. pp. 19–37.*
14. *Liabre, M. & Hadi, F. (1997) . Social support and psychological distress in Kuwaiti boys and girls exposed to Gulf Crisis. Journal of Clinical Child Psychology, 26: 247- 255.*
15. *Liebling, H. et al. (2007) . Experiences of women war torture survivors in Uganda: Implications for health and human rights. Journal of International Women's Studies, Vol. 8 (4) : 1- 17.*
16. *Liebling, H. et al. (2008) . Violence against women in Northern Uganda: The neglected health consequences of war. Journal of International Women's Studies, Vol. 9 (3) : 174- 192.*
17. *Psychology Glossary (2011) . Definition of: Attitudes. Available at: http:// www.alleydog.com/ glossary/ definition.php?term=Attitudes*

18. *Somasundaram, D. (2007) . Collective trauma in northern Sri Lanka: A qualitative psychosocial- ecological study. Department of Psychiatry, University of Adelaide, Australia & University of Jaffna, Sri Lanka. Available at:*

http:// www.pubmedcentral.nih.gov/ articlerender.fcgi?artid=2241836

19. *Stein, M. (2000) . Gender differences in susceptibility to posttraumatic stress disorder. Behavior Research Therapy, 38: 619- 628.*

20. *The Salvation Army International Headquarters Health Services (2006) . Trauma Counseling and Psychological – Social Approaches- A co- factor in community recovery after a disaster: A guide to psycho- social support through community counseling: Theory, Processes and Skills. Washington, DC: Salvation army World Services Office.*

21. *Trapman, M. (1997) . Collective Trauma among Displaced people and refugees in Ethiopia: Steps towards intervention projects. Available at: http:// www.xs4all.nl/ ~mtrapman/ Ethiopia/ Pages/ interv.htm*

التركيب البنائي للأسرة في الضفة الغربية: دراسة تحليلية لبيانات تعداد السكان لسنة ٢٠٠٧

د. ماهر فؤاد أبو صالح*

* أستاذ مساعد/ قسم الجغرافيا/ جامعة النجاح الوطنية/ نابلس.

ملخص:

تبحث هذه الدراسة في موضوع التركيب البنائي للأسرة في الضفة الغربية بالاستناد إلى بيانات تعداد السكان لسنة ٢٠٠٧، وقد تناولت الدراسة متغيرات عدة ذات صلة بعناصر البحث، **وتوصل الباحث على أثر ذلك إلى النتائج الآتية**:

١. انخفض متوسط حجم الأسرة في الضفة الغربية من ٦,١ أفراد في سنة ١٩٩٧ إلى ٥,٥ أفراد في سنة ٢٠٠٧.

٢. اقترب متوسط حجم الأسرة من المتوسط في معظم محافظات الضفة.

٣. ارتفع متوسط حجم الأسرة في الريف قليلاً عن المتوسط في كلٍ من الحضر والمخيمات (٥,٧ أفراد في الريف، مقابل ٥,٤ أفراد في الحضر، و ٥,٥ أفراد في المخيمات) .

٤. شغلت الأسر التي تتكون من ٤– ٦ أفراد أعلى نسبةٍ من بين أسر الضفة، وكان ذلك بنسبة ٤١,٧٪.

٥. كانت الأسر النووية أكثر أنواع الأسر شيوعاً في الضفة، وذلك بنسبة ٨١,٧٪ من مجموع الأسر.

٦. شغل أرباب الأسر للمرحلتين الإعدادية (٢٥,٤٪) والابتدائية (٢١,١٪) أعلى نسبٍ للحالة التعليمية لأرباب الأسر.

٧. انخفض عدد صغار السن في الأسرة من ٢,٧٥ فرداً إلى ٢,٢٢ فرداً في سنة ٢٠٠٧.

٨. أظهرت الدراسة أن ٧٩,٨٪ من أسر الضفة لا يوجد فيها أفرادٌ سنهم ٦٠ سنة فأكثر.

٩. أوضحت الدراسة أن ١١٪ من أسر الضفة لا يوجد فيها فردٌ نشيطٌ اقتصادياً، وأن هذه الأسر تعتمد في معيشتها على مصادر دخلٍ بدون وجود أفرادٍ نشيطين اقتصادياً فيها.

Abstract:

This paper studies the compositional structure of the family in the West Bank depending of the population census data for the year 2007. This study has tackled a number of variants that form the elements of this research. ***The following results were concluded.***

1. *The average family size has dropped from 6.1 members in 1997 to 5.5 members in 2007.*
2. *The average family size in the various governorates was very close to that of the West Bank.*
3. *The average family size in the rural area was a bit higher than that in the cities or refugee camps (5.7 members in the rural area against 5.4 in the city and 5.5 in the refugee camps).*
4. *Families that consist of 4-6 members formed the highest number among other families. It was 41.7%.*
5. *Nuclear families were most common and formed 81.7% from the total number of family.*
6. *At the educational level, parents of children in the two stages preparatory (25.4%) and elementary (21.1%) were the majority among other families.*
7. *The average number of young members in each family dropped from 2.75 to 2.22 in 2007.*
8. *The study revealed that 79.8% of the families in West Bank have no members above 60 years of age.*
9. *The study also revealed that 11% of the families have no economically active members, and these families depend on other income resources.*

مقدمة:

تشكل الأسرة اللبنة الأولى في بناء المجتمع الإنساني، ولهذا يجب أن تحظى في المجتمعات الإنسانية كافة باهتمام كبيرٍ وعلى المستويات كافة، ابتداءً من رب الأسرة، ومروراً بالمؤسسات المجتمعية كافةً على اختلاف أنشطتها، وانتهاءً بأصحاب القرار النافذ في تنمية المجتمع.

ويعرف الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني الأسرة بأنها: فرد أو مجموعة أفراد تربطهم أو لا تربطهم صلة قرابة، ويقيمون في مسكن واحد، ويشتركون في المأكل أو في أي وجهٍ متعلقٍ بترتيبات المعيشة. **ويصنف هذا الجهاز الأسر في فلسطين إلى أربعة أنواع هي**:

١. **أسرةٌ من فرد واحد**: وهي الأسرة التي تتكون من شخص واحد فقط.

٢. **أسرةٌ نووية (الأسرة النواة)** : وهي الأسر المعيشية التي تتكون جميعها من نواةٍ أسريةٍ واحدة، وتتشكل من أسرةٍ مؤلفة من زوجين فقط، أو من زوجين مع ابن أو ابنة (بالدم فقط وليس بالتبني) أو أكثر، أو أبٍ (رب الأسرة) لديه ابن أو ابنة أو أكثر أو أم (رب الأسرة) ، لديها ابن أو ابنة أو أكثر، مع عدم وجود أي شخص من الأقرباء الآخرين أو من غيرهم.

٣. **أسرةٌ ممتدة**: وهي الأسرة المكونة من أسرةٍ نوويةٍ أو أكثر مع وجود أفرادٍ آخرين يعيشون معهم وتربطهم علاقة بتلك الأسرة.

٤. **أسرةٌ مركبة**: وهي الأسرة المكونة من أسرةٍ نوويةٍ أو أكثر، مع وجود فردٍ أو أفراد يعيشون معها، ولا تربطهم علاقة قرابة بهذه الأسرة (الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، ٢٠٠٩، ص ص ٢٨– ٢٩) .

والأسر الفلسطينية في الضفة الغربية تتوزع على ثلاثة أنواع من التجمعات السكانية هي: الحضر والريف والمخيمات، وتحمل معرفة النسبة المئوية التي يشغلها كل نوع من هذه الأسر في مختلف أنواع التجمعات السكانية دلالاتٍ ذات معانٍ اقتصاديةٍ واجتماعيةٍ وديموغرافيةٍ تستحق البحث والتحليل، والشيء ذاته يمكن أن يقال عن بقية عناصر التركيب البنائي للأسرة التي تناولها الباحث في هذه الدراسة وهي: التوزيع النسبي لعدد أفراد الأسرة حسب نوع التجمع، والحالة التعليمية لرب الأسرة، ونسبة صغار السن في الأسرة، ونسبة الأفراد الذين سنهم ٦٠ سنة فأكثر، ونسبة النشيطين اقتصادياً في الأسرة.

مشكلة الدراسة:

تبين من خلال الاطلاع على الدراسات السابقة التي أجريت على التركيب البنائي للأسرة أنها قليلة العدد بشكلٍ عام، وأن غالبيتها كانت ذات طابعٍ اجتماعي، ولهذا يمكن القول: إن هناك قصوراً في عدد الدراسات التي أجريت عن الأسرة فيَ الضفة الغربية، وهناك قصورٌ آخر يكمن في غياب المضمون الجغرافي لتلك الدراسات، وبناءً على ذلك فإن تناول حجم الأسرة وأنواعها بالدراسة والتحليل يعدُّ محاولةً متواضعةً ولكنها جديةٌ لملء بعض الفراغ الذي يكتنف هذا الموضوع.

إن شح الدراسات التي أجريت حول هذا الموضوع يمكن أن يُتخذ كسببٍ ملحٍ لإجراء هذه الدراسة، وتبعاً لهذا كانت البيانات والتحاليل والنتائج المتعلقة بموضوعٍ البحث هي الأخرى شحيحة، ولولا البيانات التي تتوافر في نشرات الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني لباتت مسألة الحصول على معلوماتٍ وبياناتٍ تتعلق بموضوع الدراسة غايةً في الصعوبة، مما يزيد من العبء على الباحثينَ في توفيرِ هذه المتطلبات البحثية، وهذا بطبيعة الحال يحتاج إلى جهدٍ أكبر ووقتٍ أطول وتكاليفَ أكثر.

أهمية الدراسة:

تأتي أهمية هذه الدراسة من كونها تبحث في موضوعٍ يتوقف عليهِ جانبٌ كبيرٌ في تنمية المجتمع، ألا وهو موضوع التركيب البنائي للأسرة، فالبحث في حجم الأسرة ونسبة صغار السن فيها ونسبة كبار السن وعدد النشيطين اقتصادياً، له انعكاساتٌ مباشرةٌ على متغيراتٍ ديموغرافيةٍ ذات شأنٍ كبيرٍ في الأسرة كالحالة الاقتصادية للأسرة والحالة الصحية والحالة التعليميةً والحالة الاجتماعية، ويمكن أن يضاف إلى هذه الأهمية أهمية أخرى تتمثل في توفير بياناتٍ ومعلوماتٍ يمكن أن يُستفاد منها – وعلى مستوياتٍ متعددة– في رسم خطط التنميةِ الاجتماعيةِ والاقتصاديةِ وبالتالي سيكون تنفيذها ذا موضوعية أكثر، وأن النتائج المترتبة على تنفيذ هذه الخطط ستكون واضحةً بحيث يمكن مشاهدتها أو الشعور بها.

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى تناول ما يتوافر من بياناتٍ حول التركيب البنائي للأسرة في الضفة الغربية ووضعها في شكل نسبٍ مئويةٍ يمكن معالجتها بالتحليل والتعليل والتعليق، وستُربط هذه المعالجة والتحليل تبعاً لتنوعِ التجمعات السكانية في الضفة الغربية، وسيستمر هذا حتى الوصول إلى النتائج والتوصيات.

أسئلة الدراسة:

تسعى هذه الدراسة إلى الإجابة عن عددٍ من التساؤلات التي تتعلق بموضوع التركيب البنائي للأسرة في الضفة الغربية، وذلك بالاستناد إلى بيانات تعداد السكان سنة ٢٠٠٧، **ويمكن إجمال هذه التساؤلات بالآتي:**

- ما متوسط حجم الأسرة في محافظات الضفة الغربية؟ وهل يوجد تفاوتٌ في متوسط حجم الأسرة بين المحافظات؟ وما حجم هذا التفاوت؟
- هل يوجد اختلافاتٌ في حجم الأسرة تعود لاختلاف نوع التجمع؟
- ما النمط الشائع لعدد أفراد الأسرة في الضفة؟
- ما أنواع الأسر في الضفة الغربية؟ وما أكثر الأنواع شيوعاً؟
- ما النسبة المئوية التي يشغلها أرباب الأسر في كل حالةٍ من الحالات التعليمية؟
- ما العلاقةُ بين حجم الأسرة، وبين الحالة التعليمية لرب الأسرة؟
- هل يوجد اختلافاتٌ في توزيع نسب صغار السن في الأسرة بسبب اختلاف نوع التجمع؟
- هل يوجد اختلافٌ في توزيع الأفراد الذين أعمارهم ٦٠ سنةٍ فأكثر بسبب اختلاف نوع التجمع؟
- كيف تتوزع الأسر بناءً على عدد الأفراد النشيطين اقتصادياً فيها؟

الدراسات السابقة:

اطَّلع الباحث على عددٍ من الأبحاث والدراسات والنشرات والتقارير التي تطرقت إلى موضوع الأسرة، وخاصةً في الأراضي الفلسطينية، وكان مما يسترعي الانتباه في هذا الشأن أن الصبغة الجغرافية لم تشغل إلا حيزاً ضيقاً في هذه الدراسات، وأن معظمها كانت ذات طابع اجتماعي، وحسب المواضيع التي تطرقت إليها هذه الدراسات فيمكن القول: إن إمكانية حدوث التقاءٍ بين من يتناول هذه المواضيع من زاويةٍ اجتماعية، وبين من يتناولها من زاويةٍ جغرافية إمكانية واردة.

وكان من بين الدراسات السابقة التي بحثت في موضوع الأسرة دراسةٌ صادرةٌ عن **منظمة الصحة العالمية ١٩٨١** وهي بعنوان: «دراساتٌ جديدةٌ حول أنماط شكل الأسرة

وصحتها» وقد تطرقت هذه الدراسة إلى شكل الأسرة وخصائصها الاجتماعية، وعلاقة شكل الأسرة بوفيات الأطفال، وعلاقة عدد الأطفال المفقودين بحجم الأسرة، حيث أظهرت الدراسة أنه يوجد ارتباط سالب بين حجم الأسرة وعدد الأطفال المفقودين (منظمة الصحة العالمية، ١٩٨١، ص١١٠ وص١٩٩ وص٤٩٧ وص٤٩٩) .

وبينت دراسةٌ **لسهاونة ١٩٨٣** بعنوان: «مبادئ الديموغرافيا» تأثير عدد النشيطين اقتصادياً في الأسرة في حركة السكان وبنيتهم، وبيَّنت أن دخل الفرد والعائلة له علاقةٌ بالعديد من الصفات الديموغرافية كالخصوبة والوفيات والهجرة (سهاونة، ١٩٨٣، ص١٥٤) .

وفي سنة ١٩٩٠ صدرت عن **الملتقى الفكري العربي** نشرة بعنوان: «Population and Labor Force in Gaza Strip»، وقد تضمنت هذه النشرة جدولاً يوضح بيانات حجم الاسرة بالنسبة لعدد الغرف في المسكن حسب نمط السكن في قطاع غزة.

وفي سنة ١٩٩٥ نشر **(Rolf Stein 1995)** دراسة بعنوان: "The Family, Its Hi-tory, Function, Trends and Perspectives' ، حيث تطرق المؤلف إلى تاريخ تكون الأسر، ودورها في صقل شخصية المجتمع.

ونشر **(Gorgen S.Nielsen)** دراسة بعنوان: " Major Social Problems as R-sult of Change» وبحثت هذه الدراسة في موضوع الأسرة المتغيرة في الشرق الاوسط.

وصدر عن **(Carla Makhlouf Obermeyer, 1995)** دراسة بعنوان: "Family, Gender, and population in the Middle East» ، وكان من بين المواضيع التي بحثت فيها موضوع أنواع الأسر وتعريفها في الشرق الاوسط، حيث أظهرت أن الأسرة النووية هي أكثر أنواع الأسر شيوعاً في الشرق الأوسط، وذلك بنسبة ٨٣,٦٪ من مجموع الأسر (Carla Makhlouf Obermeyer 1995, p. 150) .

وصدرت دراسة **للجولاني ١٩٩٨** بعنوان: «دراسات حول الأسرة العربية» بينت أن أهمية الأسرة في المجتمع تأتي من كونها مجموعة حيوية تنتج الأطفال، علاوةً على أنها تشكل وحدةً اجتماعيةً في إطار بيتٍ واحد، كما بحثت في تطور أشكال الأسرة وتغير وظائفها، ونمط الأسرة وحجمها، وكان من أهم نتائج هذه الدراسة أن نمط الأسرة النواة تمثل أعلى نسبةٍ من عينة الدراسة، وأن الأسر التي أفرادها ٧ فأكثر شغلت أعلى نسبة بين الأسر السعوديةً (الجولاني، ١٩٩٨، ص١٣ وص١٥ وص١٩ وص٢١ وص٢٢ وص٦٥) .

ونشر **أحمد ٢٠٠٠** دراسةً بعنوان «التركيب الأسري في الضفة الغربية وقطاع غزة» وقد تبين منها أن نسبة الأسر النووية في الضفة الغربية– بناءً على بيانات المسح

الديموغرافي الفلسطيني لسنة ١٩٩٦– بلغت ٧٢,٢٪ من مجموع الأسر، وأن الأسرة المركبة هي الأقل انتشاراً (٢,٠٪ من مجموع الأسر)، كما أوضحت الدراسة أن متوسط حجم الأسرة في الضفة بلغ في سنة ١٩٩٦ ٦,٩ أفراد، مقابل ٨ أفراد في قطاع غزة (أحمد، ٢٠٠٠، ص ص ٩٥– ٩٧).

وقام **أبو صالح ٢٠٠٣** بإجراء دراسةٍ جغرافيةٍ للسكان في محافظة طولكرم بعنوان: «محافظة طولكرم– دراسةٌ في جغرافية السكان» وقد تطرق فيها إلى موضوع حجم الأسرة وأنماطها في المحافظة، والمستوى التعليمي لأرباب الأسر، وكان من نتائج هذه الدراسة أن الأسرة النووية هي النمط الشائع في محافظة طولكرم (أبوصالح، ٢٠٠٣، ص٢٣٧ وص١٣٩ وص ٢٤٠ وص٢٤٤).

وفي دراسةٍ قام بها **كمال ٢٠٠٥**، بعنوان: «الأسرة ومشاكل الحياة العائلية»، بين الباحثُ أثر الأسرة في الإبقاء على الجنس البشري، واهتمام الدين الإسلامي بالأسرة، والنواحي النفسية للأسرة (كمال، ٢٠٠٥، ص٧ وص١١ وص٥٩).

وقام بدراسةٍ حول هذا الموضوع **القين ٢٠٠٦** وهي بعنوان: «إدارة الأسرة»، وقد أشار فيها إلى ضرورة العناية بالأسرة والاهتمام بها باعتبارها أهم مؤسسةٍ في الحياة، ودعم ذلك بآياتٍ من القرآن الكريم (القين، ٢٠٠٦، ص١١وص٢٩ وص٤٢).

كما صدرت دراسةٌ **لعبد العاطي وآخرين ٢٠٠٦** بعنوان: «الأسرة والمجتمع» أوضح فيها الباحثون التطور التاريخي للدراسات الأسرية، ودور الزوج والزوجة في استقرار الأسرة، ومشكلات الأسرة وسياسة مواجهتها (عبد العاطي وآخرون، ٢٠٠٦، ص٣ وص٥٦ وص٣٢٥).

ونشر **المجلس الاقتصادي الفلسطيني للتنمية والأعمار –بكدار– في سنة ٢٠٠٨** تقريراً بعنوان «الفقر في الأراضي الفلسطينية»، وقد تعرض التقرير في أحد مواضيعه إلى علاقة الفقر بحجم الأسرة، وذكر أن هناك علاقةً واضحةً بين ازدياد عدد الأفراد في الأسرة الواحدة وبين ارتفاع معدلات الفقر في الأراضي الفلسطينية (المجلس الاقتصادي الفلسطيني للتنمية والأعمار –بكدار– ٢٠٠٨، ص٩).

واطَّلع الباحث أيضاً على دراسة **لعثمان ٢٠٠٩** بعنوان: «الاستقرار الأسري وأثره على الفرد والمجتمع» وقد بين الباحثُ في هذه الدراسة تعريف الأسرة والمشكلات التي تواجهها، وأوضح المقصود من بناء الأسرة والمشكلات السلوكية عند الأطفال، والأسرة والمشكلات الاجتماعية (عثمان، ٢٠٠٩، ص١٥ وص١٧).

منهج الدراسة:

اقتضت حاجة إعداد هذه الدراسة إلى اتباع المنهج التحليلي والمنهج المقارن، فالمنهج التحليلي جاء من الحاجة إلى تحليل بيانات الجداول الإحصائية ذات الصلة بموضوعات الدراسة، التي أعدها الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، وجاءت الحاجة إلى المنهج المقارن من تطرق الدراسة في كثيرٍ من مجرياتها إلى مقارنة خصائص مواضيع الدراسة بين تجمع سكاني وآخر، أو مقارنةً النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة مع نتائج دراسات أخرى.

التوزيع النسبي للأسر في محافظات الضفة الغربية:

بلغ عدد الأسر في محافظات الضفة الغربية حسب بيانات تعداد السكان لسنة ٢٠٠٧ ٤١٤٦٣٤ أسرة، وبلغ عدد السكان فيها ٢٢٨١٧١٤ نسمة، كما هو مبين في الجدول (١) والشكل (١).

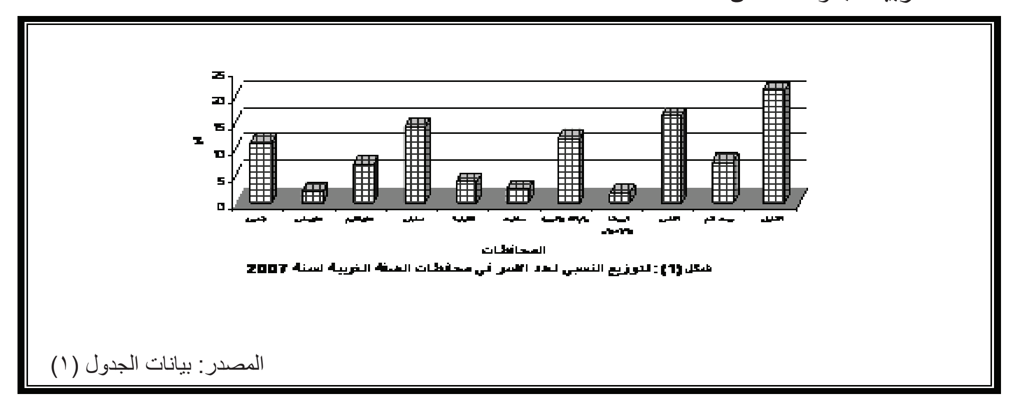
الجدول (١)

عدد الأسر وعدد السكان في محافظات الضفة الغربية حسب نوع التجمع لسنة ٢٠٠٧

المحافظة	عدد الأسر			المجموع	%	عدد السكان			المجموع	%
	حضر	ريف	مخيمات			حضر	ريف	مخيمات		
جنين	٢٧٥٠٧	١٧٠٤٠	٢٠٠١	٤٦٥٤٨	١١,٢	١٤٨٣٤٤	٩٣٢٨٧	١٠١٧٦	٢٥١٨٠٧	١١
طوباس	٥٧٧٤	١٨٥٠	١٠٠٤	٨٦٢٨	٢,١	٣٢١٠٠	١٠٥٩٠	٥٤٧٤	٤٨١٦٤	٢,١
طولكرم	٢٠١٠١	٦٤٥٦	٣١٥٤	٢٩٧١١	٧,٢	١٠٥٣٨٠	٣٤٤٢٢	١٦٩٩٠	١٥٦٧٩٢	٦,٩
نابلس	٣٣٧١٣	١٩٤٩٠	٥٥٥٦	٥٨٧٥٩	١٤,٢	١٧٤٤٠٣	١١١١٩٧	٣٠٣٥٦	٣١٥٩٥٦	١٣,٨
قلقيلية	٩٩١٩	٦٠٨٦	-	١٦٠٠٥	٣,٩	٥٣٩٦٥	٣٤٦٠٩	-	٨٨٥٧٤	٣,٩

المحافظة	عدد الأسر			المجموع	٪	عدد السكان			المجموع	٪
	حضر	ريف	مخيمات			حضر	ريف	مخيمات		
سلفيت	٤١٤٥	٦٨١٤	-	١٠٩٥٩	٢,٦	٢١٣٣٤	٣٧٤٦٦	-	٥٨٨٠٠	٢,٦
رام الله والبيرة	٢٧١٨٢	١٩٧٥٠	٢٧٤٤	٤٩٦٧٦	١٢	١٣٦٤٠٦	١١١٢٥٩	١٥٢٧٦	٢٦٢٩٤١	١١,٥
أريحا والأغوار	٣٩٩٧	١٤٧٥	١٨٠١	٧٢٧٣	١,٨	٢١٤٤٩	٩٠٨٦	٩٨٦٨	٤٠٤٠٣	١,٨
القدس	٥٩٩٢٧	٦٥١١	١٤٦٥	٦٧٩٠٣	١٦,٣	٣٠٥٣٩١	٣٦٦٩٨	٧٩٦٢	٣٥٠٠٥١	١٥,٣
بيت لحم	٢٠٦٣٩	٨٤٦٦	٢٤١١	٣١٥١٦	٧,٦	١٠٩٨٣٤	٤٧٦٩٣	١٢٤٣٩	١٦٩٩٦٦	٧,٥
الخليل	٧٥٥٠٨	٩٨٢١	٢٣٢٧	٨٧٦٥٦	٢١,١	٤٥٩٢٩٧	٦٤٨٤٢	١٤١٢١	٥٣٨٢٦٠	٢٣,٦
المجموع	٢٨٨٤١٢	١٠٣٧٥٩	٢٢٤٦٣	٤١٤٦٣٤	١٠٠	١٥٦٧٩٠٣	٥٩١١٤٩	١٢٢٦٦٢	٢٢٨١٧١٤	١٠٠

المصدر: الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، (٢٠٠٩). النتائج النهائية للتعداد- تقرير السكان- الضفة الغربية، جدول ١، ص٦١.



شكل (1): التوزيع النسبي لعدد الأسر في محافظات الضفة الغربية لسنة 2007

المصدر: بيانات الجدول (١)

تظهر بيانات الجدول (١) أن أكبر عددٍ للأسر في محافظات الضفة الغربية كان في محافظة الخليل، وذلك بنسبة ٢١,١٪ من مجموع أسر الضفة، وفيها أيضاً أكبر عددٍ من السكان، وذلك بنسبة ٢٣,٦٪، ثم تأتي محافظة القدس بالمرتبة الثانية، وفيها ما نسبته ١٦,٣٪ من الأسر، ونحو ١٥,٣٪ من مجموع السكان. وأما أقل المحافظات في عدد الأسر والسكان فكانت محافظة أريحا والأغوار، وقد ضمت ١,٨٪ من الأسر، والنسبة نفسها من عدد السكان. وهذا الانخفاض في عدد الأسر والسكان في هذه المحافظة يعود إلى الظروف المناخية، وخاصةً ارتفاع درجات الحرارة خلال شهور الصيف، إضافةً إلى سيطرة سلطات الاحتلال الصهيوني على مساحاتٍ واسعةٍ من الأغوار، وإغلاق كثير من الأراضي والطرق، ومنع دخول السكان من خارج المحافظةً، وغيرها من الحواجز والعراقيل الأسرائيلية.

متوسط حجم الأسرة في الضفة الغربية حسب نوع التجمع:

تظهر بيانات الجدول (٢) أن متوسط حجم الأسرة في الضفة الغربية بلغ ٥,٥ أفراد في سنة ٢٠٠٧، وبهذا يكون قد طرأ انخفاضٌ على هذا المتوسط بالنسبة لما كان عليه في سنة ١٩٩٧، والبالغ ٦,١ أفراد (الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، ٢٠٠٩ ٠ ص٥٧) . ومما لا شك فيه أن هناك بعض الأسباب التي دفعت باتجاه انخفاض حجم الأسرة في الضفة الغربية في سنة ٢٠٠٧ عمَّا كان عليه سنة ١٩٩٧، ولعل أبرز هذه الأسباب ارتفاع نسبة البطالة من ١٠,٢٪ في الضفة الغربية في سنة ١٩٩٧ إلى ١٧,٧٪ في سنة ٢٠٠٧، وارتفاع الإنفاق الشهري للأسرة في الضفة الغربية والذي بلغ ٧٠٧,٧ دنانير أردنية، وكانت نسبة الإنفاق على الطعام ٣٥,٤٪ (الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، ٢٠٠٨، ص١٣ و٢٦).

ومن الناحية الديموغرافية فإنه ينطوي تحت هذا الانخفاض مدلولٌ ديموغرافي أو أكثر، فإما أنه يتمثل في انخفاض معدل المواليد، أو في ارتفاع معدلات الهجرة، أو ارتفاع نسبة الأسر التي تتكون من شخصٍ واحد، أو ارتفاع نسبة الأسر النووية، وعلى ما يبدو فإن عامل انخفاض معدل المواليد وعامل ارتفاع نسبة الأسر التي تتكون من شخصٍ واحد والأسر النووية كانت وراء انخفاض متوسط حجم الأسرة بين سنتي ١٩٩٧ و٢٠٠٧ ، فقد انخفضت نسبة صغار السن من ٤٥,١٪ في سنة ١٩٩٧ إلى ٤٠,٣٪ في سنة ٢٠٠٧، كما ارتفعت نسبة الأسر النووية من ٧٤٪ في سنة ١٩٩٧ إلى ٨١,٨٪ في سنة ٢٠٠٧ (الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، ٢٠٠٩، ص٥٧) .

وتوضح بيانات الجدول (٢) أن أعلى متوسط حجم أسرة في الضفة كان لدى سكان الريف، وذلك بواقع ٥,٧ أفراد، وكان من الأسباب التي ساهمت في هذا الارتفاع ارتفاع نسبة صغار السن في الريف (٤١,٢٪) مقابل (٣٩,٩٪) في الحضر و (٤١,٥٪) في المخيمات،

(الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، ٢٠٠٧، ص٦٥) ، وقد أكد على ارتفاع متوسط حجم الأسرة في الريف ارتفاع نسبة الأسر التي يتراوح عدد أفرادها بين ٧- ٩ أفراد، حيث ارتفعت نسبة هذه الأسر في الريف إلى ٢٩,٣٪ من مجموع الأسر، وبالمقابل كانت نسبتها ٢٦,٢٪ في الحضر و ٢٨,٤٪ في المخيمات (الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، ٢٠٠٧، ص٨٥) .

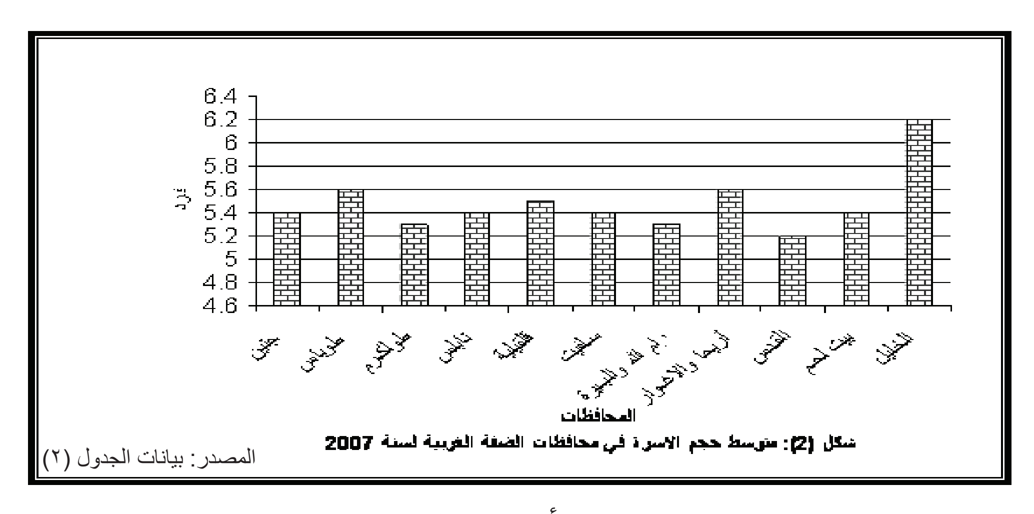
وقد سجل الريف في محافظتيْ الخليل وأريحا والأغوار أعلى متوسط حجم أسرة في الريف في الضفة، وذلك بمتوسط ٦,٦ أفراد في الخليل و ٦,٢ أفراد في أريحا والأغوار (الجدول (٢) والشكل (٢) ، وغالباً ما يعود هذا الارتفاع في الخليل إلى تعدد الزوجات فيها، وبالتالي ارتفاع عدد الأطفال المنجبين، وأما سبب الارتفاع في أريحا والأغوار فيعود إلى شهرة المنطقة في الزراعة المروية، وبالتالي الحاجة إلى مزيدٍ من الأبناء للمساعدة في الأعمال الزراعية.

الجدول (٢)

متوسط حجم الأسرة في محافظات الضفة الغربية حسب نوع التجمع لسنة ٢٠٠٧

المحافظة	متوسط حجم الأسرة (فرد)			متوسط المحافظة
	حضر	ريف	مخيمات	
جنين	٥,٤	٥,٥	٥,١	٥,٤
طوباس	٥,٦	٥,٧	٥,٥	٥,٦
طولكرم	٥,٢	٥,٣	٥,٤	٥,٣
نابلس	٥,٢	٥,٧	٥,٥	٥,٤
قلقيلية	٥,٤	٥,٧	-	٥,٥
سلفيت	٥,٢	٥,٥	-	٥,٤
رام الله والبيرة	٥	٥,٦	٥,٦	٥,٣
أريحا والأغوار	٥,٤	٦,٢	٥,٥	٥,٦
القدس	٥,١	٥,٦	٥,٤	٥,٢
بيت لحم	٥,٣	٥,٦	٥,٢	٥,٤
الخليل	٦,١	٦,٦	٦,١	٦,٢
المجموع	٥,٤	٥,٧	٥,٥	٥,٥

المصدر: الجهاز المركزي للاحصاء الفلسطيني، (٢٠٠٩) . النتائج النهائية للتعداد- تقرير السكان- الضفة الغربية، جدول ١، ص٦١ .



شكل (2): متوسط حجم الاسرة في محافظات الضفة الغربية لسنة 2007

المصدر: بيانات الجدول (٢)

وبالمقابل انخفض متوسط حجم الأسرة في الحضر عن المتوسط العام في الضفة، ولكن بنسبةٍ قليلة فبلغ ٥,٤ أفراد، وهنا لا بد من توضيح أمرٍ يتعلق بتصنيف التجمعات الحضرية فيً الضفة الغربية، فحسب تعريف الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني للتجمعات لحضرية، فإن كثيراً من التجمعات المعروفة لدى كثيرٍ من الناس على أنها تجمعاتٌ ريفية أصبحت تصنف على أنها تجمعاتٌ حضرية، وبهذا لمٍ تعد التجمعات الريفية تشكل ثلثي المجتمع الفلسطيني كما كان من قبل، وهكذا انعكست الصورة وأصبحت نسبة الحضر تشكل ٦٨,٧٪ من مجموع سكان الضفة الغربية (الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، ٢٠٠٩. ص٦١) ، والقصد من هذا كله، أن كثيراً من سكان التجمعات الحضرية هم ريفيون في عاداتهم وتقاليدهم وسلوكهم الإنجابي المعروف بارتفاع معدلات الخصوبة، وهذا ما يفسر عدم الانخفاض الكبير في متوسط حجم الأسرة في الحضر عن المتوسط في الضفة، أو بين الريف والحضر، وأما هذه النسبة القليلة في الانخفاض فهي عائدةٌ إلى طبيعة الحياة في المدن التي تفرض –بخصائصها الاجتماعية والاقتصادية– أن تكون الأسرة فيها أصغر من غيرها في التجمعات الاخرى.

وأما فيما يتعلق بحجم الأسرة في المحافظات، فلم يزد المتوسط فيها عن المتوسط في الضفة إلا في ثلاث محافظاتٍ هي: طوباس (٥,٦ أفراد) وأريحا والأغوار (٥,٦ أفراد) والخليل (٦,٢ أفراد) ، ويعزى ارتفاع المتوسط في محافظة الخليل إلى تعدد الزوجات وارتفاع معدلات المواليد.

وفيما يخص المخيمات، فقد تماشى متوسط حجم الأسرة فيها والبالغ ٥,٥ أفراد مع متوسط الضفة، وبالرغم من ارتفاع نسبة صغار السن فيها عن المتوسط في الضفة (٤١,٥٪ من مجموع السكان في المخيمات، مقابل ٤٠,٣٪ في الضفة) (الجهاز المركزي للإحصاء

الفلسطيني، ٢٠٠٩. ص٨٢) ، فإن هذا الارتفاع يعود- على الأغلب- إلى ضيق المساكن في المخيمات، ونظام البناء متعدد الطوابق في مساحة ضيقة من الأرض لا تساعد على كبر حجم الأسرة.

التوزيع النسبي لعدد أفراد الأسرة:

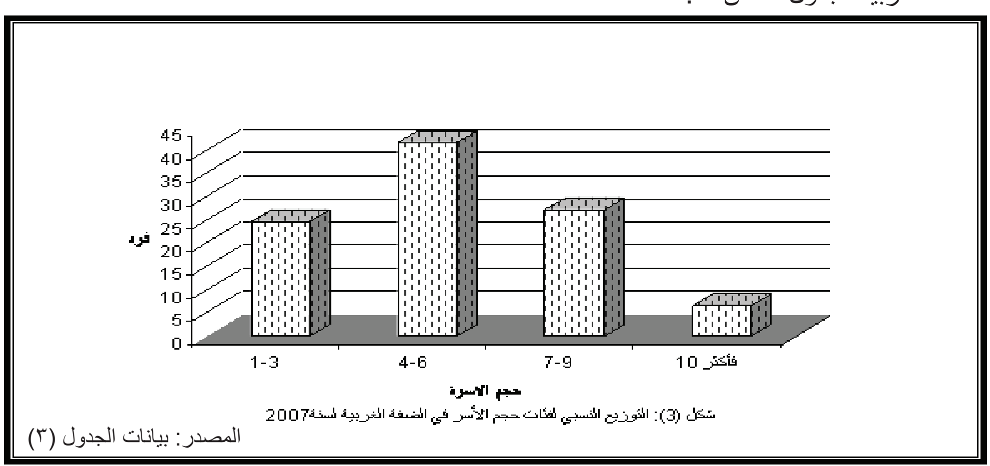
تضم بيانات الجدول (٣) والشكل (٣) التوزيع النسبي لعدد أفراد الأسرة بحسب نوع التجمع في الضفة الغربية، حيث توضح هذه البيانات أن الأسر التي تتكون من ٤- ٦ أفراد شغلت أعلى نسبةٍ من بين فئات حجم الأسر في الضفة، وكان ذلك بواقع ٤١,٧٪ من مجموع الأسر، وفي هذه الفئة يقع الوسط الحسابي لحجم الأسرة والبالغ ٥,٥أفراد كما أسلفنا، وبمعنى آخر فإن هذه الفئة العددية يقع فيها ويدور حولها معظم الأسر.

الجدول (٣)

التوزيع النسبي للأسر حسب فئات حجم الأسرة ونوع التجمع في الضفة الغربية لسنة ٢٠٠٧

حجم الأسرة (فرد)	حضر ٪	ريف ٪	مخيمات ٪	الضفة الغربية ٪
١- ٣	٢٤,٨	٢٣,٧	٢٥,٦	٢٤,٦
٤- ٦	٤٢,٩	٣٨,٩	٣٩,٩	٤١,٧
٧- ٩	٢٦,٢	٢٩,٣	٢٨,٤	٢٧,١
١٠ فأكثر	٦,١	٨,١	٦,١	٦,٦
المجموع	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠

المصدر: الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، (٢٠٠٩) . النتائج النهائية للتعداد- تقرير السكان- الضفة الغربية، جدول٧، ص٨٥.



شكل (3): التوزيع النسبي لفئات حجم الأسر في الضفة الغربية لسنة2007

المصدر: بيانات الجدول (٣)

وجاءت الأسر التي تتكون من ٧– ٩ أفراد في الترتيب الثاني، وذلك بنسبة ٢٧,١٪ من مجموع أسر الضفة، وهذه النسبة قريبةٌ من نسبة الأسر التي تتكون من ١– ٣ أفراد، وهي تشير إلى أن هناك نسبةً من الأسر التي ترتفع عندها معدلات الخصوبة، مما رفع من عدد أفرادها، وهذه الأسر يقابلها أسرٌ أخرى إما أنها لا تحبذ زيادة الإنجاب، أو أنها ما زالت أسراً شابةً في بداية حياتها الإنجابية.

وأما الأسر كبيرة الحجم (١٠ أفراد فأكثر)، فكانت نسبتها قليلة (٦,٦٪) قياساً بالنسب الأخرى، وما واقع هذه النسبة، وما سبقها من نسبٍ أخرى لحجم الأسر إلا انعكاس لرغبة كثير من أرباب الأسر في تكوين أسرٍ إما متوسطة الحجم أو صغيرة الحجم، وعلى الأغلب أن الدافع وراء ذلك هو ارتفاع التكاليف الحياتية بمختلف متطلباتها، ولكن اللافت للنظر أن الريف كان فيه أعلى نسبةٍ للأسر كبيرة الحجم، وبفارقٍ ملحوظ عن الحضر والمخيمات، (٨,١٪ للريف، مقابل ٦,١٪ لكلٍ من الحضر والمخيمات)، ولولا التصنيف الحديث للتجمعات الريفية والحضرية لارتفعت النسبة في الريف أكثر من ذلك على حساب النسبة في الحضر، وعلى كل حال فالنسبة في الريف تتماشى مع الحياة الاقتصادية الزراعية التي تحتاج إلى عددٍ أكبر من أفراد الأسرة، إضافةً إلى اختلاف الثقافة الإنجابية في الريف عن مثيلتها في الحضر والمخيمات.

وتظهر بيانات الجدول (٣) أن الفروق في نسب الأسر صغيرة الحجم (١– ٣ أفراد) بين الحضر والريف والمخيمات هي فروقٌ قليلةٌ (٢٤,٨٪ و ٢٣,٧٪ و ٢٥,٦٪ على التوالي)، وهذا التقارب في هذه النسب يعبر إلى حدٍ ما عن تشابه مختلف العوامل المؤثرة في حجم الأسرة في أنواع التجمعات السكانية الثلاثة.

التوزيع النسبي لنوع الأسرة في الضفة الغربية:

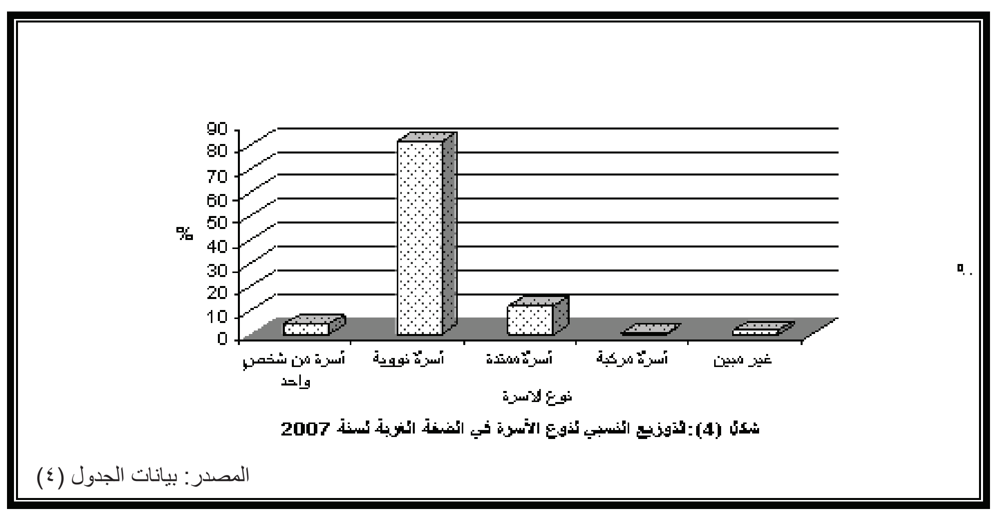
تظهر بيانات الجدول (٤) والشكل (٤) أن هناك فروقاتٍ كبيرة في نسب نوع الأسرة في الضفة الغربية، وقد احتلت الأسرة النووية أعلى نسبةٍ فيها، وكان ذلك بواقع ٨١,٨٪ من مجموع الأسر، وهذه النسبة المرتفعة تعبر عن رغبة نسبةٍ كبيرةٍ من السكان في الاستقلال بأسرٍ لا يشاركهم فيها أحد، فالأسرة النووية تعني في مجملها الزوجين وأبناءهم بالدم فقط، وما خلاف ذلك يصبح تقبله صعباً من قبل رب الأسرة.

الجدول (٤)

نوع الأسرة بحسب نوع التجمع في الضفة الغربية لسنة ٢٠٠٧

نوع التجمع	نوع الأسرة					المجموع
	أسرة من شخصٍ واحد	أسرةٌ نووية	أسرةٌ ممتدة	أسرةٌ مركبة	غير مبين	
حضر	٤,١	٨٢	١١,٨	٠,٢	١,٩	١٠٠
ريف	٤	٨١,٣	١٣,٦	٠,٢	٠,٩	١٠٠
مخيمات	٥,٢	٨٢,٢	١١,٦	٠,٢	٠,٨	١٠٠
الضفة الغربية	٤,١	٨١,٨	١٢,٢	٠,٢	١,٦	١٠٠

المصدر: الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، (٢٠٠٩) . النتائج النهائية للتعداد- تقرير السكان- الضفة الغربية، جدول ٧، ص٨٥.



شكل (4): التوزيع النسبي لنوع الأسرة في الضفة الغربية لسنة 2007

المصدر: بيانات الجدول (٤)

ومن جهة أخرى تتحمل كلٌ من الأسرة الممتدة والأسرة المركبة وجود أفرادٍ آخرين مع أفراد الأسرة النووية، وفي هذه الحالة فإن هؤلاء الأفراد سيبقون يشكلون شركاء في الأسرة حتى لو كان بعضهم من الأقارب، وهذا يتعارض مع الطبيعة الإنسانية التي ترغب في الاستقلال، ولهذا نجد نسبة الأسر الممتدة قد انخفضت إلى ١٢,٢٪، والأصعب منها هو تركيب الأسرة المركبة التي تضم أفراداً لا تربطهم علاقة قرابةٍ مع أفراد الأسرة النووية، وهذا ما أدى إلى خفض نسبة هذه الأسر إلى ٠,٢٪ من مجموع الأسر، وفي كل أنواع التجمعات، وكأن لسان حال هذه التجمعات يقول: إننا متفقون على أن لا يعيش بيننا أفرادٌ لا تربطنا بهم صلة قرابةٍ، وهذا بطبيعة الحال انعكاسٌ لعقيدة المجتمع الفلسطيني وعاداته ومفاهيمه.

الحالة التعليمية لأرباب الأسر في الضفة الغربية:

من المعروف لدى الديموغرافيين أن الحالة التعليمية لرب الأسرة تؤثر في معدلات الخصوبة بشكلٍ عام، فعادةً ما تنخفض معدلات الخصوبة كلما زاد المستوى التعليمي لرب الأسرة ولزوجته أيضاً، وبخاصةً أن الاستمرار في طلب العلم يؤخر العمر عند الزواج الأول، وأن التعليم لدى الزوج أو الزوجين ينمي لديهما سلوكاً إنجابياً تكون المحصلة النهائية له تخفيض عدد الأبناء المنجبين، وبالتالي يترتب على ذلك انخفاض حجم الأسرة، وهذا ما أكدته بعض الدراسات السابقة، ففي دراسة عن محافظة طولكرم تبين أن أعلى متوسط عمر عند الزواج الأول لدى الذكور كان عند الّذين مستواهم التعليمي جامعة فأعلى، وأن أقل متوسط سواء عند الذكور أم عند الإناث كان عند الأميين منهم (أبوصالح، ٢٠٠٣، ص٢٣١).

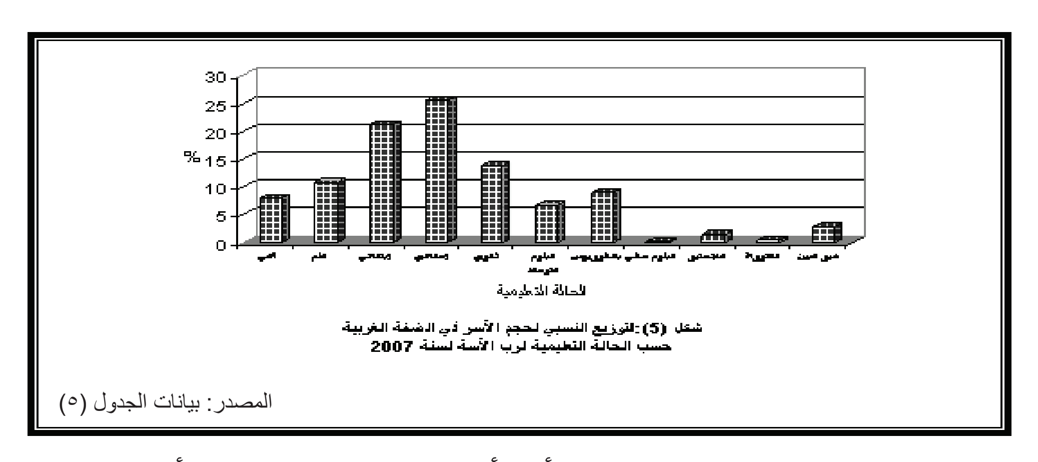
وتظهر بيانات الجدول (٥) والشكل (٥) أن حوالي ربع أرباب الأسر في الضفة الغربية (٢٥,٤٪) هم في مستوى المرحلة الإعدادية من تحصيلهم العلمي، وهم بهذه النسبة يشغلون أعلى نسبة من بين مجموع أرباب الأسر لمختلف الحالات التعليمية، يليهم أرباب الأسر ذوو المستوى التعليمي للمرحلة الابتدائية، وذلك بنسبة ٢١,١٪ من مجموع أرباب الأسر، وأما أقل نسبة أسر حسب الحالة التعليمية لرب الأسرة، فكانت للذين مستواهم التعليمي دبلوم عالٍ (٠,٣٪) يليهم الدكتوراه (٠,٥٪) من مجموع أرباب الأسر في الضفة.

الجدول (٥)

التوزيع النسبي لحجم الأسرة في الضفة الغربية حسب الحالة التعليمية لرب الأسرة لسنة ٢٠٠٧

الحالة التعليمية لرب الأسرة	١- ٣ أفراد ٪	٤- ٦ أفراد ٪	٧- ٩ أفراد ٪	١٠ أفراد فأكثر ٪	النسبة من اسر الضفة ٪
أمي	٥٨	٢٣,٢	١٢,٨	٦	٨
ملم	٢٧,١	٣٥,٢	٢٧,٧	١٠	١٠,٩
إبتدائي	١٩,١	٤٠,١	٣٢,١	٨,٧	٢١,١
إعدادي	٢٠,٤	٤٥,٨	٢٨	٥,٨	٢٥,٤
ثانوي	٢٠,٦	٤٦,٣	٢٧,٨	٥,٣	١٣,٩
دبلوم متوسط	١٧,٤	٤١,٨	٣٣,٩	٦,٩	٦,٧
بكالوريوس	٢٥,٣	٤٧,٧	٢٣	٤	٩,١
دبلوم عالي	٢١,٢	٤٨,١	٢٦,٤	٤,٣	٠,٣
ماجستير	٢١,٥	٥٣,٣	٥٢,٣	٢,٩	١,٤
دكتوراه	٢٠,٤	٥٥	٢٢,١	٢,٥	٠,٥
غير مبين	٣٥,١	٤٢,٩	١٧,٩	٤,١	٢,٨

المصدر: الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، (٢٠٠٩) . النتائج النهائية للتعداد- تقرير السكان- الضفة الغربية، جدول ٨، ص٨٩.



شكل (5):التوزيع النسبي لحجم الأسر في الضفة الغربية
حسب الحالة التعليمية لرب الأسة لسنة 2007

المصدر: بيانات الجدول (٥)

كما يلاحظ من بيانات الجدول (٥) أن الأسر متوسطة الحجم (٤– ٦ أفراد) – وهي الفئة التي يقع فيها متوسط حجم الأسرة في الضفة– قد استحوذت على أعلى نسب أرباب أسر في مختلف الحالات التعليمية، وتأتي فئة حجم الأسرة ٧– ٩ أفراد في الترتيب الثاني في شغل أعلى نسب أرباب أسر في مختلف الحالات التعليمية، واستكمالاً لهذا الموضوع، فإنه في قراءةٍ أخرى لبيانات الجدول (٥) ، يتضح أن حجم تأثير الحالة التعليمية لرب الأسرة على حجمِ الأسرة فيه قليل من الحقائق المغايرة للتوقعات، فعلى سبيل المثال: من المتوقع عادةً في مثل هذا الموضوع أن ترتفع نسبة أرباب الأسر الأميين في الأسر كبيرة الحجم، إلا أن الواقع غير ذلك، فقد ارتفعت نسبة أرباب الأسر الأميين لتبلغ ٥٨٪ من مجموعهم عند فئة حجم الأسرة صغيرة الحجم (١– ٣ أفراد) ، بالقابل انخفضت نسبة أرباب أسر الأميين إلى ٨٪ من مجموعهم لدى الأسر كبيرة الحجم (١٠ أفراد فأكثر) ، وهذه حقيقةٌ مغايرةٌ للتوقعات كما ذكر، ولعل من المهم جداً في هذه الحالة معرفة السبب في ذلك، فعلى الأغلب أن عدم حصول هؤلاء الأميين على مؤهلٍ علمي– أو حتى وصولهم الى مستوى تعليمي يكون أفضل من الأمية– ضيَّق عليهم فرصَ اختيَار أنشطة اقتصاديةٍ ذات دخلٍ أفضل من فرص العمل المتاحة للأميين، وبالتالي شكل انخفاض الدًخل دافعاً لًخفض عددً أفراد الأسر، وهناك سبب آخر وهو أن أرباب الأسر الأميين يتزوجون من نساء متعلمات، وهؤلاء لهن أثرٌ في إنجاب عدد أقل من الأطفال، خاصة إذا كن يعملن في وظائف مختلفة.

وبالرغم من وجود هذه النسبة من الأميين بين أرباب الأسر، فإن هذا لا يحول دون التأكيد من خلال بيانات الجدول (٥) والشكل (٥) أن السكان في الضفة الغربية يحبذون الحصول على التعليم، وأن الأمية هي آخر خيارٍ لهم، فما يزيد عن ربع أرباب الأسر (٢٥,١٪) هم من مستوى المرحلة الإعدادية، وما يزيدً عن الخمس (٢١,١٪) من مستوى المرحلة الابتدائية، وما يقرب من ١٤٪ في المرحلة الثانوية، كما أن هناك نسبة لا بأس بها من مستوى المرحلة الجامعية، ويعدُ الشعب الفلسطيني أن التعليم هو طريق خلاص له خاصة منذ حدوث النكبة عام ١٩٤٨.

وأما في الجانب الآخر من الجدول (٥) والشكل (٥) فيلاحظ أن نسبة أرباب الأسر وفي كل الحالات التعليمية- باستثناء الأمية- تنخفض عند الأسر صغيرة الحجم (١- ٣ أفراد) ، وعند الأسر كبيرة الحجم (١٠ أفراد فأكثر) ، وإن كان الانخفاض عند الأسر كبيرة الحجم بنسبةٍ أكبر، فعلى ما يبدو من البيانات المتعلقة بهاتين الفئتين وخاصةً ما يتعلق بفئة الأسر كبيرة الحجم أن معظم أرباب الأسر في الضفة يميلون إلى تكوين أسرٍ متوسطة الحجم.

التوزيع النسبي للأسر حسب عدد صغار السن في الأسرة:

تعدُّ معرفة عدد صغار السن (أقل من ١٥ سنة) في الأسرة على درجةٍ عاليةٍ من الأهمية، وتتمثل هذه الأهمية في أن نسبة صغار السن تشكل عبئاً اقتصادياً على رب الأسرة، وبالتالي كلما زادت نسبة هؤلاء الصغار، كلما زاد عبء الإعالة على رب الأسرة على المدى القصير على أقل تقدير، على اعتبار أن هؤلاء الصغار سيشكلون نسبةً من العاملين المنتجين في المستقبل، وهناك أهميةٌ أخرى لمعرفة عدد صغار السن في الأسرة، والنسبة التي يشكلونها في المجتمع، فهذه النسبة يستخدمها المخططون للتنمية في الدولة عند رسم خططهم التنموية الاقتصادية والاجتماعية والصحية والتعليمية وغيرها.

وفي هذا الصدد تشير البيانات الرسمية الفلسطينية إلى أن متوسط عدد صغار السن في الأسرة في الضفة الغربية بلغ في سنة ٢٠٠٧ نحو ٢,٢٢ فرداً (الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، ٢٠٠٩ ٠ ص٧٣) ، أي ما يعادل ٤٠,٣٪ من حجم الأسرة، وقد اختلف هذا المتوسط قليلاً بين تجمع سكاني وآخر، فهو ٢,١٧ فرداً في الحضر، و٢,٣٨ فرداً في الريف، و٢,٢٨ فرداً في المخيمات، ويلاحظ من هذه المتوسطات أنها قريبةٌ من بعضها، وهذا أحد المؤشرات لمستويات الخصوبة في الضفة الغربية، وهي مستوياتٌ متشابهةٌ بالاستناد إلى هذا المقياس.

وثمة مدلولٌ اقتصادي لمتوسط عدد صغار السن في الأسرة، ويتمثل هذا المدلول بما يعرف بعبء إعالة صغار السن، وهو عدد صغار السن (أقل من ١٥ سنة) منسوباً إلى عدد السكان في الفئة العمرية ١٥- ٦٤ سنة، والذي بلغ في الضفة الغربية ٧٤,٨٪، وذلك بواقع ٧٤,١٪ للحضر، و ٧٦,٥٪ للريف، و ٧٧,١٪ للمخيمات (الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، ٢٠٠٩ ٠ ص٧٣) .

ومن زاويةٍ أخرى، تظهر بيانات الجدول (٦) والشكل (٦) أن عدد صغار السن في الضفة الغربية يتفاوتٍ من تجمع سكاني إلى آخر، فقد تبين أن ما نسبته ٢٨,٧٪ من أسر الضفة ليس لديها صغير سن، وكانت أعلى نسبةٍ لهذه الأسر في الحضر، وذلك بواقع ٢٩,٢٪ من

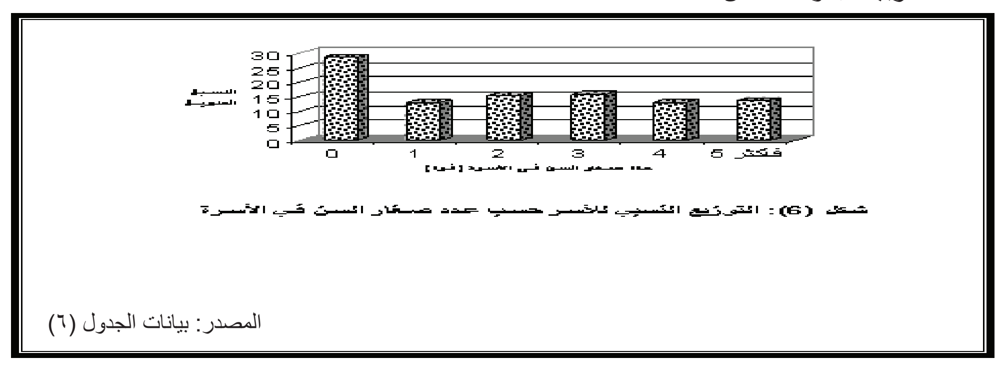
الأسر فيه، وأما أقل نسبة فكانت في الريف بواقع ٢٧,١٪، أما المخيمات فقد اقتربت النسبة فيها كثيراً من المتوسط في الضفة، وذلك بواقع ٢٨,٥٪ من مجموع الأسر فيها، ومن هذه النسب أنه لا يوجد اختلافاتٌ كبيرةٌ فيها بين تجمع وآخر، وهي تقترب كثيراً من المتوسط في الضفة سواءٌ بالزيادة أو النقصان، وهذا تأكيد آخرَ على تشابه الثقافة الإنجابية في مختلف أنواع التجمعات السكانية في الضفة، وقد أجري اختبار مربع كاي لاختبار العلاقة بين عدد الأسر التي لديها صغارٌ في السن، وبين نمط السكن الذي تعيش فيه أسر الصغار، وقد وُجد أن قيمة مربع كاي المحسوبة بلغت ١٤,٥ وهي أصغر من قيمة مربع كاي المجدولة، التي بلغت ١٨,٣ عند درجات حرية ١٠ ومستوى ثقة ٠,٠٥ وهذا يعني أن متغير عدد الأسر التي لديها صغارٌ في السن مستقل عن متغير نمط السكن لأسر الصغار.

الجدول (٦)

التوزيع النسبي للأسر حسب عدد صغار السن في الأسرة حسب نوع التجمع في الضفة الغربية لسنة ٢٠٠٧.

	نسبة الأسر ٪			
عدد صغار السن في الأسرة (فرد)	حضر	ريف	مخيمات	الضفة الغربية
٠	٢٩,٢	٢٧,١	٢٨,٥	٢٨,٧
١	١٣,٢	١٢,٨	١٢,٦	١٣
٢	١٥,٨	١٥	١٤,٧	١٥,٥
٣	١٦	١٥,٥	١٥,٧	١٥,٩
٤	١٣	١٣,٧	١٤,١	١٣,٢
٥ فأكثر	١٢,٨	١٥,٩	١٤,٤	١٣,٧
المجموع	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠

المصدر: الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، (٢٠٠٩). النتائج النهائية للتعداد- تقرير السكان- الضفة الغربية، جدول ٩، ص٩٠.



شكل (6): التوزيع النسبي للأسر حسب عدد صغار السن في الأسرة

المصدر: بيانات الجدول (٦)

ومن جهة أخرى يلاحظ أن الأسر التي تضم ٣ أفراد من صغار السن احتلت أعلى نسبةٍ من مجموع الأُسر التي يوجد صغار سن فيها، وذلك بواقع ١٥,٩٪ من أسر الضفة، وهذه النسبة تعني أن هذا العدد لصغار السن هو العدد الشائع نسبياً في أسر الضفة، ولم تظهر فروق تذكر بين الحضر والريف والمخيمات، فهي ١٦٪ و ١٥,٥٪ و ١٥,٧٪ على التوالي، وهذا تأكيدٌ إضافي على تشابه النظرة إلى الإنجاب في مختلف التجمعات السكانية، وهنا لا بد من التوضيح أن نسبةً كبيرةً من التجمعات السكانية في الضفة الغربية والتي تصنف على أنها تجمعاتٌ حضرية، ما هي إلى تجمعاتٌ ريفيةٌ في عاداتها وتقاليدها وثقافتها وسلوكها وخاصةً ما يتعلق منها بالخصوبة، وهذا التصنيف قلَّل كثيراً من الفوارق بين الحضر والريف في العديد من بيانات خصائص السكان فيهما.

كما يلاحظ من بيانات الجدول (٦) والشكل (٦) أن نسبة الأسر التي يوجد فيها خمسة من صغار السن أو أكثر هي نسبةٌ مشابهةٌ إلى حد كبير نسبة الأسر التي يوجد فيها صغير سن واحد أو أربعة، وهذا يعني: أنه مثلما يوجد أناسٌ يفكرون بعددٍ قليلٍ من الصغار، هناك نسبةٌ مشابهةٌ لهم تفكر بعددٍ كبيرٍ من الصغار، ولكلتا المجموعتين تبريراتهما وتفسيراتهما الخاصة بكلٍ منهما.

ومن البيانات التي تستوجب الذكر والتحليل، أن أقل نسبةٍ للأسر التي يوجد فيها خمسة صغار سنٍ أو أكثر كانت موجودة في الحضر، وذلك بواقعٍ ١٢,٨٪ من مجموع أسر الحضر، وبالمقابل ارتفعت هذه النسبة إلى ١٥,٩٪ في الريف، وإلى ١٤,٤٪ في المخيمات، وهذه النسب تعبر عن اختلاف نسبي بين الحضر من جهة، وبين الريف والمخيمات من جهةٍ أخرى، ويمكن أن يعزى هذا الاختلاف إلى أسبابٍ تعليمية واقتصادية وثقافية واجتماعيةً ودينية مختلفة.

التوزيع النسبي للأسر حسب عدد الأفراد الذين سنهم ٦٠ سنة فأكثر:

يشبه هذا الموضوع إلى حدٍ ما موضوع صغار السن في الأسر، وذلك من حيث أن الأفراد الذين سنهم ٦٠ سنة فأكثر يقعون في فئات قمة الهرم السكاني، وأن صغار السن يقعون في قاعدة الهرم، وأن كلتا الفئتين من السكان تستخدم لقياس عبء الإعالة الكلية في المجتمع، وحبذا لو كانت البيانات الخاصة بهذا الموضوع للأفراد الذين سنهم ٦٥ سنة فأكثر بدلاً من ٦٠ سنة فأكثر، لأن الفئة الأولى تعني كبار السن من منظورٍ ديموغرافي معروف، أما ٦٠ سنة فأكثر فليسوا كبار سنٍ، وبالتالي يصعب أن يساق عليهم ما يمكنً أن يساق على كبار السن (٦٥ سنة فأكثر) ، وعلى أية حال فإن من يبلغ من السن ٦٠ سنة يكون حسب المتوسط العام في أواخر العمر الإنتاجي له، وبهذا تعبِّر هذه النسبة إلى حدٍ ما عن نسبة وجود هؤلاء الكبار -إذا جاز لنا التعبير- في الأسرة.

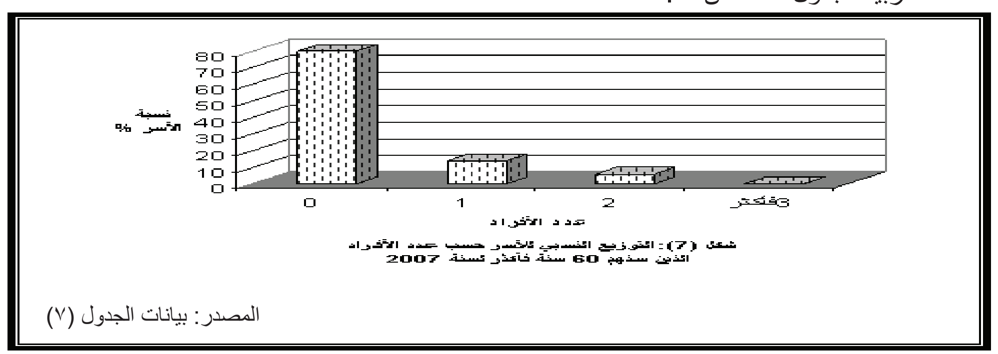
وتظهر بيانات الجدول (٧) والشكل (٧) ، أن ما نسبته ٧٩,٨٪ من أسر الضفة الغربية لا يوجد فيها أفرادٌ سنهم ٦٠ سنة فأكثر، ولا يظهر تفاوتٌ لافت للنظر في نسب هذه الأسر حسب نوع التجمع، فجميعِ النسب سواء في الحضر أو الريف أو المخيمات تدور حول هذا المتوسط إما بالزيادة قليلاً كما في الحضر (٨٠,٣٪) وإما بالنقصان قليلاً كما في الريف والمخيمات (٧٨,٥٪ و ٧٩,٧٪ على التوالي) ، ولا شك أن هذه النسب تؤكد على تشابه الحقائق الديموغرافية المتعلقة بالأفراد الذين سنهم ٦٠ سنة فأكثر في مختلف أنواع التجمعات السكانية في الضفة، ومن هذه الحقائق على سبيل المثال: تشابه معدلات الوفاة الخامٍ، ومعدل الوفاة العمري، وتشابه توزيع السكان حسب الفئات العمرية الرئيسية، فمثلاً: بلغت نسبة كبار السن ٣,٣٪ من مجموع السكان في الحضر، وفي الريف ٣,٦٪، وفي المخيمات ٣,٣٪،وكذلك الحال يقال عن التشابه في فئة صغار السن وفئة متوسطي السن، ويمكن أن نضيف إلى هذه الحقائق أيضاً أن ارتفاع نسبة الأسر النووية في الضفة الغربية (٨١,٨٪) سيقلل من فرصة وجود أفراد سنهم ٦٠ سنة فأكثر في الأسرة، وبالتالي سترتفع نسبة الأسر التي لا يوجد فيها هؤلاء الأفراد، وهذا ما كان بالفعل.

الجدول (٧)

التوزيع النسبي للأسر حسب عدد الأفراد الذين سنهم ٦٠ سنة فأكثر
حسب نوع التجمع في الضفة الغربية لسنة ٢٠٠٧.

عدد الأفراد ٦٠ سنة فأكثر (فرد)	نسبة الأسر ٪			
	حضر	ريف	مخيمات	الضفة الغربية
٠	٨٠,٣	٧٨,٥	٧٩,٧	٧٩,٨
١	١٣,٦	١٤,٩	١٤,٥	١٤
٢	٥,٩	٦,٤	٥,٧	٦
٣ فأكثر	٠,٢	٠,٢	٠,١	٠,٢
المجموع	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠

المصدر: الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، (٢٠٠٩) . النتائج النهائية للتعداد- تقرير السكان- الضفة الغربية، جدول ١٠، ص٩٤.



شكل (7): التوزيع النسبي للأسر حسب عدد الأفراد الذين سنهم 60 سنة فأكثر لسنة 2007

المصدر: بيانات الجدول (٧)

ويظهر الجدول (٧) والشكل (٧) أيضاً أن نسبة الأسر التي يوجد فيها فردٌ واحدٌ ٦٠ سنة فأكثر لم تتجاوز ١٤٪ من مجموع أسر الضفة، وهذه النسبة لا تبعث على الارتياح، لأنها تشير إلى انخفاضٍ واضحٍ في نسبة كبار السن في ظل تراجع لمتوسط حجم الأسرة كما سلف، ولا يوجد اختلافاتٌ كبيرةٌ في هذه النسبة تعود إلى اختلاف نوع التجمع، فهي –وإن انخفضت قليلاً عن المتوسط في الحضر– إلا أنها قريبةٌ من بعضها في مختلف أنواع التجمعات السكانية (١٣,٦٪ للحضر و١٤,٩٪ للريف و ١٤,٥٪ للمخيمات) . ولكن النسبة تنخفض أكثر لدى الأسر التي يوجد فيها فردان سنهما ٦٠ سنة فأكثر، لتشمل ٦٪ فقط من مجموع أسر الضفة، وهذه النسبة أيضاً لا تسجل اختلافاتٍ كبيرةً بين أنواع التجمعات السكانية.

وفي هذا الشأن أيضاً يلاحظ أن أدنى نسبة للأسر التي تضم أفراداً سنهم ٦٠ سنة فأكثر موجودة لدى الأسر التي تضم ثلاثةً منهم فأكثر، وذلك بنسبة ٠,٢٪ من مجموع أسر الضفة، وهذه النسبة لا تختلف إلا قليلاً جداً من نوع تجمع إلى آخر.

إن هذا التوزيع لنسب الأسر حسب عدد الأفراد الذين سنهم ٦٠ سنة فأكثر ما هو إلا نتيجة وانعكاس لظواهر ديموغرافية عدة، منها ما كانت سائدة سابقاً، ومنها ما هي سائدةٌ حالياً، فمنها على سبيل المثال: انخفاض نسبة صغار السن في الضفة الغربية من ٤٥٪ في سنة ١٩٩٧ إلى ٤٠,٣٪ في سنة ٢٠٠٧، ومنها أيضاً: ارتفاع نسبة متوسطي السن من ٥١,٢٪ في سنة ١٩٩٧ إلى ٥٤٪ في سنة ٢٠٠٧، وقد ترتب على هذه التغيرات في نسب صغار السن ومتوسطي السن حدوث تغيراتٍ في نسب كبار السن، إذ انخفضت نسبتهم من ٣,٨٪ في سنة ١٩٩٧ إلى ٣,٣٪ في سنة ٢٠٠٧ (الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، ٢٠٠٩. ص٥٧) ، والقصد من كل هذا هو التأكيد على أن انخفاض نسبة كبار السن أو الذين سنهم ٦٠ سنة فأكثر ليس بالضرورة أن يكون عائداً إلى ارتفاع معدلات الوفيات سواءٌ الخام أم العمري، حيث تؤكد البيانات الرسمية الفلسطينية أن معدل الوفيات الخام في الضفة انخفض من ٥,١ بالألف في سنة ١٩٩٧ إلى ٤,٤ بالألف في سنة ٢٠٠٩ (الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، ٢٠٠٩، ص٥٧) . ومن زاوية أخرى بينت الدراسة أن ما نسبته ٧٩,٨٪ من أسر الضفة لا يوجد فيها أفراد سنهم ٦٠ سنة فأكثر، وقد كانت هذه النسبة متقاربة في مختلف أنماط السكن.

التوزيع النسبي للأسر حسب عدد الأفراد النشيطين اقتصادياً:

إن لمعرفة عدد النشيطين اقتصادياً في الأسرة أهميةً كبيرةً في نواحٍ عدة في الأسرة والمجتمع، فلعدد النشيطين اقتصادياً في الأسرة تأثيرٌ مباشرٌ في حركة السكان وبنيتهم، أما الحركة فتتمثل في الوفيات والخصوبة والهجرة (سهاونة، ١٩٨٣، ص١٢٩)

، وأما بنية السكان فتتكون من صفاتٍ عدة تتمثل في التركيب العمري والتركيب النوعي للسكان، والحالة الزواجية والحالة التعليمية والحالة الاقتصادية وغيرها، وربما كانت الحالة الاقتصادية هي أكثر هذه الصفات أهميةً، لأنها تحمل في معانيها معدل النشاط الاقتصادي الخام، ومعدل النشاط الاقتصادي العام، وعدد العاملين في الأسرة، والمهنة والبطالة والدخل ونسبة الإعالة الحقيقية، ويمكن استخدام كل هذه الصفات كمقاييس لمدى رفاهة الأسرة والمجتمع، فالاتجاه العام أنه كلما زاد عدد النشيطين اقتصادياً في الأسرة، كلما زاد دخل الأسرة، وهنا يجب التنبيه إلى ضرورة التعامل مع هذا الاتجاه بحذرٍ وانتباه، وخاصةً معدلات الدخل للأفراد النشيطين اقتصادياً، فرب فرد واحد يكون دخلهُ مساوياً لدخول ثلاثة أفراد، وأحياناً أكثر من ذلك من ذوي الدخول المتدنية، وفي المحصلة يجب أن لا يغيب عن البالٍ أن لمجموع الصفات الاقتصادية في الأسرة تأثيراً مباشراً وكبيراً على مختلف التراكيب السكانية الأخرى.

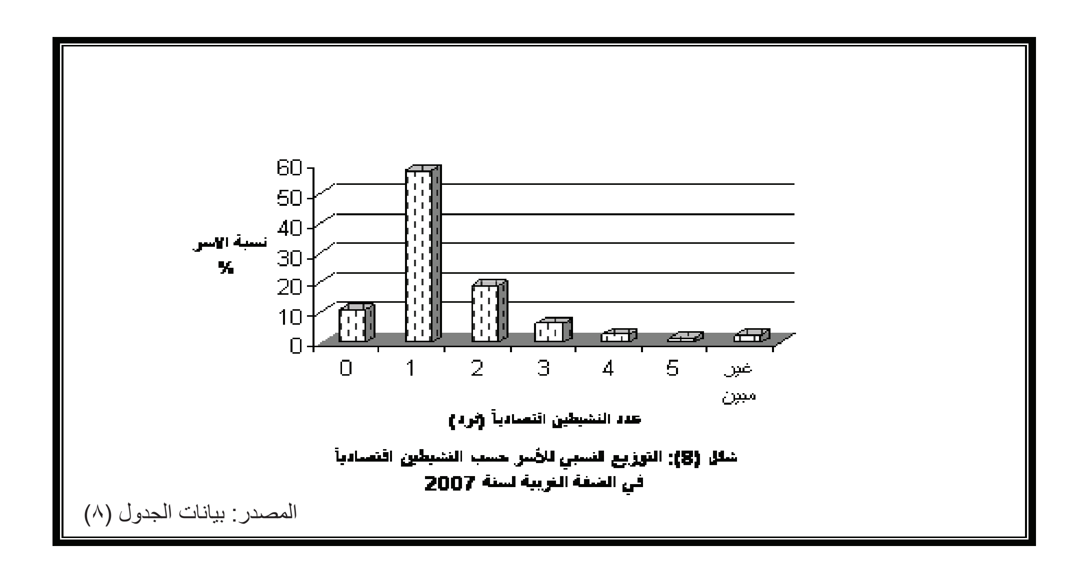
وتظهر بيانات الجدول (٨) والشكل (٨) نسب توزيع الأسر في الضفة الغربية حسب عدد الأفراد النشيطين اقتصادياً في الأسرة، حيث يتبين أن ما نسبته ١١٪ من أسر الضفة لا يوجد فيها أي فردٍ نشيط اقتصادياً، وبمعنى آخر، فإن هذه الأسر لا يوجد فيها فردٌ يعمل وله دخلٌ معين ينفقهُ على الأسرة، وبالتالي فإن هذه النسبة من الأسر تعتمد في معيشتها على مصدر آخر للدخل، كأن يكون رب الأسرة النشيط اقتصادياً يعمل في الخارج، ويرسل النقود إلى أسرته في الضفة، أو أن هناك جهة ذات صلة قرابة بالأسرة تنفق على مثل هذه الأسر، وهناك احتمالٌ آخر يتمثل في جهةٍ اجتماعيةٍ رسميةٍ أو شعبيةٍ تقوم بالإنفاق على هذه الأسر.

الجدول (٨)

التوزيع النسبي للأسر حسب عدد النشيطين اقتصادياً في الضفة الغربية لسنة ٢٠٠٧.

عدد النشيطين اقتصادياً (فرد)	نسبة الأسر ٪
٠	١١
١	٥٧,٥
٢	١٨,٩
٣	٦,٣
٤	٢,٦
٥	١,٢
غير مبين	٢,٥
المجموع	١٠٠

المصدر: الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، (٢٠٠٩) . النتائج النهائية للتعداد- تقرير السكان- الضفة الغربية، جدول ٤٣، ص٢٧٧.



شكل (8): التوزيع النسبي للأسر حسب النشيطين اقتصادياً في الضفة الغربية لسنة 2007

المصدر: بيانات الجدول (٨)

وتظهر بيانات الجدول (٨) والشكل (٨) أن ما نسبته ٥٧,٥٪ من أسر الضفة يوجد فيها فردٌ نشيطٌ اقتصادياً، وغالباً ما يكون هذا الفرد هو رب الأسرة، وخاصةً في الأسر النووية وهي النمط الشائع لنوع الأسر في الضفة، وليس معنى هذا أن كل الأسر النووية يوجد فيها فردٌ نشيطٌ اقتصادياً، بل على العكس فهناك نسبةٌ من هذه الأسر لا يوجد فيها فردٌ نشيطٌ اقتصادياً بدليل أن نسبة الأسر النووية في الضفة قد بلغت ٨١,٨٪ من مجموع أسر الضفة (أنظر الجدول (٤)) ، وهذه النسبة أعلى بكثير من نسبة الأسر التي يوجد فيها فردٌ نشيطٌ اقتصادياً، ولكن يمكن أن يقلل من هذا الفرق إمكانية وجود نسبةٍ من الأسر النووية يوجد فيها فردان أو أكثر نشيطون اقتصادياً.

ومن الملاحظات الأخرى التي يمكن قراءتها بوضوح في بيانات الجدول (٨) والشكل (٨) أن عدد الأسر ونسبتها ينخفض كلما زاد عدد النشيطين اقتصادياً في الأسرة، فالأسر التي يوجد فيها فردان نشيطان اقتصادياً شغلت نسبة ١٨,٩٪ من مجموع أسر الضفة، والأسر التي فيها ثلاثة نشيطين اقتصادياً شغلت ٦,٣٪ من مجموع الأسر، وهكذا تستمر العلاقة العكسية بين نسبة الأسر وعدد النشيطين اقتصادياً فيها حتى الوصول إلى الأسر التي يوجد فيها خمسة أفرادٍ نشيطين اقتصادياً، حيث تنخفض نسبة هذه الأسر إلى ١,٢٪ من مجموع الأسر، وهذه نتيجة متوقعة، فوجود خمسة أفرادٍ نشيطين اقتصادياً في الأسرة يعدُّ عدداً كبيراً، وبالتالي فهو قليل الوجود.

النتائج:

أظهرت الدراسة التحليلية للتركيب البنائي للأسرة في الضفة الغربية النتائج الآتية:

١. أن متوسط حجم الأسرة في الضفة الغربية آخذ بالانخفاض، فقد انخفض من ٦,١ أفراد في سنة ١٩٩٧ إلى ٥,٥ أفراد في سنة ٢٠٠٧، وكان من أبرز العوامل التي أدت إلى هذا الانخفاض حصول ارتفاعٍ في نسبة الأسر النووية، وانخفاضٍ في معدلات الخصوبة.

٢. كان متوسط حجمِ الأسرة في معظم محافظات الضفة قريباً من الوسط الحسابي في الضفة، ولم يظهر تطرفٌ نسبي في حجم الأسرة إلا في محافظة الخليل بمتوسطٍ قدره ٦,٢ أفراد.

٣. احتل متوسط حجم الأسرة في الريف أكبر متوسطٍ في الضفة، وكان ذلك بواقع ٥,٧ أفراد، وهذا الحجم يعكس الواقع الاقتصادي الزراعيٍ والواقع الاجتماعي ذا العادات والتقاليد الموجودة في الريف، والتي تشجع على زيادة الإنجاب، وبالمقابل انخفض المتوسط في الحضر قليلاً فبلغ ٥,٤ أفراد، وأما المخيمات فقد تماشى متوسط حجم الأسرة فيها مع المتوسط في الضفة.

٤. شكلت الأسر التي تتكون من ٤– ٦ أفراد أعلى نسبةٍ من الأسر في الضفة، وذلك بنسبة ٤١,٧٪ من مجموع الأسر، وبالمقابل لم تشغل الأسر التي تتكون من ١٠ أفراد فأكثر سوى ٦,١٪ من مجموع الأسر.

٥. أن هناك أربعة أنواع من الأسر في الضفة، وقد احتلت الأسرة النووية أعلى نسبةٍ فيها (٨١,٨٪ من مجموع الأسر) ، وهذه النسبة تشير إلى حدوث ارتفاعٍ في هذا النوع من الأسر بالنسبة لما كان عليه سنة ١٩٩٧، حيث شغلت الأسر النووية وقتها ما نسبته ٧٤٪ من أسر الضفة، وهذه النسبة المرتفعة تعبر عن وجود رغبةٍ لدى نسبةٍ كبيرةٍ من السكان للاستقلال بأسرٍ لا تضم غير الزوجين وأبنائهما.

٦. في موضوع الحالة التعليمية لرب الأسرة، فقد احتل أرباب الأسر من المرحلة الإعدادية أعلى نسبةٍ من بين أرباب الأسر في الضفة، وذلك بنسبة ٢٥,٤٪ من مجموع الأسر، يليهم ذوو المرحلة الابتدائية بنسبة ٢١,١٪، وهذه النسبة تظهر أن هناك رغبةً لدى هؤلاء الأرباب– عندما كانوا طلاباً في المدرسة– في الحصول على مستوى معقولٍ من التعليم كالمرحلة الإعدادية أو المرحلة الابتدائية، كما أظهرت الدراسة أن هناك نسبةً من أرباب الأسر كانوا أميين، وهذه النسبة تبعث على القلق في الضفة الغربية.

٧. انخفض متوسط عدد صغار السن في الأسرة من ٢,٧٥ فرداً في سنة ٢٠٠٧ إلى ٢,٢٢ فرداً في سنة ٢٠٠٧، وبهذا يكون قد ترتب انخفاضٌ على عبء إعالة صغار السن من ٨٧,٩٪ في سنة ١٩٩٧ إلى ٧٤,٨٪ في سنة ٢٠٠٧.

٨. عدم وجود فروقٌ كبيرةٌ في متوسط عدد صغار السن في الأسرة تبعاً لاختلاف نوع التجمع، فقد بلغ هذا المتوسط ٢,١٧ فرداً في الحضر، و ٢,٣٨ فردا في الريف، و ٢,٢٨ فرداً في المخيمات، ويمكن الاستدلال من هذه المتوسطات إلى تشابه مستويات الخصوبة في مختلف التجمعات السكانية.

٩. أن ٧٩,٨٪ من أسر الضفة الغربية لا يوجد فيها أفرادٌ سنهم ٦٠ سنة فأكثر، ولا يوجد تفاوتٌ لافت للنظر في نسب هذه الأسر حسب نوع التجمع (٨٠,٣٪ في الحضر و٧٨,٥٪ في الريف و٧٩,٧٪ في المخيمات) ، ويمكن استخدام هذا الواقع كمؤشرٍ على تشابه معدلات الوفاة الخام في مختلف أنواع التجمعات السكانية، وتشابه معدل الوفاة العمري لمن سنهم ٦٠ سنة فأكثر.

١٠.أن ١١٪ من أسر الضفة لا يوجد فيها فردٌ نشيطٌ اقتصادياً، وبالتالي فإن إعالة هذه الأسر من إحدى المصادر التي تقع خارج الأسرة، وهذه المصادر على أنواع عدة أوضحتها الدراسة، وأظهرت الدراسة أيضاً أن ما نسبته ٥٧,٥٪ من الأسر يوجد فيها فردٌ واحدٌ نشيطٌ اقتصادياً.

التوصيات:

في ضوء النتائج التي توصلت إليها الدراسة يمكن وضع التوصيات الآتية:

١. ضرورة وضع خططٍ مناسبة تكون مبنيةً على الوقائع الاقتصادية والاجتماعية والتعليمية والثقافية التي توصلت إليها هذه الدراسة وغيرها من الدراسات السابقة، للحد من تراجع متوسط حجم الأسرة، وخاصةً ما يتعلق بتناقص نسبة صغار السن.

٢. إن الأسس المتبعة لدى الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني لتمييز التجمعات الحضرية عن التجمعات الريفية، أدت إلى تصنيف عشرات القرى على أنها تجمعاتٌ حضرية، علماً بأن كثيراً من السلوكيات الاجتماعية والاقتصادية والديموغرافية في هذه القرى هي سلوكياتٌ ريفية، وإن مسألة تصنيفها إلى تجمعاتٍ حضريةٍ يعني زيادةً في بعض الظواهر الديموغرافية في الحضر، وخفض هذه الظواهر في الريف، مثل متوسط حجم الأسرة، ونسبة الأسر النووية، ونسبة صغار السن، ونسبة كبار السن في الأسرة ...الخ، وبناء على هذا يمكن

التوجه بالتوصية لدى المسؤولين في الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني لإعادة تقويم أسس تصنيف التجمعات السكانية إلى حضرٍ أو ريف.

٣. نظراً لارتفاع نسبة الأسر النووية بشكل ملحوظ، فهذا يعني ميل نسبة كبيرةٍ من الأزواج وخاصةً الشابة منهم نحو الاستقلال بأسرٍ منفصلةٍ عن العائلة، وهذا الواقع ينبه إلى ضرورة مساعدة هؤلاء الأزواج بتوفير مساكنٍ مستقلةٍ لهم، مثل بناء مشاريع إسكانٍ بشروطٍ تراعي دخول هؤلاء الأزواج، أو توفير قطع أراضٍ للبناء بأسعارٍ معقولةٍ وبشروط تسديدٍ محتملة، أو إعطاء القروض الميسرة في قيمة سدادها وفي فترة السداد.

٤. ضرورة تشجيع الأهالي لأبنائهم بعدم التسرب من المدرسة، وما دام هؤلاء الأبناء سيصبحون أرباب أسرٍ في المستقبل، فليكونوا على مستوى أعلى من التحصيل العلمي.

٥. نظراً لانخفاض نسبة صغار السن في الأسرة من ٢,٧٥ فرداً في سنة ١٩٩٧ إلى ٢,٢٢ فرداً في سنة ٢٠٠٧، فإنه يجب التوجه بالتوصية إلى الأزواج لأن يرفعوا معدلات خصوبتهم حتى ترتفع نسبة صغار السن، وما يتبعها من ارتفاع في حجم الأسرة، وأن تقوم الجهات المسؤولة في السلطة الفلسطينية باتخاذ الإجراءات المدروسة – وهي باتجاهاتٍ متعددة– التي من شأنها مساعدة الأزواج في رفع معدلات خصوبتهم.

٦. ضرورة العمل على خفض نسبة الأسر التي لا يوجد فيها أفرادٌ سنهم ٦٠ سنة فأكثر، لأن ارتفاع هذه النسبة يعني انخفاض عدد كبار السن في المجتمع، وغالباً ما يكون هذا الانخفاض بسبب الوفاة، كما لا يجوز النظر إلى وجود هؤلاء الأفراد على أنهم جزءٌ من عبء الإعالة الملقى على عاتق رب الأسرة، وعلى العكس من ذلك يمكن أن يكون بعض هؤلاء الأفراد ما زال يعمل وينتج، وأنه رجل مساهمٌ في قيمة الدخل القومي للبلد، إضافةً إلى الإمكانية الكبيرة في الاستفادة من خبرات هؤلاء الكبار في شتى المجالات الصناعية والزراعية والتجارية والمهنية والاجتماعية والصحية وغيرها، أضف إلى كل هذا، فإن ارتفاع نسبة كبار السن في المجتمع يستخدم كمؤشرٍ واضحٍ على مدى التقدم الصحي والغذائي والتعليمي في ذلك المجتمع.

٧. ضرورة معرفة ما هي مصادر الدخل للأسر التي لا يوجد فيها أي فردٍ نشيطٍ اقتصادياً والبالغ نسبتها ١١٪ من أسر الضفة الغربية، فإذا كانت المصادر عن طريق الهبات والمساعدات والمعونات الاجتماعية، فإنه لا بد من التوصية إلى كل جهةٍ رسميةٍ أو أهليةٍ ذات علاقة صغيرةٍ كانت أم كبيرة بهذا الشأن أن يكونوا متنبهين في مساعداتهم حتى لا يتسببوا بأي حرجٍ أو خجلٍ لأفراد هذه الأسر. وأما إذا كان مصدر الدخل من أحد أفراد الأسرة العاملين في الخارج فلا بأس في ذلك، ونأمل أن يعود كل مهاجرٍ إلى وطنه.

المصادر والمراجع:

أولاً- المراجع العربية:

١. أبوصالح، ماهر. (٢٠٠٣) .»محافظة طولكرم – دراسةٌ في جغرافية السكان«. رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة عين شمس– القاهرة– مصر.

٢. احمد، حسين. (٢٠٠٠) ، التركيب الأسري في الضفة الغربية وقطاع غزة مجلة جامعة النجاح للأبحاث– ب (العلوم الإنسانية) ١٤ (١) ٩٣– ١٢٤.

٣. القين، غسان بن عبد العزيز. (٢٠٠٦) . إدارة الأسرة. دار المعرفة، بيروت– لبنان.

٤. الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني. (٢٠٠٨) . فلسطين في أرقام ٢٠٠٧، رام الله – فلسطين.

٥. الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني. (٢٠٠٨) . ورشة عمل حول الواقع الاجتماعي لسكان محافظات شمال الضفة الغربية، رام الله– فلسطين.

٦. الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني. (٢٠٠٨) . مسح القوى العاملة: دورة (نيسان– حزيران٢٠٠٨) ، الربع الثاني، ٢٠٠٨. المؤتمر الصحفي حول نتائج مسح القوى العاملة. رام الله– فلسطين.

٧. الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني. (٢٠٠٨) . المسح الفلسطيني لصحة الأسرة ٢٠٠٦، محافظة نابلس، رام الله– فلسطين.

٨. الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني. (٢٠٠٨) . مسح اتجاهات أصحاب/ مدراء المؤسسات الصناعية بشان الأوضاع الاقتصادية، آب ٢٠٠٨، الإعلان الصحفي حول نتائج المسح. رام الله– فلسطين.

٩. الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني. (٢٠٠٩) . النتائج النهائية للتعداد– تقرير السكان– الضفة الغربية. رام الله– فلسطين.

١٠. المجلس الاقتصادي الفلسطيني للتنمية والإعمار (بكدار) . (٢٠٠٨) . الفقر في الأراضي الفلسطينية، رام الله– فلسطين.

١١. الجولاني، فاديه عمر. (١٩٩٨) . دراسات حول الأسرة العربية، مركز الإسكندرية للكتاب– الإسكندرية– مصر.

١٢. عبد العاطي وآخرون، السيد (٢٠٠٦) . الأسرة والمجتمع، دار المعرفة الجامعية. القاهرة– مصر.

١٣. عثمان، سعيد محمد. (٢٠٠٩) . الاستقرار الأسري وأثره على الفرد والمجتمع، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية– مصر.

١٤. سهاونة، فوزي. (١٩٨٣) . مبادئ الديموغرافيا، الطبعة الثانية، الجامعة الأردنية، عمان، الاردن.

١٥. كمال، طارق. (٢٠٠٥) . الأسرة ومشاكل الحياة العائلية. مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية – مصر.

ثانياً- المراجع الأجنبية:

1. *The Arab Thought Forum,»Al- Multaqa» (1990) . «Population and Labor Force in Gaza Strip" Jeruzalem, Palestine.*
2. *Obermeyer, Makhlouf, (1995) , «Family, Gender, and population in the Middle east», Amman, Jordan.*
3. *Nielsen, Jorgan, (1995) , Major Social problems as a Result of Change», Amman, Jordan.*
4. *Stein, Rolf, (1995) , «The Family, its History, Function, Trends and perspectives», Amman. Jiordan.*

الآثار السياسية والاقتصادية والاجتماعية لظاهرة الأنفاق على المجتمع الفلسطيني في قطاع غزة من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس بالجامعات الفلسطينية

د. أشرف عبد الرحمن الغليظ*
د. زكي رمزي مرتجى**

* أستاذ مساعد/ قسم العلوم السياسية/ جامعة غزة.
** أستاذ مساعد/ قسم اجتماعيات التربية/ جامعة غزة.

ملخص:

هدفت الدراسة الحالية التعرف إلى الآثار السياسية والاقتصادية والاجتماعية لظاهرة الأنفاق على المجتمع الفلسطيني بقطاع غزة من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس بالجامعات الفلسطينية، وتقديم بعض التوصيات المقترحة للتغلب على الآثار السياسية والاقتصادية والاجتماعية، واستخدم الباحثان المنهج الوصفي التحليلي، وكانت أداة الدراسة استبانة مكونة من (٣٣) فقرة موزعة على ثلاثة محاور، وتكونت عينة الدراسة من (٩٦) عضو هيئة تدريس في الجامعة الإسلامية، وجامعة الأزهر، وجامعة الأقصى، وجامعة القدس المفتوحة، وجامعة غزة، وقد بلغ الوزن النسبي للدرجة الكلية لآثار ظاهرة الأنفاق على المجتمع الفلسطيني بقطاع غزة من وجهة نظر أفراد العينة (٥٠,٣٠ ٪) ، مما يشير إلى أن آثار الأنفاق سلبية بشكل عام على المجتمع الفلسطيني بقطاع غزة، وقد كشفت الدراسة عن عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية تعزى لمتغير الرتبة الأكاديمية، وقد أظهرت الدراسة وجود فروق ذات دلالة إحصائية تعزى لمتغير الجامعة، وقد كانت لصالح أعضاء هيئة التدريس في الجامعة الإسلامية، وكشفت عن وجود فروق ذات دلالة إحصائية تعزى لمتغير الجنس، وقد كانت لصالح الذكور في محور الآثار الاجتماعية، وفي ضوء نتائج الدراسة قدم الباحثان عدداً من التوصيات.

Abstract:

The present study aimed to indentify the political, economical and social effects for the tunnel phenomena on Palestinian society in Gaza strip from the point view of the teaching staff in Palestinian universities, and present some recommendations in order overcome its political, economical and social effects. The researchers used the analytic descriptive method. The study tool was a questionnaire prepared by the researcher. It consisted of (33) items distributed over three domains. The study population consisted of (96) teaching staff members in the Islamic university, Alazher University, Alqsa University, Alquds Open University, and Gaza University. The mean for the total results was (50.30%) this means that the tunnel effects were negative on Gaza society. The study revealed also that there are no statistically significant differences due to the academic rank variable. The study showed that there are statistically significant differences due to university variable, in favor of the teaching staff of the Islamic university. Furthermore, the study revealed that there are statistically significant differences due to the gender variable; in favor of it was for male. In the light of study, the researchers presented some recommendations.

مقدمة:

أفضت انتخابات ٢٥ يناير ٢٠٠٦ إلى فوز حركة المقاومة الإسلامية حماس بنحو ٧٦ مقعداً من مقاعد المجلس التشريعي الفلسطيني، ودخولها ككتلة برلمانية كبرى لها وزن على الساحة السياسية الفلسطينية شكلت بموجبها الحكومة الفلسطينية العاشرة، مع إعلانها تمسكها بخيار المقاومة كشعار لتحرير الأرض والمقدسات، الأمر الذي أدى إلى فرض الحصار على قطاع غزة من قبل الاحتلال الإسرائيلي مدعوم من الولايات المتحدة والدول الأوروبية، وغياب الإستراتيجية الفلسطينية لفك الحصار عن قطاع غزة.

وقد أدى الاختلاف ما بين مؤسسة الرئاسة، ورئاسة مجلس الوزراء في التعامل حول فك الحصار، وتنازع الصلاحيات على المؤسسة الأمنية التي ما زالت موالية لمسيرة الحكم السابق إلى وجود حالة من الاحتقان الداخلي، وصلت إلى حد الصدام المسلح، وانتهت بالأحداث التي شهدها قطاع غزة في يونيو ٢٠٠٧م، والتي أدت إلى سيطرة حركة حماس بالقوة على قطاع غزة، وما تلاها من شق للوحدة الوطنية بين أطياف الشعب الفلسطيني، وظهور حالة من المناكفات السياسية، والإقصاءات من قبل الأطراف السياسية القابضة على زمام الأمور في شطري الوطن.

وقامت سلطات الاحتلال الإسرائيلي عقب أحداث يونيو ٢٠٠٧ بتشديد الحصار على قطاع غزة، ومنع دخول السلع والبضائع إلى قطاع غزة، باستثناء النزر اليسير من السلع والمواد الغذائية، بحيث أصبح مجموع ما يدخل من السلع والأصناف نحو ٤٠ صنفاً من نحو ٤٠٠٠ آلاف صنف كانت تدخل إلى قطاع غزة قبل فرض الحصار.

وألقى الحصار بظلاله المأساوية على قطاع غزة بصورة تمثلت في ارتفاع أسعار مختلف السلع، والشح في المواد الأساسية، وتعطل المصانع، وزيادة البطالة، وزيادة الفقر بين المواطنين نتيجة توقف الدعم الخارجي من قبل دول الاتحاد الأوروبي.

وأمام هذا الوضع المأساوي والحصار الظالم، لم يكن أمام الفلسطينيين والسلطة الموجودة في قطاع غزة بداً من التفكير في حلول للخروج من هذا المأزق، فكان التوجه الفلسطيني نحو الحدود المصرية بهدف كسر الجدار الفاصل بين قطاع غزة ومصر فيما عرف بـ «ثورة الجياع»، ولكن هذه الحدود سرعان ما أغلقت، الأمر الذي اضطر الفلسطينيين إلى حفر أنفاق تحت الأرض على طول الشريط الحدودي بين رفح الفلسطينية ورفح المصرية، بهدف تهريب السلع والمواد الغذائية والمحروقات وغيرها، للتغلب على هذا الحصار الظالم، وترتب على شق هذه الأنفاق آثار كثيرة على حياة المجتمع الغزي في شتى المجالات، الأمر الذي استدعى دراسة الآثار السياسية والاقتصادية والاجتماعية لظاهرة الأنفاق دراسة علمية.

مشكلة الدراسة وأسئلتها:

تركت ظاهرة الأنفاق المنتشرة على الحدود المصرية الفلسطينية آثاراً واضحة على المجتمع الفلسطيني في مناحي الحياة المختلفة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وقد صدرت دعوات كثيرة من القوى الوطنية تدعو إلى دراسة آثار هذه الظاهرة على المجتمع الغزي، منها دعوة القوى الوطنية في محافظة رفح في ديسمبر ٢٠٠٨ إلى دراسة السلبيات التي ترتبت عليها خاصة فيما يتعلق بعمالة الأطفال، وضياع حقوق العاملين فيها، سواء الذين يفقدون حياتهم أو يصابون نتيجة العمل فيها، ودعوة الإعلاميين وخبراء الاقتصاد في الكلية الجامعية للعلوم التطبيقية في ديسمبر ٢٠٠٨ إلى دراسة الآثار السياسية والاجتماعية لظاهرة الأنفاق، **لذا جاءت هذه الدراسة بهدف الإجابة عن الأسئلة الآتية:**

- ما الآثار السياسية لظاهرة الأنفاق على المجتمع الفلسطيني بقطاع غزة من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس بالجامعات الفلسطينية؟
- ما الآثار الاقتصادية لظاهرة الأنفاق على المجتمع الفلسطيني بقطاع غزة من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس بالجامعات الفلسطينية؟
- ما الآثار الاجتماعية لظاهرة الأنفاق على المجتمع الفلسطيني بقطاع غزة من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس بالجامعات الفلسطينية؟
- هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في استجابات أفراد العينة تعزى لمتغيرات: (الجنس- والجامعة- والرتبة الأكاديمية) ؟
- ما التوصيات المقترحة للتغلب على الآثار السياسية والاقتصادية والاجتماعية لظاهرة الأنفاق على المجتمع الغزي؟

أهداف الدراسة:

- التعرف إلى الآثار السياسية لظاهرة الأنفاق على المجتمع الفلسطيني بقطاع غزة من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس بالجامعات الفلسطينية.
- التعرف إلى الآثار الاقتصادية لظاهرة الأنفاق على المجتمع الفلسطيني بقطاع غزة من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس بالجامعات الفلسطينية.
- التعرف إلى الآثار الاجتماعية لظاهرة الأنفاق على المجتمع الفلسطيني بقطاع غزة من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس بالجامعات الفلسطينية.

- الكشف عن الفروق في استجابات أفراد العينة تبعاً لمتغيرات: (الجنس- والجامعة- والرتبة الأكاديمية) .
- تحديد بعض التوصيات المقترحة للتغلب على الآثار السياسية والاقتصادية والاجتماعية لظاهرة الأنفاق على المجتمع الفلسطيني بقطاع غزة.

أهمية الدراسة:

- تستمد الدراسة أهميتها كونها تعالج ظاهرةً كان له آثارٌ كبيرة على المجتمع الغزي سياسياً واقتصادياً واجتماعياً، فلم يسبق أن تعرضت للموضوع دراسات أكاديمية في حدود علم الباحثين.
- قد تسهم الدراسة في لفت أنظار المسئولين وأصحاب القرار إلى الآثار السلبية على المجتمع الغزي نتيجة انتشار ظاهرة الأنفاق.
- تأتي هذه الدراسة استجابة للنداءات التي أطلقتها القوى الوطنية ووسائل الإعلام لدراسة الآثار التي ترتبت على انتشار ظاهرة الأنفاق دراسة علمية.

حدود الدراسة:

تتحدد الدراسة بالحدود الآتية:

١. **الحد الموضوعي**: تقويم الآثار السياسية والاقتصادية والاجتماعية لظاهرة الأنفاق على المجتمع الغزي.

٢. **الحد الجغرافي**: اقتصرت الدراسة على محافظات غزة.

٣. **الحد البشري**: استطلاع رأي أعضاء هيئة التدريس العاملين بالجامعات الفلسطينية: (الأزهر- والإسلامية- والأقصى- والقدس المفتوحة- وجامعة غزة) .

٤. **الحد الزماني**: جرت الدراسة في الفصل الدراسي الأول من العام الجامعي ٢٠١٠- ٢٠١١.

مصطلحات الدراسة:

◄ **الآثار**: هي النتائج السياسية والاقتصادية والاجتماعية المترتبة على انتشار ظاهرة الأنفاق على الحدود المصرية الفلسطينية ونقل السلع والمواد الاستهلاكية وغيرها من خلالها.

◄ **ظاهرة الأنفاق**: هي ممرات تحت الأرض قام الفلسطينيون في قطاع غزة بحفرها على الشريط الحدودي الفاصل بين الأراضي الفلسطينية والأراضي المصرية عقب فرض الحصار الإسرائيلي على قطاع غزة، نتيجة وصول حركة حماس للسلطة بعد انتخابات ٢٥ يناير ٢٠٠٦، وبعد أحداث يونيو ٢٠٠٧ التي أفضت إلى سيطرة حماس على قطاع غزة بالقوة، ويتراوح عمقها ما بين ٨- ٣٠ متر، وطولها ما بين ٣٠٠ متر إلى ١٥٠٠ متر تنقل من خلالها السلع والمواد الاستهلاكية وغيرها من الجانب المصري إلى الجانب الفلسطيني.

◄ **المجتمع الفلسطيني بقطاع غزة**: هو مجموعة الناس الفلسطينيين الذين يقطنون قطاع غزة قبل أحداث هجرة الفلسطينيين من أراضيهم عام ١٩٤٨ وبعدها، وهم جزء لا يتجزأ من المجتمع الفلسطيني حيث يعتبر قطاع غزة شريطاً ساحلياً تبلغ مساحته ٣٦٠ كم٢ تقريباً، ولسكانه ثقافة ولغة وعادات وتقاليد ومصير مشترك يوحد بينهم.

الدراسات السابقة:

نظراً لحداثة ظاهرة انتشار الأنفاق على المجتمع الغزي في السنوات الأربع الأخيرة، فلم تُدرس هذه الظاهرة دراسة علمية حسب علم الباحثين، إنما كانت هناك محاولات تمثلت في شكل مقالات وتحليلات صحافية لبعض أساتذة العلوم السياسية والإعلاميين وعلم الاجتماع تستند لآراء شخصية، ولعل أبرزها دراسة سمير مدللة أستاذ العلوم السياسية بجامعة الأزهر بعنوان: «اقتصاد الأنفاق بقطاع غزة: ضرورة وطنية!! أم كارثة اقتصادية واجتماعية؟» المنشور في مجلة سياسات الفصلية التي تصدر عن معهد الدراسات العامة في رام الله، العدد ١٢، نيسان ٢٠١٠ حيث أشار إلى أن الأنفاق أصبحت مؤسسات تجارية تشبه الشركات الاستثمارية التي تتعامل بنظام الأسهم والحصص، وأن الأنفاق تحل بعض المشكلات جراء الحصار الإسرائيلي فيما يتعلق بمتطلبات الحياة الأساسية، وتختلط الدوافع والأسباب لدى العاملين بصورة مليئة بالتناقض والمفارقات، بدءاً من أسباب البطالة والفقر والحاجة، وصولاً إلى جشع التجار والعصابات عبر تهريب كل أنواع السموم والمخدرات، ويؤكد أن الأنفاق حولت قطاع غزة إلى مجتمع استهلاكي، ووقوع كثير من المواطنين ضحايا للنصب والاحتيال.

ومقال ظاهرة الأنفاق هل أصبحت أمراً واقعاً؟! لزياد جرغون عضو اللجنة المركزية للجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين والمنشور في دنيا الرأي بتاريخ ١٤/ ١٢/ ٢٠٠٨، حيث أكد أن الأنفاق في رفح جاءت في ظرف احتلالي، وكرد طبيعي على قهر الاحتلال وحالة الحصار المفروض على قطاع غزة، وأن الأنفاق أدت إلى ظهور طبقة من الأغنياء،

وأشار إلى أن المجتمع الغزي أصبح استهلاكيا مائة بالمائة نتيجة توقف التصدير والإنتاج، وأدت إلى تشغيل آلاف من العمال فيها إضافة إلى شيوع ظاهرة عمالة الأطفال فيها دون رقيب أو حسيب، وأدت إلى وفاة وإصابة العشرات العمال دون ضمان لحقوقهم، ويؤكد أن الأنفاق خففت الضغط على إسرائيل لفتح المعابر ورفع الحصار، ويشير إلى أن إسرائيل عملت عبر محاولات تدريجية للتخلص من قطاع غزة، وزجه في وجه مصر ليربط بمصر اقتصاديا، والتنصل من مسؤولياتها كدولة احتلال مسئولة عنه، وفصل قطاع غزة عن الضفة الغربية والقدس، ويؤكد أن الأنفاق أدت إلى ارتفاع الأسعار واحتكار السلع من قبل طبقة من التجار.

ولقد دفعت قلة الدراسات العلمية حول موضوع الأنفاق الباحثين إلى عقد ورشة عمل حول الموضوع بهدف إحداث عصف ذهني وتكوين خلفية تساعد في بناء أداة الدراسة، حيث قاما بدعوة (١٥) عضو هيئة تدريس من العاملين في الجامعات الفلسطينية، ومن ذوي الاختصاص في مجال الاجتماع والاقتصاد والسياسية والتاريخ والإعلام.

الخلفية النظرية:

حلت السيادة العثمانية عام (١٥١٦م) محل السيادة المملوكية، وقد امتد الحكم العثماني في فلسطين إلى أربعمائة عام، وفي أثناء الحرب العالمية الأولى وقعت بريطانيا وفرنسا اتفاقية سايكس- بيكو (١٩١٦م) والتي ضمنت من خلالها بريطانيا أن تكون فلسطين بحدودها الحالية تحت احتلالها عام (١٩١٧م) وقد أعطى مؤتمر سان ريمو في عام (١٩٢٠م) بريطانيا حق الوصاية على فلسطين وفق المادة (٢٢) من ميثاق عصبة الأمم المتحدة، وانتهى هذا الانتداب في ١٥ مايو عام (١٩٤٨م) بعد قيام الكيان الصهيوني على أرض فلسطين التاريخية . (جامعة القدس المفتوحة، ٢٠٠٨)

ولم تكن الأنفاق في مدينة رفح جنوب غزة ظاهرة حديثة النشأة، بل هي ظاهرة تاريخية في المرحلة الممتدة من قيام الكيان الصهيوني عام ١٩٤٨- ١٩٦٧، ثم بعد احتلال قطاع غزة والضفة الغربية، حتى توقيع عملية السلام عام (١٩٩٣) ، و قيام السلطة ١٩٩٤ حتى الآن. لقد كان انسحاب الاحتلال الصهيوني من شبة جزيرة سيناء عام ١٩٨٢ المحطة الأولى لظاهرة الأنفاق السرية التي كانت تستخدم لتهريب الممنوعات، بالإضافة لما تحتاجه المقاومة من سلاح. (مدللة،٢٠١٠) .

وبعد أقل من عام على انسحاب إسرائيل من شبه جزيرة سيناء، تم اكتشاف أول نفق بين رفح الفلسطينية ورفح المصرية من قبل الاحتلال الصهيوني، ولكن لم تنته هذه الظاهرة، فتفاقمت، وخاصة منذ دخول الانتفاضة الأولى عام (١٩٨٧م) ، فكانت تستخدم لتهريب

الممنوعات والسلاح. فقبل عام (٢٠٠٠) عملت الأنفاق على تهريب الممنوعات، ونادراً ما كان يهرب السلاح للمقاومة. ولكن مع بداية انتفاضة الأقصى في سبتمبر من العام ٢٠٠٠، بدأت الأنفاق تعمل بشكل جدي في تهريب السلاح لفصائل المقاومة، وازداد عدد الأنفاق وتوسع نشاطها، فمع بداية الانتفاضة، عمل الاحتلال جاهداً على تفجير أي نفق يُكتشف، مما أدى إلى استشهاد العديد من الأشخاص الذين كانوا يعملون بالأنفاق، ولكن لم يمنع ذلك من مواصلة العمل بها، بل استمرت وتواصلت دون توقف، كما عملت فصائل المقاومة على حفر العديد من الأنفاق من أجل تهريب السلاح، مما أدى إلى ردود فعل صهيونية تمثلت بنسف مئات المنازل الحدودية في مدينة رفح وهدمها، بالآليات الصهيونية المتمركزة على الشريط الحدودي بين جمهورية مصر العربية وقطاع غزة في مدينة رفح. (مدللة، ٢٠١٠)

وبعد انسحاب الاحتلال الصهيوني من قطاع غزة عام (٢٠٠٥) بدأ يشدد من سيطرته على المعابر، وأدى فوز حركة المقاومة الإسلامية حماس بعد انتخابات (٢٥) يناير عام (٢٠٠٦) بنحو ٧٦ مقعداً من مقاعد المجلس التشريعي إلى فرض الحصار على قطاع غزة، وأدت أحداث يونيو ٢٠٠٧ التي أفضت إلى سيطرة حركة حماس على القطاع بالقوة إلى تشديد الحصار، وطال ذلك جميع مرافق الحياة، حيث مُنع تجار قطاع غزة من استيراد آلاف السلع والبضائع والمواد الخام، فأصبحت السلع قاصرة على بعض المواد الغذائية التي لا تتعدى أربعين صنفاً مع بعض الأدوية البسيطة. (الصوراني، ٢٠٠٨) .

وقد ازدادت الأنفاق في منطقة رفح على الشريط الحدودي بين جمهورية مصر العربية وقطاع غزة في ظرف احتلالي صعب، وكرد طبيعي على قهر الاحتلال، ومن هنا بدأت تأخذ مشروعيتها في إسناد المقاومة، ومن ثم للتخفيف من آثار الحصار الظالم والجائر الذي أصبح يشمل مناحي الحياة كافة بدءا من الوقود والكهرباء والماء والأدوية والمواد التموينية الأساسية، وأخيرا منع تحويل النقود للموظفين، من هنا حاولت الأنفاق المنتشرة على طول الحدود من التخفيف عن السكان المحاصرين بقطاع غزة الذين تجاوز عددهم المليون والنصف. (جرعون، ٢٠٠٨)

وبسبب الحصار تحول قطاع غزة إلى سجن كبير، ومقبرة جماعية، حيث رافق الحصار انهيار في المجالات كافة، ولا سيما المجال الاقتصادي الذي شمل القطاعات الاقتصادية كافة، إضافة لمنع المواد الخام مما أدى إلى إغلاق معظم المنشآت الصناعية، إضافة إلى ذلك فإن البعد الإنساني للحصار تمثل في موت العشرات من المرضى، إما لنقص الأدوية في المستشفيات، أو لمنع تحويلهم للعلاج في الخارج، كذلك امتد إلى التعليم ومنع دخول المواد التعليمية، وبخاصة في بدايات العام الدراسي، ومنع طلاب الجامعات من السفر لمواصلة دراستهم بالخارج أو في الضفة الغربية.

فلم يكن مستغرباً لدى المجتمع الغزي من توسيع عملية بناء الأنفاق بدون أي تنظيم أو إشراف، كشكل من أشكال التحدي للحصار، وتعزيز صمود المواطنين والتخفيف عن السكان المحاصرين في قطاع غزة الذين تجاوز عددهم المليون ونصف، وأصبحت الأنفاق شريان الحياة الرئيس لقطاع غزة المحاصر منذ حوالي أربع سنوات، وتُعدُّ الطريقة الوحيدة لتعزيز بقاء السلطة في قطاع غزة.

وقد رأى بعض أعضاء المجلس التشريعي من نواب حركة التغيير والإصلاح أن الأنفاق مهمة من أجل تخفيف الحصار، وأنها تحل بعض مشكلات الحصار الصهيوني الذي فرض على غزة فيما يتعلق بالحياة الأساسية. (وكالة اسوشيت برس ،٢٠٠٨) .

ولعل تهريب البضائع عبر الأنفاق هي عملية مملوءة بالتناقض والمفارقات، بدءاً من الركود الاقتصادي والفقر في بعض الأحيان، وصولاً إلى جشع أصحاب الأنفاق عبر تهريب كل أنواع الممنوعات، وهدفهم الوحيد أن يتحكموا بالسوق والأسعار ويحتكرون السلع، بأسعار باهظة، وتحقيق الحد الأعلى من الأرباح، دون الأخذ بالوضع الإنساني أو الوطني. (الصوراني، ٢٠٠٨)

ومن الجدير ذكره أن فصائل المقاومة الفلسطينية استخدمت أسلوب حفر الأنفاق لتنفيذ عمليات فدائية ضد الاحتلال الصهيوني، الأمر الذي أكسب الأنفاق الشرعية والتأييد في المجتمع الفلسطيني، فقد كان أول استخدام للأنفاق في عمليات فدائية خلال انتفاضة الأقصى في ٢٦ سبتمبر ٢٠٠١، حينما فجرت المقاومة الفلسطينية عبوة كبيرة أسفل موقع (ترميد) العسكري الصهيوني قرب بوابة صلاح الدين في رفح على الحدود المصرية الفلسطينية، تلاها عملية في ١٣ ديسمبر ٢٠٠٣ أسفل موقع (حردون) العسكري في حي يبنا برفح. (زقوت، ٢٠١٠)

وتشير (سلامة، ٢٠٠٩) إلى أن تهريب البضائع عبر الأنفاق أدى إلى توفير السلع بأسعار مضاعفة، وإطالة أمد الحصار الصهيوني لقطاع غزة، ومن ثم اعتماد قطاع غزة شيئا فشيئا على مصر، مما يعني تحقيق الهدف الإسرائيلي في سلخ قطاع غزة عن باقي الوطن الفلسطيني الذي تحتله إسرائيل، وبالتالي إجهاض المشروع الوطني الفلسطيني القائم على أساس إقامة الدولة الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة، كما ساهمت الأنفاق في تعزيز استمرار الانقسام الداخلي، ودعم سيطرة حماس على القطاع، ونشوء جماعات منتفعة على طرفي الحدود المصرية الفلسطينية، إلى جانب ذلك فقد أرست ظاهرة الأنفاق ثقافة غريبة على المجتمع الغزي مثل تهريب بعض العقارات الطبية «كالترامادول» التي تعاطتها شرائح واسعة من الشباب الفلسطيني، الأمر الذي فاقم الوضع المأساوي وروح الإحباط واليأس بين الشباب.

الحصار وأثره السياسي والاقتصادي على قطاع غزة:

لم يكن الوضع السياسي بمعزل عن الوضع الاقتصادي والاجتماعي، فبعد أن فازت حركة حماس في انتخابات ٢٠٠٦، وشُكلت الحكومة العاشرة بدأت الدول الغربية تحاصر قطاع غزة سياسياً واقتصادياً، حيث أصبح القطاع في عزلة تامة عن العالم، وترتب على ذلك مواقف من الدول الداعمة للشعب الفلسطيني لوقف الدعم السياسي والمنح والمساعدات، كما قام الاحتلال بحجز عائدات السلطة من الضرائب والجمارك، مما أدى إلى ازدياد المعاناة، فنتيجة لهذا الحصار الجائر بحق أهالي قطاع غزة، أصبح هناك هجرة واضحة للعقول ورأس المال وإلغاء كثير من المشاريع وتوقفها، وتدهور الوضع السياسي والاقتصادي، وتدهور الوضع الإنساني إلى أن وصل الفقر إلى ٦٥٪ في نهاية ٢٠٠٦. (أبو مدللة، ٢٠٠٨)

وفي ضوء الأحداث في منتصف عام ٢٠٠٧التي قامت بها حركة حماس في قطاع غزة ، شدد الكيان الصهيوني إغلاقه أكثر من ذي قبل، كما أعلن عن قطاع غزة منطقة معادية في ١٩/ ٩/ ٢٠٠٧، وألغى الكود الجمركي التجاري لمواطني القطاع، وقد أثر هذا الإغلاق المشدد على الحالة السياسية والاقتصادية والاجتماعية بصورة كبيرة. وفي يناير ٢٠٠٨ كان الحصار الأقسى والأكثر حدة وشدة، وبخاصة فيما يتعلق بمنع إدخال المساعدات الإنسانية، وكذلك الوقود الذي يأتي بوساطة الأونروا وغيرها من مؤسسات الإغاثة الدولية، فأدى هذا إلى تصعيد الوضع السياسي والاقتصادي والاجتماعي، فقد توقف عمل محطة الكهرباء، إضافة إلى محطات البترول، وتهدد الخطر المستشفيات والأجهزة التي تعمل بوساطة الوقود، وكادت غزة تقع في أزمة بيئية بسبب عدم وجود الوقود المشغل للماتورات الخاصة بالمياه العادمة، وغرقت غزة في ظلام دامس، وتعطلت بموجبها مقومات الحياة المدنية كافة، في محاولة لإعادة القطاع للأزمنة القديمة. (أبو رمضان، ٢٠٠٨)

ولقد أدى ذلك إلى اتساع حجم البطالة في قطاع غزة، حيث تبلغ الأيدي العاملة حوالي ٣٨٤ ألف عامل منهم ١٠٥ ألف في القطاع العام، منهم ٧٥ ألف موظف يتلقون رواتبهم من السلطة الوطنية، وهناك ١١٩ ألف موظف في القطاع الخاص، و٢٠ ألف في الأونروا والمؤسسات غير الحكومية. أما العمال فبلغ تعدادهم حوالي ١٢٤ عامل. (الجهاز المركزي للإحصاء، ٢٠٠٩) وهذه الظروف الصعبة التي يعانى منها المجتمع الغزي أدت به إلى أن يكون فريسة للإرهاق الشديد، فأصبح المجتمع يشعر بحالة من اليأس والإحباط والشعور بالاغتراب عن المجتمع المحيط به.

ولم يكن هذا الوضع المأساوي الذي يعاني منه المجتمع قاصراً على السياسات العدوانية الصهيونية فحسب، بل يعود جزء منه إلى التراكمات الداخلية طوال الأعوام السابقة للسلطة بسبب تعمق الخلل والفساد والتلوث المالي والإداري. (أبو مدللة، ٢٠٠٩)

ويمكن القول إن الوضع السياسي والاقتصادي في فلسطين وصل إلى أسوأ أحواله، فالاحتلال الصهيوني يمارس أبشع الممارسات ضد المجتمع الفلسطيني، في إغلاقه الداخلي والخارجي، وعمليات البطش والاغتيالات، والاعتقالات والمداهمات اليومية واقتلاع الأشجار والتجريف، وانعكس ذلك بصورة سلبية على المجتمع، كما عانى من المقاطعة الدولية والانقسام السياسي الفلسطيني، وتدهور الأوضاع الأمنية.كما قام الاحتلال الصهيوني في نهاية عام ٢٠٠٨ بعدوان شامل على قطاع غزة استمر حوالي ٢٣ يوماً، وكان الهدف من هذا العدوان تدمير ما تبقى من القوة السياسية والاقتصادية للمجتمع الفلسطيني، فعلى مدار الساعة مارس الاحتلال إرهاباً ممنهجاً ومبرمجاً حيث استخدم في عدوانه أسلحة محرمة دولياً مثل الفسفور الأبيض وغيره من الأسلحة. إذ بلغ عدد الشهداء حوالي ١٥٠٠ شهيد من النساء والأطفال والشيوخ والعاملين في طواقم الصحة والمطافئ، أما عدد الجرحى فقد بلغ ٥٥٠٠ جريح، منهم ٥٠٠ في حالة الخطر الشديد، وعدد كبير فقد أحد أطرافه أو بعض أطرافه (الجهاز المركزي للإحصاء، ٢٠٠٩) .

ويشير المركز المركزي للإحصاء (٢٠٠٩) أيضاً إلى أن التدمير شمل آلاف البيوت، حيث دُمِّرت ٤٠٠٠ منزل تدميراً كلياً كما هو الحال في عزبة عبد ربه، وحي السلام، والإسراء، وحي الزيتون، ودُمِّر حوالي ١٧ ألف منزل تدميراً جزئياً، كما دُمِّرت منشآت بأكملها، وجُرِّفت آلاف الدونمات من أشجار الحمضيات والزيتون، ومزارع الدواجن والأبقار، حيث بلغت الخسائر ملايين الدولارات في مختلف القطاعات.

وقصف الاحتلال العديد من المؤسسات الحكومية والدولية، فقد قُصف مجمع الوزارات في غزة، والمقر الرئيسي للأمم المتحدة، والعديد من المدارس الحكومية ومدارس وكالة الغوث، إذ بلغ إجمالي الخسائر حوالي ١,٩ مليار دولار (المجلس الاقتصادي للتنمية والإعمار، ٢٠٠٩)

وتشير بعض التقديرات إلى أن إجمالي الخسائر المباشرة، وصل حوالي ٢ مليار دولار، وهناك بعض المؤسسات الدولية أشارت إلى أن إجمالي الخسائر المباشرة وغير المباشرة في قطاع غزة نتيجة العدوان قدر بحوالي ٤ مليارات دولار. (أبو مدالله، ٢٠١٠)

موقع الأنفاق وعددها:

تنحصر الأنفاق بين منطقتي تل زعرب غرباً حتى نهاية معبر رفح شرقاً، على مسافة عدة كيلومترات، بسبب الأراضي شبه الطينية المتماسكة في تلك المنطقة التي تبلغ حوالي ١٢كم، وهي معروفة لدى المهربين من كلا الطرفين بحكم العلاقات التاريخية، والمصالح المشتركة التي تربطهم عبر تواجدهم على جانبي الحدود المصرية الفلسطينية.

ومنذ منتصف عام ٢٠٠٧ تزايد عدد الأنفاق بين الجانبين من ٢٠ نفقاً، إلى أن وصل حسب بعض التقديرات إلى ما يقارب ٥٠٠ نفق، وكان ذلك في نوفمبر ٢٠٠٨. وهناك من يتوقع أن عدد الأنفاق في تلك الفترة وصل حوالي ٨٠٠ نفق منها ما يعمل، ومنها قيد الإنشاء (الصوراني، ٢٠٠٨)

ويصل طول الأنفاق ما بين ٢٠٠ متر إلى ١٠٠٠، وفي بعض المناطق يصل إلى ١٥٠٠ متر، وعرضها يصل من نصف متر حتى مترين، وهي تحفر على أعماق متفاوتة، ففي بعض المناطق يتراوح عمقها ٨ أمتار، وفي مناطق ١٠ أمتار، وفي مناطق أخرى يصل عمقها إلى ٣٠ متراً، فيعود ذلك إلى نوعية التربة، أما بالنسبة إلى التكلفة فتصل تكلفة المتر الواحد من ٧٠ دولاراً، حتى ١٠٠ دولار حسب طول النفق (الصوراني، ٢٠٠٨: ٢) فبلدية رفح مع بداية شهر أيلول سبتمبر ٢٠٠٨ عملت على فرض رسوم على أصحاب الأنفاق تحت مسمى تجاري، وكانت رسوم النفق الواحد حوالي 2500 $ رسوم ترخيص، ومن يخالف القانون، يغلق نفقه إذا كان يعمل، ويمنع من استكمال حفره إذا كان قيد الإنشاء، ولم يقتصر الأمر على البلدية، فهناك رسوم اشتراك كهرباء لكل نفق.

الأنفاق عاملون وضحايا:

يبلغ عدد العاملين بالأنفاق حوالي ١٥ ألف عامل، معظمهم من مدينة رفح والباقي من أماكن متفرقة من القطاع، وهدف أصحاب الأنفاق هو جني الأرباح بدون النظر إلى أي أمر آخر، وتتراوح أعمار أصحاب الأنفاق من ٢٥ عاماً إلى ٥٠ عاماً، أما العمال فهم من الأطفال والشباب التي تتراوح أعمارهم أقل من ٣٠ عاما . (أبو علبة، ٢٠٠٨)

وأدى ارتفاع عدد العاملين في مدينة رفح إلى انخفاض نسبة البطالة في رفح، حيث شهدت المدينة انتعاشاً ملحوظاً، مما نشط الوضع الاقتصادي في الأسواق وحركة النقل والمواصلات. (الصوراني، ٢٠٠٨)

وأصبحت هذه الأنفاق تسد رمق المواطن الغزي من خلال توفير سلع له، أو توفير عمل، إلا أنها تسمى لدى المجتمع الغزي أنفاق الموت، ولكن لمرارة الحياة والبحث عن لقمة عيش بات المواطن الغزي يضحى بنفسه من أجل توفير أبسط مقومات حياته.

والمجتمع الفلسطيني بقطاع غزة مجتمع عانى ويعاني وضحي ويضحي، فهو يعاني من مرارة الاحتلال والانقسام، كما يعاني من العمل داخل الأنفاق حيث تتعرض حياتهم للعديد

من المخاطر بدءاً من الانهيارات، مروراً بالصواعق الكهربائية، أو بعض السلع السامة مثل الدهانات ومشتقاتها، ومواد التنظيف، فضلا عن الغارات التي يشنها الكيان الصهيوني فهذه الأنفاق حصدت العديد من العاملين بها جلّهم من الأطفال والشباب (الكوفية برس، ٢٠٠٩)

ونظراً لعدم وجود أي ضمانة للعامل، وتزايد عدد شهداء الأنفاق قامت حكومة غزة باستدعاء أصحاب الأنفاق، وفرضت عليهم دفع الدية الشرعية لعوائل القتلى في الأنفاق، إذ يصل التعويض عن الوفاة إلى ٢٠ ألف دينار أردني (أبو مدلله، ٢٠٠٩) ،ورغم المخاطر التي يتعرض لها العاملون داخل الأنفاق، فإنهم يؤكدون أنهم مضطرون للعمل فيها من أجل توفير متطلبات الحياة رغم الحياة الصعبة . (الجمل، ٢٠٠٨)

إجراءات الدراسة:

يتضمن هذا الجزء من الدراسة الخطوات والإجراءات التي تمت في الجانب الميداني من حيث المنهجية المتبعة، ومجتمع الدراسة وعينتها، وأداة الدراسة، والمعالجات الإحصائية التي استخدمت في تحليل البيانات لاختبار صدق أداة الدراسة وثباتها، ومن ثم جمع البيانات من العينة الكلية للتوصل إلى النتائج النهائية للدراسة، وذلك كما يأتي:

منهج الدراسة:

استخدم الباحثان المنهج الوصفي التحليلي، والإحصاءات والتقارير الصادرة عن المؤسسات ذات العلاقة.

مجتمع الدراسة:

تكون مجتمع الدراسة من أعضاء هيئة التدريس في الجامعات الفلسطينية بمحافظات غزة.

عينة الدراسة:

طُبقت الدراسة على عينة عشوائية من أعضاء هيئة التدريس العاملين بالجامعات الفلسطينية (الأزهر- والإسلامية- والأقصى- والقدس المفتوحة- وغزة)

عينة الدراسة:

طُبقت الدراسة على عينة عشوائية مكونة من (٩٦) من أساتذة الجامعات الفلسطينية في قطاع غزة، والجدول الآتي يبين توزيع العينة تبعاً للمتغيرات التصنيفية:

الجدول (١)

يبين توزيع أفراد عينة الدراسة

المتغير		العدد	٪
النوع الاجتماعي	ذكور	٧٨	٨١,٢
	إناث	١٨	١٨,٧
الجامعة	الإسلامية	١٤	١٤,٦
	الأزهر	٢٢	٢٢,٩
	الأقصى	١٢	١٢,٥
	القدس	٣٥	٣٦,٥
	غزة	١٣	١٣,٥
الدرجة العلمية	أستاذ مساعد	٧١	٧٤,٠
	أستاذ مشارك	١٨	١٨,٧
	أستاذ	٧	٧,٣

أداة الدراسة:

أعدَّ الباحثان استبانة للوقوف على الآثار المترتبة على ظاهرة الأنفاق على المجتمع الفلسطيني بقطاع غزة، حيث تكونت الأداة من (٣٣ فقرة) ، أجيب عنها بشكل فردي أو جماعي، واستغرق تطبيق الاستبانة من ١٥ – ٢٠ دقيقة، لكن لا يوجد وقت محدد بدقة للتطبيق.

وتتوزع الفقرات على ثلاثة أبعاد فرعية كما يبين الجدول الآتي:

الجدول (٢)

يبين أبعاد الاستبيان وعدد فقرات كل بعد

م	الأبعاد	عدد الفقرات
١	الآثار السياسية	٩
٢	الآثار الاقتصادية	١٢
٣	الآثار الاجتماعية	١٢
	مجموع الفقرات	٣٣

وأجيب عن فقرات الاستبانة وفقاً لخمسة بدائل على طريقة ليكرت وهي (كبيرة جداً– كبيرة– متوسطة– ضعيفة– ضعيفة جداً)، وصححت كالآتي: (٥– ٤– ٣– ٢– ١) على التوالي بالنسبة للفقرات الموجبة. أما الفقرات السلبية، فصححت كالآتي: (١– ٢– ٣– ٤– ٥)

صدق الأداة وثباتها:

١. الصدق:

أ. صدق المحكمين:

للتأكد من صدق أداة الدراسة من خلال صدق المحكمين، عرض الباحثان الصورة الأولية للاستبانة على عدد من المحكمين من الزملاء المتخصصين في المجال التربوي، وفي مجال العلوم السياسية، وذلك بهدف معرفة آرائهم وملاحظاتهم ومقترحاتهم حول مجالات الاستبانة وفقراتها ومدى وضوحها، وترابطها، ومدى تحقيقها لأهداف الدراسة، وفُرغت الملاحظات التي أبداها المحكمون، وفي ضوئها أعاد الباحثان صياغة بعض الفقرات، وبقيت الاستبانة تتكون من ٣٣ فقرة.

ب. صدق الاتساق الداخلي:

للتحقق من صدق الاستبانة وثباتها، قام الباحثان بتطبيقها على عينة استطلاعية عشوائية مكونة من (٢٨) من الأساتذة الجامعيين من مجتمع الدراسة الأصلي.

وحُسب صدق الاتساق الداخلي من خلال تقدير ارتباط درجات كل فقرة من فقرات الاستبانة مع درجة البعد الذي تنتمي إليه، والجدول الآتي يوضح ذلك:

الجدول (٣)

أولاً/ يبين قيم الارتباطات بين درجة كل فقرة مع درجة البعد الفرعي الذي تنتمي إليه

البعد	م	معامل الارتباط	مستوى الدلالة	البعد	م	معامل الارتباط	مستوى الدلالة
١- الآثار السياسية	١	٠,٧٤٧	دالة عند ٠,٠١	٢- الآثار الاقتصادية	١٢	٠,٧٢١	دالة عند ٠,٠١
	٢	٠,٨٦٢	دالة عند ٠,٠١		١٣	٠,٧٦١	دالة عند ٠,٠١
	٣	٠,٧٨٦	دالة عند ٠,٠١		١٤	٠,٨٦٤	دالة عند ٠,٠١
	٤	٠,٤٥٣	دالة عند ٠,٠٥		١٥	٠,٨٣٠	دالة عند ٠,٠١
	٥	٠,٧٦٦	دالة عند ٠,٠١		١٦	٠,٦٩٦	دالة عند ٠,٠١
	٦	٠,٥٨٣	دالة عند ٠,٠١		١٧	٠,٣٩٢	دالة عند ٠,٠٥
	٧	٠,٨٣٠	دالة عند ٠,٠١		١٨	٠,٦٥٥	دالة عند ٠,٠١
	٨	٠,٤٤٨	دالة عند ٠,٠٥		١٩	٠,٤٩٥	دالة عند ٠,٠١
	٩	٠,٨٥٣	دالة عند ٠,٠١		٢٠	٠,٨٣٦	دالة عند ٠,٠١
٢- الآثار الاقتصادية	١٠	٠,٥٨٥	دالة عند ٠,٠١		٢١	٠,٦١٢	دالة عند ٠,٠١
	١١	٠,٥٩٨	دالة عند ٠,٠١				

البعد	م	معامل الارتباط	مستوى الدلالة	البعد	م	معامل الارتباط	مستوى الدلالة
٣- الآثار الاجتماعية	٢٢	٠,٦٦٠	دالة عند ٠,٠١				
	٢٣	٠,٦١٠	دالة عند ٠,٠١				
	٢٤	٠,٥٨٣	دالة عند ٠,٠١				
	٢٥	٠,٦٢٧	دالة عند ٠,٠١				
	٢٦	٠,٧٢١	دالة عند ٠,٠١				
	٢٧	٠,٦٩٥	دالة عند ٠,٠١				
	٢٨	٠,٧٦٢	دالة عند ٠,٠١				
	٢٩	٠,٧٥٦	دالة عند ٠,٠١				
	٣٠	٠,٥٨١	دالة عند ٠,٠١				
	٣١	٠,٧٠٢	دالة عند ٠,٠١				
	٣٢	٠,٧٥٠	دالة عند ٠,٠١				
	٣٣	٠,٦٦١	دالة عند ٠,٠١				

قيمة ر الجدولية (درجات حرية= ٢٦) عند ٠,٠٥= ٠,٣٧٤، وعند ٠,٠١= ٠,٤٧٨

يتضح من الجدول السابق أن معظم فقرات الاستبانة حققت ارتباطات دالة مع درجة البعد الذي تنتمي إليه، وجميعها ارتباطات دالة عند مستوى ٠,٠١ ومستوى ٠,٠٥، مما يشير إلى أن الاستبانة تتسم بدرجة جيدة من الاتساق الداخلي وأنها تصلح لقياس آثار ظاهرة الأنفاق على المجتمع الغزي لدى أفراد العينة، وبذلك تبقى الاستبانة في صورتها النهائية مكونة من (٣٣) فقرة.

وبذلك تكون الدرجة الكلية للاستبانة في صورتها النهائية تتراوح بين (٣٣– ١٦٥) درجة

كما قُدرت معاملات الارتباط بين درجة كل بعد والدرجة الكلية للاستبانة، وذلك كما يأتي:

الجدول (٤)

يبين قيم الارتباطات بين درجة كل بعد والدرجة الكلية للاستبانة

م	الأبعاد	معامل الارتباط	مستوى الدلالة
١	الآثار السياسية	٠,٦٢٢	دالة عند ٠,٠١
٢	الآثار الاقتصادية	٠,٨٧٠	دالة عند ٠,٠١
٣	الآثار الاجتماعية	٠,٧٦١	دالة عند ٠,٠١

قيمة ر الجدولية (درجات حرية= ٢٦) عند ٠,٠٥= ٠,٣٧٤، وعند ٠,٠١= ٠,٤٧٨

يتضح من الجدول السابق أن جميع أبعاد الاستبانة حققت ارتباطات دالة مع درجتها الكلية، وجميعها ارتباطات دالة عند مستوى ٠,٠١، مما يشير إلى أن الاستبانة تتسم بدرجة جيدة من الاتساق الداخلي وأنها تصلح لقياس آثار ظاهرة الأنفاق على المجتمع الفلسطيني بقطاع غزة لدى أفراد العينة.

٢. **ثبات الاستبيان:**

حُسب ثبات الاستبانة بالطرق الآتية:

أ. **طريقة التجزئة النصفية:**

حسب الباحثان ثبات الاستبانة بطريقة التجزئة النصفية، وذلك بحساب معامل الارتباط بين درجات أفراد العينة الاستطلاعية على الفقرات الفردية للاستبانة (١٧ فقرة)، ودرجاتهم على الفقرات الزوجية (١٦ فقرة) ، والمكونة للاستبانة (مجموع الفقرات = ٣٣ فقرة) ، وقد بلغت قيمة معامل ارتباط بيرسون بين النصفين (٠,٦٣٤) ثم اُستخدمت معادلة جيتمان (النصفين غير متساويين) لتعديل طول الاستبانة، وقد بلغت قيمة معامل الثبات بعد التعديل بتلك المعادلة (٠,٧٧٦) ، وهي قيمة دالة إحصائياً عند مستوى دلالة أقل من ٠,٠١، الأمر الذي يدلل على درجة جيدة من الثبات.

ب. **معادلة كرونباخ ألفا:**

قُدِّر ثبات الاستبانة بحساب معامل كرونباخ ألفا لفقرات الاستبانة (عدد الفقرات = ٣٣) ، وقد بلغت قيمة ألفا (٠,٩٣٥) ، وهي قيمة تدلل على مستوى جيد من الثبات، وهي دالة عند مستوى دلالة أقل من ٠,٠١، وتفي بمتطلبات تطبيق الاستبانة على أفراد العينة. وبذلك يتضح أن الاستبانة تتسم بدرجة جيدة من الصدق والثبات تفي بمتطلبات تطبيقها على أفراد عينة الدراسة لجمع البيانات الميدانية.

الأساليب الإحصائية:

للتحقق من صدق وثبات الاستبانة، اُستخدمت المعاملات الآتية:

- معامل ارتباط بيرسون: لتقدير صدق الاتساق الداخلي للاستبانة.
- معادلة جتمان: لتقدير ثبات الاستبانة بالتجزئة النصفية.
- معامل كرونباخ ألفا: لتقدير ثبات الاستبانة.

وللتوصل إلى نتائج الدراسة استخدم الباحثان الأساليب الإحصائية الآتية:

♦ المتوسط الحسابي والانحراف المعياري والوزن النسبي: للكشف عن مستوى آثار ظاهرة الأنفاق على المجتمع الفلسطيني بقطاع غزة لدى أفراد العينة.

♦ اختبار ت لعينتين مستقلتين: وذلك للكشف عن الفروق في آثار ظاهرة الأنفاق على المجتمع الفلسطيني تبعاً للرتبة الأكاديمية والجنس.

♦ اختبار تحليل التباين الأحادي: وذلك للكشف عن الفروق في آثار ظاهرة الأنفاق على المجتمع الفلسطيني في قطاع غزة تبعاً للجامعة.

الخطوات الإجرائية:

بعد انتهاء الباحثين من إعداد الإطار النظري والدراسات السابقة، حُددت أداة الدراسة وهي استبانة آثار ظاهرة الأنفاق على المجتمع الفلسطيني في قطاع غزة، واستمارة بيانات ديموغرافية. وتحديد العينة من أساتذة الجامعات الفلسطينية بقطاع غزة، ووضع أسئلة الدراسة.

وبعد ذلك حُددت عينة الدراسة، حيث اختيرت عينة عشوائية من أساتذة الجامعات الفلسطينية بقطاع غزة من الجنسين. وطبق الباحثان الأداة على العينة.

وبعد الانتهاء من التطبيق صححت الاستبانة، ورُصدت الدرجات عليها وفقاً لأساليب التصحيح، وعُولجت هذه الدرجات باستخدام الأساليب الإحصائية المناسبة بهدف الحصول على النتائج المتعلقة بأسئلة الدراسة، وقد استعان الباحثان ببرنامج الرزم الإحصائية للعلوم الاجتماعية SPSS بهدف التوصل للنتائج.

عرض وتفسير نتائج الدراسة:

◄ النتائج المتعلقة بالسؤال الأول الذي ينص على: **ما الآثار السياسية لظاهرة الأنفاق على المجتمع الفلسطيني بقطاع غزة من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس بالجامعات الفلسطينية؟**

حسب الباحثان المتوسط الحسابي والانحراف المعياري والوزن النسبي لدرجات أفراد العينة من الأساتذة على كل فقرة من فقرات الاستبانة؛ كما في الجداول الآتية:

الجدول (٥)

المتوسط الحسابي والانحراف المعياري والوزن النسبي لدرجات العينة تبعاً للبعد الأول (الآثار السياسة)

م	البعد الأول (الآثار السياسية)	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الوزن النسبي ٪
١	أدت الأنفاق إلى تقوية الفصائل المسلحة.	٤,٣٤	٠,٧١	٨٦,٨٨
٢	ساهمت الأنفاق في مد حركات المقاومة بالسلاح.	٤,٢٠	٠,٩٢	٨٣,٩٦
٣	ساهمت الأنفاق في استمرار الانقسام الفلسطيني.	٢,٠٩	١,٠٣	٤١,٨٨
٤	ساهمت الأنفاق في توتير العلاقات مع مصر.	٢,٣٣	١,٠٥	٤٦,٦٧
٥	أدت الأنفاق بالفلسطينيين إلى التفكير ببدائل للمعابر الإسرائيلية.	٣,٥٨	٠,٩٨	٧١,٦٧
٦	ترمي الأنفاق إلى إلقاء مسئولية قطاع غزة على الجانب المصري.	٢,٤١	١,٠٥	٤٨,١٣
٧	ساهمت الأنفاق في استمرار فرض الحصار الإسرائيلي على غزة	١,٨١	٠,٩٨	٣٦,٢٥
٨	ساهمت الأنفاق في صمود المواطن الفلسطيني في غزة.	٣,٤٤	١,٢١	٦٨,٧٥
٩	أدت الأنفاق إلى التخفيف من المسئولية القانونية والأخلاقية لإسرائيل كقوة احتلال.	٢,٣٨	٠,٨٧	٤٧,٥٠

يتضح من الجدول السابق أن مظاهر الآثار السياسية لظاهرة الأنفاق على المجتمع الغزي لدى أفراد العينة تتراوح بين: (٣٦,٢٥– ٨٦,٨٨ ٪) ، كانت أعلى مظاهر الآثار السياسية لظاهرة الأنفاق على المجتمع الغزي كما يأتي:

- كانت الفقرة رقم ١: « أدت الأنفاق إلى تقوية الفصائل المسلحة.» الأعلى بوزن نسبي (٨٦,٨٨٪) .ويعزو الباحثان ذلك إلى أن سيطرة حركات المقاومة على إدارة الإنفاق مكنها من التزود بالسلاح، والمال وحرية الحركة.

- تليها الفقرة رقم ٢: « ساهمت الأنفاق في مد حركات المقاومة بالسلاح.» بوزن نسبي (٨٣,٩٦ ٪) . ويعزو الباحثان ذلك إلى أن الأنفاق استطاعت مد حركات المقاومة بالسلاح.

◄ النتائج المتعلقة بالسؤال الثاني الذي ينص على: **ما الآثار الاقتصادية لظاهرة الأنفاق على المجتمع الفلسطيني بقطاع غزة من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس بالجامعات الفلسطينية؟**

الجدول (٦)

المتوسط الحسابي والانحراف المعياري والوزن النسبي لدرجات العينة تبعاً للبعد الثاني (الآثار الاقتصادية)

م	البعد الثاني (الآثار الاقتصادية)	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الوزن النسبي ٪
١	ساهمت الأنفاق في احتكار السلع في السوق الغزي.	١,٨٦	٠,٨٩	٣٧,٢٩
٢	ساهمت الأنفاق في تزويد قطاع غزة بالسلع المختلفة.	٤,١٦	٠,٦٠	٨٣,١٣
٣	عملت الأنفاق على توفير المحروقات بأسعار مخفضة.	٤,٧٩	٠,٤١	٩٥,٨٣
٤	أدت الأنفاق إلى تضرر طبقة من التجار لعدم مقدرتها على التعامل مع التهريب.	٢,١٦	٠,٨٢	٤٣,١٣
٥	أدت الأنفاق إلى تضرر طبقة من التجار نتيجة الخداع من الجانب الآخر.	١,٩٨	٠,٧٤	٣٩,٥٨
٦	أدت الأنفاق إلى أن يصبح المجتمع الغزي مجتمعاً استهلاكياً.	٢,٠٣	٠,٩١	٤٠,٦٣
٧	أدت الأنفاق إلى تعزيز السلطة الموجودة في قطاع غزة.	١,٨٨	٠,٨٥	٣٧,٥٠
٨	أدت الأنفاق إلى ظهور طبقة من التجار الجشعين.	١,٦٥	٠,٧٠	٣٢,٩٢
٩	ساهمت الأنفاق في ارتفاع أسعار السلع.	٢,٦٩	١,١٣	٥٣,٧٥
١٠	ساهمت الأنفاق في التخفيف من معاناة المواطنين الغزيين.	٣,٠٨	١,٢٠	٦١,٦٧
١١	أدت الأنفاق إلى حل مشكلة البطالة.	٢,٣١	١,٠٧	٤٦,٢٥
١٢	أدت الأنفاق إلى ارتفاع الضرائب.	٢,٩٣	٠,٨٧	٥٨,٥٤

يتضح من الجدول السابق أن مظاهر الآثار الاقتصادية لظاهرة الأنفاق على المجتمع الغزي لدى أفراد العينة تتراوح بين (٣٢,٩٢- ٩٥,٨٣ ٪) ، كانت أعلى مظاهر الآثار الاقتصادية لظاهرة الأنفاق على المجتمع الغزي كما يأتي:

- كانت الفقرة رقم ٣ «عملت الأنفاق على توفير المحروقات بأسعار مخفضة.» الأعلى بوزن نسبي (٩٥,٨٣٪) . ويعزو الباحثان ذلك إلى أن أسعار الوقود المهرب عبر الأنفاق من الجانب المصري أرخص كثيراً من أسعار الوقود المستوردة عبر معبر نحال عوز حيث إن الفارق يزيد عن ٧٠٪.

- تليها الفقرة رقم ٢ «ساهمت الأنفاق في تزويد قطاع غزة بالسلع المختلفة.» بوزن نسبي (٨٣,١٣ ٪) . ويعزو الباحثان ذلك إلى أن أصحاب الأنفاق استطاعوا حفر المئات من الأنفاق عبر عمالة أصبح لها خبرة في مجال حفر الأنفاق وإعادة تأهيلها، وإضافة التحسينات عليها بين فترة وأخرى بالتوسعة وإضافة الميكنة التي سهلت عملية نقل البضائع بين الجانب المصري والفلسطيني بكميات كبيرة، مما أدى إلى توفير السلع بأسعار مناسبة.

◄ النتائج المتعلقة بالسؤال الثالث الذي ينص على: **ما الآثار الاجتماعية لظاهرة الأنفاق على المجتمع الفلسطيني بقطاع غزة من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس بالجامعات الفلسطينية؟**

الجدول (٧)

المتوسط الحسابي والانحراف المعياري والوزن النسبي لدرجات العينة تبعاً للبعد الثالث (الآثار الاجتماعية)

م	البعد الثالث (الآثار الاجتماعية)	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الوزن النسبي ٪
١	أدت الأنفاق إلى تدني التحصيل العلمي للطلبة العاملين فيها.	٢,٨٩	١,٠٦	٥٧,٧١
٢	أدت الأنفاق إلى تفشي ظواهر غريبة على المجتمع الغزي كالدراجات النارية.	٢,٠٤	٠,٨٨	٤٠,٨٣
٣	أدت الأنفاق إلى ظهور جماعات ذات مصالح تدافع عنها.	١,٨٤	٠,٨٤	٣٦,٨٨
٤	أدت الأنفاق إلى ظهور طبقة من العمال دون حماية نقابية.	٢,٣٤	٠,٩٠	٤٦,٨٨
٥	زادت الأنفاق إلى تعاطي شرائح كبيرة لأقراص الترامال والمخدرات	١,٤٠	٠,٦٩	٢٧,٩٢
٦	شجعت الأنفاق الشباب على الهجرة إلى الخارج	١,٧٥	٠,٦٨	٣٥,٠٠
٧	أدت الأنفاق إلى ارتباط شريحة من المجتمع باستمرارها.	١,٩٦	٠,٦٣	٣٩,١٧
٨	أدت الأنفاق إلى تسرب روح اليأس والإحباط إلى الشباب.	١,٨١	٠,٩٤	٣٦,٢٥
٩	أدت الأنفاق إلى ظهور طبقة من المهربين.	٢,٤٨	٠,٩٧	٤٩,٥٨
١٠	أدت الأنفاق إلى عمالة الأطفال	٢,٣٠	٠,٨٧	٤٦,٠٤
١١	فتحت الأنفاق المجال لانتشار ظاهرة الاحتيال والنصب على المواطنين.	٢,٤١	١,٠٥	٤٨,١٣
١٢	ساهمت الأنفاق في انتشار الأمراض بين السكان والحيوان والنبات.	١,٦٨	٠,٧٩	٣٣,٥٤

يتضح من الجدول السابق أن مظاهر الآثار الاجتماعية لظاهرة الأنفاق على المجتمع الغزي لدى أفراد العينة تتراوح بين: (٢٧,٩٢- ٥٧,٧١ ٪) ، كانت أعلى مظاهر الآثار الاجتماعية لظاهرة الأنفاق على المجتمع الغزي كما يأتي:

- كانت الفقرة رقم ١: «أدت الأنفاق إلى تدني التحصيل العلمي للطلبة العاملين فيها.» الأعلى بوزن نسبي (٥٧,٧١٪) . ويعزو الباحثان ذلك إلى عمالة عدد كبير من الفتية ممن هم في سن المدرسة والجامعة للعمل بحفر الأنفاق ونقل البضائع نتيجة للظروف الاقتصادية الصعبة التي يعاني منها سكان قطاع غزة، مما دفعهم للعمل في هذا المجال لفترات طويلة أثر على تحصيلهم الدراسي.

- تليها الفقرة رقم ٩: «أدت الأنفاق إلى ظهور طبقة من المهربين.» بوزن نسبي (٤٩,٥٨٪) ويعزو الباحثان ذلك إلى أن الأنفاق ساهمت في ظهور طبقة من المهربين

استطاعت الثراء بشكل فاحش نتيجة امتلاكهم لهذه الأنفاق وعملهم بها، واقتصارها على طبقة معينة حيث قامت باستثمار أموالها في مشاريع عقارية درت عليهم كثيراً من الأرباح. ولإجمالي النتائج حسب الباحثان المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والوزن النسبي والجدول الآتي يوضح ذلك

الجدول (٨)

المتوسط الحسابي والانحراف المعياري والوزن النسبي لدرجات العينة على استبانة آثار ظاهرة الأنفاق على المجتمع الفلسطيني بقطاع غزة

المتغير	عدد الفقرات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الوزن النسبي ٪
الآثار السياسية	٩	٢٦,٥٨	٤,٤٤	٥٩,٠٦
الآثار الاقتصادية	١٢	٣١,٥١	٤,٩١	٥٢,٥٢
الآثار الاجتماعية	١٢	٢٤,٩٠	٥,٩٥	٤١,٥
الدرجة الكلية لآثار ظاهرة الأنفاق	٣٣	٨٢,٩٩	١٣,١٣	٥٠,٣٠

يتضح من الجدول السابق أن الوزن النسبي للدرجة الكلية لآثار ظاهرة الأنفاق على المجتمع الفلسطيني بقطاع غزة عند أفراد العينة يقع عند ٥٠,٣٠ ٪، مما يشير إلى أن آثار الأنفاق سلبية بشكل عام على المجتمع الفلسطيني بقطاع غزة.

- وجاءت الآثار السياسية أولاً بوزن نسبي ٥٩,٠٦٪.ويعزو الباحثان ذلك إلى أن ظاهرة الأنفاق ساهمت في تقوية نفوذ حركة المقاومة الإسلامية حماس على قطاع غزة اقتصادياً وسياسياً وعسكرياً، إذ راهنت إسرائيل على سقوط حركة حماس وانهيارها بعدم قدرتها على توفير الاحتياجات الأساسية لقطاع غزة، وقد أدت إلى استمرار حصار إسرائيل لقطاع غزة بحجة أنه يتزود بما يحتاج إليه عبر الأنفاق.

- يليها الآثار الاقتصادية بوزن نسبي ٥٢,٥٢٪. ويعزو الباحثان ذلك إلى أن الأنفاق أصبحت المتنفس الوحيد للشعب الفلسطيني في قطاع غزة، حيث ساهمت في مد قطاع غزة بغالبية احتياجاته من السلع والمحروقات والمواد الأولية لبعض الصناعات.

- ثم الآثار الاجتماعية بوزن نسبي ٤١,٥٪. ويعزو الباحثان ذلك إلى أن تأثير الأنفاق على المستوى الاجتماعي كان منخفضاص نتيجة قلة الاحتكاك مع الأخوة المصريين، والتماسك الاجتماعي الذي يمتاز به المجتمع الفلسطيني في قطاع غزة.

◄ إجابة السؤال الرابع: والذي ينص على

هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في استجابات أفراد العينة تعزى لمتغير الجنس (ذكر- أنثى) ؟

قام الباحثان بالمقارنة بين متوسطي درجات مجموعتي الدراسة الذكور (ن= ٧٨) ، والإناث (ن= ١٨) على استبانة آثار ظاهرة الأنفاق على المجتمع الفلسطيني بقطاع غزة، باستخدام اختبار (ت) للفروق بين متوسطات درجات عينتين مستقلتين، والجدول الآتي يبين ذلك:

الجدول (٩)

يبين اختبار (ت) للفروق في آثار ظاهرة الأنفاق على المجتمع الغزي تبعاً للنوع الاجتماعي

المتغير	الذكور (ن = ٧٨)		الإناث (ن = ١٨)		قيمة (ت)	مستوى الدلالة
	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري		
الآثار السياسية	٢٦,٤١	٤,٤٥	٢٧,٣٣	٤,٤٧	٠,٧٩	غير دالة إحصائياً
الآثار الاقتصادية	٣١,٦٧	٥,١٠	٧٨,٠٠	٩,٥٨	٠,٦٤	غير دالة إحصائياً
الآثار الاجتماعية	٢٦,٠٦	٥,٧٩	١٩,٨٣	٣,٥٩	٤,٣٦	دالة عند ٠,٠١
الدرجة الكلية لآثار ظاهرة الأنفاق	٨٤,١٤	١٣,٦١	٣٠,٨٣	٤,٠٥	١,٨١	غير دالة إحصائياً

يتضح من الجدول السابق أنه توجد فروق ذات دالة إحصائية عند مستوى ٠,٠١ في الآثار الاجتماعية لظاهرة الأنفاق على المجتمع الفلسطيني بقطاع غزة، وقد كانت الفروق لصالح الأساتذة الذكور، في حين لم توجد فروق ذات دلالة إحصائية على معظم الأبعاد الفرعية والاستبانة ككل لدى أفراد العينة.

ويعزو الباحثان ذلك إلى أن ظاهرة الأنفاق ساهمت في ارتفاع الأسعار بشكل كبير أدى إلى إحجام كثير من الذكور عن أداء واجبهم الاجتماعي نحو أقاربهم وعائلاتهم، كما أن الأنفاق أدت إلى ظهور سلبيات في المجتمع الفلسطيني بقطاع غزة كان أبرزها ظاهرة الدَّراجات النارية التي انتشرت بصورة كبيرة بين الشباب، وأدت إلى ترويع المجتمع من خلال سوء استخدامها والحوادث المروعة التي نجمت عنها.

هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في استجابات أفراد العينة تعزى لمتغير الجامعة (الإسلامية- والأزهر- والأقصى- والقدس المفتوحة- وجامعة غزة) ؟

أجرى الباحثان تحليل التباين الأحادي لفحص أثر متغير الجامعة (الإسلامية - والأزهر - والأقصى - والقدس المفتوحة- وجامعة غزة) على آثار ظاهرة الأنفاق على المجتمع الغزي لدى أفراد العينة، والجدول الآتي يبين ذلك:

الجدول (١٠)

يبين نتائج تحليل التباين الأحادي للكشف عن الفروق في آثار ظاهرة الأنفاق على المجتمع الفلسطيني بقطاع غزة تبعاً للجامعة لدى أفراد العينة

الأبعاد	مصدر التباين	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة اختبار ف	مستوى الدلالة
الآثار السياسية	بين المجموعات	٣٧٦,١٣	٤	٩٤,٠٣	٥,٧١	دالة عند ٠,٠١
	داخل المجموعات	١٤٩٩,٢٠	٩١	١٦,٤٨		
	المجموع	١٨٧٥,٣٣	٩٥			
الآثار الاقتصادية	بين المجموعات	٤٣٦,٩٤	٤	١٠٩,٢٣	٥,٣٦	دالة عند ٠,٠١
	داخل المجموعات	١٨٥٥,٠٥	٩١	٢٠,٣٩		
	المجموع	٢٢٩١,٩٩	٩٥			
الآثار الاجتماعية	بين المجموعات	١١٦٧,٢٦	٤	٢٩١,٨١	١٢,٠٧	دالة عند ٠,٠١
	داخل المجموعات	٢١٩٩,٧٠	٩١	٢٤,١٧		
	المجموع	٣٣٦٦,٩٦	٩٥			
الدرجة الكلية لآثار ظاهرة الأنفاق	بين المجموعات	٥٠٦٣,٠٤	٤	١٢٦٥,٧٦	١٠,١٨	دالة عند ٠,٠١
	داخل المجموعات	١١٣٠٩,٩٥	٩١	١٢٤,٢٩		
	المجموع	١٦٣٧٢,٩٩	٩٥			

قيمة (ف) الجدولية عند (د.ح= ٤، ٩١) عند مستوى دلالة ٠,٠٥ = ٢,٥٣، وعند مستوى دلالة ٠,٠١ = ٣,٦٥

يتضح من الجدول السابق وجود فروق دالة إحصائياً عند مستوى ٠,٠١ في الدرجة الكلية لاستبانة آثار ظاهرة الأنفاق على المجتمع الغزي وأبعاده الفرعية لدى أفراد العينة تبعاً لمتغير الجامعة.

والجدول الآتي يبين المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لدرجات أفراد

العينة على استبيان آثار ظاهرة الأنفاق على المجتمع الغزي بأبعاده ودرجته الكلية تبعاً لمتغير الجامعة:

الجدول (١١)

يبين المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لدرجات أفراد العينة على استبانة آثار ظاهرة الأنفاق على المجتمع الفلسطيني بقطاع غزة تبعاً لمتغير الجامعة

الأبعاد	المتغير	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
الآثار السياسية	الإسلامية	١٤	٢٩,٧١	٢,٠٥
	الأزهر	٢٢	٢٤,١٨	٢,٨٩
	الأقصى	١٢	٢٨,٦٧	٣,٥٠
	القدس المفتوحة	٣٥	٢٥,٦٠	٤,٦٢
	جامعة غزة	١٣	٢٨,٠٠	٥,٨٣
الآثار الاقتصادية	الإسلامية	١٤	٣٦,٠٠	٧٨٠.
	الأزهر	٢٢	٢٨,٩١	٤,٦٥
	الأقصى	١٢	٣٢,٠٠	٣,٣٠
	القدس المفتوحة	٣٥	٣١,٣١	٥,١٩
	جامعة غزة	١٣	٣١,١٥	٥,٤٦
الآثار الاجتماعية	الإسلامية	١٤	٣٣,٠٠	٢,٦٠
	الأزهر	٢٢	٢١,٨٢	٣,٤٨
	الأقصى	١٢	٢٤,٣٣	٤,٣٧
	القدس المفتوحة	٣٥	٢٤,٢٥	٥,٢٣
	جامعة غزة	١٣	٢٣,٦١	٧,٧١
الدرجة الكلية لاستبيان آثار ظاهرة الأنفاق على المجتمع الغزي	الإسلامية	١٤	٩٨,٧١	٤,٢١
	الأزهر	٢٢	٧٤,٩٢	٩,٥٦
	الأقصى	١٢	٨٥,٠٠	٩,٣٤
	القدس المفتوحة	٣٥	٨١,١٧	١٢,٤٠
	جامعة غزة	١٣	٨٢,٧٧	١٥,٧٥

والجدول الآتي يبين نتائج اختبار شيفيه للكشف عن اتجاه الفروق بين متوسطات درجات أفراد العينة على استبانة آثار ظاهرة الأنفاق على المجتمع الغزي بأبعاده ودرجته الكلية تبعاً لمتغير الجامعة:

الجدول (١٢)

يبين نتائج اختبار شيفيه للكشف عن اتجاه الفروق بين متوسطات درجات أفراد العينة على استبانة آثار ظاهرة الأنفاق على المجتمع الفلسطيني بقطاع غزة تبعاً لمتغير الجامعة

الأبعـــاد	المتغير	الإسلامية	الأزهر	الأقصى	القدس
الآثار السياسية	الأزهر	٥,٥٣*			
	الأقصى	١,٠٤	٤,٤٨		
	القدس المفتوحة	٤,١١*	١,٤١	٣,٠٦	
	جامعة غزة	١,٧١	٣,٨١	٠,٦٦	٢,٤٠
الآثار الاقتصادية	الأزهر	٧,٠٩*			
	الأقصى	٤,٠٠	٣,٠٩		
	القدس المفتوحة	٤,٦٨*	٢,٤٠	٠,٦٨	
	جامعة غزة	٤,٨٤	٢,٢٤	٠,٨٤	٠,١٦
الآثار الاجتماعية	الأزهر	١١,١٨*			
	الأقصى	٨,٦٦*	٢,٥١		
	القدس المفتوحة	٨,٧٤*	٢,٤٣	٠,٠٧	
	جامعة غزة	٩,٣٨*	١,٧٩	٠,٧١	٠,٦٤
الدرجة الكلية لآثار ظاهرة الأنفاق على المجتمع الغزي	الأزهر	٢٣,٨٠*			
	الأقصى	١٣,٧١	١٠,٠٩		
	القدس المفتوحة	١٧,٥٤*	٦,٢٦	٣,٨٢	
	جامعة غزة	١٥,٩٤*	٧,٨٦	٢,٢٣	١,٥٩

* وجود دلالة إحصائية

يتبين من الجدول السابق:

- أن الفروق في الآثار السياسة كانت بين مجموعة أساتذة الجامعة الإسلامية ومجموعتي أساتذة جامعة الأزهر والقدس المفتوحة، لصالح مجموعة أساتذة الجامعة الإسلامية.

- أن الفروق في الآثار الاقتصادية كانت بين مجموعة أساتذة الجامعة الإسلامية ومجموعة أساتذة جامعة الأزهر وجامعة القدس المفتوحة، لصالح مجموعة أساتذة الجامعة الإسلامية.

- أن الفروق في الآثار الاجتماعية كانت بين مجموعة أساتذة الجامعة الإسلامية ومجموعة أساتذة جامعة الأزهر وكانت الفروق لصالح مجموعة أساتذة الجامعة الإسلامية.

- أن الفروق في آثار ظاهرة الأنفاق تبعاً للآثار الاجتماعية كانت بين مجموعة أساتذة الجامعة الإسلامية من ناحية وبين مجموعات أساتذة الجامعات الأخرى، لصالح مجموعة أساتذة الجامعة الإسلامية.

- كما أن الفروق في الدرجة الكلية لآثار ظاهرة الأنفاق كانت بين مجموعة أساتذة الجامعة الإسلامية ومجموعات أساتذة جامعة الأزهر والقدس المفتوحة وغزة، لصالح مجموعة أساتذة الجامعة الإسلامية.

ويعزو الباحثان ذلك أن معظم العاملين في الجامعة الإسلامية مقربين فكرياً من حركة المقاومة الإسلامية حماس التي تسيطر على زمام الأمور في قطاع غزة.

هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في استجابات أفراد العينة تعزى لمتغير الرتبة الأكاديمية؟

وازن الباحثان بين متوسطي درجات مجموعتي الدراسة أستاذ مساعد (ن= ٧١) ، وأستاذ مشارك وأستاذ (ن= ٢٥) على استبانة آثار ظاهرة الأنفاق على المجتمع الفلسطيني بقطاع غزة، باستخدام اختبار (ت) للفروق بين متوسطات درجات عينتين مستقلتين، والجدول الآتي يبين ذلك:

الجدول (١٣)

يبين اختبار (ت) للفروق في آثار ظاهرة الأنفاق على المجتمع الفلسطيني بقطاع غزة تبعاً للرتبة الأكاديمية

المتغير	أستاذ مساعد (ن = ٧١)		أستاذ مشارك وأستاذ (ن = ٢٥)		قيمة (ت)	ومستوى الدلالة
	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري		
الآثار السياسية	٢٦,٣٤	٣,٥٦	٢٧,٢٨	٦,٣٧	٠,٩١	غير دالة إحصائياً
الآثار الاقتصادية	٣١,٤٨	٤,٥٦	٣١,٦٠	٥,٩٠	٠,١١	غير دالة إحصائياً
الآثار الاجتماعية	٢٤,٢٣	٥,١٧	٢٦,٨٠	٧,٥٧	١,٨٨	دالة عند ٠,٠١
الدرجة الكلية لآثار ظاهرة الأنفاق على المجتمع الغزي	٨٢,٠٤	١٠,٨٩	٨٥,٦٨	١٨,٠٦	١,١٩	غير دالة إحصائياً

يبين الجدول السابق أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية على جميع الأبعاد الفرعية و الاستبانة ككل لدى أفراد العينة تبعاً للرتبة الأكاديمية، ويعزو الباحثان ذلك إلى تشابه الظروف والخصائص الفكرية والمعيشية للعاملين في الجامعات الفلسطينية.

التوصيات

١. العمل على استعادة اللحمة الوطنية بين شطري الوطن.

٢. العمل على ضبط الأنفاق لحين إنهاء الحصار المفروض على قطاع غزة.

٣. مراقبة أسعار السلع القادمة من مصر بعدم احتكارها لفئة معينة من التجار.

٤. مراقبة أفراد الشرطة الفلسطينية للبضائع القادمة من مصر، وبخاصة العقاقير المخدرة لما لها من تأثير مدمر على الشباب الفلسطيني.

المصادر والمراجع:

١. أبو رمضان، محسن (٢٠٠٨) ، أثر الحصار على الأوضاع الاقتصادية في قطاع غزة، الحوار المتمدن، العدد ٢١٨١ ،أبريل.

٢. أبو عبلة، عبلة (٢٠٠٨) ، اقتصاد الأنفاق في غزة ٢٠/ ١٢.

٣. أبو مدلله، سمير (٢٠٠٨) ، الفقر وحقوق الإنسان ،ورقة عمل مقدمة إلى الهيئة المستقلة لحقوق الإنسان.

٤. جامعة القدس المفتوحة، (٢٠٠٨) ، فلسطين والقضية الفلسطينية ،جامعة القدس المفتوحة، ط٣، ٢٠٠٨.

٥. جرغون، زياد (٢٠٠٨) ، ظاهرة الأنفاق، هل أصبحت أمراً واقعاً، الحوار المتمدن، العدد ٢٤٩٧، ١٦/ ١٢.

٦. الجمل، محمد، (٢٠٠٨) ، الوجه الأخر لأنفاق رفح،مخاطر تهدد بنية المجتمع وتعميق التطور الاقتصادي، صحيفة الأيام، ٢٥/ ١.

٧. الجهاز المركزي للإحصاء،النشرة الإحصائية للسكان ٢٠٠٩.

٨. الجهاز المركزي للإحصاء، (٢٠٠٩) ، بيانات تمثل العدوان منذ ٢٧/ ١٢/ ٢٠٠٨ حتى ٢٨/ ١/ ٢٠٠٩.

٩. زقوت ، أحمد (٢٠١٠) ، ظاهرة الأنفاق في غزة، التحديات وظاهرة الحياة،

www.al- khayma.com: Available on line

١٠. سلامة،يسريه (٢٠٠٩) ، الجدار الفولاذي لمصلحة مصر والفلسطينيين ،

Available on line: www.ppi.ps

١١. الصوراني، غازي، (٢٠٠٨) ، أنفاق رفح وأثارها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، الحوار المتمدن، العدد ٢٤٩٥، ١٤/ ١٢.

١٢. الكوفية برس (٢٠٠٩) ، موقع الكتروني ،٢٣/ ٢.

١٣. المجلس الاقتصادي للتنمية والإعمار (٢٠٠٩) ، تقرير حول الخسائر المباشرة للعدوان الإسرائيلي على قطاع غزة ٢٠٠٨، ٢٠٠٩ .

١٤. مدللة، سمير، (٢٠١٠) ،اقتصاد الأنفاق بقطاع غزة: ضرورة وطنية أم كارثة اقتصادية واجتماعية ،مجلة سياسات الفصلية، معهد الدراسات العامة، رام الله،العدد ١٢،ص١٠.

١٥. وكالة اسوشيت برس، (٢٠٠٨) ، مقابلة مع النائب مشير المصري، ٧ أكتوبر .

زراعة البلســـان
في فلسطين ومصر واستخداماته
٤١ ـ ٩٢٢هـ/ ٦٦١ ـ ١٥١٦م

د. عبد الرحمن المغربي*

* أستاذ مشارك في التاريخ المعاصر/ فرع نابلس/ جامعة القدس المفتوحة.

ملخص:

تتناول هذه الدراسة البلسان باعتباره واحداً من النباتات الطبية التي كانت معروفة بكثرة في الوسط الطبي خلال العصور الإسلامية الوسطى، وهو عبارة عن أشجار قزمة «شجيرات»، كانت تزرع في فلسطين ومصر منذ العصور القديمة، وزُرعت خلال فترة الحكم الإسلامي ، وبخاصة في الفترة المملوكية بشكل كبير، وأنتجت هذه الشجيرات نوعاً من الدهن الطبي الذي استخدم في العلاج على نطاق واسع.

وتبدو أهمية هذا الدهن الطبي من خلال نجاعته في علاج كثير من الأمراض التي كانت منتشرة خلال تلك الفترة، وكونه أحد العقاقير الطبية المهمة التي شكلت في مجموعها الخزانة الطبية في العالم الإسلامي، وهذا ما أكدته تجارب الأطباء القدامى، والمهتمين بالعلاج الطبي.

وقد حظي دهن البلسان بقداسة كبيرة لدى المسيحيين باعتباره عنصراً مهماً في مياه التعميد الذي يعدُّ من الطقوس الرئيسة في ديانتهم، فضلاً عن تأثيره في العلاقات بين العالمين الإسلامي والمسيحي.

وتهدف هذه الدراسة إلى لفت نظر الباحثين في مجال العقاقير الطبية إلى هذا النوع من النباتات، ليكون بديلاً عن العقاقير الكيماوية التي أثرت سلباً في صحة البشر في حالات عدة، ودراسة إمكانية استنباتها في فلسطين ومصر، لدورها العلاجي الذي لا يترك مضاعفات سلبية على صحة الإنسان، ولمردودها الاقتصادي نظراً لتوافرها بكثرة في هذه المنطقة.

Abstract:

The aim of this paper is to study one of the herbals, Albulsan Plant, which was known amongst the medical field during the Islamic Ages. It is a medical fat produced by small bushes which mainly grow in Palestine and Egypt during the ancient ages. It was largely used during the Mamluk reign. Its importance lies a variety of diseases at that time. As a result, it was considered as the basic medicine in the Islamic World. Moreover, the Christians considered it as a holy plant because it was used in Baptism. This study also aims at focusing the attention of scholars in the medical field to the importance of this plant to be used as a supplement to chemical remedies because it does not have side effects as well as to the financial and economic benefits as a result of its abundance in Palestine

مقدمة:

شكلت النباتات الطبية عنصراً رئيساً في صناعة العقاقير الطبية خلال العصور القديمة والعصور الوسطى، وكان الأطباء اليونان (١) ، والمسلمون قد استخدموا هذه النباتات في علاج كثير من الأمراض التي تصيب الإنسان، ومنهم الطبيب المسلم رشيد الدين بن علي الصوري (٢) الذي أقام فترة في مدينة القدس، وكتب مؤلفات طبية عدة، منها: «كتاب الأدوية المفردة»، وخلال عمله كطبيب وباحث في مجال العقاقير الطبية، كان يصطحب معه رساماً ويتجول في الأماكن التي تنمو فيها النباتات الطبية، ويشاهدا معاً هذه النباتات، ويرسمها الرسام في جميع مراحل نموها، وفي الوقت نفسه دوّن الطبيب الصوري ملاحظاته حول قيمتها العلاجية (٣) .

وحديثاً تجري محاولات حثيثة للاهتمام بالنباتات الطبية في بعض دول الجوار لأهميتها العلاجية بوصفها بديلاً عن العقاقير الكيماوية، التي بدأت أعراضها السلبية تؤثر في صحة الإنسان بشكل واضح، فعلى سبيل المثال بدأت محاولات حثيثة لاستنبات بعض النباتات الطبية، وعلى رأسها البلسان في منطقة عين جدي (٤) في فلسطين المحتلة (٥) ، وفي هذا الشأن عُقد مؤتمر دولي في الأردن عام١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، قدمت فيه أبحاث تناولت أهمية النباتات الطبية، وطرق زراعتها، واستخداماتها العلاجية (٦) .

هدفت هذه الدراسة إلى إلقاء الضوء على البلسان باعتباره واحداً من النباتات الطبية التي أدَّت دوراً مهماً في صناعة العقاقير الطبية، والحديث عن خصائصه الطبية، ومزاياه العلاجية والتجميلية خلال العهد الإسلامي. كما هدفت هذه الدراسة إلى لفت النظر إلى هذا النبات، لدراسة إمكانية إعادة استنباته في فلسطين ومصر، ليشكل مادة ذات مردود اقتصادي، بعد إجراء دراسات حول إمكانية نجاحه، ودراسة جدواه الاقتصادية كذلك.

قسم الباحث هذه الدراسة إلى ثلاثة فصول رئيسة، ركز الفصل الأول منها على أصل هذه النبتة، وتاريخها، ومناطق زراعتها في فلسطين، ومصر في العصور القديمة وخلال العهد الإسلامي. وتناول الفصل الثاني طرق زراعة البلسان، واستخراج دهنه الطبي، وتقطيره، وكمية الإنتاج، وناقش الفصل الثالث استخداماته العلاجية والدينية.

وحوت الدراسة عدداً من النتائج والتوصيات، واعتمدت على عدد من المخطوطات، والمصادر المطبوعة منها عدد من الرحلات التي قام بها الرحالة المسلمون والأجانب، تحدثوا خلالها عن شجيرات البلسان ونموها في فلسطين ومصر.

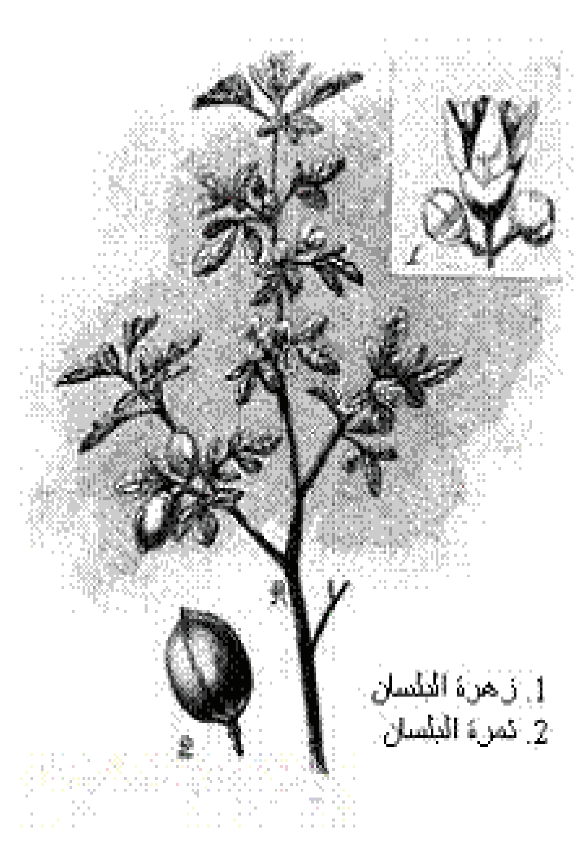
الفصل الأول ـ زراعة البلسان واستغلاله عبر العصور التاريخية:

أـ مناطق زراعته:

البلسان نبات طبي ذو رائحة عطرية، يعيش في المناطق التي يسود فيها المناخ المداري، ويحتاج إلى درجة حرارة مرتفعة، ومياه وفيرة لينمو ويتكاثر، وهو نوع من الأشجار القزمة (٧) التي لا يزيد طولها عن الذراع (٨)، وتشبه أوراقها أوراق شجرة الرومان في بداية نموها (٩)، وساقها عليه لحاء علوي يغلب عليه اللون الأحمر القاني، واللحاء السفلي يميل إلى اللون الأخضر القاتم، وتنتج ثمراً بداخله بذرة تشبه حبة اللوز الصغير (١٠).

شكل رقم (١)

ثمار وأغصان وأوراق شجيرة البلسان.



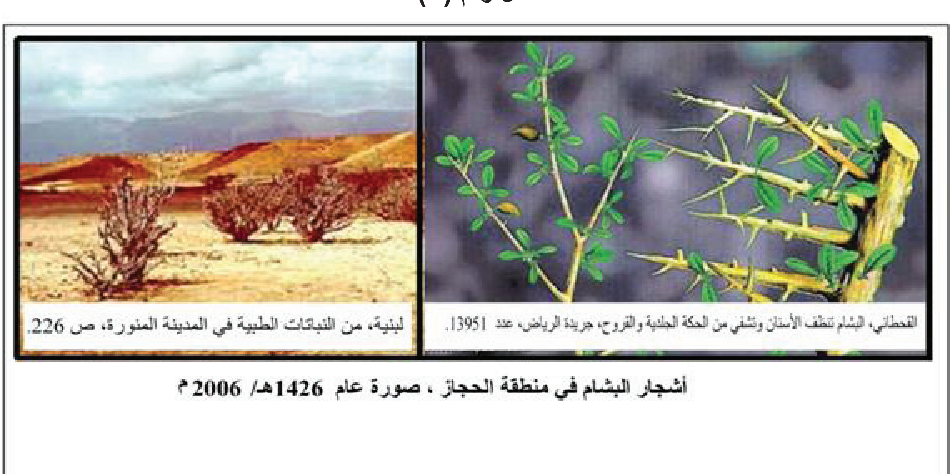
نقلاً عن: Feliks,Balsam,Vol,4,P.142- 143.

وبعد جرح لحاء هذه الشجيرات يخرج منها نوعٌ من الدهـون النباتية دهن البلسان عُرف علمياً باسم «راتنج» (١١) ، تفوحُ منه رائحة نفاذة، وُسمي خزانة الأدوية الطبيعية لتنوع استعمالاته الطبية (١٢) .

وأطلق على الأصول البرية لهذا النبات اسم «البشام »، وينمو في جبال الحجاز قرب مكة، وغرب المدينة المنورة، وفي بعض المناطق الجبلية في اليمن، وأثيوبيا، والسودان، معتمداً على مياه الأمطار، وكانت عملية استخراج الدهن منه محدودة جداً، لقلة عصارته الناتجة عن عدم توافر ري منتظم، ولذلك اجتهد بعض الجغرافيين المسلمين، وأكدوا أنه لا ينتج أي نوع من الدهون (١٣) .

وعرف الدهن الطبي تجارياً ولدى العامة باسم البلسم (١٤) ، ومصطلح بلسم Balsam ربما اشتق من الكلمة الآرامية Botsmin بمعنى سيد العطـور، أو ذي الرائحة الزكيـة، والاسم العلمــي للدهـن الذي تنتجه

شكل رقم (٢)



أشجار البشام في منطقة الحجاز ، صورة عام 1426هـ/ 2006م

هذه الشجيرة هو Amyris Gileadensis (١٥) ، وعرف البلسان بأسماء عدة ارتبطت بمكان إنتاجه (١٦) ، فقد عُرف باسم: بلسم مكة، وبلسم جلعاد (١٧) ، وكان دهن البلسان من البضائع الرائجة في العصور القديمة بسبب استخداماته الطبية، وتأثيره الواضح في علاج السموم (١٨) ، وجاء في العهد القديم أن القافلة التي أنقذت سيدنا يوسف عليه السلام من الجب (١٩) كانت تحمل بلساناً من فلسطين إلى مصر (٢٠) ، وتذكر الروايات أن بلقيس ملكة سبأ قدمت لسيدنا سليمان (٢١) بعض دهن البلسان، وجذوره على سبيل الهدية، وزُرعت هذه الجذور قرب عين جدي، ومنها تكاثرت في فلسطين (٢٢) .

وفي الفترة الرومانية انتشرت زراعته بشكل واسع في فلسطين، وبخاصة في منطقة عين جدي، وذكر الرحالة الروماني سترابو Strabo [٢٣] أن مساحة المنطقة المزروعة بالبلسان في أريحا بلغت عشرين كيلو متراً مربعاً، كما تحدث الرحالة بلني الكبير Plniy the Elder [٢٤] عن البلسان في منطقة أريحا، وقال إنه وجد فيها بساتين عدة، وأن مساحة البستان الواحد تبلغ عشرين دونماً، وأن البستان الواحد يعطي ستة جالونات [٢٥] من الدهن الطبي [٢٦] .

وزودت بساتين البلسان في أريحا خزينة الإمبراطورية الرومانية بحوالي مائتي ألف دينار ذهبي في العام، وخلال فترة سيطرة أنطونيوس Antigonus [٢٧] في الشرق، كانت منطقة زراعة البلسان في أريحا إقطاعاً ممنوحاً إلى زوجته كليوبترا Cleopatra [٢٨] ملكة مصر [٢٩] .

وخلال تلك الفترة انتقلت زراعته من فلسطين [٣٠] إلى مصر [٣١] ، وذلك قبيل ظهور الديانة المسيحية، حين خرجت مريم العذراء، ومعها السيد المسيح عليه السلام من فلسطين فراراً من هيرودس [٣٢] ، وتوجهت إلى مصر، ومرت بالمطرية [٣٣] ، وتحدثت أسطورة عن غسل العذراء ملابس السيد المسيح المتسخة بمياه من بئر المطرية، ورشت المياه على الأرض، فنمت شجيرات البلسان الذي أصبح دهنها جزءاً رئيساً من طقوس التعميد المسيحية [٣٤]، وكونت حديقة كبيرة بفضل مياه البئر التي تدفقت أصلاً من نبع مياه جوفي [٣٥] .

بـ البلسان في العصور الإسلامية:

ازدهرت زراعة البلسان وتقطير دهنه الطبي في فلسطين خلال العصور الإسلامية المبكرة، وتحديداً في منطقة الأغوار قرب أريحا، وفي عين جدي وما جاورها من المناطق[٣٦]، وخلال الفترة الأموية كان دهن البلسان مادة نادرة احتكرت مؤسسة الخلافة إنتاجها وتجارتها، وكان تداولها ممنوعاً، وعقاب من يقوم بتهريبها خارج حدود الدولة الإسلامية الموت [٣٧] .

وبالرغم من ذلك فقد تسرب جزءٌ منها إلى الأسواق بطريق غير مشروع، و ذلك عبر المشرفين على زراعة شجيرات البلسان، الذين استخرجوا الدهن الطبي من الأغصان والأوراق وذلك بعد غليها، وكبسها، وتكريرها [٣٨] ، وأحياناً كان يبيع بعض الأعيان جزءاً من دهن البلسان الذي حصلوا عليه من الخليفة أو السلطان كهدية، أو عن طريق البيع المحدود الذي يقوم به المشرفون على هذه المادة في الخزانة السلطانية [٣٩] ، وكان يتسرب بعضه إلى الأسواق كما يبدو بطريقة سرية.

وقد أشترى الرحالة الإنجليزي ويليبالد Willibald [٤٠] ، الذي زار فلسطين في عهد الخليفة الأموي يزيد الثاني [٤١] ، كمية صغيرة من دهن البلسان من فلسطين، ونقله إلى الخارج في طريق عودته بطريقة سرية، فاستخدم حيلة لخداع موظفي الجمارك ليضمن عدم العثورعلى دهن البلسان معه، حيث وضعه في قارورة صغيرة وأغلقها بإحكام كبير، ثم أدخل القارورة التي تحوي بلساناً في قارورة أكبر حجماً وعبأها بالقار، فلما وصل إلى ميناء صور [٤٢] ، فتشوا أمتعته ولم يتعرفوا إلى رائحته بسبب رائحة القار [٤٣] .

وبقيت زراعته مزدهرة في فلسطين، وتفوق على بلسان مصر من ناحية الجودة [٤٤] ، وقد شاهد الرحالة برنارد الحكيم Bernardus Sapiens [٤٥] أثناء مروره بأريحا، خلال القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي مزرعة للبلسان، يعمل فيها فلاحون يستخرجون السائل الدهني، عن طريق جرح قشرة السيقان بشكل طولي بوساطة حجارة مدببة [٤٦] ، وبعد احتلال الفرنجة فلسطين عام ٤٩٢هـ/ ١٠٩٩م، سيطروا على إنتاج دهن البلسان فيها [٤٧] ، ووجهوا عناية خاصة تجاه هذه الزراعة، وقد تولى التجار الإيطاليون تصديره من مناطق إنتاجه في فلسطين إلى أوروبا [٤٨] .

واستمر الاهتمام بإنتاج البلسان في منطقة أريحا، وتصديره من فلسطين إلى أوروبا واضحاً خلال الفترة الفرنجية [٤٩] ، ويبدو ذلك من الاهتمام الواسع بها حيث وضعت تحت سيطرة الكنيسة مباشرة، ومنحت إقطاعاً إلى كنيسة القيامة [٥٠] .

وكان للأخطار التي واجهتها بلاد الشام بشكل عام وفلسطين بشكل خاص، والتي تمثلت بالغزو الفرنجي والمغولي بين عامي ٤٩٢هـ/ ١٠٩٩م ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م، أثر واضح على الأوضاع السياسية والاقتصادية في فلسطين بخاصة وبلاد الشام بعامة، وانعكس هذا سلباً على زراعة البلسان وإنتاجه، التي شهدت تدهوراً كبيراً بعد التغيرات السريعة التي جرت على السلطة الحاكمة المشرفة على زراعته، فتوقفت زراعته في فلسطين، وهو ما أكده الرحالة عبد اللطيف البغدادي [٥١] ، وذكر أن زراعة البلسان انتهت بفلسطين [٥٢] ، وأنها ازدهرت في مصر ضمن حديقة المطرية [٥٣] .

ورُسمت حول هذه الحديقة هالة دينية كبيرة، وذلك بسبب زيارة السيد المسيح عليه السلام ووالدته العذراء لها، وقصدها الحجاج المسيحيون للتبرك بها، والاستشفاء بمياهها[٥٤] ، وتحدثت الروايات المسيحية بأسطورية عن قدسيتها، وذكرت أن الثيران التي تدير نواعير المياه التي تروي شجيرات البلسان تتوقف تلقائياً عن العمل يوم الأحد من كل أسبوع [٥٥] ، وكان بها خمسة آبار للري ساهمت في تزويد الشجيرات بالمياه، وبخاصة في فصل الصيف الحار [٥٦] ، وكان عدد من الحجاج المسيحيين يزور حديقة البلسان في طريقهم إلى الأرض المقدسة اعترافاً منهم بخصوصيتها الدينية [٥٧] .

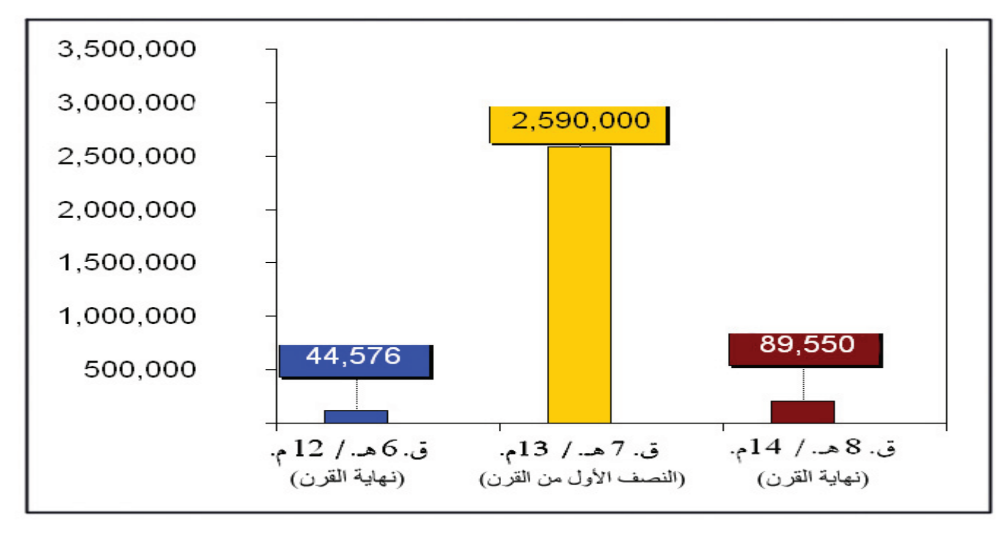
وكانت الحديقة موضع عناية السلطة الحاكمة واهتمامها [٥٨]، وأشرف عليها عمالٌ مسيحيون عرفوا باسم «الجنانية»، ويبدو أن مساحة الحديقة، وعدد الأشجار قد اختلف من فترة لأخرى حسب اختلاف المناخ، وحسب العناية بالشجيرات، ويذكر الرحالة عبد اللطيف البغدادي أن مساحة الحديقة بلغت سبعة فدادين [٥٩] بالمقياس المصري [٦٠]، وفي منتصف القرن الذي يليه ذكر المؤرخ ابن الأثير [٦١] أن مساحة الحديقة وصلت إلى ميل [٦٢] مربع [٦٣]، ثم تراجعت مساحة هذه الحديقة في نهاية القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي إلى (٤٥٠) ذراعاً مربعاً فقط [٦٤]، وذلك حسب ما أورد الراهب فرانسيسكو سورونو Francesco Suriano [٦٥]، ويمكن توضيح التغيرات التي طرأت على مساحتها كالتالي:

الجدول (١)

مساحة الحديقة بين القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي
والقرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي

الرقم	التاريـخ.	مساحة الحديقة كما وردت في المصادر المعاصرة.	مساحة الحديقة بالمتر المربع.
١	نهاية القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي.	سبعة فدادين.	٤٤،٥٧٦ م٢
٢	النصف الأول من القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي.	ميل مربع.	٢،٥٩٠،٠٠٠ م٢
٣	نهاية القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي.	أربعمائة وخمسون ذراعاً.	٨٩،٥٥٠ م٢

ويمكن توضيح هذا الجدول بيانياً على النحو الآتي:



ويبدو أن التوسع الواضح في مساحة الحديقة خلال النصف الأول من القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي مرتبط إلى حد كبير باستقرار الأوضاع نسبياً في مصر، والعناية الخاصة التي أولاها الملك الكامل بن العادل الأيوبي (٦٦) لزراعة البلسان، ومحاولة استنباته خارج حدود حديقة المطرية (٦٧) .

ويعود التناقص الواضح في مساحة الحديقة في نهاية القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي إلى كثرة الاعتداءات على الحديقة، وقد رصدت إحدى هذه المحاولات قيام عصابة من المتمردين بالاعتداء على الحديقة وتخريبها عام ٩٠٠هـ/ ١٤٩٤م (٦٨) ، ويبدو أن عملهم هذا كان محاولة للحصول على هذه السلعة غالية الثمن، والمطلوبة عالمياً، وكان جزءاً من محاولتهم النيل من السلطة الحاكمة وكسر احتكارها لهذه السلعة، باعتبار أن إنتاج دهن البلسان وتصديره كان امتيازاً حكومياً، ولذلك أرسل السلطان قانصوه الغوري(٦٩) بعثة، أحضرت أصولاً من شجيرات البلسان البري « البشام» بتربتها من الحجاز (٧٠) ، وأعيد زراعتها من جديد في الحديقة نفسها (٧١) . على أنه يجب أن لا نغفل عوامل أخرى أثرت في مساحة الحديقة من سنة لأخرى، وهذه العوامل مرتبطة بتقلبات الطقس، وقلة الأمطار، والقحط الناتج عن ذلك، وكان لهذه العوامل أثر في كمية الإنتاج.

وكانت الحديقة خلال الفترة المملوكية محوطة بسور، ولها حراسة قوية من مشاة وخيالة (٧٢) ، وقد بالغ الرحالة ميشولم بن مناحيم Meshullam Ben Menahem (٧٣) بالحديث عن هذه الحراسة، فذكر أنه كان يخصص للشجرة الواحدة خمسة حراس (٧٤) ، وكان لا يُسمح لأحد بدخول الحديقة في موسم القطاف (٧٥) ، وفي الأيام الأخرى سُمح للزوار بدخول الحديقة بعد التزامهم بعدم ممارسة أية أعمال تضر بالأشجار، وتخلل هذه الزيارات تقديم بعض الهدايا للحراس أحياناً، لتسهيل دخولهم إلى الحديقة (٧٦) .

ولما كان دهن البلسان من العناصر المهمة في الاقتصاد المملوكي، وكان له أثره في العلاقات مع العالم المسيحي آنذاك (٧٧) ، وبخاصة بعد تحول طرق التجارة من مصر إلى رأس الرجاء الصالح، وتوقف وصول البضائع الهندية عن طريق مصر، ازداد الاهتمام بإنتاج الدهن الطبي، من أجل إعادة النشاط التجاري عبر مصر، وزيادة دخل السلطات الحاكمة هناك (٧٨) .

وفي العصور الإسلامية الوسطى تطلع الملوك والحكام المسلمون والمسيحيون للحصول على دهن البلسان، وبالغوا في طلبه (٧٩) ، وكان دهن البلسان جزءاً من الهدية التي أرسلها الخليفة العباسي هارون الرشيد (٨٠) إلى الإمبراطور شارلمان (٨١) ، في إطار العلاقات الحسنة والمتبادلة بين الطرفين (٨٢) .

وقد تبادل الحكام المسلمون دهن البلسان في مناسبات عدة لا سيما بعد الفتوحات والانتصارات العسكرية من ناحية، وكان جزءاً من الهدايا التي أرسلت على سبيل تجديد الولاء والطاعة من ناحية أخرى. فقد أرسل صلاح الدين الأيوبي [٨٣] أثناء ولايته على مصر إلى السلطان نور الدين زنكي [٨٤]، هدية فيها مصاحف، وأحجار كريمة، وأقمشة، وخمسين قارورة من دهن البلسان الطبي [٨٥] عام ٥٦٩هـ/ ١١٩٩م.

وخلال حروب السلطان صلاح الدين مع الفرنجة، طلب صلاح الدين الدعم من السلطان الموحدي يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن [٨٦]، وأرسل له هدية كان فيها مئة درهم من دهن البلسان [٨٧]، وبعده أرسل السلطان الظاهر بيبرس [٨٨] هدية إلى ملك المغرب عام ٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م، بعد فتوحاته في الساحل الشامي مكونة من مماليك وخدم، ودهن بلسان[٨٩]، وهذا يشير إلى الأهمية الطبية الكبيرة التي حظي بها هذا النوع من الأدوية التي لاقت رواجاً كبيراً بين الملوك والأمراء عبر مختلف المراحل التاريخية.

الفصل الثاني- تكاثره واستخراج دهنه الطبي:

أ- تكاثره :

تكاثرت شجيرات البلسان عن طريق الفسائل التي تحوي عُقلاً جيدة، وأطلق عليها اسم القضبان أو الأوتاد [٩٠]، التي اختيرت بعناية فائقة، وتراوح عمرها بين سنتين إلى ثلاث سنوات، وزُرعت في الأرض بعد تهيئتها وتزويدها بالسماد الطبيعي، وبعد غرسها في مكانها المخصص، تروى بالماء حتى تنمو، ويمكن غرسها مؤقتاً في أوان فخارية حتى تنمو بشكل مناسب، ثم تنقل إلى مكان الغرس الدائم [٩١].

وهذا ما أكده عبد اللطيف البغدادي بقوله: «... والبلسان الدهني لا يثمر وإنما تؤخذ منه فسوخ فتغرس ... [٩٢]»، في الوقت الذي تحدثت فيه روايات أخرى عن محاولات لزراعة البلسان عن طريق البذور [٩٣].

وكانت مواعيد الزراعة موضوع اختلاف بين رحالة الزراعة في تلك الفترة ومؤرخيها ومتخصصيها، ويمكن الحديث عن ذلك على النحو الآتي:

- **مواعيد زراعة فسائل البلسان**

الرقم	الاسم	مواعيد الزراعة
١.	ابن مماتي [٩٤] : منتصف القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي.	في شهر بشنس القبطي ويصادف بدايته[٩ أيار] زراعة البلسان [٩٥].
٢.	البغدادي: نهاية القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي.	«تؤخذ منه فسوخ فتغرس في شباط».

الرقم	الاسم	مواعيد الزراعة
٣.	ابن إياس [٩٦] : بداية القرن العاشر الهجري/ السابع عشر الميلادي .	البلسان كان يزرع حباً في الفترة بين الشهرين القبطيين بونة وهاتور [٩٧] : [يصادف بداية بونة ٨ حزيران، وهتور يبدأ في ١١ تشرين الثاني].

وتبين من هذه المواعيد صحة ما ذهب إليه ابن مماتي لسببين أولها: أن وقت الزراعة المناسب للأشجار هو في فصل الربيع، وثانيهما: كون ابن مماتي مواطناً مصرياً، وكان وزيراً ومسيراً لأعمال الدواوين، وله كتاب بعنوان «قوانين الدواوين» تحدث فيه عن الزراعة في مصر بما فيها زراعة البلسان.

ويحتاج البلسان إلى ري منتظم كل يوم تقريباً خلال فصل الصيف الحار، وذلك من شهر حزيران إلى تشرين الثاني، حيث يبدأ فصل الشتاء، ويحتاج إلى عناية مكثفة، وبخاصة في مجال تنظيف الأرض من الأعشاب، ومحاربة الآفات والقوارض الضارة [٩٨] ، ويبدو أن الشجيرات تطرح إنتاجها بعد عامين من زراعتها في الموقع الدائم، وهو من الأشجار المعمرة التي يزيد إنتاجها كلما تقدمت في العمر [٩٩] ، وتغطى هذه الشجيرات في فصل الشتاء بالكتان لوقايتها من البرد الذي يعتبر من أشد المؤثرات المناخية خطراً عليها[١٠٠].

بـ استخراج دهنه الطبي:

عرفت حديقة البلسان في مصر بحديقة عين شمس، وهي عملياً مملوكة للسلطان [١٠١] ، وأشرف الخليفة أو الحاكم بنفسه على عملية الإنتاج منذ جرح الشجيرات وحتى قطاف الدهن النقي، وفي حال عدم تفرغه أو سفره، تابع الخازندار [١٠٢] الكبير هذه العملية [١٠٣] ، ويجري القطاف في احتفال مهيب يحضره كبار الضيوف والأمراء والقناصل الأجانب، يُقدم فيه فنجان من البلسان للضيوف على سبيل الهدية [١٠٤] .

واختلفت آراء المؤرخين والرحالة والمختصصين في موعد استخراج الدهن الطبي من الأشجار، واعتماداً على النصوص الواردة والاختلاف الواضح بينها، يمكن الحديث عنها على النحو الآتي:

- **مواعيد استخراج الدهن الطبي:**

الرقم	الاسم	مواعيد القطاف
١	البغدادي: نهاية القرن السادس الهجري/ الثاني عشرالميلادي.	شهر شباط [١٠٥] .
٢	ابن مماتي: بداية القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي .	«وشرطه واستخراج دهنه من نصف توت [يبدأ في ١٢ أيلول] ، وإن كان أوله أصلح» [١٠٦] .

الرقم	الاسم	مواعيد القطاف
٣	ابن إياس: بداية القرن العاشر الهجري/ السابع عشر الميلادي.	استخراج الدهن يتم في ٢٤ من شهر بشنس القبطي، وتوافق بداية بشنس التاسع من شهر أيار [١٠٧] .

ويبدو واضحاً صحة ما ذهب إليه ابن مماتي في حديثه عن موعد استخراج السائل الدهني، الذي يأتي في فصل الصيف الذي يتوافق مع اكتمال عصارتها ونضوجها [١٠٨]. ويستخرج الدهن قبيل طلوع الشمس وقت الندى [١٠٩] ، في ظل حراسة مشددة [١١٠] ، وكلما تكاثر تساقط الندى كان ذلك أفضل لعملية استخراج الدهن، وتجرح قشرة الساق بوساطة حجر مدبب [١١١] مخصص لهذا الغرض بشكل طولي، من قبل شخص مخصص لهذا العمل[١١٢] .

وبعد جرح الساق يسيل السائل اللزج على الساق ويجمعه شخص متخصص [١١٣] بإصبعه، وينقل إلى وعاء خاص صغير يعرف بالقرن [١١٤] ، ثم يفرغ في وعاء زجاجي خاص [١١٥] . ولجمع الدهن طرق أخرى منها: وضع لفافات قطنية حول الساق المجروح لتمتص الدهن، ثم تُعصر اللفافات وتوضع في وعاء خاص [١١٦] ، أو القيام بتشذيب غصونها، وتربط زجاجة أسفل القطع حتى يتجمع فيها الدهن، وبعد استخراج الدهن تذبل ويجف الكثير من أغصان الشجيرات فتقلم لتنمو أغصان جديدة على الشجرة، وكانت الأغصان المقطوعة تحمل من قبل المشرفين وتباع في الأسواق [١١٧] .

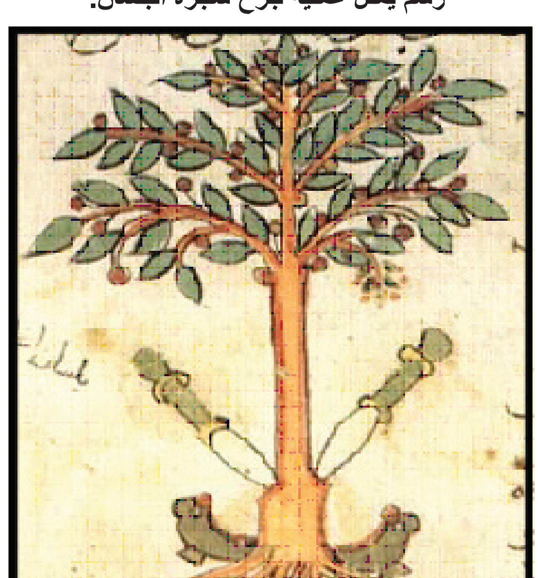
جـ تقطيره:

بعد جمع السائل الدهني في القناني، تجري عملية الدفن، حيث تغلق وتغطى بالمواد العضوية للحفاظ على درجة حرارة مناسبة، تمنع تكتل الدهن ليبقى في حالة السيولة، ثم تبدأ عملية إزاحة الدهن عن الشوائب بحيث يطفو الدهن إلى أعلى وتستقر الشوائب في الأسفل، وبخاصة في وقت الظهيرة حين ترتفع درجة الحرارة.

وتتكرر عملية الإزاحة التي عرفت بالتدبير يومياً حتى ينتهي الدهن، ولا يتبقى سوى بعض الشوائب، وتأخذ عملية التدبير فترة قد تستمر سنة كاملة، وبعد الحصول على الدهن النقي، يطبخ على نار هادئة في فصل الربيع، وهو أفضل الأوقات لطبخه [١١٨] ، ولا تتجاوز كمية الدهن النقي عُشر كمية [١١٩] المنتج [١٢٠] ، وهذه الطريقة تنتج أجود أنواع الدهن النقي، وقد أطلق عليه التجار الأجانب اسم البلسان النقي Opobalsamum [١٢١] .

شكل رقم (٣)

رسم يمثل عملية جرح شجرة البلسان.



نقلاً عن: لبنية، النباتات الطبية، ص٢٣٠.

وتولى مشرفون خاصون نقل الدهن الطبي إلى خزانة الشراب [١٢٢] الخاصة بالخليفة أو الحاكم [١٢٣] ، والتي تحوي أنواعاً مختلفة من الأدوية الضرورية للعلاج [١٢٤] ، ويحفظ في أوان صقيلة كالفضة والزجاج [١٢٥] ، ولا يصرف شيء منه إلا بإذن خاص [١٢٦] ، وذلك عند إرسال قسم منه إلى المشافي لاستخدامه في العلاج [١٢٧] ، وفي الفترة المملوكية أرسلت كميات منه إلى قلاع الشام والبيمارستانات لاستخدامه كدواء منفرد، أو استخدامه في تحضير الأدوية المركبة.

وخلال الأزمات المالية كان أتباع الخليفة يقومون ببيعه إلى الأديرة والكنائس ضمن إشراف مباشر من قبل وكيل الخليفة، ويرسل ضمن الهدايا المنتظمة إلى بعض الحكام المسلمين والأجانب، أو إلى بعض العلماء والشخصيات المهمة [١٢٨] ، وما زاد عن حاجة السلطان كان الخازندار يكلف بعض رجاله ببيعه إلى الزوار الأجانب، أو إلى بعض أعيان الدولة، وأحياناً كان يقوم بعض متلقي الهدايا التي تحتوي على الدهن الطبي ببيعه أو بيع ما يزيد عن حاجتهم [١٢٩] ، بأسعار مرتفعة جداً وصلت إلى حد بيعه بوزنه ذهباً [١٣٠] .

أما البلسان التجاري فهو أقل جودة من النوع الأول، ويمكن أن يطرح في الأسواق

بكميات محدودة، وبصورة شبه سرية، وهو على نوعين، الأول: البلسان المستخرج من البذور بعد طبخها وعصرها ويعرف باسم Carbopalsamum، والثاني: النوع المستخرج من الأغصان بعد غليها وعصرها، ويعرف باسم Xylobalsamum (١٣١) ، وكان يباع بضعف وزنه من الفضة (١٣٢) .

وكانت أغصان البلسان الجافة تباع تجارياً في مصر خلال الفترة المملوكية، وقد اشترى الرحالة بورشارد (١٣٣) ، بعضاً منها خلال وجوده في مصر (١٣٤) ، أما بذور البلسان فقد بيعت بصورة محدودة في أسواق مصر، ومكة المكرمة، وبلاد الأندلس (١٣٥).

وقد ساهم ارتفاع أسعاره، وشح هذه المادة، وتزايد الطلب عليه، إلى تعرضه لعمليات غش كانت الأوسع خلال العصور الوسطى، وكان يخلط بمواد أخرى، ويباع على أنه دهن نقي (١٣٦) ، وتراوحت عملية الغش بين غلي أغصان البلسان بالزيت وبيعها بالأسواق، أو مزج دهن البلسان بدهن السوسن (١٣٧) ، ومزجه بعضهم بالقرنفل (١٣٨) ، أو بالشمع، حيث تغلب رائحة دهن البلسان على الدهون الأخرى.

ويتضح البلسان الزائف من خلال وضع قليل منه على قطعة قماش، ثم غسلها بالماء، فإن ذاب، فهو دهن بلسان نقي، لأن دهن البلسان يذوب في الماء، بينما تتجمد الدهون الأخرى مثل دهن السوسن، والقرنفل، والشمع، عند وضعها في الماء، أو تعريض عينة منه للحرارة لاكتشاف غشها، وبخاصة أن دهن البلسان سريع الاشتعال، أو يوضع في الحليب لأن دهن البلسان يؤدي إلى تخثره بشكل سريع، وكل هذه العمليات ساعدت على التمييز بين الدهن النقي والدهن المغشوش (١٣٩) .

د- كمية الإنتاج:

ذكر البغدادي في نهاية القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، أن كمية الإنتاج قد تراوحت بين خمسين وستين رطلاً في السنة (١٤٠) ، وانخفضت في سنوات القحط الشديد إلى عشرين رطلاً فقط، كما حدث عام ٥٩٦ هـ/ ١١٩٩م (١٤١) ، علماً بأن معدل الإنتاج خلال الفترة المملوكية قد وصل إلى مائتي رطل مصري في العام (١٤٢) ، وأنتجت هذه الكمية من حديقة البلسان في المطرية التي زرع فيها ما بين (٤٠٠ – ٥٠٠) شجيرة(١٤٣) .

وكانت كمية الإنتاج تتناسب طردياً مع التوسع في مساحة الحديقة وعدد أشجارها، وإلى جانب ذلك فقد تحكمت عوامل أخرى في الإنتاج أهمها: عوامل المناخ المختلفة، والاعتداءات البشرية على الحديقة، ويبدو أن عوامل المناخ، وبخاصة قلة الأمطار، قد أدت إلى تطبيق نظام التقنين في تزويد الشجيرات بالمياه من الآبار الموجودة في الحديقة خلال سنوات القحط، وهذا أثر سلباً في الإنتاج، ولذلك كان يعوض نقص الدهن باستخراجه من بذور البلسان (١٤٤) .

ومع بدايات القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي بعد دخول الدولة العثمانية إلى مصر بفترة قصيرة انقطعت زراعته (١٤٥) ، ولعل ذلك يعود إلى تطوير مواد علاجية جديدة أقل سعراً وأسهل استغلالاً من دهن البلسان، مثل الزيت المستخرج من شجيرات الزقوم التي تنتج زيتاً طيب الرائحة استخدم في علاج الجروح والتقرحات، ولا يحتاج إلى عناية أو ظروف زراعية مميزة (١٤٦) .

الفصل الثالث استخداماته:

أـ استخداماته العلاجية:

يعود الاستخدام الطبي لدهن البلسان إلى العصور القديمة، وكان من ضمن المواد التي استخدمها الطبيب اليوناني جالينوس لصنع «جواريش جالينوس»، وهو مركب استخدم لتقوية المعدة وعملية الهضم والكبد، كما استخدمه الرومان لعلاج الجروح العميقة، حيث عمل الدهن الطبي على وقف النزف الشديد (١٤٧) وحالات الإغماء (١٤٨) ، كما صنعوا منه ترياقاً (١٤٩) لعلاج السموم (١٥٠) ، وحفظ الجثث المحنطة، واستخدموه في طقوس الدفن قبل انتشار المسيحية، وفي طقوس التعميد بعد انتشار هذه الديانة (١٥١) ، وفي صناعة العطور (١٥٢) ، وتحدثت عنه العديد من المصادر الإسلامية، وأشاد عدد من الشعراء بمزاياه التجميلية (١٥٣) .

كما استخدمه الصحابة في معالجة جرحاهم، فجمعوا العصارة وجهزوها قبل الحرب لاستعمالها كعلاج فعال للجروح، وكان له دور في علاج أمراض العمود الفقري، وأمراض المفاصل المزمنة (١٥٤) ، وبخاصة ارتخاء الأعصاب (١٥٥) ، حيث عمل على تهييج الجلد، وزيادة توارد الدم إلى المناطق المصابة (١٥٦) .

ولتأثيره الطبي في علاج أوجاع العظام والمفاصل، فقد طلبه الأمير أسامة بن منقذ(١٥٧) عبر رسالة شعرية إلى الطبيب مهذب الدين بن النقاش (١٥٨) ، قال فيها:

ركبتي تخدم المهذب في العلم وفي كل حكمة وبيان
وهي تشكو إليه تأثير طول العمر في ضعفها وطول زمان
فلها فاقة إلى ما يقوِّي مشيها من البلسان
كل هذا علالة لمن جاز الثمانين بالنهوض يدان
رغبة في الحياة من بعد طول العمر والموت غاية الإنسان (١٥٩)

«البحر الخفيف»

وجرى استخدامه في علاج الأمراض البلغمية، وأمراض الرئة، وفي صنع شراب لعلاج السعال [١٦٠].

وكان للدهن بعد تخفيفه بالماء أثر في معالجة أمراض الفم واللثة، واستخدمت أغصانه لصناعة المسواك [١٦١].

واستخدم دهن البلسان في علاج أمراض العيون، والأمراض الخاصة بالنساء والتوليد، وكان شراب البلسان مخففاً يعمل على إدرار البول، وله أثر في تسكين أوجاع الأذن إذا خلط بالماء وقطر به [١٦٢]، أما بذور البلسان فاستخدمت في علاج الأمراض المعوية [١٦٣]، لأن جزءاً كبيراً لا يُمتص في المعدة ويصل إلى الأمعاء [١٦٤]، وأسهم عصير أوراق البلسان بعد غليه في علاج طفيليات العلق التي تستوطن حلق الإنسان [١٦٥].

وفي مجال الأدوية المركبة أصبح دهن البلسان أحد أركان الترياق الفاروق [١٦٦] المستخدم في علاج الحالات المرضية المستعصية [١٦٧]، كما استخدمت أوراق البلسان في إنتاج نوع من الحناء أسود اللون، وذلك بعد تجفيف أوراقه وسحقها وخلطها بالحناء الطبيعي [١٦٨]، وصنع منه بعض المراهم والمعاجين الطبية، فعند خلطه بدهن السوسن، يتم الحصول على مرهم يسهم في علاج قروح الجلد والرأس، وإذا خُلط بدهن الورد وخُفف بالماء عالج أمراض العين، وعند خلطه بدهن اللوز المر أو خلطه بالعسل ينفع في علاج الإعياء والضعف العام، وعند إحراق أعواد البلسان وخلطها بالخل، فإنه يفيد في علاج الثواليل وتقرحات اليدين [١٦٩].

وتميزت حديقة البلسان في مصر بناحية علاجية ترفيهية، تمثلت في زيارتها والاستجمام بمنظرها، وإدخال البهجة والسرور في نفوس الزائرين، وبخاصة خلال الأعياد الدينية للمسلمين والمسيحيين [١٧٠]، وأصبحت حديقة المطرية أحد متنزهات القاهرة، وكان كثير من السكان يقصدونها للترويح عن أنفسهم بعد عناء العمل، وفي الأعياد والمناسبات، وفي ذلك أنشد فخر الدين بن مكانس [١٧١] موشحاً قال فيه:

أنظر إلى أنوار بئر البلسم فهي سبيل صحتي من سم

لكونها فيما يقال تنتمي إلى المسيح السيد بن مريم

يحيي بإذن الله ميت اللحد

بئر لها التعظيم والجلالة بدراً أنارت واستدارت هالة

أنموذج الفردوس لا محالة لها على الجنة أي دلالة

تذكر الناس نعيم الخلد [١٧٢]

«بحر الرجز».

بـ استخداماته الدينية:

كان اعتقاد الكنيسة في العصور الوسطى أن طقوس التعميد المسيحي، لا تكتمل إلا إذا احتوى ماء التعميد على شيء من دهن البلسان باعتبارها شجرة مقدسة (١٧٣) ، ويطلقون على دهن البلسان المخصص للمعمودية اسم « الميرون »، ويصل الدهن لديهم إلى مستوى التقديس (١٧٤) ، وقد فرض استخدام الدهن وقداسته على الكنيسة التزامات كبيرة خاصة في كيفية الحصول عليه، وفي ارتفاع أثمانه بسبب ندرته، وتحكم المسلمين في مصر وفلسطين بإنتاجه.

واستخدم دهن البلسان كذلك في طقوس عيد الفصح في كنيسة القيامة، وبخاصة في موسم الحج، وتخبرنا بعض المصادر الإسلامية أن قساوسة كنيسة القيامة خلال الفترة الفاطمية، قاموا بدهن سلاسل قناديل الإضاءة بدهن البلسان والزئبق في يوم « فيض النور»، وهو اليوم الذي يسبق عيد الفصح، وفي ليلة الفصح، يقوم راهب بإشعال الدهن الموجود على السلاسل من ثقب خاص موهمين الحجاج أن النور الإلهي تجلى في المكان، وقد وشى بعض المسيحيين بذلك إلى الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر **الله** (١٧٥) ، ويبدو أن هذه الوشاية كانت سبباً من أسباب هدم كنيسة القيامة، وكنائس أخرى زمن الحاكم بأمر **الله** عام ٣٩٨هـ/ ١٠٠٧م (١٧٦) .

جـ استخداماته في مجال الطب البديل:

بعد توقف إنتاج البلسان في مصر مع نهايات الفترة المملوكية، استمر إنتاج الدهن الطبي بشكل محدود من شجرة البشام التي تنمو بشكل بري في صحراء شبه الجزيرة العربية، وتحديداً في منطقة الحجاز، وحديثاً أجريت دراسات علمية على الدهن الطبي للبشام للبحث في إمكانية استخداماته في العلاجات الحديثة، وبخاصة في مجال الطب البديل، وقد أشارت تجارب علمية أجريت بكلية الصيدلة جامعة الملك سعود بالرياض، إلى نقص ملحوظ في تركيز سكر الدم بعد حقن حيوانات التجارب بمستخلص نبات البشام، واكتشف الباحثون ظهور انخفاض ملحوظ في مستوى ضغط الدم للأرانب المخدرة بعد حقنها بالمستخلص الكحولي لهذا النبات، ويستعمل دهن البشام عوضاً عن المراهم الطبية لتخفيف ألم بعض أمراض العظام، والمفاصل كالروماتيزم، وكذلك مرض الفالج واللقوة (شلل جانب الوجه) وغيرها، لأنه يُسَكّن الآلام ويخفف شدتها، ويقلل حدوث نوباتها الحادة.

كما أن مستخلص البشام له نشاط مضاد للميكروبات العنقودية Staphylococcus aureus وعصيات الجراثيم Bacillus subtilis ، وحديثاً طورت أنواع صناعية منه في كندا،

ويسوق بمبالغ باهظة تحت اسم Balm of Gilead بمعنى بلسم جلعاد الذي ورد ذكره في التوراه [١٧٧] ، ويبدو لي أن هذا جزءٌ من محاولات تهويد الموروث الحضاري لفلسطين وإنتاجها، وتصويره على أنه منتج يهودي.

شكل رقم (٤)

بلسم جلعاد/ Balm of Gilead



عن: لبنية، من النباتات الطبية في المدينة المنورة، ص ٢٣٤ ٢٣٥ .

وقد أجريت دراسات أخرى على نبات البشام [١٧٨] ،وتبين أن عصارته فعالة لعلاج الحكة الجلدية، والتشققات والقروح، والأكزيما، والطفح الجلدي بشكل عام، وفي معالجة عضات الكلاب والذئاب وسموم الثعابين [١٧٩] ، ويساعد في تخفيف حدة السعال [١٨٠] ، وتستعمل قشور السيقان مصدراً لمادة عطرية مسكنة شبيهة بالنعناع، كما أن أوراق البشام لها استعمالات شعبية مهمة جداً، فهي تخلط مع الحناء لتعطي للحناء لوناً داكناً جميلاً، كما أن ثمارها عند النضج تتحول إلى اللون الأحمر وهي ذات قدرة كبيرة على إطفاء العطش، ولذا يعتمد عليها الرعاة والمسافرون عندما لا يجدون الماء.

وتعد الأوراق علفاً مناسباً للجمال يؤدي إلى زيادة إدرار الحليب، ويعتمدون عليها في صبغ الملابس، وخيوط الغزل، ويستخدم لغسل جسم الأم المتعسرة في الولادة، وتداوم النفاس على غسل جسمها دوماً بعد الولادة، حيث يعدُّ هذا الماء مطهراً وقاتلاً للجراثيم، وتعدُّ الثمار دواءً جيداً لعلاج عسر الهضم، والريح المتكونة في البطن، ولتسكين آلام الأمعاء والمعدة، كما تعدُّ مادة فاتحة للشهية [١٨١] .

النتائج والتوصيات:

في ضوء ما تقدم توصل الباحث إلى عدد من النتائج منها:

١. كان لدهن البلسان استخدامات طبية وعلاجية عديدة، وشكل عنصراً رئيساً في سلة الأعشاب الطبية في العصور القديمة، وفي الفترات الإسلامية المتعاقبة.

٢. إن زراعة البلسان وإنتاج دهنه الطبي كانت مزدهرة في فلسطين، وتحديداً في منطقة أريحا، وانتقلت منها إلى مصر في فترة الحكم الروماني، وبقيت كذلك في الفترات الإسلامية.

٣. انقطعت زراعة البلسان وإنتاج دهنه الطبي من فلسطين مع نهاية حروب الفرنجة، واستمرت بعد ذلك في مصر فقط.

٤. انتهت زراعة البلسان وإنتاج دهنه الطبي من مصر مع بداية القرن العاشر للهجرة/ السادس عشر الميلادي، وتزامنت مع دخول الدولة العثمانية إلى مصر.

٥. استمرت الأصول البرية للبلسان المعروفة باسم البشام في النمو بشكل طبيعي في منطقة الحجاز في شبة الجزيرة العربية وبعض المناطق المجاورة لها، وتستغل بشكل محدود في مجال العلاج البديل.

وبناءً على هذه النتائج يعرض الباحث عددا من التوصيات كالآتي:

١. تأسيس مراكز أبحاث عربية تعنى بالأعشاب الطبية، من حيث أماكن زراعتها، وقيمتها العلاجية، وبخاصة وأنها تشكل عنصراً رئيساً في العلاج البديل للعقاقير الطبية الكيميائية.

٢. دراسة إمكانية استنبات الأعشاب الطبية ، وبخاصة البلسان في فلسطين، وكذلك في مصر وغيرها من الأقطار العربية والإسلامية بشكل واسع، ورعايتها والعمل على تسويقها علاجياً، واقتصادياً.

٣. التركيز على استنبات البلسان وتطوير إنتاجه، باعتباره عنصراً يؤدي إلى تنشيط السياحة الدينية المسيحية في مصر وفلسطين.

الهوامش:

١. اهتم عدد من الأطباء اليونان بالنباتات الطبية، منهم الطبيب اليوناني (ديسقوردس Dioscorides) الذي عاش في القرن الأول الميلادي، وكان يتنقل بين البلدان للنظر إلى الأعشاب لتقدير أهميتها الطبية، كما تحدث الطبيب (جالينوس Galenus ت١٩٩م) في كتابه "الأدوية المفردة "عن النباتات الطبية وخصائصها العلاجية. ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص٤١ ٥٨، ٥٩؛ عوض، من إسهامات الطب العربي الإسلامي، ص٢٤، ٢٩.

٢. رشيد الدين أبو منصور بن علي الصوري: طبيب ولد في صور عام ٥٧٣هـ/ ١١٧٧م، وعاش سنتين في القدس، وعمل في البيمارستان الصلاحي، وأبدع في صناعة الترياق، توفي في دمشق عام ٦٣٩هـ/ ١٢٤١م. ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص٦٩٩ ٧٠٣؛ العسلي، مقدمة في تاريخ الطب في القدس، ص١١٣ـ ١١٤.

٣. حمارنة، الطب العربي في فلسطين زمن الفاطميين والأيوبيين، ص١٥.

٤. عين جدي: تقع على الشاطئ الغربي للبحر الميت على بعد (٤٠) كم جنوب شرق مدينة القدس، وتتميز بخصوبة أراضيها، وكثرة الينابيع المائية للري. الدباغ، بلادنا فلسطين،ج ٨، ص٥٢٢ـ٥٢٣.

٥. Safrai, The Economy of Roman Palestine,P.147.

٦. نظم هذا المؤتمر في جامعة البلقاء التطبيقية، بالتعاون مع كلية الشوبك الجامعية، تقرير وكالة الأنباء الأردنية "بترا"، بتاريخ ١٤/ ١٠/ ٢٠٠٨م.

٧. Safrai, The Economy of Roman Palestine, P.P 147- 148.

٨. الذراع: نوع من مقاييس الطول الإسلامية، ويبلغ طول ذراع العمل المستخدمة في مصر حوالي (٦٦،٥) سم. هنتس، المكاييل والأوزان الإسلامية، ص٨٩؛ Hintz, Dhira, Vol II, P.P.231- 232.

٩. الباكوي، كتاب تلخيص الآثار وعجائب الملك القهار، ص٣٢ a.

١٠. Volney, Travels Throuh Syria,Vol.2, P.67.

١١. راتنج: جمعها راتنجات، وهي إفرازات هشة، على شكل رشوحات، أو نزات تخرج من خلال الأنسجة النباتية تخرج بصورة طبيعية، أو تستخرج منها، وهي غير متبلورة. مقبول، كيمياء النباتات الطبية، ص٢٩٣.

١٢. لبنية، من النباتات الطبية في المدينة المنورة، ص٢٢٥.

١٣. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص١٤٩؛ القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص٢٧٢؛ البغدادي، مراصد الاطلاع في ذكر الأمكنة والبقاع، ج٣، ص١٢٨٤.

١٤. القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج٣، ص٣١١؛ ابن إياس، نشق الأزهار في عجائب الأقطار، ص١٠٣؛ مجهول، مفتاح الراحة لأهل الفلاحة، ص٢٥٦.

١٥. لبنية، من النباتات الطبية في المدينة المنورة، ص٢٢٥.

١٦. تختلف شجيرات البلسان عن أشجار البيلسان Elder التي تستخدم لتزيين الحدائق والبيلسان شجرة معمرة تنمو في بلاد الشام ومصر، يصل ارتفاعها إلى خمسة أمتار، وأزهارها مختلفة الألوان فهي بين الأصفر، والأبيض، والوردي، وهي ذات رائحة عطرية، وثمارها كروية صغيرة سوداء، وتتساقط أوراقها خلال فصل الخريف. طلاس، ورود الشام، ص٣٦٤.

١٧. Feliks, Balsam,Vol,4,P.142- 143.

١٨. سفر أرميا، ٨: ٢٢؛ أبو البقاء صدقة، المرشدة، ص٩، ١٠، ١٢.

١٩. قصة تآمر أولاد سيدنا يعقوب عليه السلام " الأسباط " على أخيهم سيدنا يوسف عليه السلام بسبب تفضيله عليهم من قبل أبيهم، ومحاولة قتله ورميه في الجب " البئر". وردت في القرآن الكريم، وفي العهد القديم كذلك، ولم تحدد الكتب المقدسة والمصادر التاريخية مكان الجب الذي ألقي فيه سيدنا يوسف عليه السلام في فلسطين، هل هو شرق مدينة نابلس؟ ، أم بالقرب من تل دوثان" الحفيرة" على بعد (٣) كم شرق بلدة عرابة في محافظة جنين، وهناك من يرى أن الجب في قرية سنجل على الطريق بين نابلس والقدس، أو في موقع على بعد (٢) كم شمال طبرية يعرف بجب يوسف. راجع: القرآن الكريم، سورة يوسف: آية١٠؛ سفر التكوين،٣٧: ١٤– ٣٤؛ إنجيل يوحنا،٤: ٥ ٢٤؛ الهروي، كتاب الإشارات إلى معرفة الزيارات، ص٢٤.

٢٠. سفر التكوين، ٣٧: ٢٥.

٢١. حول سيدنا سليمان وبلقيس. راجع: القرآن الكريم: سورة النمل، أية: ١٣ـ٤٤.

٢٢. Fabri, The Wanderings of Felix Fabri,Vol.II,P.189;Feliks, Balsam, E.J.Vol,4,P.P.142- 143.

٢٣. سترابو: مؤرخ وجغرافي وفيلسوف يوناني، ولد عام ٦٣ ق.م، قام برحلاته المشهورة في الإمبراطورية الرومانية، له كتاب "الجغرافيا" ، ومن المرجح أنه توفي سنة ٢٣م.

Dueck, Strabo of Amasia: A Greek Man of Letters in Augustan Rome, P.P.4- 8.

٢٤. بلني الكبير: عالم ورحالة ولد في شمال إيطاليا، وعاش بين عامي (٢٣ ٧٩) م، وله كتاب بعنوان "التاريخ الطبيعي".

Beagon, Mary , Roman Nature, The Thought of Pilny The Elder, P.P.30- 45.

٢٥. الجالون: مقياس للسوائل، ويعادل ٤،٥٤٦ لتر. البعلبكي، المورد، ص٣٧٨.

٢٦. Safrai, The Economy of Roman Palestine,147- 152.

٢٧. أنطونيوس: سياسي وعسكري وحاكم الشرق الروماني في فترة حكم الإمبراطور أكتافيوس، تزوج من كليوبترا، وأعلن الخروج على الإمبراطور متحالفاً معها، انتحر عام ٣٠ ق.م، بعد هزيمته أمام أكتافيوس في معركة أكتيوم البحرية.

Shakespeare, Antony and Cleopatra, P. P.20- 40.

٢٨. كليوبترا: كليوبترا السابعة، ملكة مصرية من أسرة البطالمة، تزوجت من أنطونيوس الذي كان حاكماً على الشرق الروماني، ماتت منتحرة عام٣١ ق.م، خوفاً من وقوعها في أسر الإمبراطور الروماني أوكتافيوس.

Shakespeare, Antony and Cleopatra, P. P. 20- 80.

٢٩. Safrai, The Economy of Roman Palestine,147- 152 .

٣٠. نقل ابن سينا في كتابه القانون عن الطبيب، وعالم النبات اليوناني ديسقوردس الذي عاش في القرن الأول للميلاد قوله أن البلسان لا يوجد إلا في غور فلسطين. ابن سينا، القانون، ج١، ص٢٦٦ .

٣١. بورشارد، وصف الأرض المقدسة، ص١٢٢؛

Sanuto, Secrets for true Crusaders to help them to recover the Holy Land,P.31.

٣٢. هيرودس: هيردوس الكبير بن أنتيباس، تولى حكم فلسطين بمساعدة الرومان عام ٣٧ ق. م، وكان السيد المسيح قد ولد في أواخر سنوات حكمه. أنجيل متى، ص ٢ ـ٤.

٣٣. المطرية: تقع في الضواحي الشمالية الشرقية من القاهرة، وفي أراضيها تقع مدينة عين شمس التي عرفها الرومان هليبوبوليس أي مدينة الشمس. ياقوت الحموي معجم البلدان، ج٥، ص١٤٩؛ ابن دقماق، الانتصار لواسطة عقد الأمصار، ص٤٤ ٤٥.

٣٤. ذكر الرحالة ناصر خسرو الذي زار فلسطين ومصر قبيل الغزو الفرنجي وتوفي عام ٤٥٣هـ/ ١٠٦١م أن البلسان في مصر جاء به أجداد الخليفة الفاطمي المستنصر من

المغرب إلى مصر. ناصر خسرو، سفر نامة، ص٩٨ ٩٩.

٣٥. القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج٣، ص٣١١؛ المقريزي، الخطط المقريزية، ج١، ص٢٣٠، ٢٣١؛ الحنفي، تاريخ مصر والقاهرة، ص ٤٧؛

Niccola, A voyage Beyond the Seas, P.93.

٣٦. Anonymous Pilgrims,Vol.2,Vol.VI, P.47.

٣٧. Willibald , The Travels of Willibald, P. 21.

٣٨. ناصر خسرو، سفر نامة، ص٩٩؛

Heyd, Histoire du Commerce du Levant Au Moyen Age, tome II, P. 577

٣٩. Heyd, Histoire du Commerce du Levant Au Moyen Age, tome II, P.578.

٤٠. وليبالد: رحالة وحاج إنجليزي، زار بلاد الشام في الفترة الأموية بين عامي ١٠٣-١٠٩هـ/ ٧٢١-٧٢٧م. زيادة، رواد الشرق العربي، ص٥٢؛

Runciman, The Pilgrimages to Palestine before 1095, Vol.1, P.72.

٤١. الخليفة يزيد الثاني: الخليفة الأموي يزيد بن عبد الملك بن مروان، تولى الحكم بعد وفاة الخليفة عمر بن عبد العزيز عام ١٠١هـ/ ٧١٩م، وحكم مدة أربع سنوات، وتوفي عام ١٠٥هـ/ ٧٢٣م. للمزيد راجع: خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص٣٢٢ -٣٣١؛ عاقل، تاريخ خلافة بني أمية، ص٢٩٧ ٣٠٦.

٤٢. صور: مدينة في جنوب لبنان من أقرب المدن إلى حدود فلسطين الشمالية. الحموي، ياقوت، معجم البلدان، ج ٣، ص ٤٩٣؛ ناصر خسرو، سفر نامة، ص ٥٠؛ هونكمان ، صور، دائرة المعارف الإسلامية، ج١٤، ص٣٦٤ ٣٧٢.

٤٣. راجع ملحق رقم (١) .

٤٤. البغدادي، الإفادة والاعتبار، ص٢٤، نقلاً عن جالينوس.

٤٥. برنارد الحكيم: رحالة إيطالي زار الشرق في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، وكان رسولاً من قبل البابا إلى السلطان المملوكي في القاهرة. زيادة، رواد الشرق العربي في العصور الوسطى، ص٥٢ -٥٣.

٤٦. Heyd, Histoire du Commerce du Levant Au Moyen Age, tome II ,P.577.

٤٧. فورزبورغ، وصف الأرض المقدسة في فلسطين، ص٩٧.

٤٨. زيتون، العلاقات الاقتصادية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، ص١٧٥ـ ١٧٦؛ غوانمة، تاريخ نيابة بيت المقدس في العصر المملوكي، ص٩١.

٤٩. رنسيمان، الحروب الصليبية، ج٣، ص٦٠٤؛

Prawer, The Latin Kingdom of Jerusalem, London, 1972, P.394

٥٠. الصوري، الأعمال المنجزة فيما وراء البحار، ج١، ص ٥٤٣، ٥٥٩؛

Genevieve. Le Cartulaire du Chapitre Du Saint Sepulcre, Doc .,No.,94,P.P. 211- 212.

٥١. عبد اللطيف البغدادي: عبد اللطيف بن يوسف بن محمد، طبيب، ورحالة عاصر السلطان صلاح الدين، وله عدة مؤلفات أشهرها كتاب الإفادة والاعتبار، زار مصر للمرة الأولى عام ٥٨٥هـ/ ١١٩٠م، وزارها ثانية عام ٥٩٦هـ/ ١١٩٩م، وتوفي عام٦٢٩هـ/ ١٢٣١م. ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص٦٨٣ـ ٦٩٦؛ غليونجي، عبد اللطيف البغدادي، ص١٧ـ ٢٢.

٥٢. هذا ما أكده الرحالة الفرنجي بورشارد الذي زار فلسطين عام٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م، ومر بمنطقة عين جدي حيث وجد بقايا هزيلة ومهجورة لأشجار البلسان. بورشارد، وصف الأرض المقدسة، ص١٢٢؛ راجع كذلك:

Heyd, Histoire du Commerce du Levant Au Moyen Age, tome II, P.576.

٥٣. البغدادي، الإفادة والاعتبار، ص٢٤. راجع كذلك: ابن حوقل، صورة الأرض، ص١٦١؛ الوزان، وصف أفريقيا، ج٢، ص ٢١٣؛ الحنفي، تاريخ مصر والقاهرة، ص٤٧.

٥٤. العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ص١٢٨؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في تاريخ ملوك مصر والقاهرة، ج٧، ص٢٦٨ ـ٢٦٩؛ المقريزي، الخطط المقريزية، ج١، ص٢٣٠.

٥٥. بورشارد، وصف الأرض المقدسة، ص١٢٢؛

Niccola, A voyage Beyond the Seas, P.93.

٥٦. راجع ملحق رقم (٢) .

٥٧. Heyd, Histoire du Commerce du Levant Au Moyen Age, tome II, P.576.

٥٨. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص١٤٩.

٥٩. الفدان: مقياس مساحة يساوي ٦٣٦٨م٢. هنتس، المكاييل والأوزان الإسلامية. ص٩٨.

٦٠. البغدادي، الإفادة والاعتبار، ص٢٣.

٦١. ابن الأثير: هو المؤرخ عز الدين علي بن أبي الكرم ، له كتاب "الكامل في التاريخ" وكتاب الباهر في الدولة الأتابكية"، وتوفي عام ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م.ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٣، ص ٣٤٨ ٣٤٩؛ Rosenthal, Iben Al- Athir,Vol., III.,723- 725

٦٢. الميل المربع: يساوي (٦٤٠) فداناً، ويعادل (٢،٥٩٠،٠٠٠) م٢. أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، ص٨٩٤.

٦٣. القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج٣، ص٣١١، نقلاً عن ابن الأثير في كتابه " عجائب المخلوقات ".

٦٤. Suriano ,Treatisa on the Holy Land,P.195.

٦٥. فرانسيكو سورونو: كبير راهبان الدومنيكان في فلسطين، عاش في في الشرق بين عامي ٨٩٨-٩٢٠هـ/ ١٤٩٣-١٥١٥م. Peter, P.78. The Emmaus Mystery: Discovering Evidence for the Risen Christ.

٦٦. الملك الكامل محمد بن العادل بن أيوب، تولى حكم مصر بعد وفاة والده عام ٦١٥هـ/ ١٢١٨م، وتوفي عام ٦٣٥هـ/ ١٢٣٨م. الزبيدي، ترويح القلوب في ذكر ملوك بني أيوب، ص٥٢؛ عاشور، مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك، ص٨٣-٩٥.

٦٧. قام الملك الكامل الأيوبي بنقل بعض أشجار البلسان إلى بستانه الخاص، وتشير بعض الروايات إلى نجاح محاولات الملك الكامل بعد ري الأشجار المستنبتة من مياه بئر حديقة البلسان، ولكن المؤرخ ابن إياس تحدث عن فشلها. معجم البلدان، ج٥، ص١٤٩؛ القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص٢٧٢؛ ابن إياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج١، ق١، ص٣٥.

٦٨. ابن إياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج١، ق١، ص٣٥، ج٤، ص١٤٩؛

Heyd, Histoire du Commerce du Levant Au Moyen Age,tome II, P.578.

٦٩. قانصوه الغوري: سلطان مملوكي حكم بين عامي (٩٠٧-٩٢٢هـ/ ١٥٠١-١٥١٦م) ، انتصر عليه العثمانيون بقيادة السلطان سليم الأول في معركة مرج دابق شمال حلب عام٩٢٢هـ/ ١٥١٦م. ابن طولون، مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، ج١، ص٢٢١-٣٨٤؛ الباز العريني، المماليك، ص٢٦٣.

٧٠. ذكر "هايد" أن استحضار فسائل جديدة من الحجاز تم في عهد السلطان المملوكي قايتباي (ت عام٩٠١هـ/ ١٤٩٥م) .

Heyd, Histoire du Commerce du Levant Au Moyen Age, tome II, P.578.

٧١. ابن إياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج١، ق١، ص٣٥،ج٤، ص١٤٩.

٧٢. Niccola, A voyage Beyond the Seas, P.93.

راجع كذلك: ملحق رقم (٢).

٧٣. ميشولم بن مناحيم: رحالة يهودي زار فلسطين عام٨٨٦هـ/ ١٤٨١م؛

Edler, Jewish Travelars, P.16

٧٤. -Meshullam Ben Menahem ,The Travels of Rabbi Meshullam Ben R. M nahem, P.P.174- 175.

٧٥. Maundeville, The Book of Sir Maundeville. P.P.153- 154.

٧٦. الوزان، وصف أفريقيا، ج٢، ص٢١٣؛

Niccola, A voyage Beyond the Seas, P.93.

٧٧. كان السلطان المملوكي يرسل هدايا منتظمة من البلسان إلى ملك قبرص ودوق البندقية، ودوق ميلانو، ويبلغون سفراءهم أحياناً بحاجتهم إلى دهن البلسان، وكانت المدن الإيطالية تنتهز فرصة تحسن علاقاتها مع السلطنة المملوكية لتطلب بلسماً لكنائسها.

Heyd, Histoire du Commerce du Levant Au Moyen Age,tome II, P.577.

٧٨. Heyd, Histoire du Commerce du Levant Au Moyen Age, tome II, P.578.

٧٩. العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ص٨٠؛ المقريزي، الخطط المقريزية، ج١، ص٢٣٠.

٨٠. هارون الرشيد: خليفة عباسي تولى الحكم بين عامي١٧٠-١٩٣هـ/ ٧٨٦- ٨٠٩م. خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص٤٤٧ ٤٦٠؛ ماجد، العصر العباسي الأول، ص١٨٧-٢٩١.

٨١. شارلمان: أحد ملوك الفرنجة في العصور الوسطى، توجه البابا إمبراطوراً للإمبراطورية الرومانية المقدسة عام١٨٤هـ/ ٨٠٠ م.عمران، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ص١٦٧ -١٨٤.

٨٢. Heyd, Histoire du Commerce du Levant Au Moyen Age, tome II,P.577.

٨٣. صلاح الدين الأيوبي: سلطان مصر وبلاد الشام انتصر على الصليبيين وفتح القدس

عام ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م، توفي عام ٥٨٩ هـ/ ١١٩٣م. ابن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، ص٣٦٣ـ٣٦٧.

٨٤. نور الدين زنكي: قائد مسلم أكمل فتح الرها بعد وفاة والده عماد الدين عام ٥٤٢هـ/ ١١٤٦م، وله دور مميز في مقاومة الصليبيين، وتوفي عام ٥٦٩هـ/ ١١٧٣م. ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص٥٠٣ـ٥٠٨؛ ابن الأثير، الباهر في الدولة الأتابكية، ص١٦٣ـ١٧٤.

٨٥. أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين، ج٢، ص٢٨٠.

٨٦. يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن: خليفة الموحدين في المغرب بين عامي ٥٨٠ ٥٩٥هـ/ ١١٨٤ ١١٩٨م. سبط بن الجوزي، شمس الدين، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، ج٨، ق٢، ص٤٦٤؛ Maya – Shatzmiller, Marinids, Vol., II, P.P. 571- 574

٨٧. أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين، ج٢ ، ص٢٠٤.

٨٨. الظاهر بيبرس: سلطان مملوكي حكم بين عامي ٦٥٨ ٦٧٦هـ/ ١٢٦٠ـ١٢٧٩م، استعاد كثيراً من المدن في بلاد الشام من الصليبيين منها: صفد، وقيسارية، ويافا، وأرسوف. ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، ص٢٣٥، ٢٥٤ ، ٢٩٢؛ الباز العريني، المماليك، ص٥٠.

٨٩. ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، ص٣٣٧.

٩٠. ابن حوقل، صورة الأرض، ص١٦١؛ البكري، مختصر قطف الأزهار من الخطط والآثار، ص٢٧.

٩١. النابلسي، كتاب علم الملاحة في علم الفلاحة، ص٣٣ ٣٤.

٩٢. البغدادي، الإفادة والاعتبار، ص٢٤.

٩٣. ذكر ناصر خسرو (ت٤٥٣هـ/ ١٠٦١م) أن زراعته كبذور لم تنجح، وإن نجحت فإن الشجيرات لا تنتج دهناً. ناصر خسرو، سفر نامة، ص٩٩.

٩٤. ابن مماتي: الأسعد بن المهذب بن مينا، ولد عام ٥٤٤هـ/ ١١٤٩م ، تولى الإشراف على ديواني الجيش والمال في عهد صلاح الدين الأيوبي، له كتاب "قوانين الدواوين" يصف فيه حال الزراعة في مصر خلال القرن السادس الهجري، الثاني عشر الميلادي. توفي عام٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج١، ص٢١٠ ٢١٣؛ ابن مماتي، قوانين الدواوين، ٨ ـ٢٩.

٩٥. ابن مماتي، كتاب قوانين الدواوين، ص٢٥١.

٩٦. ابن إياس: محمد بن أحمد بن إياس، عالم ومؤرخ عاش في فترة المماليك وشهد السيطرة العثمانية على مصر، ويعد كتابه "بدائع الزهور في وقائع الدهور" من أهم مصادر تلك الفترة ، توفي عام ٩٣٠ هـ/ ١٥٢٣م. كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ج٢ ،ص ٤٩١؛ عنان، مؤرخو مصر الإسلامية، ص ١٥٢ ١٦٨؛ Brinner, Ibn Iyas, Vol. III, P.P.812- 813

٩٧. ابن إياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج ٣، ص٤٤٤.

٩٨. ابن مماتي، كتاب قوانين الدواوين، ص٢٥١.

٩٩. النابلسي، كتاب علم الملاحة في علم الفلاحة، ص٧٩.

١٠٠. Suriano, Treatisa on the Holy Land,P.195.

١٠١. ناصر خسرو، سفر نامة، ص٩٨؛

Meshullam Ben Menahem, The Travels of Rabbi Meshullam, P.174- 175

١٠٢. الخازندار: أمين الخزانة، ويشرف على موجودات المستودعات السلطانية، ويتولى الحفاظ عليها وعلى سلامة محتوياتها. ابن كنان، حدائق الياسمين في ذكر قوانين الخلفاء والسلاطين، ص١٢٥.

١٠٣. ابن إياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج٣، ص٤٤٤؛ ابن إياس، نشق الأزهار في عجائب الأقطار، ص١٠٣.

١٠٤. Von Suchem, Description of the Holy Land, Vol. XII, P.P. 68 – 71. راجع كذلك: طافور، رحلة طافور، ص٧٠.

١٠٥. البغدادي، الإفادة والاعتبار، ص٢٤.

١٠٦. ابن مماتي، قوانين الدواوين، ص ٢٥١ ٢٥٢.

١٠٧. بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج٣، ص٤٤٤.

١٠٨. ذكر ديسقوردس أن استخراج ألبان الشجر يكون عند انتهاء امتداد فروعها، وكمال نباتها. مقدمة كتاب ديسقوردس، ص٣٦.

١٠٩. ابن مماتي، قوانين الدواوين، ص٢٥٢.

١١٠. Maundeville, The Book of Sir Maundeville, P.153.

١١١. ذكر بعض علماء النبات والطب المسلمين أن جرح الأشجار يتم بمشرط من الحديد. ابن سينا، القانون، ج١، ص٢٦٥؛ ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ج١، ص١٤٨.

١١٢. البغدادي، الإفادة والاعتبار، ص٢٣.

١١٣. يبدو أن بعض الرحالة الغربيين لم يروا شجيرات البلسان، واعتمدوا في وصفها على بعض الروايات المسموعة وعلى خيالهم أحياناً، فالرحالة دانيال الراهب الذي زار فلسطين بين عامي (٥٠٠ ـ٥٠١هـ/ ١١٠٦ ـ١١٠٧م) ذكر أنه شاهد البلسان في جزيرة قبرص، وأنه عبارة عن بخور يسقط من السماء على شجيرات تنمو على الجبال. دانيال الراهب، رحلة الحاج الروسي دانيال الراهب، ص٤٨.

١١٤. القرن: جعبة أو وعاء من الخشب ويلف بالجلد. ابن منظور، لسان العرب، ج١٣، ص٣٣٩.

١١٥. البغدادي، الإفادة والاعتبار، ص٢٣.

١١٦. البغدادي، كتاب المختارات في الطب، ج٢، ص٣٨.

Heyd, Histoire du Commerce du Levant Au Moyen Age, tome II, P.577.

١١٧. ناصر خسرو، سفر نامة، ص٩٩.

١١٨. أشرف على عملية تقطيره مختص مسيحي توارث هذه المهنة، ورفض أن يعلمها لأحد رغم محاولة العديد من الحكام معه. ياقوت الحموي معجم البلدان، ج٥، ص١٤٩؛ القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص٢٧٢.

١١٩. أكد ابن مماتي أن الرطل المصري الذي يزن (١٤٤) درهماً ينتج عشرين درهماً من البلسان الصافي فقط وفي الرطل المصري (١٢) أوقية، حيث تزن الأوقية (١٢) درهماً. ابن مماتي، كتاب قوانين الدواوين، ص٢٥٢، ٤٥٥.

١٢٠. البغدادي، الإفادة والاعتبار، ص٢٣ ٢٤؛ غليونجي، عبد اللطيف البغدادي، ص٧٧.

١٢١. Heyd, Histoire du Commerce du Levant Au Moyen Age, tome II, P.577.

١٢٢. خزانة الشراب: عرفت بالشراب خانة، حيث يحفظ في هذه الخزانة، وما يصل إليها من عقاقير، ويصرف منها للمرضى بموجب وصفة طبية. النويري، نهاية الأرب في معرفة فنون الأدب، ج٨، ص٢٢٤– ٢٢٥.

١٢٣. العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ص ١٢٨ ـ١٢٩.

١٢٤. ابن الطوير، نزهة المقلتين في أخبار الدولتين، ص١٣١؛ ماجد، نظم الفاطميون ورسومهم في فلسطين، ج٢، ص٢٣ ـ٢٤.

١٢٥. مقدمة كتاب ديسقوردس، ص٣٧ ٣٨.

١٢٦. القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج٣، ص٣١١؛ المقريزي، الخطط المقريزية، ج١، ص٢٣٠، ابن إياس، نشق الأزهار في عجائب الأقطار، ص١٠٣.

١٢٧. شيخ الربوة، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، ص١٠٨؛ العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ص١٢٩.

١٢٨. العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ص١٢٨ ١٢٩؛ القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج٣، ص٣١١؛ المقريزي، الخطط المقريزية، ج١، ص٢٣٠ ـ٢٣١ .

١٢٩. Heyd, Histoire du Commerce du Levant Au Moyen Age, tome II, P.578.

١٣٠. ابن إياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج١، ق١، ص٣٥؛ الأنطاكي، تذكرة أولي الألباب الجامع للعجب العجاب، ج١، ص٦٦.

١٣١. Heyd, Histoire du Commerce du Levant Au Moyen Age, tome II, P.578.

١٣٢. البغدادي، الإفادة والاعتبار، ص٢٤؛ ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ج١، ص١٤٨.

١٣٣. بورشارد: راهب ألماني ينتمي إلى دير جبل صهيون، وهو من جماعة الدومنيكان، وقد توجه إلى الشرق وزار فلسطين عام ٦٣٠ هـ/ ١٢٣٢م. بورشارد، وصف الأرض المقدسة، ص١٦ـ١٧.

١٣٤. بورشارد، وصف الأرض المقدسة، ١٢٢.

١٣٥. ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية،ج١، ص١٣١.

Heyd, Histoire du Commerce du Levant Au Moyen Age,tome II, P.578.

١٣٦. Meshullam Ben Menahem, The Travels of Rabbi Meshullam Ben Menahem, P.175; Maundeville, The Book of Sir Maundeville. P.154.

١٣٧. السوسن: نوع من الأزهار الطبية، يزرع عن طريق الأبصال، وله رائحة حسنة ودهن طبي، وتفيد رائحته في حالات الأغماء. النابلسي، كتاب علم الملاحة في علم الفلاحة، ص١٥٧ ١٥٨.

١٣٨. القرنفل: نبات بدأت زراعته من الصين، وانتشرت في العالم، له رائحة حسنة، وتشبه أزهاره في رائحتها الياسمين.ابن سينا، القانون، ج١، ص ٤١٦ ٤١٧.

١٣٩. ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ص١٤٧؛ ابن بسام، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، ص٩١ ٩٢؛

Maundeville, The Book of Sir Maundeville.P.154.

١٤٠. البغدادي، الإفادة والاعتبار، ص٢٤؛ راجع كذلك: ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ج١، ص١٤٧؛

Heyd, Histoire du Commerce du Levant Au Moyen Age,tome II, P.577.

١٤١. البغدادي، الإفادة والاعتبار، ص٢٣.

١٤٢. ياقوت الحموي، معجم البلدان،ج٥، ص١٤٩؛ القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص٢٧٢؛ الباكوي، كتاب تلخيص الأثار وعجائب الملك القهار، ص٣٢.

١٤٣. .Heyd, Histoire du Commerce du Levant Au Moyen Age, tome II,P.577

١٤٤. البيروني، كتاب الصيدنة، ص٩٥.

١٤٥. ابن إياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج١، ص٣٥؛ البكري، مختصر قطف الأزهار من الخطط والآثار، ص٢٧ .

١٤٦. هذا ما أكده الرحالة الفرنسي فولني الذي زار بلاد الشام ومصر خلال القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر للميلاد.

Volney, Travels Throuh Syria,Vol.2, P.67.

١٤٧. سفر نبوءة أرميا ٨: ٢٢؛ منصور، الدليل الكامل للأعشاب والنباتات الطبية، ص٦٢.

١٤٨. ابن قرة، الدخيرة في علم الطب، ص٢٨١.

١٤٩. الترياق: الدواء المضاد للسموم. أبو البقاء صدقة، المرشدة، ص٩،١٠؛ العسلي، مقدمة في تاريخ الطب في القدس، ص٥٣.

١٥٠. البغدادي، الإفادة والاعتبار، ص٢٥؛ الأنطاكي، تذكرة أولي الألباب الجامع للعجب العجاب، ج١، ص٦٦.

١٥١. توفيق صالح، بلسان، ص١٨٨؛ لي سترانج، فلسطين في العهد الإسلامي، ص٣٥.

١٥٢. Heyd, Histoire du Commerce du Levant Au Moyen Age,tome II, P.577.

١٥٣. تغزل جرير (ت؟ ١١٤هـ/ ٧٣٢م) بمحبوبته، ورائحتها العطرة التي تشبه رائحة البشام العطرة، فقال:

أتذكـــر يوم تصــقل عارضــيها — بفرع بشـــامة شـــقي البشـــام

ســـقى الله البشـــام وكل أرضـــ — مـــن الـــغوريـــن أنبتت البشـــام

«البحر الوافر». جرير، ديوان جرير، ص٤٠٧.

وتحدث عنه الشريف الرضي (ت ٤٠٦هـ/ ١٠١٥م) في ديوانه فقال:

وأعـــضـــ الـــكـــف إن نـــال

ثـــنـــايـــــــاك الـــبـــشـــــــام

«بحر مجزوء الرمل».

وجاء من شعره أيضاً في كتاب الأربلي، (ت٦٩٢هـ/ ١٢٩٢م) التذكرة الفخرية:

ولم أرشــــف لــهـــن لــمى

ولكن شهدن بـذاك أعـواد البشام

«البحر الوافر».

وذكره في قصيدة أخرى ضمن الكتاب نفسه:

لـيـتـنــــي في كـفـه ريـحـانـة

ليتني في فيه مسواك البشام

«بحر الرمل».

الشريف الرضي، ديوان الشريف الرضي، ج٢، ص ٢٨٣؛ الأربلي، التذكرة الفخرية، ص١١٧ .

١٥٤. الدواداري، كنز الدرر وجامع الغرر،ج١، ص٢١٧؛ الدجوي، موسوعة النباتات الطبية والعطرية، ص٣٢٨.

١٥٥. العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ص١٢٩؛ الحنفي، تاريخ مصر، ص٤٧.

١٥٦. منصور، الدليل الكامل للأعشاب والنباتات الطبية، ص٦٢.

١٥٧. أسامة بن منقذ: شاعر وفارس مسلم، ولد في مدينة شيزر على نهر العاصي شمال

سوريا، عاصر الاحتلال الفرنجي، وزار القدس عدة مرات أثناء احتلال المدينة، وله عدة مؤلفات منها: كتاب الاعتبار أو حياة أسامة، وكتاب العصا، وديوان شعر بعنوان المنازل والديار، وتوفي عام ٥٨٤ هـ/ ١١٨٨م. ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج٥، ص١٨٨ـ٢٤٥، كراتشكوفسكي، أسامة بن منقذ، دائرة المعارف الإسلامية، ج٢، ص ٥٧٩ ٥٨١.

١٥٨. مهذب الدين بن النقاش: طبيب مسلم خدم في البيمارستان الكبير في دمشق، وعاش فترة في مصر وأصبح طبيباً للسلطان صلاح الدين الأيوبي، توفي بدمشق عام٥٧٤ هـ/ ١١٧٨م، ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص٦٣٦ ٦٣٧.

١٥٩. ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، ص٦٣٦ ٦٣٧ .

١٦٠. العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ص١٢٩؛ الحنفي، تاريخ مصر، ص٤٧.

١٦١. تحدث المتنبي (ت٣٥٤ هـ/ ٩٦٥ م) عن البشام في مدح عضد الدولة، فقال:

ويمنــع ثغره عن كل صــب ويمنحة البشامة والأراكا

"البحر الوافر" . المتنبي، ديوان المتنبي، ج٢، ص٣٩٢.

راجع كذلك: ابن حوقل، صورة الأرض، ص١٦١؛ ابن منظور، لسان العرب ج١٢، ص٥٠.

١٦٢. ابن البيطار الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ج١، ص١٤٨ـ١٤٩؛ الدجوي، موسوعة النباتات الطبية والعطرية، ص٣٢٨.

١٦٣. Maundeville, The Book of Sir Maundeville, P.153.

١٦٤. منصور، الدليل الكامل للأعشاب والنباتات الطبية، ص٦٢.

١٦٥. ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ج١، ص١٤٨ ١٤٩.

١٦٦. الترياق الفاروق: أو الترياق الكبير، وهو نوع من العقاقير الطبية التي ركبها الأطباء المسلمون لمعالجة الأمراض المستعصية، وتتكون من ثمانين عنصراً حيوانياً ونباتياً، حيث شكل دهن البلسان عنصراً رئيساً فيها. ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ج٣، ص٩٠؛ أبو البقاء صدقة، المرشدة، ص١٩،٩، ١٢.

١٦٧. ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ج١، ص١٤٧؛ الغساني، المعتمد في الأدوية المفردة، ص٢٦ ـ٢٧.

١٦٨. ابن منظور، لسان العرب، ج١٢، ص٥٠.

١٦٩. ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية،ج١، ص١٤٨-١٤٩.

١٧٠. Sanuto, Secrets for true Crusaders to help them to recover the Holy Land, P.59.

١٧١. ابن مكانس: فخر الدين عبد الرحمن بن مكانس الحنفي، وزير مملوكي من أصل قبطي، توفي عام ٧٩٤هـ/ ١٣٩٢م.ابن حجر العسقلاني، إنباء الغمر بأبناء العمر، ج١، ص٤٤٣ ٤٤٤؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، ج٦، ص١٠٩.

١٧٢. ابن إياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج١، ق١، ص٥٧.

١٧٣. العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ص٨٠؛ ابن إياس، نشق الأزهار في عجائب الأقطار، ص١٠٤.

١٧٤. المقريزي، الخطط المقريزية، ج١، ص٢٣٠.

١٧٥. الحاكم بأمر الله: خليفة فاطمي تولى الحكم عام ٣٨٦هـ/ ٩٩٦م، كان شخصية غريبة الأطوار، واتبع في حكمه سياسة متناقضة، فقد تسامح بشكل واضح مع أهل الذمة، ثم غير هذه السياسة وبالغ في اضطهادهم، حيث أمر عام ٣٩٨هـ/ ١٠٠٧م بهدم عدد من الكنائس منها كنيسة القيامة.اللمقريزي، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، ج٢، ص٣ ١٢٣؛ حسن، تاريخ الدولة الفاطمية، ص٢٠٦.

١٧٦. المقريزي، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، ج٢، ص٧٥؛ زيادة، رواد المشرق العربي، ص٥٤.

١٧٧. لبنية، من النباتات الطبية في المدينة المنورة، ص ٢٣١ ٢٣٢ ، ٢٣٨.

١٧٨. قام بهذه الدراسات الدكتور جابر بن سالم القحطاني عميد كلية الصيدلة ورئيس قسم العقاقير في جامعة الملك سعود.

١٧٩. القحطاني، البشام تنظف الأسنان وتشفي من الحكة الجلدية والقروح، جريدة الرياض ٢٠٠٦م، عدد ١٣٩٥١.

١٨٠. لبنية، من النباتات الطبية في المدينة المنورة، ص ٢٣٥.

١٨١. القحطاني، البشام تنظف الأسنان وتشفي من الحكة الجلدية والقروح، عدد ١٣٩٥١.

١٨٢. Willibald ,The Travels of Willibald, P.21.

١٨٣. Von Suchem, Description of the Holy Land, Vol. XII, P.P. 68 – 71.

المصادر والمراجع:

الكتب المقدسة:

١. القرآن الكريم .

٢. الكتاب المقدس «العهد القديم ، العهد الجديد» .

أولاً- المخطوطات:

١. ابن إياس، محمد بن أحمد (ت ٩٣٠هـ/ ١٥٢٣م) ، نشق الأزهار في عجائب الأقطار، مركز الوثائق والمخطوطات، الجامعة الأردنية، رقم (١١٣) .

٢. أبو البقاء صدقة، تاج الدين (؟) ، المرشدة، جامعة لايبزيك، المانيا، رقم (Ms.or.366).

٣. البكري، أبو السرور محمد بن علي (ت ١٠٦٠هـ/ ١٦٥٠م) ، مختصر الخطط «قطف الإزهار من الخطط والآثار»، مركز الوثائق والمخطوطات، الجامعة الأردنية، رقم (٣٤).

٤. الحنفي، علي بن محمد (ت ١٠٧١هـ/ ١٦٠٨م) ، تاريخ مصر والقاهرة، مركز الوثائق والمخطوطات، الجامعة الأردنية، رقم (٤٧٠) .

ثانياً- المصادر العربية المطبوعة:

١. ابن الأثير، علي بن أبي الكرم (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م) ، الباهر في الدولة الأتابكية، تحقيق عبد القادر طليمات، ط١، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٩٦٣م.

٢. الأربلي، فخر الدين عيسى بن أبي الفتح (ت ٦٩٢هـ/ ١٢٩٢م) ،التذكرة الفخرية، د. ن، د.م، ١٩٨٤م.

٣. ابن أبي أصيبعة، أحمد بن القاسم الخزرجي (ت ٦٦٨هـ/ ١٢٧٠م) ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، منشورات دار الحياة، بيروت، ١٩٦٥م.

٤. الأنطاكي، داود بن عمر (ت ١٠٠٨هـ/ ١٥٩٩م) ، تذكرة أولي الألباب الجامع للعجب العجاب، ٢ ج، ط٢، القاهرة، ١٨٩٩م.

٥. ابن إياس، محمد بن أحمد (ت ٩٣٠هـ/ ١٥٢٣م) ، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ٥ مجلدات، تحقيق مصطفى زيادة، ط٣، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٣

١٩٨٤م.

٦. الباكوي، عبد الرشيد صالح بن نوري (ت في القرن٩هـ/ ١٥م) ، كتاب تلخيص الآثار وعجائب الملك القهار، ترجمة ضياء الدين بويناتوف، دار العلم للنشر، موسكو،١٩٧١م.

٧. ابن بسام، محمد بن أحمد المحتسب (ت ٥٤٢هـ/ ١١٤٧م) ، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق حسام الدين السامرائي، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٦٨م.

٨. البغدادي، أبو الحسن علي بن أحمد (ت ٦١٠هـ/ ١٢١٣م) ، كتاب المختارات في الطب، ٤ ج، ط٣، حيدر أباد الدكن، ١٩٤٤م.

٩. البغدادي، عبد اللطيف بن يوسف (ت ٥٥٧هـ/ ٦٢٩م) ، كتاب الإفادة والاعتبار، تحقيق أحمد سبانو، ط١، دار قتيبة، دمشق، ١٩٨٣م.

١٠. البغدادي، عبد المؤمن بن عبد الحق (ت ٧٣٩هـ/ ١٣٣٨م) ، مراصد الاطلاع في أسماء الأمكنة والبقاع، ٣ج، تحقيق علي البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٥٥م.

١١. البيروني، أبو الريحان محمد بن أحمد (ت ٤٤٣هـ/ ١٠٥١م) ، كتاب الصيدنة، تحقيق الحكيم محمد سعيد أورانا إحسان، باكستان، ١٩٧٣م .

١٢. ابن البيطار، ضياء الدين أبي محمد عبد الله المالقي (ت ٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م) ، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ٢ ج، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م.

١٣. ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م) ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ١٦ ج، تحقيق فهيم شلتوت، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٧٠م.

١٤. = = ، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، ٦ ج، تحقيق محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٠م.

١٥. جرير، ابن عطية الخطفي (ت؟ ١١٤هـ/ ٧٣٢م) ، ديوان جرير، مراجعة كرم البستاني، دار صادر، بيروت، د.ت.

١٦. ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أحمد بن علي (ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م) ، إنباء الغمر بأبناء العمر، ٤ ج، تحقيق حسن حبشي، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٩٩٨م.

١٧. ابن حوقل، أبو القاسم النصيبي (ت ق٤هـ/ ١٠م) ، كتاب صورة الأرض، ط٢، مطبعة

بريل، ليدن، ١٩٢٨م.

١٨. ابن خلكان، شمس الدين أبو العباس أحمد (ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م) ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ٨ج، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨ ١٩٧٢م.

١٩. خليفة بن خياط، أبو عمرو بن أبي هبيرة (ت ٢٤٠هـ/ ٨٥٤ م) ، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق أكرم ضياء العمري، ط٢، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٩٨٥م.

٢٠. ابن دقماق، إبراهيم بن محمد (ت ٨٠٩هـ/ ١٤٠٦م) ، الانتصار لواسطة عقد الأمصار، ٢ج، ط١، دار الأفاق الجديدة، بيروت، د. ت.

٢١. الدواداري، أبو بكر بن عبد الله بن أيبك (ت بعد عام ٧٣٦هـ/ ١٣٣٥م) ، كنز الدرر وجامع الغرر، ٩ج، حقق الجزء الأول بيرند راتكه، المعهد الألماني للآثار، القاهرة، ١٩٨٢م.

٢٢. الزبيدي، المرتضى محمد بن عبد الرزاق (ت ١٢١٣هـ/ ١٨٩٨م) ، ترويح القلوب في ذكر ملوك بني أيوب، تحقيق صلاح الدين المنجد، ط ٢، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٨٣م.

٢٣. سبط بن الجوزي، شمس الدين يوسف (ت ٦٥٤هـ/ ١٢٥٧م) ، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، ٨ج، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد الدكن، الهند، ١٩٥٢م.

٢٤. ابن سينا، أبو علي الحسين بن علي (ت ٤٢٨هـ/ ١٠٣٦م) ، القانون في الطب، ٣ج، دار صادر، بيروت، د. ت.

٢٥. أبو شامة، عبد الرحمن بن إسماعيل (ت ٦٦٥هـ/ ١٢٦٧م) ، كتاب الروضتين في أخبار الدولتين " النورية والصلاحية "، ٥ج، تحقيق إبراهيم الزيبق، ط١، مؤسسة الرسالة، دمشق،١٩٩٧م.

٢٦. ابن شداد، بهاء الدين أبو المحاسن يوسف (ت ٦٣٢هـ/ ١٢٣٤م) ، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق جمال الدين الشيال، ط١، د. ن ،القاهرة، ١٩٦٢م.

٢٧. الشريف الرضي، خلف إبراهيم بن موسى (ت ٤٠٦هـ/ ١٠١٥م) ، ديوان الشريف الرضي، تحقيق إحسان عباس، ٢ج، دار صادر، بيروت، ١٩٩٤م.

٢٨. شيخ الربوة الدمشقي، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي طالب، (ت ٧٢٧هـ/ ١٣٢٨م) ، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٨م.

٢٩. ابن طولون، شمس الدين محمد (ت ٩٣٥هـ/ ١٥٤٦م) ، مفاكهة الخلان في حوادث

الزمان،ج١، تحقيق محمد مصطفى، ٢ ج، دار أحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٦٢م.

٣٠. ابن الطوير، عبد السلام بن الحسن (ت ٦١٧هـ/ ١٢٢٠م) ، نزهة المقلتين في أخبار الدولتين، تحقيق أيمن فؤاد السيد، ط١، فرانتس شتاينر، شتوتغارت، ١٩٩٢م.

٣١. ابن عبد الظاهر، محيي الدين (ت ٦٩٢هـ/ ١٢٩٢م) ، تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، تحقيق مراد كامل، ط١، الشركة العربية للطباعة النشر، القاهرة، ١٩٦١م.

٣٢. = = ، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تحقيق عبد العزيز الخويطر، ط١، د. ن، ١٩٧٦م.

٣٣. العمري، ابن فضل الله (ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٩م) ، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق ردوروتيا كرافولسكي، ط١، المركز الإسلامي للبحوث، بيروت، ١٩٨٦م.

٣٤. الغساني، الملك الظفر يوسف بن عمر (ت ٦٩٤هـ/ ١٢٩٤م) ، المعتمد في الأدوية المفردة، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م.

٣٥. ابن قرة، ثابت، الدخيرة في علم الطب (ت ٢٨٨هـ/ ٩٠٠م) ، تحقيق أحمد فريد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.

٣٦. القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م) ، آثار البلاد وأخبار العباد، ط١، دار صادر، بيروت، د. ت.

٣٧. ابن القلانسي، أبو يعلى حمزة بن أسد بن محمد (ت ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م) ، تاريخ دمشق، تحقيق سهيل زكار، ط١، دار حسان للطباعة والنشر، دمشق، ١٩٨٣م.

٣٨. القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد (ت ٨٢١ هـ/ ١٤١٨م) ، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تحقيق محمد حسين شمس الدين، ١٥ ج، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م.

٣٩. ابن كنان، محمد بن عيسى (ت ١١٥٣هـ/ ١٧٤٠م) ، حدائق الياسمين في ذكر قوانين الخلفاء والسلاطين، تحقيق عيسى صباغ، ط١، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩١م.

٤٠. المتنبي، أبو الطيب أحمد بن الحسين (ت ٣٥٤ هـ/ ٩٦٥م) ، ديوان أبي الطيب المتنبي، تحقيق مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ السبتي، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٧١م.

٤١. مجهول، مفتاح الراحة لأهل الفلاحة، تحقيق محمد عيسى صالحية وإحسان العمد، ط١،

قسم التراث العربي، الكويت، ١٩٨٤م.

٤٢. المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م)، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق جمال الدين الشيال، ط٢، لجنة إحياء التراث الإسلامي، وزارة الأوقاف المصرية، القاهرة، ١٩٩٦م.

٤٣. = = ، إغاثة الأمة بكشف الغمة أو تاريخ المجاعات في مصر، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، ١٩٨٠م.

٤٤. = = ، «الخطط المقريزية» كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ٢ج، دار صادر، بيروت ، د.ت.

٤٥. ابن مماتي، أسعد (ت ٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م)، كتاب قوانين الدواوين، تحقيق عزيز عطية سوريال، ط١، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩١م.

٤٦. ابن منظور، جمال الدين محمد بن أبي الكرم، (ت ٧١١هـ/ ١٣١١م)، لسان العرب، ط ٥، دار صادر، بيروت، ١٩٩٧م.

٤٧. ناصر خسرو (ت ٤٥٣ هـ/ ١٠٦١م) سفر نامة، ترجمة يحيى الخشاب، ط١، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٨٣م.

٤٨. النابلسي، عبد العني (ت ١١٤٣هـ/ ١٧٣١م)، علم الملاحة في علم الفلاحة، ط١، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٩م.

٤٩. النويري، أبو العباس أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٢هـ/ ١٢٨٢م)، نهاية الأرب في معرفة فنون العرب،٣٣ ج، ط١، د. ن، القاهرة، ١٩٩٠م.

٥٠. الهروي، علي بن أبي بكر (ت ٦١١هـ/ ١٢١٥م)، كتاب الإشارات إلى معرفة الزيارات، تحقيق جانين سورديل طومين، المعهد الفرنسي، دمشق، ١٩٥٣م.

٥١. الوزان، الحسن بن محمد المعروف بليون الأفريقي (توفي بعد عام ٩٥٧هـ/ ١٥٥٠م)، وصف أفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، ٢ج، ط٢، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٨٣م.

٥٢. ياقوت الحموي، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م)، معجم الأدباء، ٢٠ ج، دار الفكر للطباعة والنشر، دمشق، ١٩٨٠م.

٥٣. = = ، معجم البلدان، ٥ ج، دار الكتاب العربي، بيروت ، د.ت.

ثالثاً- المصادر المعربة:

١. بورشارد من دير جبل صهيون، وصف الأرض المقدسة، ترجمة سعيد البيشاوي، ط١، دار الشروق، عمان، ١٩٩٥م.
٢. دانيال الراهب، رحلة الحاج الروسي دانيال الراهب في الديار المقدسة١١٠٦ -١١٠٧م، ترجمة سعيد البيشاوي ورفيقه، ط١، د.ن، عمان، ١٩٩٢م.
٣. ديسقوردس، مقدمة كتاب الحشائش والأدوية، تحقيق صلاح الدين المنجد، المطبعة الهاشمية، دمشق، ١٩٦٥م.
٤. الصوري، وليم، تاريخ الحروب الصليبية «الأعمال المنجزة فيما وراء البحار»، ٢ ج، ترجمة سهيل زكار، ط١، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٠م.
٥. طافور، رحلة طافور في القرن الخامس عشر الميلادي، ترجمة حسن حبشي، دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٦٨م.
٦. فورزبورغ، يوحنا، وصف الأراضي المقدسة في فلسطين، ترجمة وتعليق سعيد البيشاوي، ط١، دار الشروق، عمان، ١٩٩٧م.

رابعاً- المصادر باللغة الإنجليزية:

1. *Anonymous Pilgrims, translated by A.Stewart, P.P.T.S.,Vol. VI, London, 1896.*
2. *Fabri, F., The Wanderings of Felix Fabri, translated by A.Stewart, P.P.T.S., Vols.VII- X, London, 1887- 1897.*
3. *Genevieve. B. ,Le Cartulaire du Chapitre Du Saint Sepulcre De Jerusalem, Paris, 1984.*
4. *Josephus, F., The Jewish War ,Translation By: G.A. Williamson , Penguin Classics , U.S.A, 1980 .*
5. *Maundeville, The Book of Sir Maundeville, A.D.1322- 1356, In Early Travels in Palestine , Ed.Thomas Wright, London, 1848, P.P., 127- 282.*
6. *Meshullam Ben Menahem , The Travels of Rabbi Meshullam Ben R. Menahem of Volterra, Jewish Travelars, P.P., 156- 208 .*
7. *Niccola Poggibonsi, Avoyage Beyond the Seas (1346- 1350) , Trans. By*

Bellorini & Others ,Jerusalem, 1945.

8. *Sanuto.M, Secrets for true Crusaders to help them to recover the Holy Land, translated by A.Stewart, P.P.T.S.Vol. VII, London, 1896.*
9. *Suriano, Francesco, Treatisa on the Holy Land, Trans by Theophilus & Others, Jerusalem, 1949.*
10. *Volney, M.C.F., Travels Throuh Syria In the Years 1783- 1784, 2Vols, London, 1787.*
11. *Von Suchem, L., Description of the Holy Land, Tr. By A. Stewart, P.P.T.S. Vol.XII, London, 1895.*
12. *Willibald, The Travels of Willibald, 721- 727A .D., In Early Travels in Palestine , Ed.Thomas Wright, London, 1848, P.P., 13- 23.*

خامساً- المراجع:

١. أنيس، إبراهيم، وآخرون، المعجم الوسيط، د.ن، ط١، د.ت.

٢. الباز العريني، السيد، المماليك، ط١، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٦٧م.

٣. البعلبكي، منير، المورد، دار العلم للملايين، ١٩٧٦م.

٤. حسن، إبراهيم حسن، تاريخ الدولة الفاطمية، ط٢، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٨٥م.

٥. الدباغ، مصطفى مراد، بلادنا فلسطين، ١١ج، دار الهدى، كفر قرع، ١٩٩١م.

٦. الدجوي، علي، موسوعة النباتات الطبية والعطرية، ط١، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٦م.

٧. زيادة، نقولا، رواد الشرق العربي في العصور الوسطى، د.ن، القدس، ١٩٣٤م.

٨. زيتون، عادل، العلاقات الاقتصادية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، ط١، دمشق للطباعة والنشر، دمشق، ١٩٨٠م.

٩. رنسيمان، ستيفن، تاريخ الحروب الصليبية، ٣ج، ترجمة الباز العريني، دار الكتب العربية، ط٣، بيروت، ١٩٦٩م.

١٠. سعداوي، نظير، المؤرخون المعاصرون لصلاح الدين الأيوبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٢م.

١١. طلاس، مصطفى، ورود الشام، ط١، طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق،

١٩٨٦م.

١٢. عاشور، سعيد عبد الفتاح، مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٢م.

١٣. عاقل، نبيه، تاريخ خلافة بني أمية، ط٣، دار الفكر، دمشق، ١٩٧٥م.

١٤. العسلي، كامل جميل، مقدمة في تاريخ الطب في القدس، ط١، الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٩٤م.

١٥. عمران، محمود سعيد، معالم تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، بيروت، ط٢، ١٩٨٦م.

١٦. عنان، محمد عبد الله، مؤرخو مصر الإسلامية ومصادر التاريخ المصري، مؤسسة مختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩١ م.

١٧. عوض، محمد، من إسهامات الطب العربي الإسلامي، ط١، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٧م.

١٨. غليونجي، بول، عبد اللطيف البغدادي طبيب القرن السادس الهجري شخصيته، إنجازاته، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥م.

١٩. غوانمة، يوسف، تاريخ نيابة بيت المقدس في العصر المملوكي، ط١، دار الحياة للنشر والتوزيع، الزرقاء، الأردن، ١٩٨٢م.

٢٠. كراتشكوفسكي، أغناطيوس، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم، مراجعة إيغور بليايف، ٢ ج، موسكو لينيغراد، ١٩٥٧م.

٢١. لي سترانج، جي، فلسطين في العهد الإسلامي، ترجمة محمود عمايرة، ط١، وزارة الثقافة والإعلام، عمان، ١٩٧٠م.

٢٢. ماجد، عبد المنعم، العصر العباسي الأول، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٣م.

٢٣. = = ، نظم الفاطميين ورسومهم في مصر، ط١، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٤م.

٢٤. مقبول، أحمد مقبول ورفاقه، كيمياء النباتات الطبية، ط١، المركز العربي للخدمات، عمان، ١٩٩٥م.

٢٥. منصور، أحمد، الدليل الكامل للأعشاب والنباتات الطبية، ط١، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٤م.

٢٦. هنتس، فالتر، المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة

كامل العسلي، ط١، منشورات الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٧٠م.

سادساً- المراجع باللغة الإنجليزية:

1. - Beagon, Mary, Roman Nature,The Thought of Pilny The Elder,Oxford Classical Monographs, Clarendon Press Oxford, 2008.
2. Dueck, D., Strabo of Amasia: A Greek Man of Letters in Augustan Rome, Taylor&Francise- library, London, 2003.
3. Edler ,A., Jewish Travelars in the Middle Ages ,The Broadway Travellers, N.Y., 1987.
4. - Hamilton, B.,The Latin Church in the Crusader States, London, 1980.
5. - Heyd, W., Histoire du Commerce du Levant Au Moyen Age, II Tome, Paris, 1936.
6. Laurel, AB., The Truth: About the Five Primary Religions & The Seven Rules of Any Good Religion, Published By: Oracle Institute, U.S,A, 2005.
7. Peter ,C. & D'Ancona, M., The Emmaus Mystery: Discovering Evidence for the Risen Christ , London, 2006.
8. - Prawer, J., The Latin Kingdom of Jerusalem, London, 1972.
9. - Runciman, S.,The Pilgrimages to Palestine before 1095,Ed.by K.M .Setton, A History of the Crusades, University of Pennsylvania Press. Vol. 1, P.P., 68- 78.
10. Safrai, Ze'ev, The Economy of Roman Palestine, London, 1994.
11. Shakespeare, B., Antony and Cleopatra, Published by: Simon &Schuster, N.Y. 1999.

سابعاً- المقالات العربية والتقارير:

١. تقرير وكالة الأنباء الأردنية بترا، بتاريخ ١٤/ ١٠/ ٢٠٠٨م.
٢. حمارنة، خلف، الطب العربي في فلسطين زمن الفاطميين والأيوبيين، المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام، الجامعة الأردنية، مجلد ٢، ص ٢٦٣.
٣. صالح، توفيق، بلسان، قاموس الكتاب المقدس، ص ٨٨.

٤. كراتشكوفسكي، أسامة بن منقذ، دائرة المعارف الإسلامية، ج٢، ص٥٧٩ ٥٨١.

٥. لبنية، محيي الدين من النباتات الطبية في المدينة المنورة "البشام"، عدد١٨، مجلة مركز بحوث المدينة المنورة، المدينة المنورة، ٢٠٠٤م، ص٢٢٥ ـ٢٤٠.

٦. القحطاني، جابر بن سالم، البشام تنظف الأسنان وتشفي من الحكة الجلدية والقروح، جريدة الرياض، ١١ شعبان ١٤٢٧هـ/ ٤ أيلول ٢٠٠٦م، العدد ١٣٩٥١.

ثامناً– المقالات باللغة الإنجليزية:

1. *Brinner,W.M., Ibn Iyas, EI2.,Vol. III, P.P., 812- 813.*
2. *Feliks. J, Balsam,E.J: Ecyclopedia Judaica ,Vol, 4, P.P., 142- 143.*
3. *Hintz, F., Dhira, E.I2: Ecyclopedia of Islam, New Edition,Vol. II, P.P., 231- 232.*
4. *Maya – Shatzmiller,C., Marinids, E. I2.,Vol ., II, P.P., 571 – 574.*
5. *Rosenthal,A., Iben Al- Athir, E. I2.,Vol.III.,P.P., 723- 725.*

ملحق (١)

زيارة وليبالد إلى فلسطين
وإخراج البلسان بطريق سرية

لقد اشترى وليبالد عند وجوده في القدس دهن البلسان، وعبأ قارورة منه وأحكم إغلاقها، ثم أخذ قارورة أكبر حجماً وعبأها بالقار " الزيت الصخري"، وقص عصا صغيرة بحيث تغطي فتحة القارورة، وعندما وصل المغادرون إلى صور أوقفهم الموظفون، وفتشوا أمتعتهم بحثاً عن أية ممنوعات وكان يحكم بالموت على من يحمل مثل هذه الممنوعات، ومنها دهن البلسان ، ولما فتحوا القارورة الكبيرة، وشموا رائحة القار، لم يجدوا البلسان ولذلك سمحوا لهم بالمرور (١٨٢) .

ملحق (٢)

حديقة البلسم في المطرية

" ... بالقرب من القاهرة وفي الجهة المقابلة للصحراء السورية تقع حديقة البلسم، وملقى في وسطها نصف حجر، وليست ذات أسوار قوية، وفي هذه الحديقة خمسة آبار تسقي أشجار البلسم، ولكل شجرة حارس خاص يغسلها ويغطيها وينظفها بعناية كما يفعل بجسمه، وهذه الأشجار لا تنمو عالياً، ولها ورقات ذات ثلاثة أسطح، وفي بداية شهر آذار وقت بداية سريان الدهن بعروقها تتم مراقبتها بعناية، وعندما تنضج يتم قطع أغصان الأشجار وجرحها كما يفعل بأشجار الكرمة، ومن هذه الجروح يتم استخلاص البلسم، ويربط فنجان نحاسي حول كل قطع ليتم تجميع البلسم المتساقط منه... .

... وفي وقت جرح البلسم يحضر الخليفة بنفسه، ولا يستطيع أحد أخذ قطرة من البلسم سواه، ويحضر موسم القطاف السفراء والأمراء الأجانب، ويعطي كل واحد منهم كأساً صغيرة صنعت خصيصاً لهذه المناسبة ممتلئة بالبلسم المستخرج، والذي يعتقد أنها أثمن من الجواهر، وبعد أن يتم استخلاص البلسم يقطع الجنائنية الأغصان ويغلونها في الماء، فيطفو دهن البلسم على سطح الماء مثل الزيت فتؤخذ بالملعقة، وتوضع في أنبوب، وتترك لفترة من الزمن، وهذا البلسم له قيمة عظيمة...، ولكن البلسم المستخرج من الشجر أعظم قيمة منه..." (١٨٣) .

الحفريات الأثرية في مدينة القدس
ما بين الأعوام ١٨٦٣م/ ٢٠٠٩م
والحق التاريخي للعرب منذ تأسيسها
(دراسة تاريخية)

د. شامخ علاونه*

* أستاذ مساعد/ فرع سلفيت/ جامعة القدس المفتوحة.

ملخص:

هدفت الدراسة إلى التعرف على الحفريات الأثرية ونتائجها في مدينة القدس، وبخاصة التي تمت على أيدي عدد من العلماء التوراتيين، وعدد آخر من العلماء الغربيين؛ ابتداءً من العام ١٨٦٣ ولغاية العام ٢٠٠٩، الذين كتبوا تاريخ المدينة حسب أهوائهم وتفسيراتهم التوراتية، كما تتطرق الدراسة إلى تقديم توضيح علمي للحفريات كافة التي تمت في مدينة القدس، والتي بلغت في مجملها أكثر من ٥٠ حفرية أثرية، وأجرى الباحث تحليلاً تاريخياً لبعض النظريات التي وردت من خلال التفسيرات المختلفة للبقايا الحضارية، ودُعمت الدراسة بعدد من الآراء المختلفة لعلماء الآثار الذين نفوا أية علاقة لليهود بمدينة القدس وبالمسجد الأقصى المبارك وقبة الصخرة المشرفة.

Abstract:

The study aimed at identifying the archaeological excavations and their results in Jerusalem, particularly those conducted by a number of biblical scientists and other western scientists since 1863. These wrote the history of the city according to their prejudices and biblical interpretations. The study presents the scientific clarification for all the excavations which have been in the city of Jerusalem. This amounted to more than 50 archaeological excavations. The study was also supported by a number of antiquates scientists' opinions who denied any relationship to the Jews to Al- Aqsa Mosque and the Dome of the Rock.

مقدمة:

مدينة القدس كانت- وما زالت- مدينة تجذب علماء الآثار الغربيين والتوراتيين منذ العام ١٨٦٣م، حيث وفد إليها عدد من الباحثين؛ وقد اعتمد هؤلاء الباحثون في تفسيرهم للبقايا التاريخية والحضارية على روايات تاريخية توراتية متضاربة في مدينة القدس، ولإثبات ذلك عمل الباحثون عدداً من الحفريات والدراسات من أجل العثور على دلائل مادية تثبت نظرياتهم التي جاءوا من أجلها. وقد تركزت جل هذه الحفريات والدراسات في محيط البلدة القديمة من القدس والمناطق المجاورة، تلك الحفريات التي افتقرت للأساليب العلمية والمنهجية، من حيث طريقة عمل الحفائر والأنفاق الرأسية والعرضية، وكذلك مقارنة الدلائل المادية بالمكان، وربطها تاريخياً بفترات حقيقية، فمجرد اكتشاف أساسات لجدران مختلفة المراحل والتواريخ كان يتم إرجاعها للمرحلة التوراتية أو فترة الهيكل الثاني، فهي إدعاءات نُفيت، وأُعيد التفكير بالنظريات السابقة من قبل التوراتيين أنفسهم.

لقد موِّلت تلك البعثات من قبل عدد من المؤسسات والحكومات الغربية المختلفة، أمثال جمعية الدومنيكان الفرنسية للحفريات الأثرية، ومتحف أونتاريو الملكي في كندا، وجامعة فكتوريا، وجامعة أكسفورد، وجامعة لندن، والجمعية الجغرافية الأمريكية، وعدد أخر من الحكومات الغربية، وعلى رأسها الحكومة البريطانية والفرنسية والكندية والأسبانية والألمانية والبلجيكية واليابانية. وكان من ضمن أهدافها المعلنة عما يطابق الرواية التاريخية من مواقع أثرية في مدينة القدس، فإضافة لهذا الهدف، دمرِّت معظم الآثار الإسلامية في مدينة القدس بدعوى البحث حسب التتابع الطبقي في المدينة حيث رُدمت الطبقات الأثرية التي تعود للفترات الإسلامية المختلفة في المدينة وخُرِّبت، وبخاصة التي تقع في الجزء الجنوبي الغربي من المسجد الأقصى المبارك حيث توجد القصور الأموية والمنشآت الإسلامية المختلفة هناك.

لقد أثبتت الدراسات والأبحاث والحفريات منذ منتصف القرن التاسع عشر تقريباً أنه لا يوجد دلائل تاريخية لليهود في مدينة القدس، وذلك بشهادة علماء توراتيين، أمثال ميرون بنفنستي ونحمان أفيجاد وماكس فان بيرشم، و توفيا ساجيف وجدعون أفني وروني رايخ وغيرهم، وذلك من خلال الأبحاث الكثيرة التي أجروها والتي تُرجمت إلى العديد من لغات العالم المختلفة.

مشكلة الدراسة:

تكمن مشكلة الدراسة في تزوير الحقائق التاريخية من قبل علماء الآثار التوراتيين في مدينة القدس ومحيطها، وربط المكتشفات التاريخية كافة بالتاريخ التوراتي لليهود في المدينة المقدسة وما يجاورها، كذلك في وجود مشكلة أساسية في علم الآثار لدى التوراتيين، فهو ليس علماً محايداً،بل هو مجند لخدمة الإيدولوجيا الدينية والسياسية في إسرائيل، وإضافة إلى التزوير تتم عملية النهب والتدمير للبقايا التاريخية الحضارية للمدينة قبل وبعد الفترات الإسلامية المختلفة.

منهج الدراسة:

استخدم الباحث المنهج العلمي في هذه الدراسة من حيث حصر الحفريات الأثرية كافة في مدينة القدس حسب تسلسلها التاريخي، قسم البحث إلى محاور عدة عالج الجزء الأول المسح التاريخي والأثري الوصفي للمدينة، والثاني الحفريات الأثرية في المدينة منذ العام ١٨٦٣ لغاية ١٩٠٠م، والثالث من عام ١٩٠٠حتى عام ١٩٦٧، والرابع من عام ١٩٦٧ لغاية ٢٠٠٠، والمحور الأخير من عام ٢٠٠٠ لغاية ٢٠٠٩.

تم تتبع نتائج هذه الحفريات حسب ما نشرت من مصادرها الأصلية بحيث عُرضت نتائج هذه الحفريات كافة، وعُلق عليها بالتفصيل، ولكن بعضها لم نستطع الرد عليها بسبب نشرها كتقارير أولية وليست بشكل مفصل لذلك ذكرناها كما وردت، كما حلِّلت وبحثت آخر التصريحات للتوراتيين اليهود بخصوص مزاعمهم حول نتائج حفرياتهم في المدينة.

نتائج الدراسة:

توصل الباحث إلى حقائق تاريخية عدة، تستند إلى ما نُشر من قبل علماء الآثار الغربيين حول مدينة القدس، ففي المقام الأول، اختلف ستة من علماء الآثار حول تاريخ المقابر الموجودة شرق المدينة في وادي قدرون، وقد تبين أنها تعود للقرنيين الثالث والرابع الميلاديين، وليس لداود أو سليمان ولا حتى لأبشالوم. كما أن الأنفاق التي توجد في القدس يبوسية البناء والتاريخ، وبعضها يعود للفترات الإسلامية المختلفة، أما المتتبع لنتائج هذه الحفريات، فيلاحظ عدم وجود دلائل مادية مكتوبة عثر عليها في القدس تعود للفترة التوراتية سواء كانت عملة معدنية أم نقشاً كتابياً على الأقل، كذلك ادعاء بعض التوراتيين أن المحجر الموجود مقابل باب العامود يعود للملك سليمان، فالأصح أنه يعود لسليمان القانوني حيث افتتحه لترميم الأجزاء المهدمة من أسوار المدينة، وبالتالي توصل

التوراتيون إلى نتيجة مفادها أن لا علاقة لما ذكر في التوراة لما هو موجود على أرض الواقع، فيما يخص المدينة المقدسة وما حولها من أخبار.

المسح التاريخي والأثري الميداني في مدينة القدس:

مما لا شك فيه أن الحفريات الأثرية في مدينة القدس كانت ومازالت تعدُّ وسيلة لدعم المزاعم التوراتية، During the Middle Ages the orientation of most writing about Jerusalem was religious; the heavenly Jerusalem described by devout Jews, Christians and Moslems often bore little resemblance to the reality below. فهي دائماً محط أنظار الباحثين من مختلف الجنسيات منذ فجر التاريخ ، ولكن زاد الاهتمام الأوروبي والغربي بها في فترة العصور الوسطى حيث توجه معظم الكُتاب للتأليف عن مدينة القدس، ووضع الخرائط ورسمها لهذه المدينة، واستكشاف تاريخها من خلال المسح الأثري والحفائر غير المرخصة والمنتظمة من قبل السلطات العثمانية؛ لأنها كانت غير واضحة الأهداف، بل ومشكوك بنوايا هذه الجمعيات والمؤسسات تجاه المدينة المقدسة. Pilgrims described the city in glowing terms, and maps placed the city at the

فقد لجأت هذه البعثات إلى العديد من الحيل المختلفة للدخول إلى الحرم القدسي الشريف وغالباً لدراسة المكان ووضع تخيلاتهم حول مكان الهيكل المزعوم ومساحته وشكله، فكانت أول بعثة أثرية للتحقق مما جاء في التوراة عام ١٧٣٨م برئاسة المطران ريتشارد باكوك (Richard. Pococke) الذي كتب وصفاً شاملاً لآثار القدس(١)، وفي سنة ١٧٦١م زارها كاسترن نيبور Carsten Neibuhr وأجرى دراسات مختلفة حول القدس، ونشر بعض الرسومات البيانية، وأثار اهتماماً ملحوظاً لدى المؤرخين وعلماء الآثار (٢)، أضف إلى ذلك قدوم بعثة بريطانية عام ١٨١٨م، برئاسة وليم جون بانكز (William. J. Bankes) الذي حاول الحصول على أذن رسمي من الحكومة العثمانية، ولكنه لم يوفق فقد قوبل طلبه بالرفض، فلجأ إلى عمل بعض المسوحات والحفر الأثرية ليلاً خارج أسوار المدينة، وعلمت الحكومة التركية بشأن تلك الحفائر فبنت الجدران في الموقع لمنع مزيد من أعمال الحفريات غير القانونية، وغير الموافق عليها من طرف السلطات العثمانية (٣) .

The American Edward Robinson visited Jerusalem for the first time in 1838. أما الأمريكي إدوارد روبنسون (Edward. Robison)، فقد زار القدس للمرة الأولى في ١٨٣٨م، والذي يعد مكتشف قوس روبنسون (Robison (He discovered the arch at the Temple Mount that bears his name today; and the Swiss Titus Tobler discovered an arch which later became known as Wilson's A الذي يحمل اسمه اليوم،

والسويسري تيتوس (Titus) اكتشف القوس الذي أصبح فيما بعد يعرف بقوس ويلسون. أما أما أما في عام ١٨٣٤م، فقد قام فريدريك كاثر وود (Fridreck Kather woad) بمسح في منطقة الحرم، وقدم خريطة تفصيلية لمدينة القدس. In 1841 William Tipping, a tou-ist who visited areas off limits to Christians, sketched the site of the Double Gate, hastily, for fear of being caught. في عام ١٨٤١م زار ويليام (Willam) وهو سائح غربي مناطق محظورة على غير المسلمين ، ورسم موقع الباب المزدوج. و In 1864, Charles Wilson came from England in order to make a map of Jerusalem and explore the water system. في عام ١٨٦٤م جاء تشارلز ويلسون (Charles Willson) من انجلترا من أجل عمل خريطة لمدينة القدس ، واستكشاف نظام توزيع المياه. His fin - ings prompted the creation of the Palestine Exploration Fund (PEF). وكان للنتائج التي توصل إليها أثر في إنشاء صندوق استكشاف فلسطين سنة ١٨٦٥[٣].

هدفت المسوحات السابقة والجولات الاستطلاعية لمدينة القدس إلى التفتيش عن آثار الهيكل المزعوم ، و الهيكل يعني بيت الرب أو البيت الكبير، وهي كلمة سومرية، ويقال بابلية مأخوذة من مقطعين: المقطع الأول « أي» بمعنى بيت، والمقطع الثاني «كل» بمعنى الكبير[٤] إضافة إلى آثار حضارة المملكة اليهودية الخرافية ، ولكن ما حصل هو طمس وهدم للمعالم التاريخية للمدينة من الفترة اليبوسية ولغاية الفترات الإسلامية المختلفة، للبحث عن أباطيل وخيالات وآمال عفا عليها الزمن ولقد ثبت علمياً أن ما حدث ليس سوى تخيلات المفلسين من منطلق "الحق التارخي" لدولة استمرت ٤٠ عاماً، وإذا طُبق هذا المفهوم على دول العالم فيجب أن تعود فلسطين والشرق بكامله لليونان وروما والبيزنطيين والآشوريين والبابليين والمغول والتتار والأتراك، فهذه النظرية الهدامة وضعت من طرف صهاينة العصر الحديث في مؤتمراتهم لإثبات حق زائف؛ وللأسف فقد روج لهذه النظرية وعمل على إنجاحها، لأنها كانت تلائم رغبات الغرب الاستعماري تجاه القدس بشكل خاص، والأمة العربية والإسلامية بشكل عام.

الحفريات الأثرية في مدينة القدس (١٨٦٣ م - ١٩٠٠ م):

أولى الحفريات الأثرية التي تمت في مدينة القدس كانت سنة ١٨٦٣م وقد أجريت من قبل بعثة فرنسية [٥] برئاسة لويس فيليسسيان ديسولسي (Saulcy, Felicien De Louis) وهذه الحفريات تمت إلى الشرق من مدينة القدس في الوادي المعروف باسم وادي قدرون أو جيحون، ويطلق عليه بعضهم أسم وادي جهنم، ولكن من خلال دراسة الاسم من الناحية اللغوية والجذر الثلاثي (قدر) فهي حسب اللغة الكنعانية قادر، وتعني الظلام واللون القاتم، وتقابلها في اللغة العربية (قذر) بمعنى وسخ، وكذلك يأتي بمعنى عميق[٦].

أمدتنا حفريات عالم الآثار الفرنسي السابق الذكر ودراساته بأهم النتائج التي توصل إليها من خلال تلك الحفريات، وهي العثور على مقابر الأسرة الملكية التي تعود لفترة الملك داوود عليه السلام، وخاصة قبر ابن الملك داوود أبشالوم الذي كان متمرداً على أبيه، وكذلك على عدد من المقابر الأخرى مثل قبر النبي زكريا، وقد عُثر على نقش باللغة الآرامية نُقل إلى متحف اللوفر في باريس[٧]. لم يستند فيليسيان ديسولسي (Saulcy, Felicien De Louis) إلى نص مادي واضح يثبت أن هذه المقابر تعود لفترة النبي داوود وسليمان كما كان يدعي، ولم يستخدم طريقة الكربون ١٤ لتحليل المواد العضوية التي عثر عليها في تلك المقابر، بل أعتمد على نص ورد في التوراة بخصوص هذا المكان[٨] .

أسس التوراتي ديسولسي (Saulcy) منهجاً مبنياً على تفسير البقايا الأثرية التاريخية للحقبة الإسرائيلية، وذلك من منطلق ما ورد في التوراة في مدينة؛ فمنذ تلك اللحظة سارع عدد من الباحثين للبحث في المقابر السابقة الذكر، أمثال جيمس سترمين (Jemes Stremin) ، وقد أفاد البحث والدراسة المقدمة من جامعة جنوب فلوردا (Florida) أن تلك المقابر لا تعود لداوود وأبنه أبشالوم، وإنما تعود لزكريا ولد يوحنا المعمدان، وربما لسيدنا يعقوب عليه السلام، وكذلك جاء عالم الأنثروبولوجيا جو زياس ١٨٦٣ (Joe Zais)، وذكر أن تاريخ البناء يعود للقرن الرابع الميلادي، كما اجتهدت الباحثة التوراتية في الجامعة العبرية عام ٢٠٠٥ ، وهي إيليت مزار (Eilat Mazar) [٩] . وأثبتت أن "الحفريات السرية التي شاركت فيها في المكان، كشفت عما قالت إنه (مبنى كبير قد يكون القصر الذي أهداه حيرام ملك صور إلى الملك داود، وذلك تقديراً لمحاربته أعداءهما المشتركين، وهذا التفسير يتناقض تماماً مع شكل البناء، فحيرام أهداه خشباً وليس قصراً من الحجر، وأيضاً قد يكون قصراً من الفترة اليبوسية التي سبقت فترة الملوك في القدس [١٠] .

أحاطتنا حفريات زئيف هيرتسوغ (Z'ieve Hirtzug) محاضر في الجامعة العبرية بالكشف عن المقابر التي قيل إنها تعود لفترة الهيكل الثاني، أما جدعون بروستر (Gid-on Brewster) فقد صوَّب الدراسة الآنفة، وذكر أنه لا علاقة لها بتاريخ اليهود في مدينة القدس، وهي نصب مسيحية واستند إلى الأحرف اليونانية التي وجدها على أحد جدران أحد تلك المقابر، أما البروفسور نحمان آفيجاد (Nahman Avigad) من الجامعة العبرية فقد أجرى بحثاً على تلك المقابر فنسبها لفترة الهيكل الثاني، [١١] .هذا بالإضافة إلى رسالة دكتوراة حول الموضوع، وخمسه أبحاث أخرى جميعها تدعى أن ذلك النصب يعود لفترة الهيكل الثاني [١٢] .

وكما لاحظنا فإن أكثر من عشر دراسات توراتية حاولت تأريخ أول أثر تم الحفر فيه في مدينة القدس ونسبته إلى الفترة التوراتية؛ فمن خلال دراسة هذه التناقضات وتحليلها

بشكل علمي ومنهجي ومقارنتها بالعلاقة التي كانت قائمة بين ملوك مملكة إسرائيل والفراعنة في مصر، وكذلك علاقتها بالدول المجاورة، ومن خلال التحليل المعماري لتلك المقابر فمن المرجح أنها تعود للفترة الواقعة ما بين القرنيين الثالث والرابع الميلاديين [١٣] وقد تم التوصل لهذا الاستنتاج، وذلك بدراسة شكل الحجارة وطريقة نحتها، وطريقة زخرفتها التي تشبه مثيلاتها في البتراء وشمال المملكة العربية السعودية [١٤] . وأنه ليس لهما علاقة بفترة المعبد الثاني، ولا حتى بفترة الملك داوود، ومن الجدير ذكره أن هذا المكان ينبذه اليهود لأنهم يعتبرونه مكاناً يجسد فيه حادثة التمرد من قبل أبشالوم على أبيه . أما الحفريات التي أجريت في المكان طيلة تلك الفترات التاريخية لم يُعثر فيها على كتابة باللغة العبرية، أو فخار يعود للعصر الحجري، أو حتى في فترة المعبد الثاني، أضف إلى ذلك أن علم الانثروبولوجيا لم يثبت من خلال تحليل البقايا العضوية أن تاريخ المكان لا يمت بصلة للتاريخ التوراتي المزعوم في المكان.

وفي عام ١٨٦٧م اكتشف الباحث تشارلز ولسون (CH. Wilson) قوساً حجرياً من عهد هيرودس، وهو أدومي الأصل حكم ما بين ٤٤ق.م لغاية ٤ ق.م، وقام بعدد من الأعمال العمرانية في مدينة القدس [١٥] ، وفحص واجهة كنيسة القيامة [١٦] أما الحفريات التي تلت تلك الفترة فكانت خلال الفترة (١٨٦٧\١٨٧٠) ،حيث قامت بعثة بريطانية باسم (الصندوق البريطاني لاكتشاف آثار فلسطين) برئاسة المهندس الكولونيل تشارلز وارين (CH. Warren) ، وكان هدفه منصباً على منطقة الحرم القدسي الشريف. أما أهم مكتشفاته فكانت آبار مائية متصلة بنبع جيحون نبع أم الدّرج، ويسمى أيضاً نبع العذراء ويقع في المنحدر الذي يطل على وادي سلوان في القدس جنوب قبة صخرة، ويعد النبع المصدر الوحيد للمياه في المنطقة، حيث بدأ الاستيطان البشري في القدس عند هذا المصدر المائي [١٧] . ثم قام بحفريات عمودية وأنفاق أفقية نحو جدران الحرم القدسي الشريف الشرقية والجنوبية والغربية بهدف اكتشاف طبيعة هذه الجدران، وأنواع حجارتها التي كان يعتقد أنها تعود للهيكل الثاني حسب التصورات المسبقة لديه، وفيما بعد استنتج أنها هيرودية.

ويضاف إلى تلك الأعمال حفريات النفق الذي يقع مدخله بين باب السلسلةالواقع في الرواق الغربي للمسجد الأقصى المبارك؛ وبين المدرسة الأشرفية شمالاً، والمدرسة التنكزية جنوباً، كما يشرف على شارع يضم العديد من المدارس الإسلامية في القدس هو طريق باب السلسلة. (سمي الشارع قديماً باسم شارع داود، ومنه عرف الباب كذلك بباب داود، وباب الملك داود، وداود هنا هو نبي الله تعالى، لم يعترف اليهود بنبوته، فأطلقوا عليه الملك.) [١٨] وباب القطانين، وهو من أجمل وأضخمها أبواب المسجد الأقصى المبارك، يقع في منتصف سوره الغربي تقريباً، بين بابي الحديد شمالاً والمطهرة جنوباً، ويفضي إلى سوق القطانين

المحاذي له، ويعد واحداً من أقدم أسواق القدس الباقية على حالها، وهذا مصدر اسمه. (القطانون هنا هم بائعو القطن [١٩] ويتعامد مع الجدار الغربي للحرم القدسي الشريف بطول (٢٥م) ، وبعرض (٦م) ، ويصل إلى سبيل قايتباي، وهو سبيل مياء يقع مقابل باب المطهرة، بينه وبين الطرف الغربي لصحن الصخرة، في الساحات الغربية للمسجد الأقصى المبارك. بُنيت السبيل فوق الطرف الشماليّ الغربيّ لمصطبة واسعة تحمل الاسم نفسه، ولها محراب في الجهة الجنوبية، بناهما الملك الأشرف أبو النصر إينال (٨٦٠هـ) ، ثم جدد الملك الأشرف قايتباي السبيل عام ٨٨٧هـ– ١٤٨٢م، بعد هدمه، وعرف باسمه، وأعاد تجديده السلطان العثماني عبد المجيد الثاني ١٣٣٠هـ– . [٢٠] ، ولكن ذلك النفق لم يحقق له آماله في العثور على دلائل مادية تعود للفترة التوراتية . وقد نشر الكولونيل وارين (Warren) نتائج حفرياته في كتابه (اكتشاف القدس) عام ١٨٧١م، وفي كتابه (توثيق القدس) عام ١٨٨٤م [٢١] .

ومن جهة أخرى استندت نتائج حفريات تشارلز ورن (CH. Warren) إلى التوراة والتفسير التوراتي قبل أن تتم أصلاً، وذلك بناءً على ما ذكره حول القناة التي ذكرت في التوراة مسبقاً. [٢٢] مدينة القدس تقوم على نظام معقد من القنوات المائية منذ الفترة اليبوسية [٢٣] ، وبخاصة التي تصل من وإلى ينابيع المياه التي تقع خارج الأسوار، مثل عين الدرج، وغيرها من العيون المائية التي تقع خارج نطاق المدينة، وكذلك قنوات المياه من الفترة اليونانية والرومانية، فليس كل ما هو تحت الأرض يعود لفترة الهيكل الثاني كما يدعي التوراتيون، فالنظام المائي وجد في المدينة قبل أن تحُتل المدينة من طرف داوود؛ فهذا النظام المائي يبوسي كما ذكر سابقاً، وننوه هنا أن جزءاً من هذه القنوات والآبار يعود للفترات الإسلامية المختلفة، كما ذكر وارين (Warren) أن ساحات المسجد الأقصى تحتوي على ٣٤ بئراً، محفورة في الصخر، بأعماق مختلفة بعضها يصل طوله تقريباً إلى ٣٠ متراً، فهل كان الهيكل يخترق هذه الآبار، وهذا مستحيل من الناحية المنطقية والمعمارية [٢٤].

لقد أجريت حفريات في مدينة القدس ما بين الأعوام ١٨٦٩ و١٨٨٩ على يد عدد كبير من علماء الآثار، فقد أعاد تشارلز كليرمونت جانو Clermont Ganneau (CH). الحفر في مقابر الملوك في وادي قدرون، وخرج بالنتائج نفسها التي خرج بها غالبية علماء الآثار من أن المقابر تعود للفترة الإسرائيلية وهي مقابر لأبشالوم، وقد بينا التضارب في هذه الإدعاءات بداية هذا البحث ، وكذلك قام كل من وآيت فرايرس ومايوس White Friars And Mauss. k. سنة ١٨٧١ بتنظيف بركة بيت حسدا بمعنى بركة بيت الرحمة، وهي من البرك التي أنشأها هيرودس في القدس (Bethesda Pool) وحفريات ماودسلي Maudsley (H). عام ١٨٧١ في حارة الشرف العربية ويسميها الإسرائيليون حارة اليهود،

وكانت نتائج حفرياته اكتشاف محجر أو مقلع للحجارة، بينما قام تشارلز كليرمونت جانو Clermont Ganneau (CH) بالحفر عند قوس النصر Arch of (Ecco Homo) الروماني ومنطقة أنطونيا الهيرودية (٢٥) .

أما حفريات وايت وماويس (White Friars and K. Mauss) في العام ١٨٧٦م فقد كشفت آثار كنيسة القديسة حنا فوق بركة سانتا حنا المقدسة (Porbatca) ، وكذلك حفريات جوثيس (s. H' Guthe) ، ١٨٨١ تركزت بالقرب من بركة سلوان، وفي عام ١٨٨٦ نظف عالم الآثار كون ريد سشيك (Conrade Schick) بتنظيف الردم من فوق الباب الذهبي على السور الشرقي للمسجد الأقصى المبارك، وقد عثر على عدد من القبور التي تعود للفترة الرومانية، وقنوات مياه، أما حفريات عام ١٨٨٩م فقد تمت على يد جريمر دوراند (J.Germer Durand) وقد اكتشفت كنيسة ومدرج من الفترة البيزنطية (٢٦) .

مما سبق نستنتج أن تلك الحفريات لم تثبت أن هناك تاريخاً توراتياً لليهود في مدينة القدس، ولا توجد علاقة للتاريخ التوراتي المزعوم بالمكتشفات الحضارية في المدينة، أما بين أعوام ١٨٩٤– ١٨٩٧م ، فقد نظمت الحفريات بقيادة «فردريك بليس (٢٧) (Frederick J. Bliss) الذي كان يرى في نفسه المكتشف التابع للصندوق، و يساعده مهندس معمارى أي. سي. ديكي (A.C. Dickie) ، ويعرف بليس (J. Bliss) أهدافه على النحو الآتي: (عملنا الرئيس كان متابعة الخطوط التي أخذتها الأسوار الجنوبية للقدس خلال فترات مختلفة) . كان مشروع بليس (Bliss) هو متابعة السور المتجه جنوبا من الزاوية الجنوبية الغربية للقدس القديمة، و الذي يتفق مع سور أوفل (٢٨) الذي أكتشفه شارلز ورن (CH Warren) إلى الجنوب من الزاوية الجنوبية من الحرم الشريف. لم يأت فردريك بليس .Frederick) J Bliss) بالجديد فيما يخص تاريخ المدينة، فقد بحث بالطريقة نفسها وأسلوب من سبقوه في البحث عن التراث أو البقايا اليهودية في المدينة، فخاب أمله من جديد، فعمل على حفر أنفاق عمودية وصل في بعضها للطبقات الصخرية، ولم يعثر على دلائل مادية تشير إلى بقايا توراتية بالقرب من أسوار الحرم القدسي الشريف (٢٩) .

الحفريات الأثرية في القدس (١٩٠٠ـ ١٩٦٧) :

أما في عامي ١٩٠٩ م و١٩١١م فقد تحقَّقت بعثة كل من باركر وفيسنت M .Parker) و Vincent L.H (30)) من إدعاءات الدوق والشاعر الفلندي فالتر هنريك (Valter Henrik) ؛ بأنه يعرف مكان تابوت العهد وكنوز سليمان، و Between 1905-1906 he spun them a story which was genius in its simplicity. ما بين ١٩٠٥– ١٩٠٦ نسجت قصة كانت تنص على أن زميل فالتير هنريك (Valter Henrik) ، د. جو لويس (Juvelius) قد اكتشف

شيفرة سرية في الكتاب المقدس تفيد بوجود كهف مخبأ تحت المعبد المقدس فيه كنوز مدفونة مع تقدير قيمتها أكثر من ٢٠٠ مليون دولار أمريكي. He carefully explained that in order to locate these treasures he would need to mount an expedition and that such an expedition would be costly, very costly indeed. ومن أجل تحديد أماكن هذه الكنوز فهو سيكون بحاجة إلى تنظيم حملة لجمع المال ، لأن هذه الرحلة سوف تكون مكلفة جداً. However, he assured them that the returns would be enormous. في الوقت الذي أكد فيه بأن العائدات ستكون هائلة.

بعد ذلك All in all, Parker managed to raise over $125,000 which was an absolute fortune in those days. A limited company was formed to facilitate the issue of shares. تمكن من جمع ما يزيد على ١٢٥،٠٠٠ دولار لتأسيس شركة محدودة شُكِّلت لتسهيل عملية السفر والبحث. The Company was called JMPFW Limited and commentators like Coppens [2008] believe that the name of the Company forms the initials of the expedition's main protagonists, Juvelius, Millen, Parker, Forth and Waugh. وأطلق عليها اسم JMPFW المحدودة، ويعتقد أن اسم الشركة يرمز إلى الحروف الأولى من أسماء البعثة والأطراف الرئيسة التي تشكلت للبحث عن كنوز سليمان (جولويس، ميلن، باركر، والرابع وواف) (٣١) . وبالفعل قام جولويس (Juvelius) بالسفر إلى القسطنطينية للحصول على إذن للحفر، وقدَّم إغراء لاثنين من كبار المسؤولين من السلطات الحكومية العثمانية، ووعدهم بحصة إذا عُثر على كنز سليمان. But he immediately hit a blank wall and it wasn't underground. وذهب بالتصريح إلى مدينة القدس، ولكن أكثر من مائتي شخص ادعى حقوق ملكية الأرض التي تقع تحتها الأنفاق. Some were unwilling to negotiate while others were, but sought exorbitant sums for their co-operation. ودفع مبالغ باهظة للحصول على موافقة على الحفر، حيث سمح لهم بالحفر ما يقرب من ٧٠٠ متر إلى الجنوب من منطقة الحرم (٣٢) .

ولكن في نهاية المطاف تجري الرياح بما لا تشتهي السفن، فبينما قام باركر (Barker) بتقديم الرشوة لعدد كبير من المسؤولين عن الحفر تحت المسجد الأقصى؛ اكتشف أمره وفضح، وحدثت مظاهرات حاشدة في القدس ودعوات للحفاظ على الأقصى، وسافر باركر (Barker) عام ١٩١١م دون أن يحقق النتائج التي جاء من أجلها، وذكر أن تل أوفل كان الموقع الأصلي لمدينة القدس، وأن نبع جيحون أدى دوراً مهماً في تشجيع إنشاء مساكن في هذا الموقع. الدائرة أو الحلقة المفرغة التي حاول علماء الغرب كافة تلوينها تارة وزخرفتها تارة أخرى لإقناعنا بهيكل هم أنفسهم سئموا منه، وفشلوا في إيجاده، فحسب رأينا أن **الله** سبحانه وتعالى أعلن عن الأماكن المقدسة، وهدانا إليها، من منطلق روحاني عقائدي "

سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آيتنا إنه هو السميع البصير» (٣٣) وكذلك وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع البصير" (٣٤).

Over two hundred people claimed ownership rights to the land under which the tunnels lay.In his book Digging Up Biblical History – Recent Archaeology in Palestine and its Bearing on the Old Testament [McMillan New York, 1931] .J. نأتي على حفريات الأب ورجل الدين فنيسنت (L.H. Vincent) عام ١٩١٠\١٩١٣م التي اكتشف من خلالها بعض جدران كنيسة المعراج التي تعود للعصر البيزنطي(٣٥). وتابع حفريات فينسنت (Vincent) الأثري أورفالي (P.G.Orfali) عام ١٩١٩ في موقع كنيسة الجثمانية خارج أسوار البلدة القديمة، وجاء العالم ريموند ويل (R. Weill) للبحث عما كان يعتقد أنه موجود في الجزء الجنوبي من البلدة القديمة، حيث أكتشف بعض الحجارة التي تعود للعصر الروماني وقال إنها محجر، وبالطبع هذا غير صحيح لأنه وحسب طبيعة المنطقة الجنوبية لم تكن محجراً أو منطقة مقالع للحجر ولا نعرف من أين جاء بهذا الإدعاء، فقد يكون اكتشف في أثناء الحفر بعض التسويات الحجرية المقطوعة في الصخر أو أعمال تسوية ومن خلالها خرج علينا بنظرية المقالع الحجرية ، إذ لا دلائل أو دراسات أخرى أشارت إلى أن الموقع كان محجراً (٣٦).

أما الحفريات التي تمت ما بين عامي ١٩٢٣ م/ ١٩٢٥ م فقد كانت على يدىْ كل من ماكلستر ودونكان (R.A.S. Macalister And J.G. Duncan) حيث توجهت نحو الجزء الشمالي من المدينة التي تعود إلى عهد اليبوسيين كما ذكر الباحث، وقد عثر على آثار برجين على تل أوفل، تأكدت هذه المعلومات من قبل الباحثة كاثلين كينيون (C. Kenyon) فيما بعد، وفي العام ١٩٢٤م نُظِّف ما اعتبر قبر أبشالوم وقبر زكريا من قبل الباحث سلوسيث (N.Slouschz) ولم يأت بجديد عما ذكرناه في بداية هذا البحث، وتتابعت الحفريات عام ١٩٢٥م من طرف مايور وساكينيك (E.L.Sukenik And L.A. Mayer) حيث حُفرت أجزاء من السور الثالث للمدينة بداية من الجزء الشمالي بين المستشفى الإيطالي، والنهاية الشمالية لوادي قدرون، ثم تتابعت الحفريات السنوية في مدينة القدس بشكل محموم، ولم يأت عام على القدس دون هرولة رجال دين وأجانب وتوراتيين من ٣٥ مؤسسة ودولة أوروبية وأمريكية واسترالية للبحث والتنقيب، فقد تابع الحفريات السابقة عدد آخر من الباحثين، ومنهم الباحث كروفوت وفتسجرالدت (J.W. Crowfoot And G.M. Fitzgeraldt) في العام ١٩٢٧، وادعى أنه اكتشف بعض الحجارة تعود للفترة الإسرائيلية القديمة، ولكن جاءت كاثلين كينيون (C. Kenyon) وقالت أنها تعود للعصر اليوناني، واستندت إلى ذلك التحليل إلى طبيعة مادة الحجر، ونمط الجر وحجمه، وطريقة تشذيبه، وفي العام ١٩٣٠

قام هاملتون (R.W.Hamilton) بالتنقيب على أساسات باب العامود وذكر أنها تعود للفترة الرومانية، وأرجع تاريخ الباب إلى فترة العاصمة إيليا كابتولينا وهذا المصطلح يتألف من مقطعين الأول إيليا من الآلهة إيل بمعنى الإله الأوحد وكان يعدُّ بمثابة أب لجميع الآلهة، بينما كبيتال[٣٧]. مأخوذة من الكلمة اللاتينية الأصل بمعنى عاصمة.

كما عثر على شارع مبلط وقنوات مائية رومانية في وادي تروبين إلى الجنوب من مدينة القدس، أطلق عليه يوسيفوس عام ١٠٠م أسم تيروبين ومعناه (صانعو الجبن) وفسره بعضهم باسم ، وادي الروث أو الزبل. [٣٨] .نتيجة تلك الحفريات وضعت سلفاً كما هو الحال في بقية الحفريات التي سبقت حفريات هذا الباحث، إذاً لا غرابة في تأريخ ما هو تحت الأرض في القدس ونسبته للفترة الإسرائيلية التي لم تدم سوى أربعين عاماً بينما حضارات دامت أكثر من ألفي عام بقدرة الله انتهت واختفت آثارها من القدس [٣٩] .

اكتشفت بعض الجدران بالقرب من كنسية القيامة، وأخرى عند قلعة داوود عند باب الخليل، وبرج فصايل أحد أهم الأبراج الرئيسة في قلعة باب الخليل، التي توجد جنوبي باب الخليل والتي يطلق عليها الصهاينة قلعة داوود اعتباطا، وهي قلعة تعود للقرن الثاني قبل الميلاد، ويعدُّ مؤسس القلعة الفعلي هيرودوس، الحاكم الآدومي العربي لولاية فلسطين في الفترة الرومانية [٤٠] ، كما اكتشف آثار معسكر روماني يعود للفرقة العاشرة، وجزء من السور الغربي يعود إلى فترة عهد إيليا كابتولينا وقد تمت هذه الاكتشافات الأثرية عاميْ ١٩٣٣ و ١٩٤٠ من طرف علماء الآثار الغربيين أمثال هارفي وجونز (W. Harvey And C.N. Johns) . أما حفريات عام ١٩٤٠ فقد أجريت على يد العالم الإسرائيلي نحمان أفيجاد (N. Avigad) حيث كشف عدداً من القبور في وادي قدرون، وجميع اكتشافاته تعود للعصر الهيرودي، أما حفائر عام ١٩٤٩ التي لم يحدد تأريخ لها فقد أجريت على يد بنكر فيلد (J. Pinker Feld) ، وفي عام ١٩٤٧ولغاية العام ١٩٦٨ قام الأثري الإسرائيلي آفي يونا (Yonah. M.Avi) بحفريات تركزت على الجزء الغربي من مدينة القدس، ولم يُعثر على شيئ سوى على بعض جدران كنيسة بيزنطية، وفي الأعوام ١٩٥٣ والعام ١٩٥٤، كُشف عن بعض المقابر التي تعود للعصر البرونزي الوسيط ٢٢٠٠ ولغاية ١٦٠٠ قبل الميلاد، وذلك من طرف كل من ميليك وباجاتي (Bagatti and Milik) وكذلك من طرف P. Saller[41] And P.Lamer) كما تابع عدد آخر من العلماء حفرياتهم وبحوثهم أمثال الباحث رحماني (L.Y.Rahmani) حيث اكتشف بعض المقابر التي تعود للعصر اليوناني، وتلاه العالم كوربو (V.Corbo)، والذي نقب على قمة جبل الزيتون، وعثر على كنيسة بيزنطية عام ١٩٥٩، وفي عام ١٩٦٠م، أعيد تنظيف قبر زكريا من قبل الباحث ستاتكوبري [42](H. Statchbury).

إن آخر هذه الحفريات وأهمها حفريات كاثلين كنيون (C. Kenyon) ، التي تمت في أكثر من جزء في مدينة القدس، ولكنها تركزت حول الحرم القدسي الشريف، ولكن أهم ما توصلت إليه كنيون نوجزه فيما يأتي: قطع فخارية تعود للفترة من ٧٠٠ ق.م لغاية ٥٨٦ق.م. في هضبة أوفل جنوبي المسجد الأقصى، وأوان أخرى تعود للعصر البرونزي الأول[٤٣].

كما اكتشفت ما أطلقت عليه أسم البسطات الحجرية اليبوسية التي أستعملها فيما بعد الملك داود له، ولكنها تهدمت فيما بعد، إضافة إلى اكتشاف الجدران الإستنادية في منطقة نبع جيحون، وجزء من قناة مياه تنقل المياه من نبع جيحون إلى بركة سلوان، كما عثرت على آثار بوابة حجرية تؤدي إلى نبع جيحون تعود إلى ١٨٠٠ ق.م. وبعض المغاير والقبور التي تعود إلى عهد القدس القديمة وأخرى تعود للعصور البرونزية، كما عثرت على بعض الرموز الكنعانية وهي عبارة عن أعمدة حجرية لم تكن تحمل سقوفاً، إضافة إلى الأسوار الدفاعية التي تعود إلى ١٨٠٠ق.م. وسور المدينة الثاني، وآثار جدار سميك يرجع إلى القرن الثامن قبل الميلاد.[٤٤] وتابعت كنيون (C. Kenyon) الحفريات في القدس ودونت من بين أهم مكتشفاتها آثار البيوت السكنية التي تعود إلى القرن السابع قبل الميلاد والتي استعملت حتى السبي البابلي وهي البيوت الوحيدة التي بقيت آثارها في مدينة القدس بحالة جيدة والتي تعود لتلك الفترة التاريخية[٤٥].

أظهرت الحفريات التي تمت جنوب كنيسة القيامة بحوالي ١٥٠م وبمساحة ٧م، وهذه الحفريات أدت إلى اكتشاف آثار عربية إسلامية وبيزنطية، وتحتها آثار من المدينة الرومانية إيليا كابتولينا، وهذا يدل على أن هذه البقعة كانت خارج أسوار المدينة في تلك الفترة التاريخية، فإن كنيسة القيامة كانت خارج أسوار المدينة، وفيما بعد كُشف عن مباني الحجاج التي أنشئت من أجل الحجاج المسيحيين، والتي بنيت من طرف جستنيان ٥٢٧– ٥٦٥، وأرخ موقع اُكتشف قرب المدرسة الخاتونية وهي أحدى المدرس المشهورة في مدينة القدس، وتعود للفترة المملوكية، تقع في الحد الغربي للحرم بين المدرسة الأرغونية وسوق القطانيين، وأطلق عليها الخاتونية نسبة إلى كلمة خاتون وتعني السيدة، والسيدة التي قامت بتأسيسها هي أوغل خاتون إبنة شمس الدين محمد بن سيف الدين وهي أحدى زوجات الأمراء الأتراك الذين عاشوا وحكموا في القدس، وقد أوقفت عدداً من المباني والقرى على هذه المدرسة.[٤٦]، كما عثر على أبنية مملوكية إسلامية في حارة الأرمن، وهي إحدى الحارات الرئيسية في القدس إضافة إلى الحارات الرئيسية في القدس حارة النصارى وحارة المسلمين، وحارة الشرف التي استولى عليها اليهود، وأطلقوا عليها حارة اليهود[٤٧].

الحفريات الأثرية في مدينة القدس خلال الأعوام ١٩٦٧ لغاية ٢٠٠٠:

بلغت الحفريات الأثرية في مدينة القدس بعد عام ١٩٦٧ حوالي٢٥ حفرية أثرية في مناطق مختلفة من مدينة القدس تركزت غالبيتها في منطقة الحرم والجزء الجنوبي من المسجد الأقصى المبارك، وتوجد مرحلة أخرى وهي الحفر أسفل المسجد الأقصى المبارك للبحث عن آثار الهيكل المزعوم في مدينة القدس، وبالتحديد أسفل المسجد الأقصى، حيث إن بعض علماء الآثار يعتقدون أن الهيكل موجود تحت قبة الصخرة، وهذا ما نستهجنه ونتساءل عنه، إذ كيف يوجد الهيكل تحت الصخرة، أي تحت الطبقات الصخرية، أو التجويف الصخري الذي بنيت عليه القبة.

أولى الحفريات التي تمت في مدينة القدس بعد عام ١٩٦٧م، هي حفريات حارة الشرف التي كان يملكها العرب في مدينة القدس، وقد تهدمت هذه الحارة بفعل حرب عام ١٩٤٨م، ولم تتمكن بلدية القدس بسبب نقص في الأموال من ترميمها، وبعد حرب عام ١٩٦٧م، أستغل اليهود تلك الحالة وادعوا ملكيتهم للحارة المهدومة، وقاموا بالحفريات في أجزاء متفرقة من الحارة حتى وصلوا الطبقة الصخرية، وذكر نحمان آفيجاد (N. Avigad) أن الآثار المكتشفة في (حارة الشرف) ، تتضمن حائط المدينة الإسرائيلية، وكان الهدف من ذلك بناء حوالي ٦٠٠ مسكن، لا تمت بصلة لطبيعة مدينة القدس وهي على علو أكثر من ٦ طبقات[٤٨].

الحفريات الأثرية في منطقة القدس عام ١٩٦٨ ولغاية العام ١٩٧٤ وأُجريت من طرف[٤٩] بنيامين مزار (Benyamin Mazar) بإشراف من الجامعة العبرية في القدس،وجمعية الاستكشاف الإسرائيلية، إذ تركزت حفريات مزار وبن دوف (M.Ben Dov) في الجزء الجنوبي من الجدار الغربي المعروف بحائط البراق؛ وخطط البروفسور مزار أيضاً لكشف المساحة المجاورة ، كما ركز على كشف الأبنية الهيرودية كافة حتى فترة هدم الهيكل المزعوم، ويقول مزار أنه نجح في كشف الأجزاء الرئيسية للبناء الهيرودتي، وأصبح لديه القدرة على رسم المخطط الشامل للمنطقة بجميع أجزائها الرئيسة[٥٠]

وقد قام مزار برسم المنطقة وأبنيتها العامة خلال الفترة الهيرودية، وكذلك الفترة البيزنطية والفترة الأموية، وقد عُرفت التغييرات الكبيرة التي حدثت في المنطقة منذ هدم الهيكل الأول، حتى العصر الحديث، ويقول مزار: إن هدف هيرودس توسيع المساحة الخاصة حالياً بالمسجد الأقصى، والتي يسميها مزار (جبل الهيكل) . ويضيف أنه وُضعت كميات كبيرة من التربة لتسوية المنحدرات الغربية وتسوية الجزء العلوي، ومن ثم أنشئت الجدران

الحجرية حوله من الجهات الأربع، ويضيف أن جميع الأبنية في الجزء الشمالي من هضبة أوفل قد دمرت، ويقول إنه تم اكتشاف البوابات الأربع في الحائط الغربي للمسجد الأقصى، والتي ذكرت عند المؤرخ اليهودي جوسيفوس فلافيوس، وأن ما ذكره روبنسون كان خطأ لأن القوس كان كبيراً، ويدعم الدرج الصاعد من الشارع الموازي للحائط الغربي.[٥١]

اكتشف مزار بعض الأبنية الرومانية التي ترجع إلى عهد قسطنطين، وتعود إلى القرن الرابع الميلادي قرب الحائط الغربي للمسجد الأقصى، كما كشف عن الآثار الأموية غرب وجنوب المسجد الأقصى والتي ترجع إلى الفترة ما بين ٦٦٠– ٧٥٠م، وهي عبارة عن مجموعة أبنية ضخمة أطلق عليها اسم القصور (The Mount of the Lord) الأموية. وقد أهملت هذه القصور على مر العصور.

إن اسم مدينة القدس كنعاني وهو شالم، نسبة إلى الإله شالم الكنعاني، والهضبة الشرقية المبني عليها المسجد الأقصى وهي جبل موريا ترجع إلى ما قبل عصر داود ١٢٠٠ق.م، وأن المدينة كانت تسمى يبوس قبل احتلالها من قبل الملك داود وهو الذي أطلق عليها اسم (مدينة داوود) ، كما ذكر أن مكان الصخرة حالياً هي ذاتها التي هم إبراهيم بذبح إبنه اسحق على جبل موريا، والحقيقة أن إبراهيم كما ورد في القران زار مكة المكرمة وأسكن إبنه إسماعيل هناك وأثناء الزيارة أمر الله سبحانه وتعالي بذبح إسماعيل في مكة وفي ذلك يقول تبارك وتعالى «ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم، ربنا ليقيموا الصلاة فأجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم، وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون»[٥٢].

كما أن الحادثة حدثت في مكة أثناء زيارة إبراهيم عليه السلام وليس في القدس بدليل قوله تعالى: ﴿وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم﴾ وهنا نتساءل ما أهمية ذكر إسماعيل الذبيح، واسحق، فذكرهم غير مقنع وغير منطقي، وقد ورد ذكر إسماعيل في القرآن، وأشار كذلك إلى أن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى[٥٣] ومن جانب آخر يرى مزار (B.Mazar) أن التوراة هي المصدر الأول له في الحديث عن القدس، وإذاً كان الأمر كذلك فما فائدة أبحاثه العلمية التي أجراها، بل إن هذا يعني أن علم الآثار عند اليهود مسخر لأغراضهم الخاصة، ولإثبات ما ورد في التوراة حتى لو لم يؤكد بدليل عملي من خلال الاكتشافات. ومع ذلك فإن مزار (B.Mazar) يؤكد أنه لم يعثر على أبنية تعود لفترة الهيكل الثاني؛ وفي هذا المكان سوَّى الرومان الطبقات التي تعلو الصخر وأزالوها لتسويتها وتسهيل إقامة المدينة الرومانية (إيليا كابيتولينا) ، وقد أزيلت أساسات مدينة داود التاريخية. ولكن الغريب في هذا التفسير

أن هذه الإزالة والتسويات التي حصلت لم تؤثر أو تطمس المعالم اليبوسية والمعالم الأخرى في المدينة، فهذا إدعاء علماء اليهود للتضليل ومفاده تزوير تأريخ القدس وجعلها مدينة يهودية على مدى التاريخ القديم والحديث(٥٤).

نأتي على ما قاله مزار حول القدس بعد السبي البابلي لليهود، من خلال وصف نحميا الذي كان حاكماً لمدينة القدس في الفترة الفارسية، فقد وصف المدينة بأسوارها ومنشأتها كافة، ولكن الغريب أنه لم يذكر وصفاً للهيكل– كما يقول مزار– وحسب وجهة نظرنا لم يكن ما يقوم بوصفه نحميا أنذاك أمراً ذا قيمة، فلماذا يعتب مزار وغيره من اليهود عليه، فقد اقتصر وصفه على بوابة السمك، والبوابة القديمة، ولا يذكر حتى كلمة واحدة عن الهيكل، ويبرر مزار هذا الشيء بأن نحميا لم يكن مخولاً بالحديث عن الهيكل، وإنما الحديث عن الهيكل كان من اختصاص الكهنة، وهذا التفسير غريب جداً، يحاول فيه مزار هنا مقارنة مصر ومعبدها وصلاحياتهم مع الكهنة وما كان من قبل نحميا، لذلك يعدُّ هذا المنطق مرفوضاً، ولا يمت للحقيقة بشيء لا من قريب أو بعيد(٥٥)

لا نستطيع التعليق على جميع ما ذكره مزار (B.Mazar) ولكن يمكن أن نذكر بعض التعليقات المهمة على المواضيع الرئيسة وحسب، فيذكر مثلاً أن اليهود اشتهروا في مدينة القدس بعدد من الصناعات، ومن بين ما اشتهروا به خارج أسوار المدينة صناعة الحجر، ويذكر أن المحجر الذي يقع بالقرب من باب العامود يعود للفترة الإسرائيلية وهذا ليس صحيحاً، بل أن الحقيقة أن فتح هذا المحجر تم على يد سليمان القانوني عندما قام ببناء الأسوار الحالية وترميمها في المدينة.(٥٦)

وفي عام ١٩٦٨م قام أوسسكن (D.Ussishkin) ، بحفريات ومسوحات لمغاور وكهوف القبور في سلوان التي يرجعها إلى الفترة من القرن العاشر إلى القرن السادس قبل الميلاد، وتلا ذلك حفريات إيتان و روث أميران (R.Amiran And A.Etan) ، وكانت قد جرت تلك الحفريات عام ١٩٦٨م، حيث أجريت الحفريات في قلعة داود، ووُجدت آثار ترجع للعصر الحديدي الثاني، والعصر اليوناني والروماني والبيزنطي، ولم يذكر الباحث آثار العصر الإسلامي في القلعة، وعمل كذلك الأثري المعروف بكثرة حفائرة وتفسيراته التوراتية العالم آفيجاد (Nahman Avigad) ، في عام ١٩٦٩ في مناطق مختلفة من حارة الشرف (حارة اليهود) ، حالياً، وأهم ما صرح به هو أنه لم يعثر على ما كان يبحث عنه، وهو منشآت هيرود التي ذكرها جوسيفوس، فقد ذكر أن المدينة تقسم إلى قسمين مدينة عليا وأخرى سفلى، ووصف سكان كل مدينة، كما ادعى أنه عثر على شمعدان سباعي في أحد البيوت، وهذا الرمز استخدم أحياناً في العمارة الرومانية، وهو موجود على قوس تيطس في روما، وهذا يفسر أن أصل الشمعدان روماني وليس له علاقة باليهود(٥٧).

تابع الباحث لويس (U. Luis) ١٩٧٠م، الحفريات في مناطق مختلفة من القدس، وعثر على قطع حجرية صغيرة، وقال إنها جزء من سور قديم يرجع إلى القرن الأول بعد الميلاد، فهذا غير منطقي ويتنافى مع حجم الحجارة الرومانية التي كانت بأحجام كبيرة تزيد عن المترين طولاً وعرضها يصل إلى متر في بعض الأبنية، واستمرت أعمال التنقيب عام ١٩٧٠ تحت إشراف مارجوفيسكي (Margovsky J.) ، حيث عثر على قناة مياه عثمانية التاريخ، وهذا يؤكد التتابع الطبقي للتاريخ الإسلامي في القدس، قال أيضاً أنه عثر على جزء من شارع هيرودي فهذا هو التناقض بحد ذاته فالطبقات الرومانية تفصلها عن العثمانية عدة مراحل تاريخية تزيد عن ١٥٠٠ عام فهذا ينفي النتائج التي ذكر أنه اكتشفها في هذه الحفريات، أما حفريات دان باهات وبن آري Bahat and M.Ben Ari (D.) ، فقد تمت عام ١٩٧١م في مناطق متفرقة من القدس، وعُثر على قناة مياه تعود للعصر الصليبي، وآثار أخرى تعود للفترة ذاتها بمحاذاة سور البلدة القديمة من الناحية الجنوبية الغربية الذي رمَّمه السلطان سليمان القانوني، كما أكمل بروشي Broshi (M.) ، حفرياته في مناطق مختلفة من القدس[٥٨].

وفي عام ١٩٧٢م كشف بينيوت (B. Beniot) عن بعض المباني التي تعود للعصر الروماني في مدينة القدس، وفي عام ١٩٧٣عمل كل من نيتسر وبن آري S.Ben Arieh and Netzer (E.) ، حفريات قرب القنصلية الأمريكية في القدس شمالي المدينة، وذكر الباحثون أنه كُشف عن سور المدينة الثالث وآثار كنيسة بيزنطية، يضاف إلى الحفريات السابقة الذكر أعمال كوفمان (Kuafman) عام ١٩٧٣م، الذي أدعى نتيجة مسوحات ودراسات قام بها أن الهيكل مستطيل الشكل وأن مدخل الهيكل الرئيسي كان يوجد في الجهة الشرقية، ولم يكن في الجهة الجنوبية كما قال غالبية علماء الآثار الآخرين. لا يوجد شيء مادي أستند إليه كوفمان (Kuafman) بل هي مجرد تكهنات وافتراضات عن الهيكل [٥٩].

زودتنا حفريات دائرة الآثار الإسرائيلية التي أجريت ما بين الأعوام ١٩٧٣ و العام ١٩٧٤م، بمخطط إسرائيلي كان الهدف منه تقويض الجدران الجنوبية للمسجد الأقصى وتصدعها، وقد وصلت أعماق الحفريات إلى أكثر من ١٣م، وتصدع جزء من السور الجنوبي للمسجد الأقصى بسبب قدم البناء ، وكذلك إزالة التراب الساند للجدار الخارجي، وأصبح هناك فرق بين منسوب الأرض أو المسطح الداخلي والخارجي. أما حفريات بن دوف (Ben Dove)، فقد تركزت جنوب غرب المسجد الأقصى عاميْ ١٩٧٥ ، ١٩٧٧م، وأقر العالم الإسرائيلي أنه اكتشف ثلاثة قصور تعود للفترة الأموية المبكرة، اثنان منها تقريباً بالتخطيط المعماري نفسه والثالث مختلف قليلاً عنها [٦٠].

الحفريات الإسرائيلية التي بوشر بها سنة ١٩٧٠م لغاية العام ١٩٨٠م، وبمساهمة أكثر من مؤسسة إسرائيلية ورغم قرارات اليونسكو التي أدانت إسرائيل نتج عن هذه الحفريات تصدع عدد من الأبنية منها رباط كرد المنصوري، ويقع خارج السور الغربي للمسجد الاقصى، شمال طريق باب الحديد، وهو بناء طولي الشكل يتكون من طابقين[٦١]، والمدرسة الجوهرية [٦٢] وتقع في الناحية الشمالية لطريق باب الحديد، وهي غربي رباط الكرد المنصوري، ويقع بالقرب من باب الحديد تجاه المدرسة الأرغونية، أوقفه المقر السيفي كرد صاحب الديار المصرية (٣٩٦هـ/١٠٠٦م) في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون، على الفقراء والحجاج والزوار الذين يفدون إلى بيت المقدس، ويتكون الرباط من ثلاثة طوابق، الطابق الأول يشغله الرباط، والثاني تابع للمدرسة الجوهرية، وجزئياً فوقه جزء من رواق الحرم [٦٣] ، والمدرسة المنجكية وتوجد في الحد الغربي للحرم، فوق الطرف الشمالي للرواق الغربي، مدخلها من الناحية الشمالية لطريق باب الناظر، وتمتد فوق الاتساعات الثمانية للطرف الشمالي للرواق الغربي فوق أسطح عدة مبان إلى الغرب، والزاوية الوفائية تقع في الناحية الجنوبية لطريق باب الناظر، وإلى الغرب منه الرباط المنصوري،[٦٤].

واستكمالا لهذا فقد حفر الإسرائيليون فتحات في نفق أو قناة عند باب الغوانمة، ويطلق عليه مجير الدين الحنبلي اسم باب الخليل[٦٥]، وينتهي هذا النفق عند ساحة المغاربة بطول ٤٥٠م، وبالرغم من شكاوي حكومة الأردن إلى اليونسكو، وصدور قرارات من قبل اليونسكو بضرورة وقف حفر تلك الأنفاق، فإن الإسرائيليين لم ينصاعوا لتلك القرارات، وجاء في تقرير المستشار الفني لمدير عام اليونسكو السيد مايور (Mayer)، الذي نشرة عام ١٩٩٦، إن الإسرائيليين قد استعملوا مواد كيماوية خاصة لتسهيل تفتيت الصخر في داخل النفق، وهذه المواد تشكل خطورة على أساسات الأبنية الإسلامية، إذا وصلتها عن طريق المياه الجوفية.[٦٦]

تواصلت أعمال الحفر في منطقة باب العامود، من قبل دائرة الآثار الإسرائيلية، حيث كشف عن الباب القديم للسور الذي يقع بعمق حوالي خمسة أمتار تحت الباب الحالي، ثم قامت بوصل الباب الحالي مع الساحة الخارجية بجسر أسمنتي مسلح، ولا علاقة بالبقايا الحضارية التي عثر عليها بتاريخ أو بثقافة يهودية في منطقة باب العامود وهي عبارة عن آثار رومانية. وبالتالي فشل اليهود في الحصول على بقايا ومعلومات تعود إلى ما يعتقدون انه موجود في القدس لتاريخهم، فانتقلوا إلى باب الخليل، ومن الجدير ذكره أن بوابات مدينة القدس في الوقت الحاضر تعود للفترة العثمانية فقد ذكرها عدد كبير من الرحالة والمؤرخين، وقد نقشت عليها عبارات تفيد بأن السلطان سليمان خان بن سليم هو الذي

أمر بترميمها [٦٧] ، وفي السنة ذاتها عام ١٩٧٥م كُشف عن مسجد أنشئ في فترة السلطان محمد بن قلاوون ، يعود للفترة المملوكية، ومن باب الخليل ذهبوا إلى باب الأسباط وهو من أبواب الحرم الشريف القديمة، والباب الحالي فقد أعيد بناؤه في الفترة الأيوبية المبكرة سنة ٦١٠هـ-/ ١٢١٣م أثناء بناء الرواق الشمالي[٦٨]، وعام ١٩٨٢ لغاية ١٩٨٨م، بمعنى أكثر من موسم حفري في تلك المنطقة، ولم يُعثر على أية بقايا يهودية كبقية الأبواب التي حُفر فيها لا من قريب، ولا حتى تمت بصلة للتاريخ اليهودي في مدينة القدس[٦٩].

تابع الإسرائيليون أعمال الحفر عام ١٩٩٠ في منطقة سلوان التي كانت قد حفرت سابقاً، وكان ذلك للتأكد من المعلومات التي توصل لها الباحث جونز (K. Johnos) في الأربعينيات من القرن الماضي، والتي أطلق عليها في ذلك الوقت (برج داود) الذي يعود لفترة النبي داود. أما الحفريات التي قامت بها دائرة الآثار الإسرائيلية ما بين الأعوام ١٩٩٠- ٢٠٠٠م في منطقة القصور الأموية، وقامت بعمل مساطب وأدراج مباشرة أو ملاصقة للجدار الجنوبي الذي يتوسط المسجد الأقصى، وهذه الأدراج ليست عبثاً وإنما تظهر في مخططات الهيكل المزعوم، وتعد أحد الأدراج الرئيسية للدخول إلى ما يسمى الهيكل من الجهة الجنوبية، وهذه الأدراج والبسطات يمكن الدخول منها للمصلى المرواني من الجهة الجنوبية للمسجد الأقصى إذا ما عملت مداخل في الجدار الجنوبي من المسجد.[٧٠]

الحفريات الأثرية في القدس خلال الأعوام ٢٠٠٠ لغاية ٢٠٠٩:

أما الحفريات التي تمت مع بداية القرن ٢١، فقد كانت بتمويل وزارة الأديان وإشرافها ، وتركزت على حفر الأنفاق، حيث أشرفت على أكمال حفر النفق الغربي وأقامت في داخله كنيس للصلاة، وهو جزء من المباني الأموية في الجزء الجنوبي من المسجد الأقصى، أما الحفريات التي أقيمت خارج منطقة الحرم في مناطق متفرقة من البلدة القديمة، فتركزت في حارة المسلمين، بجوار حمام العين، وباب السلسلة[٧١]، وشارع الواد، وباب الغوانمة السابق الذكر، وقد تميزت بعمق حوالي ستة أمتار تحت مستوى الشارع، ولم يُعثر على آثار للهيكل المزعوم [٧٢].

عدد من العلماء والباحثين توصلوا إلى يقين انه لا دلائل مادية وجدت تفيد بأن لها علاقة بما يسمى بالهيكل، ومن أشهر هؤلاء مزار (mazar) عام ١٩٧١ وقد نشر معلوماته من خلال The Israel Exploration Society **حيث لم يتوصل إلا إلى بقايا أثرية تعود لفترات مختلفة وصنفها كالأتي**: أولاً: أن كامل الجدار الجنوبي لمنطقة الحرم القدسي بني فوق الصخر الطبيعي شرقاً وغرباً هو بناء إسلامي عدا أساسات الزاوية الجنوبية الشرقية وامتدادها حتى ٣٢ متراً في السور الشرقي فهي تعود إلى عصور سبقت العصور

الإسلامية، وقد ذكر عدد المداميك ١٢ التي تعود لفترة هيرود ٣٧ ق.م، و١٩ مدماكاً تعود لعصر هدريان ١٣٢م، وهي أسوار مدينة إيليا كابتولينا، و٣ مداميك للفترة البيزنطية، وهي الفترة التي عاصرت السيطرة الفارسية على القدس عام ٦١٤م. ثانيا- إن التنقيب حول الزاوية الجنوبية الغربية كان يقوم حول ما يعرف بقوس روبنسون حيث كُشف عن القصور الأموية الثلاثة. وثالثاً: إن طراز الشوارع المبلطة التي كشفت بموازاة الجدار الغربي والجنوبي تعود للعصر الأموي، والعناصر الإنشائية التي عثر عليها على هذا المستوى كافة هي إسلامية أيضاً (٧٣).

أما آخر تصريحات عالم الآثار مئير بن دوف (M.Dov) لصحيفة الشرق الأوسط بتاريخ ١٠/ ١٠/ ٢٠٠٩م، فأشارت إلى أنه لم يُعثر على دلائل أثرية للهيكل في منطقة الحرم، وأضاف قائلاً: «في أيام النبي سليمان عليه السلام كان في هذه المنطقة هيكل الملك الروماني هيرود وقد قام الرومان بهدمه ، أما في العهد الإسلامي فلم يكن هناك أثر للهيكل ، وفي العهد الأموي بني المسجد الأقصى المبارك ومسجد قبة الصخرة المشرفة وهو المكان الذي عرج منه النبي محمد صلى **الله** عليه وسلم إلى السماء . وأشار عالم الآثار الإسرائيلي إلى أن منطقة الحرم القدسي الشريف كانت على مستوى مختلف مما هي عليه اليوم ، فقبل ألفي سنة لم تكن تلك المنطقة بالمستوى التضاريسي نفسه ، فمثلاً هيكل الملك هيرود الروماني كان بمستوى أعلى من مستوى الصخرة المشرفة هذا اليوم (٧٤) .

وتابع يقول» ومن خلال أبحاثنا ودراستنا التي أجريناها نستطيع معرفة المعادلة الحسابية وكيف كانت تلك المنطقة، وأكد أن هيكل هيرود لم تكن له أي علاقة بالصخرة المشرفة حيث كان هذا الهيكل مرتفعاً بخمسة أمتار . واستطرد يقول: جاء المسلمون إلى هذه الديار وبنوا على تلك الصخرة التي وجدت في تلك المنطقة التي ليس لها أي علاقة مع الهيكل، كما أن الصليبيين هم الذين أطلقوا على الصخرة المشرفة اسم صخرة الهيكل (٧٥) .
وأضاف: إذا أجرينا حفريات أسفل تلك المنطقة فإننا سنجد آبار مياه متشعبة، وقد رأينا قنوات مائية خلال مسيرة الحفريات والدراسة التي أجريناها خلال الخمس والعشرين سنة الماضية، واستنتجنا من ذلك أنه لا يوجد هيكل هناك (أي لا توجد بقايا من ذلك الهيكل) وإذا قمت بالحفر فإنك لن تستطع إطلاقاً أن تجد أيه بقايا للهيكل تدل على تلك الفترة. وأكد بأنه إذا ما تم الحفر خارج السور من الجهة الشرقية فإنه من الممكن أن يتم العثور على كتابات أو قطع أثرية ، لكن في الداخل أو أسفل منطقة الحرم القدسي فلا توجد أيه بقايا أثرية أو غيرها . كما تطرق «بن دوف» Ben Dov إلى أعمال الترميم والإصلاحات التي تنفذها دائرة الأوقاف الإسلامية في ساحة الحرم القدس الشريف قائلاً: بأن هذه الأعمال

حيوية وغير ضارة ولا يترتب عليها أية أضرار على الإطلاق ، وإنما أعمال تطويرية مهمة للحفاظ على هذا المكان المقدس ، وإبراز معالمه الأموية الجميلة . وقال: ان كل ما تثيره بعض الجهات عبر وسائل الإعلام وغيرها لإعاقة هذه الأعمال الترميمية إنما هو من اجل ذر الرماد في العيون وهو كلام فارغ ، فأنا أعرف هذا المكان منذ عام ١٩٦٧ ففي بداية السبعينيات سمح لعدد من أعضاء الهيئة الإسلامية منهم المرحومان الشيخ حسن طهبوب والشيخ حلمي المحتسب بدخول المكان وتصويره وإجراء المسح وإعداد الخرائط عن الأقصى القديم (المصلى المرواني) . وأضاف: كما سمح لي بإجراء الكشف والحفريات هناك لأنني أقوم ببحث علمي أكاديمي يهدف في المحصلة إلى كشف اللثام عن جمال الفن المعماري الإسلامي وروعته (٧٦) .

أكد أن تبليط «المصلى المرواني» مؤخراً كان في محله أما ادعاءات بعض المسؤولين الإسرائيليين مثل: «جدعون أفني» الذي قال أن هناك تخريباً لن نستطيع إصلاحه فهي غير صحيحة ، فلقد قمت بزيارة المكان فشاهدت بأم عيني أن كل ما جرى هو تبليط للمكان وليس فيه أي خراب او تدمير.

أما عالم الآثار ميرون بنفنستي (Meron Benvenisti) فقد ذكر في كتابه (القدس مدينة الأحجار الذي نشر عام ١٩٩٦، فقد ذكر "هناك كان يعيش ملكي صادق، ملك الكنعانيين في مدينة شالم، كما ذكر أن داوود أحتل القدس اليبوسية، وأستولى على حصن صهيون، وبهذا اعتراف بعروبة مدينة القدس؛ ومن الجدير ذكره هنا أن كلمة صهيون كنعانية وتعني الجبل المحصن وليست توراتية أو صهيونية كما يعتقد بعضهم (٧٧) .

ننتقل إلى شهادة زيئيف هيرتسوغ (Za'v Hertsug) من جامعة تل أبيب حيث قال: إن جميع المنشغلين في مجال كتابة التوراة والأبحاث التاريخية والأثرية لم يتوصلوا إلى حقائق تثبت صحة الروايات التي وردت في التوراة، وأضاف أن غالبية اليهود ليسوا على استعداد للتطرق لهذا الموضوع، ويفضلون تجنب الخوض فيه، كما يضيف أن مملكة داوود وسليمان لم تكن كما ذكرت التوراة أنها مملكة إقليمية، بل تبين أنها مملكة قبلية صغيرة الحجم (٧٨) .

أما شهادة العالم السويسري ماكس فان بيرشم (Max Van Berchem) الذي زار القدس ما بين الأعوام (١٨٨٨– ١٩١٤) ، فلم يدل بأية معلومة عن تاريخ اليهود في مدينة القدس، لا قديماً ولا حتى الفترة التي زار المدينة فيها، فهذا رحالة أو سائح أخر جاء للبحث عما قرأه في التوراة فوصف القدس الإسلامية وليست القدس اليهودية (٧٩).

الخاتمة:

مما لا شك فيه أن أعمال العلماء الغربيين والتوراتيين كانت تقوم على أمنياتٍ وقصص خيالية وروايات تاريخية مستقاة من التوراة، ومن المؤرخين اليهود أمثال المؤرخ اليهودي يوسيفوس فلافيوس وغيره من علماء اليهود، هذا بالإضافة إلى عدم اتباع المنهج العلمي في الحفريات، وفي التحقق من النتائج فكل ما هود موجود داخل الأرض أصبح توراتياً بفعل التزييف والدعم والقوة المالية والإعلامية التي يسيطر عليها اليهود حول العالم.

لم يُعثر على دليل مادي واحد على الأقل يثبت وجود آثار توراتية في مدينة القدس، وذلك من خلال الحفريات الأثرية كافة التي وجدت في مدينة القدس سواء كان من العلماء الغربيين أم من العلماء التوراتيين اليهود، وما اكتشف في الحقيقة إنما هي أثار عربية كنعانية يبوسية وأخرى كلاسيكية ومن ثم إسلامية، وذلك استناداً لما نُشر من قبل العلماء الذين جابوا مدينة القدس شمالاً وجنوباً شرقاً وغرباً، لذلك قاموا بتدمير غالبية الآثار الإسلامية في تلك الطبقات تحت حجة وذريعة البحث عن التتابع الطبقي للمدينة، وأهم ما يميز هذه المدينة الارتباط المادي اليبوسي الكنعاني فيها حيث أسست من قبل العرب اليبوسيين، ولم تؤسس على يد التوراتيين.

من خلال نتائج الحفريات الأثرية وبشهادة عدد كبير من علماء الآثار أن مدينة القدس وبالتحديد أسفل المسجد الأقصى وقبة الصخرة توجد سلسلة من الآبار والقنوات المائية يزيد عمقها عن ٢٠ متر في الصخر وبالتالي من المستحيل أن توجد آثار أو بقايا توراتية داخل الصخور وهذا يتنافى مع المنطق والعقل، فلهذا قام عدد من علماء الآثار اليهود الذين عملوا حول الحرم القدسي طيلة ٣٠ عاماً بنفي نظرية وجود هيكل أو أية آثار توراتية بالقرب من الحرم القدسي وقد لاقت تصريحاتهم هذه انتقادات من قبل عدد كبير من رجال الدين المتطرفين اليهود.

تكمن أهداف الحفريات الإسرائيلية بإثبات حق تاريخي لليهود؛ وبالتالي الحق السياسي والطبيعي بهذه الأرض، ولكن فشلوا في كلتا الحالتين، فالله سبحانه وتعالى ربط مكانة القدس بمكة المكرمة، وذلك لإيجاد الرابط الروحي بين المدينتين المقدستين، هذا إضافة إلى الرابط المادي المتمثل في وجود المسجد الأقصى وقبة الصخرة، وهذا ما لا يملكه اليهود بالقدس، إذا لا دلائل روحية ولا مادية لليهود في القدس، إضافة إلى احتلال مدينة القدس من طرف داوود بالقوة العسكرية بينما دخلها العرب المسلمون صلحاً.

الهوامش:

١. Voyages de Richard Pockocke en Orient, pairs,1772

٢. Niebuhr, Carsten. Reisebeschreibung nach Arabien und andern umliegenden Ländern. 1774. English translation as “Travels through Arabia and Other Countries of the East” by R. Heron, London, 1799. Facsimile .edition by Garnet Publishing, London, 1994

٣. Einburg, Rinret, Jerusalem, Life Throughout The Age in The Holy Land, .Jerusalem , 1997 ,pp.5- 12

٤. عبد الواحد علي، فاضل، من سومر إلى التوراة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، الطبعة الثانية، ١٩٩٦ ، ص، ٢٠١.

٥. The New Encyclopedia Of Archaeological Excavations In The Holy Land. Jerusalem,1993, Voll.II.P.750. The Oxford Encyclopedia of Archeology In .The Near East Chicago,2008,vol.IIV,p 495

٦. عمرو، يونس، القدس مدينة الله، دار الشيماء للنشر والتوزيع، رام الله، الطبعة الثالثة ، ٢٠٠٩ ، ص ٣٢

٧. Neil Asher, Silberman, Digging for God And Country, exploration archeology and the secret struggle for the Holy Land, 1799- 1917, Virginea, .2008, p 70

٨. سفر يوئيل، ٣,١٤

٩. Rachel, Hachlili, jewish Funerany Customs Practices And Rites in The .Second temple period, , Lieden, 2005 ,p171

Netherlands,pp- 29- 72.

١٠. Nahman, Avigad, Ancient Monuments in Kidron Valley, 1954, Bialik Insti- .tute, Jerusalem, p. 34

١١. .Previous Reference.p, 1- 12

١٢. Nahman Avigad, Depository of The Inscribed Ossuries in The Kidron Valley, 1962. Nahman Avigad, Jewish Rock- Cut Tombs in Jerusalem in The .Judean Hill Country , new York, 1967,p 60

١٣. Byron, R. Mccane. Roll Back The Stone, , Victoria, London, 2005, p,14. Hillel Geva, The New Encyclopedia Of Archaeological Excavations In .The Holy Land, 1993, Voll.II.P. 756

١٤. الهاشمي، رضى جواد. آثار الخليج العربي والجزيرة العربية،مطبعة جامعة بغداد، بغداد، ١٩٨٤، ط١، ص ٣٤٠.

١٥. المرجع السابق، ص،٣٤.

١٦. نجم، رائف يوسف، الحفريات الأثرية في القدس ، دار الفرقان للنشر والتوزيع،عمان، ٢٠٠٩،ص ٩٢.

١٧. كفافي، زيدان وآخرون، القدس عبر العصور، بدون دار نشر، عمان،٢٠٠٨،، ص،٩.

١٨. بيضون، عيسى، دليل المسجد الأقصى المبارك،مركز التخطيط والدراسات، الطبعة الأولى كفر كنا، ١٩٩٣، ص ١٠١.

١٩. المرجع السابق، ص ١٠٠.

٢٠. رزق، يحيى،القدس من المسجد الحرام إلى الأقصى، بيروت، لبنان،٢٠٠٣، ص ١٢.

٢١. Charles Warren, The Land of Promises, ,The High Walls of Jerusalem (New York: Holt, Rienhart and Winston,1983, p. 12 .C.Wilson, and C. Warren. Recovery of Jerusalem, London, 1976, p 53. Charles Warren, .Underground Jerusalem,1976, London , p. 60

٢٢. سفر صموئيل الثاني،٥

٢٣. اليبوسيون أول القبائل الكنعانية التي سكنت وأسست مدينة القدس سنة ٣٠٠٠ سنة قبل الميلاد. العارف، عارف. المفصل في تاريخ القدس، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،٢٠٠٧، ط ٤، ص ٢٧.

٢٤. صنع الله، حسن. المسجد الأقصى، الأحواض الآبار القنوات المائية، مؤسسة الأقصى، أم الفحم مركز الدراسات المعاصرة، ٢٠٠٧، ص ١٢– ٨٠.

٢٥. نجم،رائف يوسف،الحفريات الأثرية في القدس،دار الفرقان للنشر والتوزيع،عمان،الأردن ،٢٠٠٩، ص ١٠٢.

٢٦. المرجع السابق، ص، ١٠٣.

٢٧. Frederick. J. Bliss: Excavation at Jerusalem 1894- 1897, London , Palestine Exploration Fund, p 112., Andrew G. Vauchn And Anne Killebrew, , .Jerusalem, society of biblical literature, 2003, p. 185

٢٨. أوفل: وهو التل الواقع بين صور الأقصى وقرية سلوان من الشرق.

٢٩. William .G. Dever. Recent Archaeological Discoveries And Biblical Re-.searchUniversity of Washington, 1990, p37

٣٠. .Vincent, L. H .Jerusalem sous terre. 1911.London

٣١. J. Garrow Duncan: Digging Up Biblical. History – Recent Archaeology in Palestine and its Bearing on the Old Testament [McMillan New York, .1931,p120

٣٢. محمد، نمر عبد القادر، مدينة القدس تاريخ وحضارة، المؤتمر الدولي لنصرة القدس، ٢٠٠٧، ص، ٢.

٣٣. الإسراء، أية ١

٣٤. البقرة، آية ١٨٢

٣٥. Vincent, L. H .Jerusalem sous terre. 1911.London.p,132.

٣٦. نجم، رائف يوسف، الحفريات الأثرية في القدس ، دار الفرقان للنشر والتوزيع،عمان، الأردن، ٢٠٠٩، ص، ١٠٤

٣٧. محاسنة، محمد حسين وآخرون، تاريخ مدينة القدس. ، دار حنين للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣، ص ٧٥.

٣٨. المرجع السابق، ص.٢٣

٣٩. نجم، رائف يوسف، الحفريات الأثرية في القدس، دار الفرقان للنشر والتوزيع،، عمان، الأردن، ٢٠٠٩، ص.١٠٥

٤٠. نجم، رائف يوسف وأخرون، كنوز القدس، منظمة المدن العربية، الكويت، ١٩٨٣، ص٢١٣.

٤١. نجم، رائف يوسف، الحفريات الأثرية في القدس، دار الفرقان للنشر والتوزيع ،عمان، الاردن،٢٠٠٩ ، ص، ١٠٦

٤٢. المرجع السابق، ص، ١٠٦

٤٣. C. Kenyon. Digging up Jerusalem, L0ndon, Ernest Benn Limited, 1974, p117

٤٤. Previous Reference, p, 117.

٤٥. Previous Reference, p. ,119

٤٦. العلمي، أحمد،المدارس المملوكية في القدس، مركز القدس للأبحاث، القدس ، ١٩٩٩ص ٥٤.

٤٧. نجم، رائف يوسف، الحفريات الأثرية في القدس، دار الفرقان للنشر والتوزيع ،عمان، الأردن ، ٢٠٠٩، ص.١١١

٤٨. Nahman, Avigad. Discovering Jerusalem, London 1984 ,p66.

٤٩. Benyamin Mazar. The Mount of the Lord, New York, Doubleday & co.Inc1975,p.30

٥٠. Previous Reference, pp.32- 33

٥١. Previous Reference, pp.32- 33

٥٢. سورة إبراهيم، أية ٣٧

٥٣. سورة البقرة، آية ١٨٢،

٥٤. Benyamin Mazar. The Mount of the Lord, New York, Doubleday&co. Inc1975,p.34

٥٥. Previous Reference, p.34.

٥٦. Benyamin Mazar. The Excavation in the Old CITY, Jerusalem, The Library of The Albright Institute of Archaeological Research in Jerusalem, 1978, pp.2_43

٥٧. Nahman, Avigad. Jewish Rock- Cut Tombs in Jerusalem in The Judean Hill Country, new York. , 1967,pp.60- 90.

٥٨. نجم، رائف يوسف، الحفريات الأثرية في مدينة القدس ، دار الفرقان للنشر والتوزيع،عمان،٢٠٠٩، ص١٣٦

٥٩. المرجع السابق ، ص١٣٨

٦٠. العلمي، أحمد، الحفريات الإسرائيلية حول الحرم القدسي، ، المطبعة العربية الحديثة، القدس ،١٩٩٥،ص ٥٨

٦١. نجم، رائف يوسف، الحفريات الأثرية في مدينة القدس.، دار الفرقان للنشر والتوزيع،عمان، ٢٠٠٩، ص٢٢٥.

٦٢. العلمي، أحمد. المدارس المملوكية في القدس، مركز القدس للأبحاث، القدس، ١٩٩٩. ص ١١٣.

٦٣. نجم رائف وآخرون، كنوز القدس، مطبوعات منظمة المدن العربية ومؤسسة آل البيت، ١٩٨٣، ص٢١٤.

٦٤. العلمي، أحمد. المدارس المملوكية في القدس، مركز القدس للأبحاث، القدس، ١٩٩٩، ص ١٢٥

٦٥. مجير الدين، القاضي أبو اليمن مجير الدين الحنبلي. الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل. ، عمان، ١٩٧٣ ،ج٢، ص ٣٠

٦٦. نجم، رائف يوسف،الحفريات الاثرية في مدينة القدس، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان،٢٠٠٩، ص ١٤١

٦٧. غوشة، محمد، بوابات القدس، منشورات مؤسسة عبد الحميد شومان، عمان، ١٩٩٢، ص١٤.

٦٨. بيضون، عيسى، دليل المسجد الأقصى المبارك، مركز التخطيط والدراسات ، كفر كنا، ١٩٩٣. ص٩٨.

٦٩. نجم، رائف يوسف، الحفريات الأثرية في مدينة القدس،دار الفرقان للنشر والتوزيع ، عمان، ٢٠٠٩، ص.١٤٢

٧٠. المرجع السابق، ص١٤٢.

٧١. بيضون، عيسى، دليل المسجد الأقصى المبارك، مركز التخطيط والدراسات ، كفر كنا، ١٩٩٣. ص١٠١.

٧٢. نجم، رائف يوسف، الحفريات الأثرية في مدينة القدس، دار الفرقان للنشر والتوزيع ،عمان، ٢٠٠٩، ١٤٣.

٧٣. Mazar ,Benyamin. The Excavation in the Old CITY, 1971, Jerusalem, The Library of The Albright Institute of Archaeological Research in Jerusalem, Israel Exploration Socitey, p.43

٧٤. صحيفة الشرق الأوسط، ١٠\١٠\٢٠٠٩

٧٥. المرجع السابق

٧٦. المرجع السابق

٧٧. Meron, Benvenisti,City of Stone: The Hidden History of Jerusalem. Berkeley and London: University of. California Press, 1996. p274.

٧٨. صحيفة هأرتس،١٩٩٩،تاريخ ٢٨/ ١٠

٧٩. Max Van Berchem, Islamic Jerusalem, Genevea, 1982, pp15- 18.

المصادر والمراجع:

أولاً- المراجع العربية:

١. بيضون، عيسى، دليل المسجد الأقصى المبارك،مركز التخطيط والدراسات، الطبعة الأولى كفر كنا، ١٩٩٣.

٢. عمرو، يونس، القدس مدينة الله، دار الشيماء للنشر والتوزيع، رام الله، الطبعة الثالثة ، ٢٠٠٩ .

٣. كفافي، زيدان وآخرون، القدس عبر العصور، بدون دار نشر، عمان،٢٠٠٨.

٤. عبد الواحد علي، فاضل، من سومر إلى التوراة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، الطبعة الثانية، ١٩٩٦ .

٥. رزق، يحيى ،القدس من المسجد الحرام إلى الأقصى،بدون دار نشر، بيروت، لبنان،٢٠٠٣.

٦. صنع الله، حسن. المسجد الأقصى، الأحواض الآبار القنوات المائية، مؤسسة الأقصى، أم الفحم مركز الدراسات المعاصرة ٢٠٠٧.

٧. نجم،رائف يوسف،الحفريات الأثرية في القدس،دار الفرقان للنشر والتوزيع،عمان،الأردن، ٢٠٠٩

٨. نجم، رائف يوسف وآخرون، كنوز القدس، منظمة المدن العربية، الكويت، ١٩٨٣.

٩. محمد، نمر عبد القادر، مدينة القدس تاريخ وحضارة، المؤتمر الدولي لنصرة القدس، ٢٠٠٧.

١٠. محاسنة، محمد حسين وآخرون، تاريخ مدينة القدس ، دار حنين للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣

١١. الهاشمي، رضا جواد. آثار الخليج العربي والجزيرة العربية،مطبعة جامعة بغداد، بغداد، ١٩٨٤، ط١

١٢. العارف، عارف. المفصل في تاريخ القدس، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،٢٠٠٧، ط ٤

١٣. العلمي، أحمد،المدارس المملوكية في القدس، مركز القدس للأبحاث، القدس ، ١٩٩٩.

١٤. العلمي، أحمد، الحفريات الإسرائيلية حول الحرم القدسي، المطبعة العربية الحديثة، القدس ،١٩٩٥.

١٥. مجير الدين، القاضي أبو اليمن مجير الدين الحنبلي. الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، عمان، ١٩٧٣ .

١٦. غوشة، محمد، بوابات القدس، منشورات مؤسسة عبد الحميد شومان، عمان، ١٩٩٢.

ثانياً- المراجع الأجنبية:

1. *Andrew G. Vauchn And Anne Killebrew, Jerusalem in Bible and Archaeology, The First Temple Period, society of biblical literature,India, 2003.*
2. *Benyamin, Mazar. The Mount of the Lord, New York,Doubleday&Inc, 1975*
3. *Benyamin, Mazar. The Excavation in the Old CITY, Jerusalem, The Library of The Albright Institute of Archaeological Research in Jerusalem, 1978.*
4. *Byron, R. Mccane, Roll Back the Stone, Death and Burail in the world of Jesus, Library of Congress, 2005.*
5. *Charles Warren, The Land of Promises ,The High Walls of Jerusalem (New York: Holt, Rienhart and Winston,1983.*
6. *C. Kenyon, Digging up Jerusalem, London, Ernest Benn Limited, 1974.*
7. *C. Wilson, and C. Warren. Recovery of Jerusalem, New York 1871.*
8. *Charles Warren, Under ground Jerusalem , Books LLC,london, 2009.*
9. *Einburg, Rinret, Jerusalem Life throughout the Age in the Holy Land, Jerusalem, 1997.*
10. *Frederick. J. Bliss , Excavation at Jerusalem 1894- 1897, London*
11. *J. Garrow Duncan, Digging Up Biblical. History – Recent Archaeology in Palestine and its Bearing on the Old Testament [McMillan New York, 1931*
12. *Hillel, Geva, The New Encyclopedia Of Archaeological Excavations In The Holy Land, Voll.II, 1993*
13. *Meron, Benvenisti,City of Stone: The Hidden History of Jerusalem. Berkeley and London: University of. California Press, 1996*

14. *Max Van Berchem, Islamic Jerusalem, Genevea, 1982*
15. *Nahman, Avigad, Ancient Monuments in Kidron Valley, Bialik Institute, Jerusalem. 1965*
16. *Nahman, Avigad, Depository of the Inscribed Ossuries in The Kidron Valley, 1962.*
17. *Nahman, Avigad, Jewish Rock- Cut Tombs in Jerusalem in The Judean Hill Country , new York, 1967*
18. *Nahman, Avigad. Discovering Jerusalem, London 1984.*
19. *Neil Asher, Silberman, Digging for God and Country, exploration archeology and the secret struggle for the Holy Land, 1799- 1917, Virginea, 2008.*
20. *Niebuhr, Carsten. Reisebeschreibung nach Arabien und andern umliegenden Ländern. 1774. English translation as "Travels through Arabia and Other Countries of the East" by R. Heron, London, 1799. Facsimile edition by Garnet Publishing, London, 1994.*
21. *Rachel, Hachlili, jewish Funerany Customs Practices And Rites in The Second temple period Netherlands, Lieden, 2005.*
22. *William, G. Dever. Recent Archaeological Discoveries And Biblical ResearchUniversity of Washington, 1990*
23. *William John Bankes (1786- 1855) Adventures in Egypt and Nubia: The Travels of William John Bankes, British Museum Press; 1St Edition edition (October 1, 2002)*
24. *Vincent, L. H ,Jerusalem sous terre,London, 1911*
25. *The New Encyclopedia of Archaeological Excavations In The Holy Land. Jerusalem, Voll.I, 1993.*
26. *Voyages de Richard Pockocke en Orient, pairs,1772*
27. *The Oxford Encyclopedia of Archeology In The Neat East Chicago, vol. IIV 2008.*

انفصال جنوب السودان
الجذور والتطورات والتداعيات

أ.د. دريد الخطيب*

أ. محمد أمير الشب**

---

* أستاذ العلاقات الدولية في قسم الاقتصاد والعلاقات الدولية/ كلية الاقتصاد/ جامعة حلب.

** طالب دراسات عليا «دكتوراه» علاقات دولية/ قسم الاقتصاد والعلاقات الدولية/ كلية الاقتصاد/ جامعة حلب.

ملخص:

تسببت مشكلة الجنوب بالعديد من الأزمات السياسية والاقتصادية في السودان، فهي كانت وراء التوتر الاجتماعي وانقسام القوى السياسية وتخبط السياستين الداخلية والخارجية للدولة، وهي ما أطاح بالنظام العسكري الأول والثاني، وكذلك بالأنظمة الديمقراطية الثانية والثالثة التي شهدتها البلاد، كما يصف بعض الباحثين مشكلة الجنوب بالمشكلة الإقليمية التي تمتد تبعاتها إلى العالم العربي والقارة الإفريقية على حد سواء.

وتعددت المحاولات لحل أزمة جنوب السودان، واختلفت طرق تعاطي الحكومات السودانية المتعاقبة مع تلك الأزمة، بين الحل العسكري المتمثل باستخدام القوة لإدماج جنوب السودان مع شماله، وبين الحل السياسي الذي يُقر بالفوارق بين الطرفين ويمنح الجنوب حكماً ذاتياً.

وكان اتفاق نيفاشا عام ٢٠٠٥ أبرز تلك المحاولات، فهو الذي أوقف الحرب، ووضع أسساً لتقاسم السلطة والثروة، ومنح أهل الجنوب الحق بعد ست سنوات بالتصويت على مصير الجنوب بالانفصال أو بالوحدة مع الشمال، وقد اختار أهل الجنوب الانفصال، ولكنَّ الأمر لن يتوقف عند هذا الحد، لأنَّ لهذا الانفصال تداعياته على كلا الطرفين.

Abstract:

The problem of the south was the reason for many of the political and economic crises in Sudan, and it was behind the social tension and the division of the political forces, and the floundering of the domestic and foreign policy in the state. In addition, this problem caused the fall of the first and second military regime, as well as the second and third democratic regimes that the country had witnessed.

Some of researchers describe the problem of the south as a regional problem whose consequences extend to the all of the Arab world and African continent as well.

Furthermore, there were many attempts to resolve the crisis in southern Sudan, and the successive Sudanese governments used different methods to deal with this crisis, such as the solution of using military forces to integrate the north with southern Sudan and the political solution that recognizes the differences between the two parties and grants autonomy to the south.

The Naivasha agreement in 2005 was the best of those attempts because it was the one which stopped the war and laid the groundwork for the sharing of power and wealth and gave the people of the south the right after six years to vote over the fate of the South for the separation or unity with the north, and the people of the south have chosen the separation. Yet things will not stop at this poin because this separation will have many implications for the two parties.

مقدمة:

يمكن إرجاع مشكلة الجنوب إلى عوامل عدة منها التاريخية المتعلقة بالسياسة البريطانية إبان الاحتلال، ومنها فشل مشروع الدولة السودانية الجامعة، إذ فشلت سياسات الحكومات المتعاقبة في إحداث تنمية حقيقية في الجنوب، إضافة للعامل الاقتصادي المتمثل في حقول النفط المكتشفة، فضلاً عن العوامل الدينية والاختلاف العرقي. فقد استمرت مشكلة جنوب السودان المحرك الرئيس لتغيير الأنظمة الحاكمة في البلاد، إذ شهدت السودان سلسلة من الانقلابات العسكرية أوصلت أنظمة عسكرية للحكم، كما شهدت بعض الفترات وصول أنظمة ديمقراطية برلمانية، حتى وصلت فترات الحكم التي مرت على السودان بعد حصوله على استقلاله إلى ست فترات، اختلف كل منها في طريقة التعاطي مع مسألة جنوب السودان ما بين الحل العسكري أو الحل السياسي.

وتحوَّل الجنوب إلى بوابة للتدخل الخارجي في شؤون السودان، وتنوعت الأدوار على الساحة السياسية الداخلية بين الإقليمية والدولية، وكان دور الولايات المتحدة الأمريكية هو الأبرز دولياً، حتى وُصف بأنه عراب اتفاق نيفاشا عام ٢٠٠٥، وهو الاتفاق الذي رسم خارطة طريق للعلاقة بين الشمال والجنوب، وتضمن مرحلة انتقالية مدتها ست سنوات، يُصوِّتُ بعدها جنوب السودان من خلال استفتاء شعبي على تأسيس دولة مستقلة، أو على البقاء في الوحدة مع الشمال، وقد اختار الجنوب بأغلبية كبيرة خيار الانفصال، ليؤسس دولة طالما نادى بها الجنوبيون.

أهمية البحث وأهدافه:

تنبع أهمية هذا البحث من أهمية انفصال جنوب السودان، ومدى تأثير ذلك على السودان بشكل خاص والأمة العربية بشكل عام، وذلك لما تحويه هذه الأمة من تناقضات قد تحذو حذو الجنوب بالمناداة بالانفصال وتأسيس دولة مستقلة. أما أهدافه فهي تتلخص في البحث في الأحداث الماضية التي أثرت في الانفصال، وذلك من أجل تحديد الأسباب الحقيقية التي أدت إليه، فضلاً عن الوصول إلى توصيات مناسبة تتعلق بكيفية التعامل مع هذا الحدث المهم.

مشكلة البحث:

تتحدد مشكلة البحث في أنه، على الرغم من تعدد محاولات حل الأزمة بين شمال السودان وجنوبه، وعلى الرغم من تعدد المبادرات الساعية لحلها، سواءً أكانت من داخل السودان وبمبادرة من حكوماتها المتعاقبة، أم من دول الجوار الإقليمي، أم من دول عظمى مثل الولايات المتحدة الأمريكية، أم حتى من منظمات دولية كالأمم المتحدة، فإن الأزمة بقيت موجودة بين الطرفين. حتى بعد قرار أهل الجنوب بالانفصال، تبقى الأبواب مشرعة على احتمال عودة الحرب بين شمال السودان وجنوبه، وبالتالي قد لا يكون الانفصال هو الحل. **ومن هذا المنطلق فإنَّ هذا البحث سيحاول الإجابة عن الأسئلة الآتية:**

١. ما الأسباب التي أدت إلى هذا الصراع عبر تاريخ السودان.

٢. هل سيؤدي قرار أهل الجنوب بالانفصال بعد الاستفتاء الذي جرى منذ أشهر إلى تشكيل دولة مستقرة من شأنها تحقيق الأمن والتوازن بين شطري السودان.

٣. هل مارست القوى الخارجية على اختلافها دوراً في الدفع إلى الانفصال.

فروض البحث:

يستند البحث إلى فرضيتين:

- إنَّ الاختلاف في اللغة والدين والثقافة والعرق بين شطري السودان أدى بمفرده إلى هذا الصراع، أو أنَّ أطرافاً خارجية سيَّست الدين، وعظَّمت الخلافات، ودفعت باتجاه الانفصال.

- إنَّ انفصال جنوب السودان عن الشمال وتأسيسه لدولة مستقلة، إما أن يؤدي إلى تحقيق الاستقرار والأمن وإنهاء الأزمة بين الطرفين، أو أن يؤدي إلى زعزعة الشمال اقتصادياً، وإيجاد دولة ضعيفة في الجنوب الأمر الذي سيمهد لفصول جديدة من الصراع.

منهجية البحث:

يستخدم هذا البحث منهجين اثنين، هما:

♦ **المنهج التاريخي:** وذلك للبحث في الأحداث المتعلقة بتاريخ الأزمة في جنوب السودان، ومعرفة الأسباب التي أدت إلى هذا النزاع بين الشمال والجنوب، والحكم على الظروف التي أحاطت بتلك المرحلة.

♦ **المنهج الوصفي التحليلي**: من أجل تحليل الأحداث والتطورات التي مرَّ بها جنوب السودان وصولاً إلى الانفصال، وتفسيرها تفسيراً ملائماً.

تقسيمات البحث:

اشتمل البحث على ستة أقسام وُزعّت على النحو الآتي:

- أولاً: تمهيد.
- ثانياً: التطور التاريخي للأزمة بين شمال السودان وجنوبه.
- ثالثاً: اتفاقية السلام الشاملة «اتفاق نيفاشا».
- رابعاً: التطورات التي تلت اتفاقية نيفاشا « السنوات الست الانتقالية».
- خامساً: دور العامل الخارجي في أزمة جنوب السودان.
- سادساً: الاستفتاء على الانفصال وتداعياته.

أولاً- تمهيد:

يقع السودان في مساحة شاسعة، ويتشارك حدودياً مع تسع دول مجاورة، ومعظم هذه الدول يوجد معها تداخل في القبائل السودانية التي تزيد عن خمسمائة قبيلة [١] . ويقدر بعض الباحثين أنَّ مساحة السودان ككل تعادل مرتين ونصف مساحة مصر[٢] ، إذ تصل مساحته إلى «٢,٥» مليون كم٢، وهو بالتالي أكبر البلدان العربية وحتى الإفريقية[٣] .

وقد أُطلق على السودان اسم «إفريقيا المصغرة»، وذلك لأنَّ الإنسان في السودان هو اختزالٌ لإنسان إفريقيا، إذ تتنوع فيه الأجناس واللغات والأديان والتقاليد، ونتيجة لمرور نهر النيل عبر أراضيه فهو يُشكل عامل جذب للمهاجرين الأمر الذي أدى إلى زيادة تنوعه، إذ توجد فيه نحو «٥٦» جماعة عرقية تنقسم إلى «٥٩٧» جماعة عرقية فرعية، كما توجد فيه حوالي فيه «١١٥» لغة ولهجة. ونتيجة لهذا التنوع، تتعدد الروابط الاجتماعية بين السكان، ولكنَّ الرابطة الأقوى هي رابطة العروبة، لأنها رابطة ثقافية وحضارية غير عنصرية، وهي لا تتناقض مع الأفرقة، لذلك يُعرف السودان بالاندماج العربي الإفريقي [٤] .

أما جنوب السودان فتصل مساحته إلى حوالي «٧٠٠» ألف كم٢، أي ما يعادل ٢٨٪ من المساحة الكلية للبلاد، وهو يتشارك حدودياً مع خمس دول هي إثيوبيا وكينيا وأوغندا والكونغو وإفريقيا الوسطى، ويفصل الجنوب عن الشمال شريط حدودي يصل طوله إلى حوالي ألفي كم [٥] .

وتتخذ الصراعات في جنوب السودان طابعاً قبلياً، وذلك بسبب غياب التنمية عن أغلب مدن الجنوب مثل مدينة جونقلي، حيث يكون أغلب النشاط الاقتصادي فيها هو للرعي، الأمر الذي يدفع باتجاه كثير من المشكلات نتيجة لتعرض قطعان المواشي للسرقة، أو لمشكلات الحصول على المرعى أو المياه، ومع هذه المشكلات الصغيرة تبدأ مشكلات أكبر وأكثر تعقيداً، قد تصل إلى حد النزاعات المسلحة، وقد يتدخل فيها بعض الأطراف الخارجية(٦). وبما أنَّ الانتماء في الجنوب هو للقبيلة فإنها تُعد منطقة زاخرة بالسلاح(٧).

ثانياً- التطور التاريخي للأزمة بين شمال السودان وجنوبه:

مرت الأزمة بين الشمال والجنوب بمراحل مختلفة بدأت منذ الحكم المصري للسودان في زمن الخديوي اسماعيل، واستمرت في أثناء الحكم الثنائي «المصري- البريطاني»، وتعاظمت في مرحلة الاستقلال نظراً لما تضمنته هذه المرحلة من تقلبات.

١- فترة الحكم المصري للسودان:

لا بدَّ بداية من التذكير بأنَّ وجود العنصر الزنجي في جنوب السودان قد سمح بانتشار ظاهرة الرق والتجارة القائمة على هذه الظاهرة، عندما كان أهل الشمال يقومون باسترقاق أهل الجنوب وجعلهم عبيداً لهم (٨) .

حرصت مصر في زمن «محمد علي» على تحقيق أمنها المائي عن طريق تأمين منابع نهر النيل، بالإضافة لتوسيع زراعتها وفتح أسواق تجارية جديدة تقوي من اقتصادها، فأرسلت أولى الحملات العسكرية باتجاه السودان تحديداً في عام ١٨٣٩، واستمر الوجود المصري في السودان إلى عصر الخديوي اسماعيل، إذ سُميت تلك الفترة بعصر الإمبراطورية المصرية (٩) .

ولقد قام الخديوي اسماعيل بتكليف البريطاني «صموئيل بيكر» بحملة عسكرية على الجنوب نتيجة لتدهور الأوضاع الأمنية فيها، وقد كانت هذه الحملة بداية زرع الكراهية هناك. إذ عمل بيكر على اضطهاد السكان المحليين للجنوب وذلك تأييداً لأهداف بريطانيا التي كانت تسعى لتحقيق مصالحها الخاصة المتمثلة بالسيطرة على منابع النيل وذلك للضغط على مصر وإحكام اليد عليها بعد ذلك (١٠) . والحقيقة أنَّ الخديوي اسماعيل سكت عن تصرفات «بيكر» لأنه كان يريد تأييداً بريطانياً لاستقلال مصر عن الدولة العثمانية، وعلى الرغم من ذلك فقد حاول الخديوي تغيير سلوك «بيكر»، ولكن دونما جدوى، فكلف «جوردن» بدلاً من «بيكر»، ولكنَّ «جوردن» استمر باتباع سياسة سلفه نفسها ضد الجنوب إرضاءً لرغبات بريطانيا، المتمثلة في السيطرة على مصر، والسعي نحو تكريس انفصال

الجنوب عن الشمال في السودان، من أجل ضم الجنوب إلى باقي مستعمراتها في وسط إفريقيا، إذ كانت بريطانيا تحلم ببناء إمبراطورية إفريقية تتألف من كينيا وأوغندا وجنوب السودان (١١).

٢ـ مرحلة الحكم الثنائي «المصري -البريطاني»:

بعد احتلال بريطانيا لمصر عام ١٨٨٢ انتقل السودان إلى مرحلة من الحكم الثنائي «المصري- البريطاني» والتي امتدت منذ العام ١٨٩٩ حتى عام ١٩٢٤، وخلال هذه الفترة كانت رغبات بريطانيا هي السائدة في السودان، إذ عمدت بريطانيا إلى عزل الجنوب كلياً عن الشمال، وبدأت بإرسال البعثات التبشيرية إلى الجنوب بحجة رفع مستوى السكان التعليمي والثقافي، كما قامت أيضاً بتيسير دخول التجار اليونانيين إلى جنوب السودان، وكذلك أهل الشام من ذوي الأصول المسيحية، كما أصدرت السلطات البريطانية عام ١٩١٨ قانوناً يقضي بجعل العطلة الرسمية في الجنوب يوم الأحد واعتماد اللغة الإنكليزية كلغة رسمية بدلاً من اللغة العربية، كما قامت بإنشاء خط فاصل بين الشمال والجنوب امتد على طول نهر العرب، وطلبت من زعماء القبائل الجنوبية التخلي عن الأسماء العربية، وكذلك التخلي عن الملابس التقليدية ومنعت بيعها في الأسواق، وقدمت مكافأة للطلاب المتميزين تتمثل بالدراسة في المدارس التبشيرية العليا المنتشرة في أوغندا، ومنعت الدخول إلى الجنوب إلا بإذن رسمي من السلطات البريطانية (١٢).

أدت هذه الممارسات إلى إحداث شرخ حقيقي بين شمال السودان وجنوبه، ووصلت بريطانيا إلى ما أرادته من وراء سياستها التي استمرت عشرات السنيين، وترسخت هذه الممارسات في المجتمع الجنوبي، وبدأت تظهر بوادر الاختلاف بين شطري السودان، هذا الوضع أدى إلى عقد لقاء أو مؤتمر بين الشمال والجنوب كان الأول من نوعه، وقد جرى هذا اللقاء في مدينة «جوبا» الجنوبية في عام ١٩٤٧، وبعد أن تبادل الطرفان وجهات النظر، طلب الجنوبيون من الشماليين بعض الضمانات التي رأوا أنها ضرورية لردم الهوة بين الطرفين ومحاولة لتطويق الاختلاف بينهما، **وهذه الضمانات هي** (١٣):

- احترام الثقافة الجنوبية وتشجيعها.
- المصالحة والمساواة بين المواطنين في شطري السودان.
- المساواة العرقية بين الشطرين، لتلافي سنين طويلة من تجارة الرقيق مارسها أهل الشمال بحق أهل الجنوب.
- دفع التنمية الاقتصادية والتعليمية في الجنوب.
- إشراك أهل الجنوب في إدارة السودان كله، مع حكم ذاتي للجنوب.

وهذه الضمانات كانت في حقيقة الأمر كفيلة فيما لو وضعت حيز التنفيذ، أن تصل بالسودان إلى تطويق الصراع في بدايته، ولكنها أُهملت ولم تُنفذ.

٣ـ مرحلة ما بعد الاستقلال:

حصل السودان على استقلاله في مطلع عام ١٩٥٦، وقد قسّم الباحثون هذه المرحلة إلى ست مراحل بحسب القيادات التي توالت على الحكم، **وهذه المراحل هي**:

أ. مرحلة الحكم الذاتي الأول «١٩٥٤ـ ١٩٥٨»: ومن أبرز أخطاء هذه المرحلة أنها قامت مثلاً، وفي إطار ما يعرف بـ سياسة «السودنة» في ظل حكم اسماعيل الأزهري وتحديداً في عام ١٩٥٥، بنقل بعض فرق الجيش الجنوبية إلى الشمال الأمر الذي أدى إلى تمردهم، كما أدى أيضاً إلى تفجير ثورة في الجنوب مناصرة لحقوقهم، بالإضافة لإهمالها تنمية الجنوب اقتصادياً، واستيلائها على المدارس التبشيرية وحصر وظائف الدولة في الجنوب بأهل الشمال فقط [١٤].

ب. مرحلة الحكم العسكري الأول «١٩٥٨ـ ١٩٦٤»: قاد الحكم في هذه المرحلة إبراهيم عبود الذي اعتمد سياسة الدمج والتذويب بين الشمال والجنوب، وذلك عبر الأسلمة والتعريب، فقد قام بإنشاء المعاهد الإسلامية ومدارس تعليم القرآن الكريم، واستبدل بالأحد الجمعة وجعله يوم عطلة رسمي، وحظر التبشير المسيحي في الجنوب وطرد المبشرين، كما اتخذ الحل العسكري منهجاً لحل قضية الجنوب، وسعى إلى إدماجه بالقوة مع الشمال، ولكنَّ هذه السياسة أدت إلى عدة أمور أبرزها تدويل قضية الجنوب تحت ضغط الفاتيكان وبعض الدول الغربية، كما أدت إلى هروب آلاف السودانيين الجنوبيين من القمع، إذ شكلوا حركات تحرر ومنظمات هدفت جميعها للمطالبة بفصل الجنوب عن الشمال، وبدأ قادة الثورة الجنوبية يتخذون من بعض دول الجوار الإفريقي مقراً لهم، واندلع تمرد في الجنوب نتيجة لهذه السياسة في نهاية هذه المرحلة عام [١٥] ١٩٦٣.

ت. ثورة أكتوبر الشعبية «١٩٦٤ـ ١٩٦٩»: هذه الفترة كانت فترة رئاسة سر الختم الخليفة، الذي أدرك أنَّ جنوب السودان هو أحد الأسباب التي أدت إلى سقوط رئاسة إبراهيم عبود، لذلك اتصل بقادة تمرد عام ١٩٦٣ وعقد معهم مؤتمراً للحوار الوطني، ضمَّ إلى جانبهم دولاً إفريقية كثيرة، أبرزها مصر والجزائر ونيجريا، ونتج عنه تبني النظام الإقليمي في الحكم، بالإضافة إلى وجود مجلس تشريعي وحاكم للجنوب، وهذا ما يُعدُّ تقدماً كبيراً، ولكنه فشل في تطبيق ما تمَّ التوصل إليه في الحوار وفشل أيضاً في بعض المسائل التفصيلية المتعلقة بأمور تنمية الجنوب وخدمة أقاليمه المختلفة، وانتهى هذا كله بحدوث انقلاب عسكري عام ١٩٦٩ متأثراً إلى درجة كبيرة بثورة تموز/ يوليو في مصر[١٦].

ث. الحكم العسكري الثاني «١٩٦٩- ١٩٨٥»: عُرف هذا الانقلاب بانقلاب النميري، وقد قام النميري في عام ١٩٦٩ بإصدار إعلان تمَّ فيه القبول الصريح بالفوارق والاختلافات الثقافية والتاريخية بين الشمال والجنوب، وهذا ما لقي ترحيباً من قبل الجنوبيين، وبخاصة حركة «أنيانيا» (١٧) وقائدها جوزيف لاقو، هذا التلاقي في الأفكار بين الشمال والجنوب أثمر عن عقد مؤتمر في أديس أبابا عام ١٩٧٢، والذي أعطى بموجبه للجنوبيين حكماً ذاتياً موسعاً وضمَّ قادة التمرد أو حركة أنيانيا في الجيش السوداني، وضُمِّن ذلك صراحة في الدستور (١٨).

ج. انتفاضة نيسان/ أبريل الديمقراطية «١٩٨٥- ١٩٨٩»: استمر الوضع هادئاً ما يقارب عشر سنوات حتى عام ١٩٨٥، ثمَّ عاد إلى التفجر من جديد نتيجة لانقسامات داخل القادة الجنوبيين ونتيجة أيضاً لإعلان حكومة الشمال تطبيقها لمبادئ الشريعة الإسلامية على الجنوب من جديد، مما دفع بالحرب الأهلية إلى الواجهة مرة أخرى، وظهرت الحركة الشعبية لتحرير السودان بزعامة جون قرنق وتمكنت من السيطرة على حوالي ٨٠٪ من جنوب السودان (١٩) ، وبعد تولي الصادق المهدي قيادة البلاد وهو زعيم حزب الأمة، إثر فوزه بانتخابات عام ١٩٨٥، قام بعقد عدة لقاءات بينه وبين قرنق ولكنهما لم يتوصلا إلى اتفاق لحل المشكلات المستمرة بين الشمال والجنوب، ولكن وفي الوقت ذاته خلا الجنوب من أية تمردات أو حروب، ثمَّ بدأت الانقلابات بالتوالي على نظام المهدي ونجح أحدها في عام ١٩٨٩، وعُرف بنظام الإنقاذ الذي مازال مستمراً (٢٠).

نظام الإنقاذ «١٩٨٩»: اعتمد نظام الإنقاذ الحل السلمي أو السياسي لحسم النزاع مع الجنوب، وسعى إلى وساطة دولٍ مجاورةٍ مثل إثيوبيا، حيث أقر نظام الإنقاذ في عام ١٩٩١ النظام الفيدرالي بجنوب السودان واستمر المد والجزر في العلاقات بين الشمال والجنوب، حتى جاء اتفاق مشاكوس في ٢٠/ تموز_ يوليو/ ٢٠٠٢، والذي كانت أهم مقرراته الاعتراف بحق تقرير المصير للجنوب بعد فترة انتقالية مدتها ست سنوات وذلك عبر استفتاء شعبي، وهو الذي مهد الطريق إلى اتفاق نهائي وُقِّع بين الشمال والحركة الشعبية لتحرير السودان بزعامة قرنق، سُمي هذا الاتفاق باتفاقية السلام الشاملة وذلك في ٩/ يناير/ ٢٠٠٥ في العاصمة الكينية نيروبي وعُرف فيما بعد باتفاق نيفاشا (٢١).

ثالثاً- اتفاقية السلام الشاملة «اتفاق نيفاشا»:

ضُمِّن هذا الاتفاق في الدستور السوداني وعُرف بالدستور الانتقالي المؤقت لعام ٢٠٠٥، ومهد هذا الاتفاق الطريق لكيانين في السودان «إسلامي في الشمال وعلماني في الجنوب» مع الاحتفاظ بحق تقرير المصير بعد ست سنوات، بمعنى آخر أدق إنَّ الاتفاق هو

الصيغة النهائية المطروحة أمام الجنوبيين إذا أرادوا البقاء في الوحدة، وهو أيضاً يمهد الطريق لهم لإنشاء دولتهم إذا أرادوا الانفصال، وقد أصبح هذا الاتفاق بمثابة الدستور الشامل للبلاد في هذه السنوات الست الانتقالية، وأبرز ما تضمنه الاتفاق هو أمران، الأول يتعلق بتقاسم السلطة والثاني متعلق بتقاسم الثروة وخاصة النفط، كما تضمن الإجراءات التمهيدية لإجراء الاستفتاء والانتخابات [٢٢] .

أ. اتفاق تقاسم السلطة:

قسّم اتفاق نيفاشا البرلمان السوداني بنسبة ٥٢٪ لحزب المؤتمر الوطني الحاكم، و٢٨٪ للحركة الشعبية لتحرير السودان، أي حاز الاثنان أو طرفا الاتفاق على نسبة ٨٠٪، من المقاعد البرلمانية وهي النسبة اللازمة لتمرير أي تشريع أو أي تعديل دستوري يراه الطرفان ضرورياً. كما أعطى الاتفاق أيضاً نسبة ٧٠٪ للحركة الشعبية لتحرير السودان في المجلس التشريعي الخاص بجنوب السودان، وهذه النسبة أيضاً هي النسبة اللازمة لتمرير أي تشريع في برلمان الجنوب، أي أنَّ مفاصل القرار في البلاد هو بيد شريكي الاتفاق المؤتمر الوطني والحركة الشعبية، ولكن هنالك من يرى أنَّ الاتفاق جاء قسمة ضيزى بحق أهل الشمال لأنه أعطى الجنوبيين حقاً كاملاً بحكم إقليمهم وأشركهم بنسبة الثلث في حكم الشمال [٢٣] .

ب. اتفاق تقاسم الثروة:

وضح اتفاق تقاسم الثروة كيفية اقتسام عائدات تصدير البلاد للنفط، هذا التصدير الذي بدأت الشحنة الأولى منه في عام ١٩٩٩، وكانت وجهتها الصين [٢٤] ، ثمَّ أصبحت الصادرات النفطية تمثل حوالي ٧٠٪ من إجمالي الصادرات السودانية، مع العلم أنَّ الاحتياطي النفطي السوداني يُقدر بأكثر من ملياري برميل وتقع حقول النفط الأساسية في وسط البلاد وجنوبها. وبحسب اتفاق نيفاشا فإنَّ حصة الولاية المنتجة للنفط هي فقط ٢٪، ثمَّ تُقسم العوائد الباقية أي ٩٨٪ مناصفة بحيث تحصل الحكومة المركزية على نسبة ٤٩٪ وحكومة الجنوب على ٤٩٪ «مع العلم أنَّ ثلثي النفط المستخرج يأتي من ولايات الجنوب»[٢٥] .

ت. قانون الاستفتاء:

تمَّ الاتفاق بين حزب المؤتمر الوطني والحركة الشعبية لتحرير السودان على ألا تقل نسبة المشاركين في الاستفتاء عن ٦٠٪ من المسجلين على اللوائح، أي الذين يحق لهم التصويت، ثمَّ أن تكون نسبة ٥١٪ كافية لاعتبار ما يصوت عليه الجنوبيون قانونياً ونافذاً سواءً أكان بالانفصال أم بالوحدة، «أي بقاء نظام الحكم الذي أرسته اتفاقية السلام الشامل» [٢٦] . وقد

وُضع قانون للاستفتاء من أجل هذا الغرض، تضمن «٦٩» مادة توزعت على سبعة فصول، تضمنت أحكاماً عامة لكيفية إجراء الاستفتاء والمفوضية المشرفة عليه، إضافة إلى شرح عمليات الاقتراع وتنظيمها، مع تركيزها على توفير البيئة الملائمة للاقتراع وكفالة حرية التعبير عن الرأي دونما أية ضغوطات. ولكن أهم ما في القانون أنه في حال تمَّ التصويت لصالح الانفصال، فإنَّ الطرفين سيدخلان في مفاوضات تتناول بعض الأمور المعقدة التي أُجِّلت في اتفاقية نيفاشا، وسُميت بالقضايا العشر الخلافية[٢٧] ، وهي الجنسية والعملة والخدمات العامة ووضع وحدات الأمن والمخابرات المشتركة، بالإضافة للاتفاقيات والمعاهدات والأصول والديون، فضلاً عن حقول النفط وإنتاجه والمياه والملكية ووضع ولايتي جنوب كردفان والنيل الأزرق ومنطقة أبيي [٢٨] .

ث. الانتخابات العامة التي تسبق الاستفتاء:

تأتي هذه الانتخابات طبقاً لما قررته اتفاقية نيفاشا، وهي انتخابات عامة لكل مستويات الحكم وتحت رقابة دولية، والهدف من هذه الانتخابات هو الوصول إلى طبقات حكم منتخبة تقود البلاد إلى الاستفتاء الذي يشكل الحدث الأبرز. وستشمل هذه الانتخابات، انتخاب رئيس للجمهورية ورئيس لحكومة الجنوب ورئيس لكل الولايات السودانية البالغ عددها «٢٥» ولاية، كما ستشمل انتخاب أعضاء البرلمان الوطني ومجلس الجنوب التشريعي ومجلس الولاية التشريعي.

وقد قامت الحكومة السودانية بإنشاء «٢١٠٠٠» مركز اقتراع منها «١٤٠٠٠» في الشمال و «٧٠٠٠» في الجنوب، وصنعت «١٣٩٠٠٠» صندوق اقتراع، كما قامت بطباعة «٢٠٨» مليون بطاقة اقتراع، وبلغت التكلفة الأولية المقدرة لها حوالي ٣١٢ مليون دولار ساهمت بعض الهيئات الدولية في تمويل ٤٣٪ منها مثل الأمم المتحدة والاتحاد الأوروبي بالإضافة لمساهمة بعض الدول الكبرى مثل الولايات المتحدة الأمريكية، وقد وصفت هذه الانتخابات بأنها الأكثر تعقيداً على صعيد العالم كله [٢٩] ، وقد جرت هذه الانتخابات في الأسبوع الثاني من شهر نيسان/ أبريل ٢٠١٠.

ج. تقويم اتفاقية نيفاشا:

نجحت اتفاقية نيفاشا في حقيقة الأمر في وقف إطلاق النار وتحقيق السلام في السودان، ولكنها وبحسب التوقعات التي سبقت الاستفتاء لم يكن منتظراً منها أن تحقق الوحدة، وذلك لأنَّ الوحدة غير ممكنة التحقق بالمعادلة الاقتصادية والسياسية التي حملتها اتفاقية نيفاشا فحسب، بل بالاندماج الثقافي والاجتماعي بين شعبي الشمال والجنوب، كما أهملت الاتفاقية مسألة مهمة جداً لابُدَّ من أن تعالجها أي اتفاقية سلام

ناجحة، وهي تضمينها لمبادئ وآليات للتعامل مع جميع المظالم التي حدثت في الماضي، حتى لا ينعكس ذلك سلباً على الوفاق والاستقرار [٣٠].

رابعاً: التطورات التي تلت اتفاقية نيفاشا «السنوات الست الانتقالية»:

اتفق الطرفان بموجب اتفاقية السلام الشامل على العمل لأن تكون الوحدة جاذبة بين شمال السودان وجنوبه، ولكن هذا ما لم تلتزم به الحركة الشعبية، إذ قامت بإطلاق يد مناصري الانفصال من أهل الجنوب وإعطائهم الدعم اللازم، مقابل تقييد عمل مناصري الوحدة منهم. كما قامت الحركة الشعبية بتدريب المزيد من أفراد الشعب وتسليحهم وضمهم إلى صفوف الحركة، وبدأت ببناء أسطول بحري وتجهيز سلاح الجو بالطائرات والمطارات اللازمة، كما أكملت سيطرتها الاقتصادية والأمنية على الجنوب وترافق ذلك كله بانسحاب القوات الحكومية من الجنوب تنفيذاً لاتفاق نيفاشا [٣١].

كما شهدت السنوات التالية للاتفاق ضعفاً في عمليات إعادة الإعمار وتباطؤاً في أداء الحكومة تجاه تنمية الجنوب ودعمه بالمشاريع الاقتصادية والخدمية التي تمَّ الاتفاق عليها، مما أدى إلى عودة محدودة للنازحين الجنوبيين وأضعف الحماس لدى المواطن الجنوبي بشكل عام تجاه الوحدة.

بالإضافة للإحباط الكبير الذي سببته وفاة نائب رئيس السودان ورئيس الحركة الشعبية وحكومة الجنوب «جون قرنق» في ٣٠/ تموز/ ٢٠٠٥، وذلك عندما كان عائداً بالطائرة من أوغندا، وقد قدر بعض المحللين أنَّ هذا الحادث ربما يدفع باتجاه الانفصال خاصة مع عدم وجود ثقة بين الشمال والجنوب أو اهتزازها، وقد انعكس هذا في خطاب النخب الجنوبية بما فيها الطبقة السياسية [٣٢].

وقد بدا ذلك واضحاً في كلمة ألقاها الرئيس التالي للحركة الشعبية وحكومة الجنوب «سلفا كير» [٣٣] في أكتوبر من العام ٢٠٠٩، وذلك في كنسية القديسة تيريزا في مدينة جوبا حيث قال: «إنَّ مهمتي تقتضي قيادتكم إلى استفتاء عام ٢٠١١، وهذا اليوم قريب جداً وإني على ثقة بأننا سنشارك فيه، ولديكم الفرصة للاختيار بين أن تكونوا أحراراً في وطنكم أو أن تكونوا مواطنين درجة ثانية في بلد موحد» [٣٤].

خامساً- دور العامل الخارجي في أزمة جنوب السودان:

شكل جنوب السودان عبر التاريخ ساحة للتدخلات الخارجية سواء أكانت لدول إقليمية مجاورة أم لدول غربية بعيدة جغرافياً عن السودان، وارتبطت القوى الجنوبية غالباً بقوى خارجية لتدعيم موقفها، الأمر الذي جعل الجنوب بوابة لنزيف السودان عبر التاريخ ومدخلاً للتدخل في شؤونه الداخلية.

ويلحظ الدور الأبرز لكل من الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل، إذ يشكل الجنوب بالنسبة لهما محط قدم في إفريقيا، بالإضافة لاستثمار الموارد الطبيعية الموجودة فيها مثل النفط والمعادن (٣٥).

أما الاهتمام الأمريكي بجنوب السودان فقد بدأ يتزايد تحت تأثير ثلاثة عوامل، أولها هو نجاح الحكومة السودانية باستخراج النفط واستثماره في أواخر تسعينيات القرن الماضي، حيث بدأت الشركات الأمريكية تضغط على حكومتها وبدأت الحكومة بدورها بالضغط على شمال السودان من أجل التوصل إلى اتفاق سلام مع الجنوب تكون الولايات المتحدة هي الراعي الأساسي له. وتعتقد الولايات المتحدة أنه بحلول عام ٢٠١٥، فإنها ستحصل على ربع وارداتها البترولية من إفريقيا بدلاً من منطقة الشرق الأوسط (٣٦).

أما العامل الثاني فهو أنَّ الولايات المتحدة تريد أن تكون السودان نقطة ارتكاز محورية لقواتها في شرق إفريقيا والصحراء الكبرى، ويبقى العامل الثالث الذي يتحدد في الضغط الذي مارسته المنظمات الأمريكية ذات الأصول الإفريقية والتي حاولت إضفاء الطابع الديني على النزاع بين شمال السودان وجنوبه.

وتبقى السياسة الأمريكية تجاه ملف جنوب السودان جزءاً لا يتجزأ من السياسة تجاه العالم العربي أو الشرق الأوسط، وهي إعادة صياغة هذه المنطقة طبقاً لمصالحها، وقد نجحت الولايات المتحدة في أن تكون الراعي لاتفاقي مشاكوس عام ٢٠٠٢ ونيفاشا عام ٢٠٠٥ (٣٧).

أما إسرائيل فقد تدخلت في أزمة جنوب السودان بشكل مباشر، عن طريق إقامة مراكز تدريبية لمقاتلي الحركات الجنوبية الانفصالية، في أراضي الدول المجاورة مثل تشاد وإثيوبيا وكينيا وأوغندا والكونغو الديمقراطية، وذلك من أجل تطبيق استراتيجيتها تجاه الدول العربية وهي «شد الأطراف ومن ثمَّ بترها»، أي وبمعنى آخر التفتيت إلى دويلات متناحرة، وهنا تتلاقى الاستراتيجية الإسرائيلية والأمريكية. كما تريد إسرائيل أن يكون لها وجود على منابع نهر النيل من أجل الضغط على مصر أيضاً، وقد سهلت الدول الإفريقية المجاورة لجنوب السودان هذا الوجود الإسرائيلي خوفاً من انتشار الأصولية الإسلامية في الشمال باتجاه الجنوب ثمَّ باتجاهها هي (٣٨).

كما يمكن رصد بُعد المصالح لبعض الدول الإفريقية المجاورة مثل كينيا التي تدخلت في الجنوب ودعمت القوى التي تريد الانفصال من أجل بعض المصالح الخاصة، فهي لا تريد أن يطالب السودانيون بمثلث إيلمى الاستراتيجي الذي يُعدُّ منطقة غنية بالمعادن وتبلغ مساحته حوالي «٣٤٥٨» كم٢، والذي قامت بريطانيا بضمه لكينيا إدارياً أثناء فترة احتلالها للسودان، لذلك دعمت كينيا القوى الانفصالية التي لا تطالب بهذه المنطقة (٣٩).

سادساً- الاستفتاء على الانفصال وتداعياته:

جرى الاستفتاء على مصير جنوب السودان بتاريخ ٩/ ١/ ٢٠١١ وامتد لغاية ١٥/ ١/ ٢٠١١ [٤٠]، إذ بلغ عدد المسجلين على اللوائح الخاصة بأصحاب الحق بالتصويت «٣٩٤٧٦٧٦»، وبلغت نسبة المصوتين منهم حوالي ٩٧,٥٪ وهي نسبة تصويت مرتفعة جداً، حيث صوت ما يقارب ٩٨,٨٣٪ للانفصال فيما اختار ١,١٧٪ قرار الوحدة، وبلغت نسبة المشاركين في الشمال ٦٠٪ في حين كانت النسبة في الجنوب ٩٩٪ [٤١].

هذا وقد تمَّ الإعلان عن النتيجة النهائية للاستفتاء وهو قرار الشعب الجنوبي بالانفصال وإنشاء دولتهم المستقلة التي ستكون الدولة رقم «٥٤» إفريقياً [٤٢]، في ٧/ ٢/ ٢٠١١، إذ سيصبح قرار الاستفتاء نافذاً ابتداءً من ٩/ ٧/ ٢٠١١، وحددت الحركة الشعبية اسم الدولة الجديدة بـ«جمهورية جنوب السودان» وعاصمتها «جوبا»، كما اختارت العملة الرسمية للبلاد وهي «الجنيه» كما اختارت النشيد الوطني أيضاً [٤٣].

ولكنَّ التحدي الأبرز الذي ستواجهه الدولة الجديدة، هو إمكانية الوصول إلى حلول تفاوضية مع الشمال بشأن القضايا العشر الخلافية، وأهمها الديون والنفط والمناطق الحدودية المختلف عليها مثل أبيي، إضافة إلى كثير من التداعيات التي قد تواجهها في نشأتها وقد تهدد أمنها الداخلي واستقرارها، مثل توفير متطلبات الحياة الآمنة والمستقرة لشعبها، ووضع حد للتدخلات والأدوار الخارجية حتى لا تتحول إلى ساحة لهذه الأطراف للقيام بأدوار ما ضد دولة الشمال ودول الجوار الإفريقي، أي قد يتحول الانفصال من نقطة للاستقرار إلى بداية جديدة لصفحة من صفحات الحروب والنزاعات بين الدولتين [٤٤].

بالإضافة إلى كثير من المشكلات التي قد تعاني منها الدولة الناشئة مثل الخلافات القبلية والإثنية والجهل والأمراض والأوبئة، إذ تُشكل نسبة الأمية في الجنوب أعلى معدلاتها في العالم، حيث إنَّ أكثر من ٨٠٪ من الذكور و ٩٦٪ من الإناث يعتبرون أميين، أضف إلى ذلك مشكلات التنمية والبنية التحتية ومشكلات الفساد المالي والإداري ومشكلات الفقر وغيرها [٤٥]، إذ تشير الإحصائيات أيضاً إلى أنَّ ٦٢٪ من أهل الجنوب يعيشون تحت خط الفقر، وأنَّ نسبة الوفيات بين الأطفال سنوياً تبلغ ٢٪ [٤٦].

كما أنه على الحكومة السودانية التنبه إلى أنَّ الانفصال الذي أصبح أمراً واقعاً بعد الاستفتاء، إن تمَّ بشكل طبيعي وسلمي، فإنه سيؤدي إلى رفع العقوبات الغربية عن السودان وعن شخصيات حزب المؤتمر الوطني الحاكم، وسيتابع السودان حركة نموه الاقتصادي المستقرة التي بدأت منذ عام ٢٠٠٠. أما في حال حدوث العكس، أي عدم القبول بالانفصال وعودة الحل العسكري إلى الواجهة من جديد، فإنَّ العقوبات الغربية ستبقى بالإضافة إلى

التراجع الذي سيصيب العلاقات العربية الإفريقية، لأنَّ السودان سيكرس حينها فشل العرب والأفارقة بالعيش المشترك، وستدعم الدول الإفريقية دولة جنوب السودان وستتدهور علاقات السودان مع الدول الإفريقية (٤٧) .

أما بالنسبة لتداعيات الانفصال اقتصادياً، فإنَّ عائدات الشمال من البترول ستنخفض من أربعة مليارات دولار سنوياً، إلى مليار دولار سنوياً، ولكن حكومة الشمال ستحصل على عائدات مرور بترول جنوب السودان من أراضيها وهو في طريقه للتصدير، وتُقدر هذه العائدات بـ «٥٠٠» مليون دولار سنوياً، وبذلك يكون انخفاض عائدات الشمال من البترول جراء الانفصال حوالي ٧٠٪، ويُتوقع أن يتم التعويض عنها بترشيد الاستيراد وتنمية قطاع الزراعة (٤٨) . وأخيراً فإنَّ أهم ما يمكن أن يُقال عن تداعيات الانفصال أنه سيؤدي إلى أزمة اقتصادية في الشمال، ودولة ضعيفة في الجنوب.

النتائج والتوصيات:

النتائج:

١. لا يمكن في محاولة استنتاج أسباب الانفصال، الفصل بين العامل الاقتصادي المتمثل في اختلاف مستوى التنمية بين الشمال والجنوب، أو التهميش السياسي والمتمثل أيضاً في أخطاء الحكومات السودانية المتعاقبة وغياب دور الدولة، أو حتى الحقب التاريخية المختلفة وممارساتها، كالسياسة الاستعمارية البريطانية ذات النهج الانفصالي، أو حتى العامل الديموغرافي المتمثل في التباين الثقافي والاختلاف العرقي بين شمال السودان وجنوبه، فجميع العوامل السابقة تراكمت لتؤدي إلى الانفصال.

٢. العامل الديني لم يكن السبب الأساسي في المشكلة، ولكنَّ تسييس الدين وتغذية الاختلافات وتخويف الآخرين عن طريق التدخل الخارجي والأدوار الخارجية لدول مختلفة، هو ما فاقم المشكلة، والدليل على ذلك هو التعايش بين الديانتين المسيحية والإسلامية في كثير من بلدان العالم العربي.

٣. إنَّ هنالك صورة عالقة في أذهان أهل الجنوب، أثرت كثيراً في تعاطيهم مع أهل الشمال، تلك الصورة تعود إلى عصور الاسترقاق والتجارة القائمة عليها، عندما كان الجنوبيون عبيداً لدى الشماليين، هذه الصورة سببت اختلافاً حقيقياً بين شطري السودان.

٤. إنَّ الصراع الحقيقي بين الشمال والجنوب أو الأزمة الحقيقة بينهما، تتمثل بوجود صراع حقيقيي بين هويتين، هوية شمالية وهوية جنوبية مختلفتين في كل المقومات

اللازمة لقيام الوحدة. فهما تختلفان في اللغة والثقافة والعرق والدين، وإنَّ اختزال اتفاق نيفاشا للتسوية أو الوحدة بين الشمال والجنوب بتقاسم السلطة السياسية والثروة الاقتصادية، قد أدى إلى إيقاف الحرب بين الطرفين، ولكنه لم يكن ليحقق الوحدة المنشودة بينهما، وقد دلت صناديق الاقتراع على ذلك، أضف إلى ذلك التدخلات الخارجية ورغبتها في الانفصال.

٥. إنَّ انفصال جنوب السودان سيشكل حدثاً مفصلياً في تاريخ السودان وإنَّ تداعياته لن تقتصر على السودان وحده فحسب، بل ستمتد إلى كل القارة الإفريقية وحتى المنطقة العربية، التي يوجد فيها نزاعات قد تسلك طريق جنوب السودان في توجهها.

التوصيات:

١. بما أنَّ الانفصال قد أصبح بعد الاستفتاء أمراً واقعاً، فمن الأفضل أن يتم هذا الأمر بصورة سلمية، أي ألا تضع الحكومة السودانية العقبات أمامه، لأنها إن فعلت، فإنَّ الدولة الناشئة ستشكل من الناحية الاستراتيجية خطراً أكبر مما كان عليه الوضع أيام الحرب والنزاع بين الطرفين، فربما تدير دولة الجنوب ظهرها لدولة الشمال وتسعى لتشكيل تحالفات مع دول إفريقية وغربية، قد تهدد أمن دولة الشمال واستقرارها.

٢. يجب الإسراع بحسم القضايا العشر الخلافية بين الطرفين، لأنَّ ذلك سيشكل عاملاً إيجابياً، في حين أنَّ التباطؤ قد ينذر بتحول تلك القضايا أو منطقة «أبيي» على سبيل المثال إلى ما يشبه قضية كشمير العالقة بين الهند والباكستان، وأبرز القضايا هي النفط والحدود، ومنطقة «أبيي» التي تمثل القضية الأكثر جدلاً.

٣. يتوجب على دولة الشمال العمل على إقامة أفضل العلاقات مع الدولة الجنوبية الناشئة، لأنَّ ما يوجد من عوامل أدت إلى الانفصال، لا تلغي تاريخاً طويلاً جمع الدولتين في دولة واحدة، فضلاً عن وجود طبقة جنوبية مثقفة ما زالت ترى في الوحدة حلماً يمكن بناؤه على أساس الاندماج الوظيفي، أي التدرج في الحكم من الفيدرالية وصولاً إلى الكونفيدرالية.

٤. يتوجب أيضاً على الدول العربية الإسراع في إقامة أفضل العلاقات مع الدولة الجنوبية الناشئة، والسعي إلى إقامة المشاريع الاستثمارية فيها وحتى مساعدتها ببعض المشاريع التنموية، أي وبمعنى آخر السعي إلى احتضانها وتقريبها إلى العالم العربي، كي لا يحصل العكس وتتطرف عن الدول العربية وتتحالف مع الغرب، الأمر الذي قد يشكل خطراً استراتيجياً على الدول العربية جمعاء.

الهوامش:

١. مصعب عبد القادر وداعة الله، دور الإعلام في عملية التحول الديمقراطي في السودان لمرحلة ما بعد السلام، المجلة العربية للعلوم السياسية، العدد٢٢، (مركز دراسات الوحدة العربية ٢٠٠٩ بيروت) ، ص٦١.

٢. محمود وهيب السيد، جنوب السودان واقع يدعم أزمة ويفرض حلاً، مجلة العلوم الاجتماعية،العدد٤، المجلد٣٢، (٢٠٠٤، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت) ، ص٨٤٧.

٣. Natsios Andrew.S, Abramowitz Michael, Sudan’s Secession Crisis Can the South Part from the North without War, foreign affairs, Vol.90 N.1, .2011, p.19

٤. بهاء الدين مكاوي، التنوع الإثني والوحدة الوطنية في السودان، مجلة السياسة الدولية، العدد١٧٦، نيسان/ أبريل، (٢٠٠٩، مركز الأهرام للدراسات الاستراتيجية القاهرة) ، ص٢٤٤– ٢٤٥.

٥. http:// www.aljazeera.net/ NR/ exeres/ 985C9F4E- E40A- 4D7F- 85EB-050BC167BD25.htm

٦. الصراعات القبلية في جونقلي التصدي لانعدام الأمن في جنوب السودان، تقرير المجموعة الدولية للأزمات، ٢٣ كانون الأول/ ديسمبر، مجلة المستقبل العربي، العدد٣٧٣، آذار/ مارس، (مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠١٠) . كما يتوفر التقرير على الانترنت:–

http:// www.crisisgroup.org/ home/ index.cfm3id=6452

٧. Natsios Andrew.S, Abramowitz Michael, Sudan’s Secession Crisis Can .the South Part from the North without War, op.cit, p.22

٨. .Natsios Andrew.S, Abramowitz Michael, Ibid. p.20

٩. نسيم مقار، البكباشي المصري سليم قبطان والكشف عن منابع النيل، (١٩٦٠، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة) ، ص٥٨.

١٠. Kock, Petrus.de,Thabo Mbeki and the Long Talk to Southern Sudan’s Referendum, P0licy Briefing, Vol.25, November, 2010 Governance of Af-.rica’s Resources Programmed, p.p.3- 4

١١. محمود وهيب السيد، جنوب السودان واقع يدعم أزمة ويفرض حلاً، مرجع سبق ذكره، ص٨٣١– ٨٣٢.

١٢. محمود وهيب السيد، المرجع السابق، ص٨٢٩– ٨٣٤.

١٣. محمود وهيب السيد، المرجع السابق، ص٨٣٥.

١٤. بدر حسن شافعي، التطور التاريخي للصراع بين شمال وجنوب السودان، مجلة السياسة الدولية، العدد١٨٣، كانون الثاني/ يناير، (٢٠١١، مركز الأهرام للدراسات الاستراتيجية، القاهرة) ، ص١٧٤.

١٥. Natsios Andrew.S, Abramowitz Michael, Sudan's Secession Crisis Can the South Part from the North without War, op.cit, p.19.

١٦. محمد عثمان حبيب الله، التطورات السياسية في السودان منذ أربعين عاماً، مجلة السياسة الدولية، العدد١٦١، تموز/ يوليو، (٢٠٠٥، مركز الأهرام للدراسات الاستراتيجية، القاهرة) ، ص٢٧١.

١٧. تعدُّ حركة أنيانيا أو «سم الثعبان» أول من طالب بالحكم الذاتي للجنوب وذلك منذ العام ١٩٥٥، بالإضافة لبعض الحركات الأخرى وهي: – الاتحاد الوطني الإفريقي السوداني – جبهة تحرير أزانيا – حزب الوحدة السوداني – رابطة السودان الجنوبي – حركة تحرير جنوب السودان وهي الجناح العسكري لحركة أنيانيا – الحركة الشعبية لتحرير السودان بزعامة جون قرنق. راجع: حمدي عبد الرحمن، ٢٠١١– دور التدخلات الخارجية في أزمة جنوب السودان، مجلة السياسة الدولية، العدد١٨٣، كانون الثاني/ يناير، القاهرة، ص١٦٤. بالنسبة لجون قرنق فقد وُلد في عام ١٩٤٥ في بور بجنوب السودان حصل على إجازة في العلوم عام ١٩٧١ من الولايات المتحدة الأمريكية، وفي عام ١٩٧٢ انضم إلى الجيش السوداني برتبة نقيب، وكلفه الجيش في عام ١٩٨٣ بإخماد تمرد في الجنوب ولكنه بدلاً من إخماده أعلن نفسه زعيماً للتمرد وأسس الحركة الشعبية لتحرير السودان، راجع: http:// www.aljazeera.net/ NR/ exeres/ 22BAC6FA- 3ADE- 4D6C- B431- 2D8FCFD88742.htm -

١٨. محمد عثمان حبيب الله، التطورات السياسية في السودان منذ أربعين عاماً، مرجع سبق ذكره، ص٢٧٢.

١٩. محمد عثمان حبيب الله، المرجع السابق، ص٢٧٣– ٢٧٤.

٢٠. Natsios Andrew.S, Abramowitz Michael, Sudan's Secession Crisis Can the South Part from the North without War, op.cit, p.23.

٢١. محمد عثمان حبيب الله، التطورات السياسية في السودان منذ أربعين عاماً، مرجع ذكره،ره ، ص٢٧٥.

٢٢. هانئ رسلان، اتفاق تقاسم السلطة، مجلة السياسة الدولية، العدد ١٦٠، نيسان/ أبريل، (٢٠٠٥، مركز الأهرام للدراسات الاستراتيجية، القاهرة) ، ص٦٨.

٢٣. هانئ رسلان، المرجع السابق، ص ٧٠– ٧٣.

٢٤. Leo Benjamin, Sudan Debt Dynamics: Status Quo Southern Secession Debt Division and Oil—A Financial Framework for the Future, Center for Global Development, Washington, 2010. P.42.

٢٥. خالد حنفي علي، اتفاق تقاسم الثروة هل يؤدي للوحدة أم يشجع على الانفصال، مجلة السياسة الدولية، نيسان/ أبريل، العدد ١٦٠، (٢٠٠٥، مركز الأهرام للدراسات الاستراتيجية، القاهرة) ، ص ٧٤– ٧٥.

٢٦. Kock, Petrus.de, Thabo Mbeki and the Long Talk to Southern Sudan's Referendum, P0licy Briefing, op.cit.p.4.

٢٧. لقد قامت المفوضية الموكل بها إجراء الاستفتاء، والتي أنشئت بموجب قانون الاستفتاء بارتكاب مخالفة بارزة جداً، تمثلت بعدم وجود فترة ثلاثة أشهر تفصل بين موعد إعلان الكشوف «أي أسماء المقبولين لإجراء الاستفتاء» وبين موعد إجرائه، فكانت الفترة الفعلية الفاصلة هي حوالي شهر وثلاثة أيام، هذا ما دعا بعض المحامين إلى رفع دعوى قضائية تدفع بعدم دستورية الاستفتاء وتمَّ قبول هذه الدعوى لدى المحكمة الدستورية. راجع:– هانئ رسلان، الاستفتاء في جنوب السودان الخلافات والتحديات، مجلة السياسة الدولية،العدد١٨٣، كانون الثاني/ يناير، (٢٠١١، مركز الأهرام للدراسات الاستراتيجية، القاهرة) ، ص ١٦٠– ١٦٢.

٢٨. Leo Benjamin, Sudan Debt Dynamics: Status Quo Southern Secession Debt Division and Oil—A Financial Framework for the Future, op.cit.p.1.

٢٩. هانئ رسلان، السودان مشهد ما قبل الانتخابات، مجلة السياسة الدولية، العدد١٨٣، نيسان/ أبريل، (٢٠١٠، مركز الأهرام للدراسات الاستراتيجية، القاهرة) ، ص ١٦٠– ١٦١.

٣٠. عبده مختار موسى، مسألة الجنوب ومهددات الوحدة في السودان، مجلة المستقبل العربي، العدد٣٦٧، أيلول/ سبتمبر، (٢٠٠٩، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت)، ص ٧٠– ٧٢.

٣١. هانئ رسلان، الاستفتاء في جنوب السودان الخلافات والتحديات، مرجع سبق ذكره، ص١٦٢– ١٦٣.

٣٢. عبده مختار موسى، مسألة الجنوب ومهددات الوحدة في السودان، مرجع سبق ذكره، ص ٧٤– ٧٨.

٣٣. وُلد سلفا كير في محافظة بحر الغزال السودانية وبدأ حياته مقاتلاً في صفوف حركة أنيانيا حتى توقيع اتفاقية أديس أبابا عام ١٩٧٢، حيث تمَّ استيعابه بعد الاتفاقية في سلاح المشاة بالقوات المسلحة السودانية، وبدأ بالترقي حتى وصل إلى رتبة نقيب بالاستخبارات العسكرية عام ١٩٨٣، ثمَّ انضم بعدها إلى صفوف الحركة الشعبية لتحرير السودان التي أعلنت التمرد ضد حكومة السودان في الشمال، وكان يتحفظ كثيراً على سياسات جون قرنق، وخاصة فيما يتعلق بانفتاحه على التحالفات مع الشمال، إذ كان يفضل إعطاء الأولوية للجنوب وشؤونه، وقد بدأ الخلاف الحقيقي بين الرجلين مع توقيع اتفاق مشاكوس عام ٢٠٠٢، والذي أعطى الجنوبيين الحق بتقرير مصيرهم وكان رأيه أنه بعد مرور فترة انتقالية مدتها ست سنوات سيكون للجنوبيين الحق بتقرير المصير، ومن ثمَّ لا داعي لإضاعة الوقت وإطالة عمر المفاوضات مع الشمال، عكس رأي جون قرنق الذي بدأ بمفاوضات مع الشمال للوصول لاتفاق أشمل، وهو ما حصل مع توقيع اتفاق نيفاشا. أي أنَّ سلفا كير كان ضد هذا الاتفاق وقد أوشك على الانفصال عن الحركة بعد التوقيع، راجع: – هانئ رسلان، من الغابة إلى القصر الجمهوري سلفا كير قائداً جديداً لجنوب السودان، مجلة السياسة الدولية،العدد١٦٢، تشرين الأول/ أكتوبر، (٢٠٠٥، مركز الأهرام للدراسات الاستراتيجية، القاهرة) ، ص١٥٨– ١٥٩.

٣٤. هانئ رسلان، جنوب السودان والتوجه نحو الانفصال، مجلة السياسة الدولية، العدد١٧٩، كانون الثاني/ يناير، (٢٠١٠، مركز الأهرام للدراسات الاستراتيجية، القاهرة) ، ص١٣٨.

٣٥. محمود حسين، قراءة في الانتخابات السودانية وما بعدها، مجلة السياسة الدولية،العدد١٨١، تموز/ يوليو، (٢٠١٠، مركز الأهرام للدراسات الاستراتيجية، القاهرة) ، ص٢٢٠.

٣٦. محمد عثمان حبيب الله، التطورات السياسية في السودان منذ أربعين عاماً، مرجع سبق ذكره، ص٢٧٥.

٣٧. حمدي عبد الرحمن، دور التدخلات الخارجية في أزمة جنوب السودان، مجلة السياسة الدولية، العدد١٨٣، كانون الثاني/ يناير، (٢٠١١، مركز الأهرام للدراسات الاستراتيجية، القاهرة) ، ص١٦٥– ١٦٦.

٣٨. سامي صبري عبد القوي، الدور الإسرائيلي في دعم وتدويل أزمة دارفور، مجلة السياسة الدولية، العدد١٦٧، كانون الثاني/ يناير، (٢٠٠٧، مركز الأهرام للدراسات الاستراتيجية، القاهرة) ، ص٢٠٠– ٢٠١.

٣٩. بدر حسن شافعي، السودان ودول الجوار علاقات المد والجزر، مجلة السياسة الدولة العدد١٧٥، كانون الثاني/ يناير، (٢٠٠٩، مركز الأهرام للدراسات الاستراتيجية، القاهرة) ، ص٢٢٧.

٤٠. راجع موقع مفوضية الاستفتاء على الانترنت على الرابط:
www.ssrc.sd/ ssrc/ time_table.php

٤١. Southern Sudan Votes for Secession, 2011, Carter Center News, Atlanta. p.p. 4- 5.

٤٢. http:// www.nordiskaafrikainstitutet.se/ ecas- 4/ panels/ 41- 60/ panel- 50/ Ana%20Elisa %20Cascao%20- %20Abstract.pdf

٤٣. راجع موقع المفوضية على شبكة الانترنت على الرابط:
www.ssrc.sd/ ssrc/ newsview.php

كتبت الصحفية «ريبيكا هاملتون» مراسلة صحيفة «نيو ريبابليك» الأمريكية، والتي قضت في جنوب السودان فترة ست سنوات منذ توقيع اتفاق نيفاشا عام ٢٠٠٥، مقالاً قبل إجراء الاستفتاء بأيام قليلة، لخصت فيه حالة الترقب والانتظار التي يعيشها شعب الجنوب ليوم الاستفتاء، إذ كانت متأكدة من أنَّ الجنوب سيختار الانفصال، وذكرت أنها نادراً ما قابلت شخصاً يريد الوحدة مع الشمال. راجع: أحمد محسن، جنوب السودان قد يواجه صعوبات جمة غداة انفصاله، مجلة الشرق، العدد ٨٢٤٠، (دار الشرق للطباعة والنشر، الدوحة، ٢٠١١) ، ص١٠.

٤٤. هانئ رسلان، جنوب السودان والتوجه نحو الانفصال، مرجع سبق ذكره، ص١٤١.

٤٥. عبده مختار موسى، مسألة الجنوب ومهددات الوحدة في السودان، مرجع سبق ذكره، ص٨٠.

٤٦. أحمد محسن، جنوب السودان قد يواجه صعوبات جمة غداة انفصاله، مرجع سبق ذكره، ص١٠.

٤٧. صفوت فانوس، أثر انفصال الجنوب على علاقات السودان الخارجية، البحث موجود على الرابط: -http:// www.shebacss.com/ docs/ hfaidh002- 10.pdf

٤٨. ندوة بعنوان «واقع ومستقبل الاقتصاد السوداني»، ٢/ آذار/ ٢٠١١، متوفرة على الرابط: - http:// www.arrasid.com/ file/ %D9%88.pdf

المصادر والمراجع:

أولاً- المراجع العربية:

١. حبيب الله، محمد عثمان، التطورات السياسية في السودان منذ أربعين عاماً، مجلة السياسة الدولية، العدد١٦١، تموز/ يوليو، (مركز الأهرام للدراسات الاستراتيجية، القاهرة، ٢٠٠٥).

٢. حسين، محمود، قراءة في الانتخابات السودانية وما بعدها، مجلة السياسة الدولية، العدد١٨١، تموز/ يوليو، (مركز الأهرام للدراسات الاستراتيجية، القاهرة، ٢٠١٠).

٣. رسلان، هانئ، اتفاق تقاسم السلطة، مجلة السياسة الدولية، العدد١٦٠، نيسان/ أبريل، (مركز الأهرام للدراسات الاستراتيجية، القاهرة، ٢٠٠٥).

٤. رسلان، هانئ، الاستفتاء في جنوب السودان الخلافات والتحديات، مجلة السياسة الدولية،العدد١٨٣، كانون الثاني/ يناير، (مركز الأهرام للدراسات الاستراتيجية، القاهرة، ٢٠١١).

٥. رسلان، هانئ، السودان مشهد ما قبل الانتخابات، مجلة السياسة الدولية، العدد١٨٣، نيسان/ أبريل، (مركز الأهرام للدراسات الاستراتيجية، القاهرة، ٢٠١٠).

٦. رسلان، هانئ، من الغابة إلى القصر الجمهوري سلفا كير قائداً جديداً لجنوب السودان، مجلة السياسة الدولية،العدد١٦٢، تشرين الأول/ أكتوبر، (مركز الأهرام للدراسات الاستراتيجية، القاهرة، ٢٠٠٥).

٧. رسلان، هانئ، جنوب السودان والتوجه نحو الانفصال، مجلة السياسة الدولية، العدد١٧٩، كانون الثاني/ يناير، (مركز الأهرام للدراسات الاستراتيجية، القاهرة، ٢٠١٠).

٨. السيد، محمود وهيب، جنوب السودان واقع يدعم أزمة ويفرض حلاً، مجلة العلوم الاجتماعية، العدد٤، المجلد٣٢، (مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، الكويت، ٢٠٠٤).

٩. شافعي، بدر حسن، التطور التاريخي للصراع بين شمال وجنوب السودان، مجلة السياسة الدولية، العدد١٨٣، كانون الثاني/ يناير، (مركز الأهرام للدراسات الاستراتيجية، القاهرة، ٢٠١١).

١٠. شافعي، بدر حسن، السودان ودول الجوار علاقات المد والجزر، مجلة السياسة الدولة العدد١٧٥، كانون الثاني/ يناير، (مركز الأهرام للدراسات الاستراتيجية، القاهرة، ٢٠٠٩) .

١١. عبد الرحمن، حمدي، دور التدخلات الخارجية في أزمة جنوب السودان، مجلة السياسة الدولية، العدد١٨٣، كانون الثاني/ يناير، (مركز الأهرام للدراسات الاستراتيجية، القاهرة، ٢٠١١) .

١٢. عبد القوي، سامي صبري، الدور الإسرائيلي في دعم وتدويل أزمة دارفور، مجلة السياسة الدولية، العدد١٦٧، كانون الثاني/ يناير، (مركز الأهرام للدراسات الاستراتيجية، القاهرة، ٢٠٠٧) .

١٣. علي، خالد حنفي، اتفاق تقاسم الثروة هل يؤدي للوحدة أم يشجع على الانفصال، مجلة السياسة الدولية، نيسان/ أبريل، العدد١٦٠، (مركز الأهرام للدراسات الاستراتيجية، القاهرة، ٢٠٠٥) .

١٤. محسن، أحمد، جنوب السودان قد يواجه صعوبات جمة غداة انفصاله، مجلة الشرق، العدد ٨٢٤٠، (دار الشرق للطباعة والنشر، الدوحة، ٢٠١١) .

١٥. مقار، نسيم، البكباشي المصري سليم قبطان والكشف عن منابع النيل، (١٩٦٠، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة) .

١٦. مكاوي، بهاء الدين، التنوع الإثني والوحدة الوطنية في السودان، مجلة السياسة الدولية، العدد١٧٦، نيسان/ أبريل، (مركز الأهرام للدراسات الاستراتيجية، القاهرة، ٢٠٠٩) .

١٧. موسى، عبده مختار، مسألة الجنوب ومهددات الوحدة في السودان، مجلة المستقبل العربي، العدد٣٦٧، أيلول/ سبتمبر، (مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٩) .

١٨. وداعة الله، مصعب عبد القادر، دور الإعلام في عملية التحول الديمقراطي في السودان لمرحلة ما بعد السلام، المجلة العربية للعلوم السياسية، العدد٢٢، (مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٩) .

التقارير:

١. الصراعات القبلية في جونقلي التصدي لانعدام الأمن في جنوب السودان، تقرير المجموعة الدولية للأزمات، ٢٣ كانون الأول/ ديسمبر، مجلة المستقبل العربي، العدد٣٧٣، آذار/ مارس، (مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠١٠) .

ج- مواقع الانترنت:

1. http:// www.aljazeera.net/ NR/ exeres/ 985C9F4E- E40A- 4D7F- 85EB-050BC167BD25.htm
2. http:// www.aljazeera.net/ NR/ exeres/ 22BAC6FA- 3ADE- 4D6C- B431-2D8FCFD88742.htm
3. www.ssrc.sd/ ssrc/ time_table.php
4. http:// www.nordiskaafrikainstitutet.se/ ecas- 4/ panels/ 41- 60/ panel- 50/ Ana%20Elisa%20Cascao%20- %20Abstract.pdf
5. www.ssrc.sd/ ssrc/ newsview.php
6. http:// www.shebacss.com/ docs/ hfaidh002- 10.pdf
7. http:// www.arrasid.com/ file/ %D9%88.pdf

د- المراجع باللغة الإنكليزية:

1. *Kock, Petrus.de, Thabo Mbeki and the Long Talk to Southern Sudan's Referendum, P0licy Briefing, Vol.25, November, (Governance of Africa's Resources Programmed, 2010).*
2. *Leo Benjamin, Sudan Debt Dynamics: Status Quo Southern Secession Debt Division and Oil, (A Financial Framework for the Future, Center for Global Development, Washington, 2010) .*
3. *Natsios Andrew.S, Abramowitz Michael, Sudan's Secession Crisis Can the South Part From the North Without War, (foreign affairs, Vol.90 N.1, 2011) .*

هـ- تقارير باللغة الإنكليزية:

1. *Southern Sudan Votes for Secession, 2011, Carter Center News, Atlanta.*

الأبحاث
باللغة الإنجليزية

25. ZHOU Xin- hong 2007. Application of English cohesion theory in the teaching of writing to Chinese graduate students. US- China Education Review 4 (7) , 31- 37.

26. Yusun K. J. (2005) . Written narratives as an index of L2 competence in Korean EFL learners. Journal of Second Language Writing, 14 (4) , 259- 279.

13. Kang, J. Y. 2005. Written narratives as an index of L2 competence in Korean EFL learners Journal of Second Language Writing. 14 (4) , 259- 279

14. Khalil, A., 1989. A study of cohesion and coherence in Arab EFL college students_ writing. System 17, 359–371.

15. LI Shuang- mei. 2009. Analysis of students’ problems in writing with reference to theory ofcohesion and Error Analysis. Sino- US English Teaching 6 (11) , 41- 45

16. LI Qing- feng .2009.Thematic selection and progression in EFL writing. US- China Foreign Language 7 (7) , 25- 29.

17. Liu, D., 2000. Writing cohesion using content lexical devices in ESOL. Forum, 38. Retrieved on April 13 from: <http: //ericir.syr.edu/plweb-cgi/fastweb? search>.

18. Liu, M., & Braine G. (2005) . Cohesive features in argumentative writing produced by Chinese undergraduates. System, 33, 623- 636.

19. Mansell, 2002. Coherence and cohesion in writing. www.aber.ac.uk/ language + learning (accessed December 25, 2009) .

20. Qing- Feng, L. I. 2009. Thematic selection and progression in EFL writing. US- China Foreign Language 7 (7) , 20- 29

21. OLATEJU, M. A. 2006. Cohesion in ESL Classroom Written Texts. Nordic Journal of African Studies 15 (3) , 314–331

22. SONG Mei- hua and XIA Wei- rong. (2002) . Combination of textual cohesive ties and textual teaching for the teaching of English writing-- a statistical analysis of the good and poor compositions written by non-English major freshmen. Journal of the Foreign Language World, 92 (6), 40- 44.

23. Takagi, A. (2001 July) . The need for change in English writing instruction in Japan. The Language Teacher, 25 (7) , 5- 9.

24. Zhang, M. (2000) . Cohesive features in the expository writing of undergraduates in two Chinese universities. RELC Journal, 30 (1) , 61- 95.

References:

1. Al- Jarf, R.S., 2001. Processing of cohesive devices by EFL Arab college students. Foreign Language Annals 34, 141–150.

2. Castro, C. D. (2004) . Cohesion and the social construction of meaning in the essays of Filipino college students writing in L2 English. Asia Pacific Education Review, 5 (2) , 215- 225.

3. Celce- Murcia, M. & Olshtain, E. 2000. Discourse and Context in Language Teaching. New York: Cambridge University Press.

4. Chen, Y. L. (2008) . An Investigation of EFL Students' Use of Cohesive Devices. National Tsing Hua University, 93- 107.

5. Guthrie. K. M. 2008. Unpublished doctoral dissertation. Cohesion in young Latino English- language learners' English narrative written text, The University of North Carolina, Chapel Hill.

6. Hafeez, O. 2001. Intorduction to Discourse Analysis. Qairo Univeristy: Qairo.

7. Halliday, M. A. K. 1994. An introduction to Functional Grammar. London: Arnold.

8. Halliday, M.A.K., 2000. Introduction to Functional Grammar, second ed. Foreign Language Teaching and Research Press, Beijing.

9. HO ML & Waugh, R. .2008. A Rasch measurement analysis of the use of cohesive devices in writing English as a foreign language by secondary students in Hong Kong. Journal of applied measurement. 9 (4) , 331- 43.

10. Jafarpur, A. (1991) . Cohesiveness as a basis for evaluating compositions. System, 19 (4) , 459- 465.

11. Jin, W. (2001) . A Quantitative Study of Cohesion in Chinese Graduate Students' Writing: Variations across Genres and Proficiency Levels. Paper presented at the Symposium on Second Language Writing at Purdue University (West Lafayette, Indiana, September 15- 16, 2000) .

12. Johnstone, B .2007. Discourse analysis. (2nd ed) . Blackwell publishing. 159

As far as the post tests of the experimental and control groups were compared, the following conclusions were reached:

1. There was a significant rise in using demonstrative reference, synonyms and temporal conjunctions in favor of the experimental group.

2. There was a significant drop in the frequency of personal reference in favor of the experimental group.

3. The high frequency of cohesive ties in the control group's post test was given to reference followed by conjunctions. However, the mostly used cohesive ties in the post test of the experimental group were conjunctions followed by reference.

Recommendations:

In view of the aforementioned results, teachers should give more emphasis to the theory of cohesion when writing is evaluated (Liu & Braine, 2005) . Since cohesion theory is important when teachers intend to improve the writing quality of their students, we recommend that cohesion should also be applied to delimit the errors students commit in an error analysis teaching methodology. It was evident that many students were unaware of the cohesive ties (LI Shuang- mei, 2009) . Therefore, this study should pave the way for further research on the significance of the frequencies of cohesion errors before and after applying the theory of cohesion in order to examine their effect on improving the quality of writing. Moreover, the researcher recommends conducting similar studies on the effect of cohesion on writing when the treated sample is larger in terms of the number of students.

Table (27)

T- Test of independent samples, to test the difference in total repetition due to group

group	N	Mean	S.D	D.F	T- value	Sig
control	30	2.17	1.05	58	1.772	0.082
experimental	30	1.73	0.83			

* Sig at (α=0.05)

Table (27) shows that there is no significant difference at (α=0.05) in total repetition due to group. Repetition was highly used by the students in the control group, and still, there is no significant drop in the experimental group frequencies. This could be due to the fact that the Arabic language is characterized by using repetition, so it might be difficult to eliminate repetition.

Conclusions:

We come to the conclusion that cohesion has an effect on both the quality of writing clarified either by the upgrading of the frequency of some cohesive ties or by reducing others. Zhang (2000) indicates that overusing cohesive ties has adverse effects on the quality of writing. The current study concludes that giving guided instruction about the way cohesion should be used and increasing some items and decreasing the use of others positively affects the quality of writing since the teacher instructed students that they should decrease the reference items and the total reiteration of the same item.

In terms of the experimental groups' pre- and post- tests' comparisons, the following results were found:

1. Cohesion significantly increased the frequency of demonstrative reference, synonyms, and additive conjunctions in the post test.

2. Cohesion reduced personal reference, causal and adversative conjunctions.

3. In reference to the pre- test results, the reference items were used more frequently than conjunctions.

Table (24) shows that there is no significant difference at (α=0.05) in causal conjunctions due to group due to the difficulty of using such a conjunction (HO & Waugh, 2008)

♦ ***There is no significant difference at (α=0.05) in adversative conjunctions due to group:*** The researcher used T- Test of independent samples to test the hypothesis. Table (25) shows the results.

Table (25)

T- Test of independent samples, to test the difference in adversative conjunctions due to group

group	N	Mean	S.D	D.F	T- value	Sig
control	30	0.67	0.92	58	0.817	0.417
experimental	30	0.50	0.63			

* Sig at (α=0.05)

Table (25) shows that there is no significant difference at (α=0.05) in adversative conjunctions due to group due to the same reason mentioned in table (24) .

♦ ***There is no significant difference at (α=0.05) in temporal conjunctions due to group:*** The researcher used T- Test of independent samples to test the hypothesis. Table (26) shows the results.

Table (26)

T- Test of independent samples, to test the difference in temporal conjunctions due to group.

group	N	Mean	S.D	D.F	T- value	Sig
control	30	0.17	0.38	58	2.225	* 0.030
experimental	30	0.53	0.82			

* Sig at (α=0.05)

Table (26) shows that there is significant difference at (α=0.05) in temporal conjunctions due to group, in favor of experimental group entailing that cohesion is effective in temporal conjunctions by increasing its use though it was one the most difficult conjunctions to use (HO ML & Waugh, 2008) . It is also incumbent to state that conjunctive ties add to the quality of writing (SONG & Xia, 2002; ZHOU Xin- hong, 2007) .

♦ ***There is no significant difference at (α=0.05) in total repetition due to group:*** The researcher used T- Test of independent samples to test the hypothesis. Table (27) shows the results

- ***There is no significant difference at (α=0.05) in conjunctions due to group:*** The researcher used T- Test of independent samples to test the hypothesis. Table (22) shows the results.

Table (22)

T- Test of independent samples, to test the difference in conjunctions due to group.

group	N	Mean	S.D	D.F	T- value	Sig
control	30	5.13	1.81	58	0.563	0.575
experimental	30	5.43	2.28			

⁎ Sig at (α=0.05)

Table (22) shows that there is no significant difference at (α=0.05) in conjunctions due to group. However, conjunctions in the experimental group had the highest percentage of use at (5.43) .

- ***There is no significant difference at (α=0.05) in additive conjunctions due to group:*** The researcher used T- Test of independent samples to test the hypothesis. Table (23) shows the results.

Table (23)

T- Test of independent samples, to test the difference in additive conjunctions due to group.

group	N	Mean	S.D	D.F	T- value	Sig
control	30	2.83	0.91	58	0.421	0.675
experimental	30	3.00	1.97			

⁎ Sig at (α=0.05)

Table (23) shows that there is no significant difference at (α=0.05) in additive conjunctions due to group. However, in the pre- and post test results of the experimental group, significant increase was found due to cohesion.

- ***There is no significant difference at (α=0.05) in causal conjunctions due to group:*** The researcher used T- Test of independent samples to test the hypothesis. Table (24) shows the results.

Table (24)

T- Test of independent samples, to test the difference in causal conjunctions due to group.

group	N	Mean	S.D	D.F	T- value	Sig
control	30	1.47	1.07	58	0.228	0.821
experimental	30	1.40	1.19			

⁎ Sig at (α=0.05)

Table (19)

T- Test of independent samples, to test the difference in synonyms due to group.

group	N	Mean	S.D	D.F	T- value	Sig
control	30	0.53	0.63	58	2.088	* 0.041
experimental	30	1.00	1.05			

* Sig at (α=0.05)

Table (19) shows that there is significant difference at (α=0.05) in synonyms due to group, in favor of the experimental group. Similarly, the significant rise in synonyms due to cohesion is affirmed by many researchers as it adds to the quality of writing (SONG & Xia, 2002) .

♦ ***There is no significant difference at (α=0.05) in antonyms due to group:*** The researcher used T- Test of independent samples to test the hypothesis. Table (20) shows the results.

Table (20)

T- Test of independent samples, to test the difference in antonyms due to group.

group	N	Mean	S.D	D.F	T- value	Sig
control	30	0.03	0.18	58	1.921	0.060
experimental	30	0.27	0.64			

* Sig at (α=0.05)

Table (20) shows that there is no significant difference at (α=0.05) in antonyms due to group.

♦ ***There is no significant difference at (α=0.05) in collocation due to group:*** The researcher used T- Test of independent samples to test the hypothesis. Table (21) shows the results.

Table (21)

T- Test of independent samples, to test the difference in collocation due to group.

group	N	Mean	S.D	D.F	T- value	Sig
control	30	0.73	0.58	58	0.781	0.438
experimental	30	0.87	0.73			

* Sig at (α=0.05)

Table (21) shows that there is no significant difference at (α=0.05) in collocation due to group. It was very difficult for the students to use collocations.

Table (17)

T- Test of independent samples, to test the difference in personal reference due to group

group	N	Mean	S.D	D.F	T- value	Sig
control	30	5.73	2.57	58	5.730	* 0.0001
experimental	30	2.53	1.66			

* Sig at (α=0.05)

Table (17) shows that there is significant difference at (α=0.05) in personal reference due to group, in favor of the experimental group. Cohesion significantly reduced reference in the experimental group (ZHOU Xin- hong, 2007) . Researchers found that Reference frequency was rated as the third salient item (SONG & Xia, 2002) when students were taught writing a paragraph in the traditional way. Consequently, the current significant drop in personal reference entails that applying cohesion was successful if the quality of writing is to be assessed.

♦ ***There is no significant difference at (α=0.05) in demonstrative reference due to group:*** The researcher used T- Test of independent samples to test the hypothesis. Table (18) shows the results.

Table (18)

T- Test of independent samples, to test the difference in demonstrative reference due to group

group	N	Mean	S.D	D.F	T- value	Sig
control	30	0.47	0.63	58	2.811	* 0.007
experimental	30	1.13	1.14			

* Sig at (α=0.05)

Table (18) shows that there is significant difference at (α=0.05) in demonstrative reference due to group, in favor of the experimental group. The demonstrative reference rising frequency indicates that the application of cohesion was rewarding and that cohesion allowed for a variety of cohesive ties and that was the purpose of the teaching of cohesion.

♦ ***There is no significant difference at (α=0.05) in Synonyms due to group:*** The researcher used T- Test of independent samples to test the hypothesis. Table (19) shows the results.

Table (15)

T- Test of paired samples, to test the difference in Repetition due to Cohesion.

Repetition	N	Mean	S.D	D.F	T- value	Sig
Pre	30	2.03	1.07	29	1.179	0.248
Post	30	1.73	0.83			

* Sig at (α=0.05)

Table (15) shows that there is no significant difference at (α=0.05) in **total repetition** due to Cohesion. It is evident that repetition is a characteristic of Arabic language; thus, students were unable to reduce it significantly (Khalil, 2002) . ZHOU Xin- hong also found that due to applying cohesion, lexical reiteration had no significant decrease (2007) .

Comparisons between control and experimental groups frequencies of cohesive ties (Post tests) :

- ***There is no significant difference at (α=0.05) in Reference due to group:*** The researcher used T- Test of independent samples to test the hypothesis. Table (16) shows the results.

Table (16)

T- Test of independent samples, to test the difference in reference due to group.

group	N	Mean	S.D	D.F	T- value	Sig
control	30	6.20	2.70	58	4.009	* 0.0001
experimental	30	3.67	2.17			

* Sig at (α=0.05)

Table (16) shows that there is significant difference at (α=0.05) in reference due to group, in favor of the experimental group. The significant drop in Reference in the experimental group is a good improvement in the quality of the writing (ZHOU Xin- hong, 2007) as compared to the control group in the post test results. In terms of saliency of ties, reference was mostly salient after conjunctions in the experimental group.

- ***There is no significant difference at (α=0.05) in personal due to group:*** The researcher used T- Test of independent samples to test the hypothesis. Table (17) shows the results.

conjunction. This drop could be related to the notion that temporal causal and adversative conjunctions were the most difficult cohesive ties for students to use (HO & Waugh, 2008).

10. ***There is no significant difference at (α=0.05) in adversative conjunctions due to Cohesion (pre, post) :*** The researcher used T- Test of paired samples to test the hypothesis. Table (13) shows the results.

Table (13)

T- Test of paired samples, to test the difference in adversative conjunctions due to Cohesion.

Adversative	N	Mean	S.D	D.F	T- value	Sig
Pre	30	0.90	0.99	29	2.183	* 0.037
Post	30	0.40	0.63			

* Sig at (α=0.05)

Table (13) shows that there is significant difference at (α=0.05) in **adversative** conjunctions due to Cohesion. This means that applying the theory of Cohesion resulted in **reducing** the number of adversative conjunctions. This is due to the aforementioned reason in table (12) stating it might have been one of the most difficult type of conjunctions for students.

11. ***There is no significant difference at (α=0.05) in Temporal due to Cohesion (pre, post) :*** The researcher used T- Test of paired samples to test the hypothesis. Table (14) shows the results.

Table (14)

T- Test of paired samples, to test the difference in temporal conjunctions due to Cohesion

Temporal	N	Mean	S.D	D.F	T- value	Sig
Pre	30	0.47	0.86	29	0.403	0.690
Post	30	0.53	0.82			

* Sig at (α=0.05)

Table (14) shows that there is no significant difference at (α=0.05) in temporal conjunctions due to Cohesion. The researcher noticed that students rarely use the temporal conjunctions correctly.

12. ***There is no significant difference at (α=0.05) in total repetition due to Cohesion (pre, post) :*** The researcher used T- Test of paired samples to test the hypothesis. Table (15) shows the results.

Table (10) shows that there is no significant difference at (α=0.05) in conjunctions due to Cohesion. To clarify the point, research revealed that Arab students don't make use of conjunctions while writing in English (Khalil, 2002) .

8. ***There is no significant difference at (α=0.05) in Additive conjunctions due to Cohesion (pre, post):*** The researcher used T- Test of paired samples to test the hypothesis. Table (11) shows the results.

Table (11)

T- Test of paired samples, to test the difference in additive conjunctions due to Cohesion.

Additive	N	Mean	S.D	D.F	T- value	Sig
Pre	30	2.31	1.41	29	2.301	* 0.029
Post	30	3.00	1.97			

* Sig at (α=0.05)

Table (11) shows that there is significant difference at (α=0.05) in additive conjunctions due to Cohesion. This means that Cohesion increased the Additive (ZHOU Xin- hong, 2007) . Many researchers related the increase in conjunctions to adopting the theory of cohesion (Jafarpur, 1991, SONG Mei- hua & Xia, 2002) in that saliency of conjunctions improved the quality of writing. The post test of this study clarifies that conjunctions recorded the highest mean at (5.43) . Other researchers found that conjunctions were among the highly used ties due to cohesion (Song & Xia, 2002; Liu and Braine, 2005) .

9. ***There is no significant difference at (α=0.05) in causal conjunctions due to Cohesion (pre, post).***

The researcher used T- Test of paired samples to test the hypothesis. Table (12) shows the results.

Table (12)

T- Test of paired samples, to test the difference in Causal conjunctions due to Cohesion.

Causal	N	Mean	S.D	D.F	T- value	Sig
Pre	30	2.10	1.27	29	2.911	* 0.007
Post	30	1.40	1.19			

* Sig at (α=0.05)

Table (12) shows that there is significant difference at (α=0.05) in **causal** conjunctions due to Cohesion. This means that Cohesion reduced the Causal

Table (8)

T- Test of paired samples, to test the difference in Antonyms due to Cohesion.

Antonyms	N	Mean	S.D	D.F	T- value	Sig
Pre	30	0.30	0.47	29	0.273	0.787
Post	30	0.27	0.64			

⁎ Sig at (α=0.05)

Table (8) shows that there is no significant difference at (α=0.05) in **Antonyms** due to Cohesion. The textbook of the course allows for more synonyms than antonyms; this might be the reason for the inadequate improvement.

6. ***There is no significant difference at (α=0.05) in Collocation due to Cohesion (pre, post)***

The researcher used T- Test of paired samples to test the hypothesis. Table (9) shows the results.

Table (9)

T- Test of paired samples, to test the difference in Collocation due to Cohesion.

Collocation	N	Mean	S.D	D.F	T- value	Sig
Pre	30	0.60	0.72	29	1.547	0.133
Post	30	0.67	0.73			

⁎ Sig at (α=0.05)

Table (9) shows that there is no significant difference at (α=0.05) in **Collocation** due to Cohesion. Similarly, Khalil (1989) added that collocation, and antonyms were not highly employed by Arab students, rather, reference and lexical reiteration were the main cohesive devices overused.

7. ***There is no significant difference at (α=0.05) in conjunctions due to Cohesion (pre, post) :*** The researcher used T- Test of paired samples to test the hypothesis. Table (10) shows the results.

Table (10)

T- Test of paired samples, to test the difference in Conjunctions due to Cohesion.

Conjunctions	N	Mean	S.D	D.F	T- value	Sig
Pre	30	5.60	2.06	29	0.563	0.578
Post	30	5.43	2.28			

⁎ Sig at (α=0.05)

Table (6)

T- Test of paired samples, to test the difference in Demonstrative due to Cohesion.

Demonstrative	N	Mean	S.D	D.F	T- value	Sig
Pre	30	0.50	0.78	29	2.617	* 0.014
Post	30	1.13	1.14			

* Sig at (α=0.05)

Table (6) shows that there is significant difference at (α=0.05) in Demonstrative due to Cohesion. This means that Cohesion increased the demonstrative reference as the personal reference was reduced. However, the pre- test frequency of the demonstrative reference is very low. This goes against Liu and Braine (2005) in their study on the frequencies of cohesive ties, stated. He found that demonstrative reference had the lowest percentage of use.

4. ***There is no significant difference at (α=0.05) in Synonyms due to Cohesion (pre, post) :*** The researcher used T- Test of paired samples to test the hypothesis. Table (7) shows the results.

Table (7)

T- Test of paired samples, to test the difference in Synonyms due to Cohesion.

Synonyms	N	Mean	S.D	D.F	T- value	Sig
Pre	30	0.43	0.68	29	2.894	* 0.007
Post	30	1.00	1.05			

* Sig at (α=0.05)

Table (7) shows that there is significant difference at (α=0.05) in Synonyms due to Cohesion. This means that Cohesion **increased** the Synonyms. This was a good contribution to the quality of writing since many researchers related lexical cohesion as an element that improves the quality of writing (Liu & Braine, 2005; Song & Xia, 2002) . Moreover, other researchers indicated that synonym use was highly rated all times (Zhang, 2000) . However, other researchers found that synonyms were not highly used by Arab students (Khalil, 1989) .

5. ***There is no significant difference at (α=0.05) in Antonyms due to Cohesion (pre, post) :*** The researcher used T- Test of paired samples to test the hypothesis. Table (8) shows the results.

Experimental group analysis of frequencies of cohesive ties (pre and post tests) :

1. ***There is no significant difference at (α=0.05) in Reference frequencies due to Cohesion (pre- and post- tests) :*** The researcher used T- Test of paired samples to test the hypothesis. Table (4) shows the results.

Table (4)

T- Test of paired samples, to test the difference in Reference due to Cohesion.

Reference	N	Mean	S.D	D.F	T- value	Sig
Pre	30	5.90	2.56	29	5.123	* 0.0001
Post	30	3.67	2.17			

* Sig at (α=0.05)

Table (4) shows that there is significant difference at (α=0.05) in Reference due to Cohesion. This means that Cohesion reduced the reference (Khalil, 2002) . This result goes in line with ZHOU Xin- hong (2007) who found that reference is reduced due to cohesion.

2. ***There is no significant difference at (α=0.05) in Personal reference due to Cohesion (pre, post) :*** The researcher used T- Test of paired samples to test the hypothesis. Table (6) shows the results.

Table (5)

T- Test of paired samples, to test the difference in Personal reference due to Cohesion.

Personal	N	Mean	S.D	D.F	T- value	Sig
Pre	30	5.40	2.36	29	7.736	* 0.0001
Post	30	2.53	1.66			

* Sig at (α=0.05)

Table (5) shows that there is significant difference at (α=0.05) in Personal reference due to Cohesion. This means that Cohesion reduced the Personal reference. This was due to the fact that formal writing requires reducing reference (ZHOU Xin- hong, 2007, pp. 35- 37) . In this study, the students were taught not to overuse personal reference since its overuse doesn’t add to the quality of the writing.

3. ***There is no significant difference at (α=0.05) in Demonstrative reference due to Cohesion (pre, post) :*** The researcher used T- Test of paired samples to test the hypothesis. Table (6) shows the results.

Table (2)

Frequencies, means and standard deviations of students grades due to Group and Gender in the post tests.

Group	Gender	Frequency	Mean	Standard deviation
Control	Male	12	5.50	1.24
	Female	18	5.89	1.37
	Total	30	5.73	1.31
Experimental	Male	9	7.06	1.57
	Female	21	7.55	1.40
	Total	30	7.40	1.45
Total	Male	21	6.17	1.57
	Female	39	6.78	1.61
	Total	60	6.57	1.61

Table (3)

Two Way ANOVA, to test the differences in students writing achievement due to Group and Gender.

Source of variation	Sum of squares	Degrees of Freedom	Mean squares	F value	Sig.
Group	34.714	1	34.714	18.008	* 0.0001
Gender	2.608	1	2.608	1.353	0.250
Group * Gender	.036	1	0.036	0.019	0.892
Error	107.952	56	1.928		
Total	152.233	59			

* Sig at (α=0.05)

Table (3) indicates that there is a significant difference at (α=0.05) in the students' writing achievement due to Group in favor of experimental group. This means that students who were taught by Cohesion are better than students who were taught by the traditional method (Jin, 2001; LI Shuang- me, 2009; Liu &Braine, 2005; Song & Xia, 2002; ZHOU Xinhong, 2007) . Other gender related differences were not found (Jones & Myhill, 2007) . What adds to the quality of the study is that the students who were taught by applying cohesion theory are Arab students whose English language abilities are weak; therefore, cohesion allows them to write more effectively than before.

were observed by the teacher while writing.

Finally, both groups were invited to write a composition as the post test. At the end of the semester, a post- test was administered to both groups to investigate the students' achievement in paragraph writing in terms of quality of writing and cohesion distribution. The students were asked to write an opinion paragraph about "Obsession with sports can either be dangerous or beneficial". The frequency and type of correctly used cohesive devices were analyzed into tables and the quality of their writing was given a grade out of 10% in relevance to the same writing rubric (to be provided in the appendix) . Then, the frequencies of **correctly** used cohesive devices in both groups and the quality of the writing were statistically processed using SPSS and appropriate statistical processes. As for the validity of the instrument, four faculty members validated the instrument as it matches the study purposes. The reliability of the study was calculated with Split- Half method. The reliability coefficient was (0.71) . The reliability coefficient value is high enough and suitable for research purposes.

Study Design and analysis:

The study design was experimental with the independent variable of the method (Cohesion treatment and traditional method of teaching writing) . In addition, the dependent variable was the students' achievement (frequencies) in: reference (personal, demonstrative) , synonyms, antonyms, collocation, conjunctions (additive, causal, adversative, temporal) , and lastly total repetition of the same item.

Data Analysis:

The data was treated by SPSS. The following statistical procedures were used: Frequencies, Means and standards deviation, T- Test of Paired Samples, T- Test of Independent Samples, One- Way ANOVA, and Two- Way ANOVA.

Main hypothesis: There are no significant differences at (α=0.05) in the students' writing achievement due to Group and Gender. The researcher used Two Way ANOVA to test the hypothesis.

As far as the experimental group is treated, the teacher instructed the students in the first activities about the necessary types of cohesion as delimited in the diagnostic pre- test at the beginning of the semester. They were instructed on writing opinion and cause and effect paragraphs. The treat of the experimental group lasted for four months. The control group was taught in the traditional way of teaching paragraph writing for four months. The researcher consulted another teacher to assess the students' performance in both the pre- and post- test results. Reference, synonyms, antonyms, repetition, collocation, and conjunctions were the main cohesive ties in focus. After the teacher demonstrated the correct use of cohesive devices, the students were instructed to engage in collaborative in- class paragraph writing activities. The students had to read paragraphs and underline instances of cohesion so as to replace reiterated items with synonyms. Then, the students were asked to rewrite their own paragraphs in accordance with the correct use of cohesive devices and the assignments were followed by an assessment procedure in view of cohesion. Every week, the students were given feedback about their use of cohesion. All the paragraphs the students were asked to write were related to their textbook topics. The students were asked to work collaboratively in- class by being divided into groups of four. Two groups will prepare paragraphs at home related to one of the topics they have studied about. The two other groups will work together in- class writing a paragraph on the board by one group and then the other group is supposed to underline the cohesive ties and then rewrite the paragraph by using synonyms, antonyms, conjunctions, and collocations that will eventually create a new paragraph. They recognized that employing various cohesive devices added to the unity of their writings (Mansell, 2002) . However, the control group didn't receive any instruction about the theory of cohesion, but concerning the activities, they were identical in number and topic. The control group was instructed on how to write a paragraph and then the written paragraphs by the students either individually or in groups were analyzed in terms of its quality only. The topics covered by applying the theory of cohesion were four different topics and therefore the researcher used two types of paragraphs, cause and effect and opinion paragraph. The students welcomed the idea of applying cohesion to the teaching of writing; therefore, the researcher didn't face any challenges because most of the activities were done in- class and the students

passed the entrance test or succeeded in a remedial course. One of the main objectives of the course is to teach writing at the paragraph level. The sample of the study is purposive and consisted of an experimental group and a control group; each group consisted of 30 non- English majors. Ten students were eliminated from each group because they did not have the pre- or the post-tests.

Study instrument:

The instruments used in this study include: a pre- test, a post- test, rubrics for writing a paragraph, cohesive ties table or checklist. The participants were instructed to write a 100 word paragraph on a general topic.

Study procedures:

The two sections of the experimental and control groups were taught by the same teacher using traditional classroom assessment methods such as the writing rubrics for paragraphs. A pre- test for the two groups was established to delimit areas of weaknesses in students' writings, evaluate their writing level and to test the equivalence of the study group before applying Cohesion. The two groups were equivalent. Table (1) shows the results of One Way ANOVA to test the equivalence between the experimental and control groups before applying Cohesion

Table (1)

One Way ANOVA results to test the equivalence between the experimental and control groups.

Source of Variation	Sum of Squares	D.F	Mean Square	F	Sig.
Between Groups	11.267	1	11.267	0.090	0.766
Within Groups	7285.067	58	125.605		
Total	7296.333	59			

Table (1) indicates that experimental and control group are equivalent before applying Cohesion.

The students of the two groups were asked to write a **cause and effect** paragraph about "reasons behind the difficulty in learning English Language". It was found that most of the errors in writing were related to cohesion in terms of reference, synonyms, collocation, total repetition of items and conjunctions. Their pre- and post- tests' scores were out of 10% and the length of their paragraphs was, on average, 100- 150 words.

C. Are there significant differences in the frequencies of collocations in the experimental group before and after applying the theory of cohesion?

D. Are there significant differences in the frequencies of conjunctions (additive, causal, adversative, and temporal) in the experimental group before and after applying the theory of cohesion?

E. Are there significant differences in the frequencies of total repetition in the experimental group before and after applying the theory of cohesion?

3. Are there significant differences in the frequencies of the cohesive ties regarding the post tests of the experimental and control groups?

A. Are there significant differences in the frequencies of reference (personal, demonstrative) regarding the post tests of both the experimental and control groups?

B. Are there significant differences in the frequencies of synonyms and antonyms regarding the post tests of both the experimental and control groups?

C. Are there significant differences in the frequencies of collocations regarding the post tests of both the experimental and control groups?

D. Are there significant differences in the frequencies of conjunctions (additive, causal, adversative, and temporal) regarding the post tests of both the experimental and control groups?

E. Are there significant differences in the frequencies of total repetition regarding the post tests of both the experimental and control groups?

Methodology:

The Methodology of this study is Quasi Experimental as there is a treatment with a purposive sample.

Study population and sample:

The population of the study consisted of 80 non- major students studying English general course at An Najah National University. The university English general course (lasts for 4 months) objectives entail that the students enrolled in such a course are of an intermediate level in English as they either

same lexicon instead of using a synonym or a collocation. Therefore, applying the theory of cohesion to the teaching of writing forces the students to search for collocations, synonyms and antonyms to look for a variety of cohesive devices that may add to the quality of writing.

However, it should be emphasized that some researchers like (Zhang, 2000) included all the cohesive ties which were improperly or correctly used when investigating cohesive ties in relation to the writing quality. The current study counts only the properly used cohesive ties to measure the good or poor quality of writing.

As far as the frequency of the cohesive ties is measured, some researchers examined only the number of the ties. Yusun Kang (2005) conducted a study on the non- native learners' choices of cohesive devices and found that the mother tongue affects the type of cohesive tie the EFL students chose. He found that Korean students opted for the demonstrative reference and repetition in writing more than any other tie. Guthrie (2008) found that English language learners of a Spanish origin didn't employ substitution and ellipsis, rather, they used the additive and temporal ties; at the lexical level, the participants opted for lexical repetition such as synonyms and total repetition.

Questions of the study: ***The questions of the study are as follows:***

1. Are there any significant differences in the students' writing achievement due to Group and Gender?

2. Are there significant differences in the frequencies of all the cohesive devices in the experimental group before and after applying the theory of cohesion?

A. Are there significant differences in the frequencies of reference (personal, demonstrative) in the experimental group before and after applying the theory of cohesion?

B. Are there significant differences in the frequencies of synonyms and antonyms in the experimental group before and after applying the theory of cohesion?

LI Shuang- mei (2009) argued that giving direct instruction to the students about cohesion is important to improve the writing abilities because students had problems with reference, conjunctions, etc. Other researchers found that applying cohesion improves the quality of writing (Jin, 2001, LI Shuang- me, 2009; Liu &Braine, 2005; Song & Xia, 2002; ZHOU Xin- hong, 2007) . SONG & Xia (2002) compared the cohesive features of good and poor writings as revealed in the compositions of English non- major Chinese students. They found that the cohesive device positively affecting the assessment of the compositions was lexical cohesion, and the second one was grammatical cohesion followed by reference.

ZHOU Xin- hong (2007) examined the application of the theory of cohesion to the teaching of Chinese EFL learners by opting for a control group and an experimental group. He examined the frequencies of cohesive ties and their effect on the quality of writing and found that cohesion improved the quality of writing. He found that the reference items and lexical reiteration of the two groups dropped slightly. It is noteworthy that what added to the quality of the writing was the use of conjunctions, mostly additive and enhancement.

Other researchers such as Liu & Braine (2005) investigated the use of cohesive devices in the writing of undergraduate students and found that students used three types of which lexical devices were the mostly used followed by reference and conjunctions. This finding is in line with that of previous studies (Zhang, 2000) . The least frequently used tie was the demonstrative reference. The quality of writing was affected by the total number of cohesive ties and the errors committed in using reference and lexis.

However, some researchers found that cohesion doesn’t affect the quality of writing (Castro, 2004; Chen, 2008; Jafarpur, 1991, Zhang, 2000) . JO- Ling Chen (2008) examined college students use of cohesive devices and the relationship between the devices and the quality of writing. He found that lexical devices had the highest percentage of use followed by reference and then conjunctions. However, his study revealed that overusing cohesive devices negatively affected the quality of writing. Zhang (2000) studied cohesion employment by Chinese English majors and found that cohesion is not related to good or poor writing, but agreed with other researchers that lexical collocations add to the good quality of writing (Jafarpur, 1991; Zhang, 2000) . Zhang (2000) also indicated that the EFL students preferred to use the

A reference device is used to connect elements within the same text. Personal and demonstrative reference (e.g., this, that, the) are the only two referential items used by the students in their pre- and post tests to maintain cohesion. A conjunction links together phrases or two separate sentences. The conjunctions included in the current study as used by the students are: additive conjunctions (e.g., and, or, not) , adversative conjunctions (e.g., however, but, although) , causal conjunctions (e.g., so, therefore, thus) , and temporal conjunctions (e.g., then, next, finally) . As far as lexical cohesion is in focus, Halliday and Hasan (1976) identified the following lexical items: total repetition is repeating the same word. Also, collocation is the use of two or more words that usually occur together. Synonyms are words that are similar in meaning, and antonyms are words which are opposites. Substitution and ellipsis were excluded from the study (because students rarely use devices as such when they formally communicate (Halliday, 2000; Liu & Braine, 2005) . This study is significant since it must be acknowledged by all teachers that applying the theory of cohesion to the teaching of writing is essential.

Literature review:

Many researchers found that EFL students were incompetent in terms of using cohesion (Khalil, 2002, Olateju, 2006) . The students made mistakes due to incorrect choices of cohesive ties in writing. Although researchers have dug deep into the effect of applying cohesion theory to the teaching of writing (Kong Ling- ling, 2002; Liu and Braine, 2005; ZHOU Xin- Hong, 2007) , most of the research papers addressed the descriptive part.

In terms of the effect of cohesion on the quality of writing, Al- Jarf (2001) found that Arab EFL learners couldn't opt for the correct choices of cohesive ties due to the insufficient knowledge about cohesion. She investigated the use of cohesive ties and found that conjunctions were the easiest to use, but reference was very difficult. Guthrie (2008) recommended conducting more research focusing on more students groups and the use of cohesion.

Khalil (1989) contended that Arab students overused lexical reiteration of the same item and the frequency of other lexical and grammatical cohesive ties dropped. Therefore, the quality of writing was poorly evaluated in terms of both cohesion and coherence. He also found that Arab students overused reference. Therefore, he recommends that students should be given more instruction about the importance of cohesion on the quality of writing as a whole.

Introduction:

What is challenging in the process of teaching paragraph writing is producing unified texts with minimal writing errors. Teachers consider writing as the main issue as they found that many students are unable to produce academic papers as effective as it should be in terms of the quality and unity of structure.

Cohesion and coherence are two important elements entailing “good” writing (Halliday, 2000; Lui 2000) . Examining cohesive ties use can provide insights into the extent to which students from different majors and levels maintain cohesion in their paragraph writing. Therefore, the role of the teachers is to give their students direct instruction about the correct modes of writing from the point of view of cohesion (Johnstone, 2007, 159) .

It is incumbent to say that cohesion as proposed by Halliday and Hasan (1976) makes sentences hang together (Celce- Murica and Olshtain, 2000, 150) . Moreover, cohesive ties function in writing to maintain unity within a sequence of sentences to simplify the interpretation of the text (Hafeez, 2001) . The students’ ability to use cohesive devices creates a sense of flow of ideas enabling students to improve their sentences (Mansell, 2002; Qing- feng, 2009) . The current study helps to describe the effect of applying cohesion on the frequency of cohesive ties and the quality of writing when English-language learners, whose primary language is Arabic, employ the skill of writing.

Cohesion is pinpointed as the employment of all the explicit linguistic devices to signal relations between sentences. The cohesive devices that instructors could benefit from in the process of teaching paragraph structure are categorized by Johnstone (2007, 150) and Halliday & Hasan (1976) as follows: reference, conjunction, synonymy, antonymy, collocation, and total lexical repetition. Synonyms and antonyms are of great importance since using them to improve the quality of writing is important as many teachers complain that when it comes to writing, students use repetitive words rather than synonyms or antonyms. Substitution and ellipsis are excluded from the current study due to the fact that students didn’t use them in the pre-test results. Other researchers found that these two items are rarely used by students in written English (Liu & Braine, 2005; Zhang, 2000) .

Abstract:

It is essential for the students to be fully aware of the theory of cohesion (Halliday & Hasan, 1976) so as to allow for continuity of thought while writing compositions (Qing- feng, 2009) . Therefore, this study investigates the effect of applying cohesion (Halliday & Hasan, 1978) in the students' compositions when the quality of their writing and frequency of cohesive ties are analyzed. The sample of the study consisted of an experimental group and a control group; each group consisted of 30 non- English majors studying English I; a university required course at An- Najah National University. A pre- writing test was developed and its validity and reliability were established. The findings of the study revealed that cohesion had a positive effect on the quality of the students' writing. It was also found that cohesion increased the frequencies of conjunctions which formed the largest percentage, followed by reference items and then synonyms in favor of the experimental group. Apart from that, certain differences were found in terms of the frequency of use of some cohesive ties after applying cohesion in relation to the in- group or among groups analyses. In light of the findings, it is recommended that students should be trained on how to use cohesion to positively affect their writing skills.

ملخص:

أنه من الضروري أن يكون الطلبة على علم واسع بأثر نظرية تماسك او ترابط الجمل Cohesion (Halliday & Hasan, 1976) على ترابط الأفكار عند ممارسة مهارة الكتابة (Qing- feng, 2009) . وبالتالي فان الدراسة الحالية تتطرق إلى بحث أثر تطبيق استخدام أدوات ترابط الجمل على جودة مهارة الكتابة و عدد الأدوات الترابطية. وتكونت عينة البحث من عينة تجريبية وعينة ضابطة، كل منها مكونة من ثلاثين طالباً يدرسون اللغة الانجليزية كلغة ثانية لمساق انجليزي متطلب جامعي عام لجميع التخصصات. وقد خضع طلاب العينتين إلى امتحان أول قبل تطبيق النظرية وامتحان ثاني ينص على كتابة فقرة عامة، وتوصلت الدراسة إلى أن طلبة العينة التجريبية حصلوا على نتائج أعلى من العينة الضابطة من حيث جودة الكتابة. أما من ناحية عدد الأدوات الترابطية وتكرارها فوجدت الباحثة أن تطبيق نظرية التماسك Cohesion كان لها أثر على زيادة أو نقصان استخدام بعض من أدوات الترابط حيث سجلت أدوات الربط conjunctions أعلى نسبة تتلوها الضمائر references عند طلبة العينة التجريبية وفي ضوء هذه النتائج طرحت توصيات تنص على ضرورة تطبيق النظرية لما لها من أثر إيجابي على تحصيل الطلبة الكتابي.

The Effect of Applying the Theory of Cohesion to the Teaching of Writing to EFL Learners

Dana Adas [*]

* Language Center, An- Najah National University, Nablus.

Journal of
Al-Quds Open University
for Research & Studies

Contents

9. References should follow rules as follows:

    (a) If the reference is a book, then it has to include the author name, book title, translator if any, publisher, place of publication, edition, publication year, page number.

    (b) If the reference is a magazine, then it has to include the author, paper title, magazine name, issue number order by last name of the author.

10. References have to be arranged in alphabetical order by last name of the author.

11. The researcher can use the APA style in documenting scientific and applied topics where he points to the author footnotes.

Guidelines for Authors

The Journal of Al-Quds Open University For Research & Studies Publishes Original research documents and scientific studies for faculty members and researchers in Alquds Open University and other local, Arab, and International universities with special focus on topics that deal with open education. The Journal accepts papers offered to scientific conferences.

Researchers who wish to publish their papers are required to abide by the following rules:

1. Papers are accepted int both English and Arabic.
2. each paper should not exceed 32 pages or 7500 words including footnotes and references.
3. Each paper has to add new findings or extra knowledge in its field.
4. Papers have to be on a “CD” or “E-mail” accompanied by three hard copies. Nothing is returnable in either case: published or not.
5. An abstract of 100 to 150 words has to be included. The language of the abstract has to be English if the paper is in Arabic and has to be Arabic if the paper is in English.
6. The paper will be published if it is accepted by at least two revisers. The Journal will appoint the revisers who has the same degree or higher than the researcher himself.
7. The researcher should not include anything personal in his paper.
8. The owner of the published paper will receive one copy of the Journal in which his paper is published.

FOR CORRESPONDENCE AND SENDING RESEARCH
USE THE FOLLOWING ADDRESS:

*Chief of the Editorial Board of the Journal of
Al-Quds Open University for Research & Studies*

Al-Quds Open University

P.O. Box ; 51800

Tel: 02-2984491

Fax: 02-2984492

Email: hsilwadi@qou.edu

DESIGN AND ARTISTIC PRODUCTION:

Graphic Design & Production Department
Deanship of Scientific Research & Graduate Studies

Al-Quds Open University

Tel: 02-2952508

Journal of
Al-Quds Open University
for Research & Studies